المصابيح الساطعة الأنوار

تفسير أهل البيت عليهم السلام

الامام القاسم بن ابراهيم عليه السلام
(١٩٦ هـ) (٢٤٦ هـ)

الامام محمد بن القاسم عليه السلام
(٢٨٤ هـ)

الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسن عليه السلام
(٢٤٥ هـ) (٢٩٨ هـ)

الفاتحة - المنافقون

جمع وتأليف

العلامة عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الشرفي (١٠٦٢)

الجزء الأول

تحقيق

محمد قاسم الهاشمي

عبدالسلام عباس الوجيه

اشرف عليه

السيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صعده

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الطبعة الثالثة
١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

منشورات
مكتبة التراث الإسلامي
الجمهورية اليمنية - صعده
ت: ٥١٣١٥٠

مقدمة

محمد قاسم الهاشمي

الحمد لله الذي هدانا بكتابه إلى الصراط المستقيم وفضلنا على كثير ممن خلق بما منحنا من الأفهام والعقول لتدبر آياته وبيناته.

وصلىٰ الله على سيدنا محمد المنزل عليه ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**﴾ وعلى آله قرناء الكتاب وسلم تسليماً كثيراً.

كم هو ممتع أن يرتع الإنسان في رياض القرآن وأن يعيش معه بكل جوارحه وأحاسيسه بحثاً واستقراء وتتبعاً وكشفاً لكل معاني العظمة التي يحملها هذا الكتاب المقدس الخالد بين جوانحه.

إن الساعات الطويلة والأيام بل الأشهر المتتابعة العديدة التي قضيناها في إعداد هذا الكتاب للطبع هي أوقات نادرة شعرنا فيها بالرضاء وادركنا السعادة ونحن نعمل لكي تخرج هذه الكنوز التي حوتها طيات هذا المجموع لتستفيد منها الأمة الاسلامية.

بل إننا نعدها أغلى أيام حياتنا وأسعدها ونحن نرتع في رياض القرآن.

وحفظ الله شيخنا ووالدنا العلاَّمة صلاح بن محمد الهاشمي فقد كانت دروس التفسير لديه روضة من رياض الجنة رتعنا في حديقته الغناء التي لم يبخل بكل جهده أن يقدمها لنا فشفاه الله وحفظه وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

القرآن هو دستور الأمة الإسلامية والمعجزة العظمى والخالدة لنبي البشرية محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله.

فلا غرو أن يحاول المسلمون جاهدين تبيين معاني القرآن وتوضيح ما خفي فهمه، بل يتنافس علماء الأمة في إبراز مكنون جواهر ودرر هذا الدستور الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد غرائبه، ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه قد أحاط بجميع علومه ومعانيه.

فلا يزال على مر الدهور يدهش العقول، ويخر له أساطين العلوم خاضعين، تأخذهم الرهبة والهيبة من هذا الكلام السماوي مُقِرِّينَ بالضعف البشري عن سبر أغواره وادعاء الإحاطة بجميع معانيه.

ولما كان القرآن حَمَّالَ أوجه، ومنه المحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ، والظاهر والمؤول، وما يحتمل معنى وما يحتمل معنيين أو أكثر.

وكان كل من يتدبر القرآن يفهم منه بقدر ما لديه من معارف وعلوم ـ عمد علماء المسلمين إلى توضيح دلائله، وتبيين معجزاته وأحكامه، بدأً بالرعيل الأول من أصحاب رسول الله، وخصوصاً أهل بيت النبوة عليهم السلام إقتداء برسول الله الذي كان يوضح معانيه بعد تعليم الله إياه، وضمان حفظه وبيانه بقوله تعالى **﴿ثم إن علينا بيانه﴾**.

وكان لا بد أيضاً من التبيين والتوضيح، والرد للمفاهيم المغلوطة والتفسيرات التي لا تتفق مع روح القرآن ومضمونه، سواء كانت ناتجة عن عدم الفهم، أو كانت معقودة لغرض التشكيك في العقيدة الإسلامية، أو ناتجة عن اهواء النفوس المردية، أو صادرة عن تراكم عقائد فاسدة.

ولما كانت بقية العلوم الإسلامية عالة على علم التفسير الذي به تُفْهَمُ الأحكام الشرعية والمسائل الاعتقادية وسائر علوم الشريعة الاسلامية أصبح علم التفسير لازماً لكل من يريد فهم الإسلام في كل مجال من مجالاته.

فأسهم علماء أهل البيت وعلماء الزيدية في هذا المجال،وكان لهم الدور البارز والمتميز في تفسير القرآن ووضع المعايير والأسس.

بل كان كل علماء هذا الفكر الأصيل النابع من دوحة النبوة لهم الاهتمام الكبير بالقرآن وعلومه كما هو شأن العلماء المخلصين.

فوضعوا الأسس والمعايير لمن أراد فهم كتاب الله وتفسيره تفسيراً يليق بجلالة وعظمة هذا الدستور الخالد الباقي المحفوظ المعجز، الذي بهر الأجيال الغابرة، وتنحني وتخضع له الأجيال الحاضرة والمستقبلة.

ولا يخفى انه كان لتغييب بعض الأسس إسهام في الإنحراف والتشويه والاعتقادات الفاسدة التي جرت على المسلمين الكثير من الويلات والتمزق والاختلاف.

وكانت أبرز هذه الأسس التي يوضحها ويبرزها هذا الكتاب الذي بين أيدينا واعتمدها ائمة الفكر الزيدي وعلماؤه هي:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن فما أُجمل وخفي في موضع فقد فُصِّل وبُيِّن في موضع آخر ومما اختصر في موضع فقد مبسط في موضع.

٢ ـ تفسير القرآن بما ورد عن رسول الأمة صحيحاً ثابتاً.

٣ ـ تفسير القرآن بما ورد عن العرب وما تداولته على ألسنتها فهو كما قال الله بلسان عربي مبين ولهذا خاطبهم به وكلفهم فهمه وتحداهم بأن يأتوا بمثله.

٤ ـ إعمال العقل فهو الحجة الثالثة من حجج الله على المكلفين وهي الكتاب

والسنة والعقل وهذه الحجج الثلاث لا يمكن أن تتعارض أو تتناقض.

وقد كان لتغييب دور العقل وإغفاله الدور الأكبر في انحراف مسيرة الأمة، وسبب في كثير من الاعتقادات الفاسدة.

هذه الأسس الأربعة ركيزة علم التفسير .

وقد كانت الجوانب التي بحثت في علوم القرآن في الفكر الزيدي كثيرة منها:

القرآت من حيث صحتها، وموافقها للغة العربية، وتبيين الوجه في ذلك، وتوضيح الشاذ منها من غيره، وما هو الذي يصح أنه قرآن، والذي يحتمل أنه تفسير، ثم أوجه إعرابها، والأحكام المستنبطة منها بحسب اختلاف القرآن.

وشمل بحثهم أيضاً أسباب النزول، وأوقاته، ومواضعه، وما هو المقصور منها على سببه، وغير المقصور، ومواضع فواصل السور والآيات، وتبين المكي منها والمدني.

تبين الآيات المحكمة والمتشابهة وتوضيحها وكيفية رد المتشابه إلى المحكم.

توضيح العام والخاص والظاهر والمؤول والمجمل والمبين وغير ذلك.

الاهتمام بالجانب اللغوي والنحوي والصرفي وتتبع كلام العرب والاستشهاد بأقوالهم.

أما الجانب البلاغي فأمر ملموس مشهور لا يخفى .

التتبع والاستشهاد بأقوال السلف وما يؤثر عنهم.

وكذلك ما أثر عن علماء الأمة الإسلامية، والاطلاع الكامل على أقوالهم وآرائهم والاستفادة منها ومناقشتها.

لقد بحث الفكر الزيدي في جميع علوم القرآن، واستنبط الأحكام فخرج بحصيلة علمية واسعة متميزة، تشمل جميع جوانب الفكر والحياة التي جاء الاسلام لتوضيحها وبيانها.

ومما يعكس مدى حرص الفكر الزيدي وعلمائه واهتمامهم بالقرآن وعلومه، هو ما بين يدي الآن مما جمعه الأخ العلامة عبد السلام الوجيه من تراجم لعلماء الزيدية المفسرين ومؤلفاتهم، التي تبلغ أكثر من مائة شخصية علمية مفسرة، واكثر من مأتي كتاب في شتى نواحي المعارف القرآنية.

التعريف بالكتاب

هذا الكتاب الذي نقدمه للأمة الإسلامية هو ما حرص جامعه رحمه الله على أن يجمع فيه الهداية العظيمة وذلك بالسير على نهج البيت النبوي والاغتراف من معين العلم الصافي وهو ما حرص على ذكره في أوائل المقدمة التي وضعها.

وقد بين الطريقة التي اتبعها أهل البيت عليهم السلام ومن سار على نهجهم، وأنه يجب على الأمة أن يكونوا مع هؤلاء الصادقين .

ولقد حاول جاهداً أن يجمع ما تيسر له من تفسير الأئمة العظام الذين كان لهم الدور البارز في اصلاح هذه الأمة وخصوصاً الإمامين القاسم بن إبراهيم، والهادي إلى الحق عليهما السلام فكان تصدير هذا التفسير بما وجده من تفسير لهما ولأولادهما اجلالاً لهؤلاء الأئمة ولدورهم الجهادي الذي كان شمساً مضيئة في تاريخ هذه الأمة الاسلامية ولإنشغال هؤلاء الأئمة بالجهاد ونشر تعاليم الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يتمكن أحدهم من إكمال تفسير للقرآن بأكمله.

ولأنهم يعرفون أن وقتهم ليس ملكاً لهم، وحرصاً على الانتفاع الشامل لكل أفراد الأمة فقد خالفوا عادة المفسرين وكانت البداية من قصار السور (أي من أواخر القرآن) لأنه الأكثر تداولاً بين الناس في صلواتهم وتعلمهم.

ثم حرص كل واحد منهم أن يتم ما بدأه السابق وأن تكون البداية من حيث انتهى سلفه، وقد بين ذلك كله جامع هذا الكتاب رحمه الله والأئمة المفسرون كما ستطلعون عليه.

ثم التزم جامع الكتاب هذا النهج والتزم أيضاً بتتبع تفاسير أئمة أهل البيت عليهم السلام، والعلماء السائرين على نهجهم، فإذا لم يعثر على بغيته فيما لديه ـ أتى بأقوال علماء الأمة الاسلامية الذين بنوا تفسيرهم للآيات التي نقلها عنهم على النهج العلمي الواضح الذي اتبعه ائمة الزيدية وعلماؤها.

ابتدأ جامع هذا التفسير ومؤلفه رحمه الله بتفسير القاسم عليه السلام والذي بدأ بالفاتحة ثم سورة الناس وينتهي بسورة الضحى مسلسلاً ثم يليه تفسير ولده محمد بن القاسم عليه السلام من سورة البلد إلى آخر سورة النازعات، وللإمام القاسم حضور أيضاً

في تفسير هذه السور .

يأتي بعد تفسير هذين الإمامين تفسير الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليهم السلام من سورة النبأ إلى آخر سورة المنافقين هذا ما وجده المصنف من تفسير هؤلاء الأئمة مسلسلاً تاماً .

ثم انه التزم بنقل كل ما عثر عليه من تفسير لهم متفرقاً في السور والآيات عند إكماله لتفسير القرآن كاملاً .

رحلتي مع الكتاب

لقد بدأت رحلتي مع هذا التفسير منذ زمن بعيد وكانت بدايته وأنا أُطالع في الإجزاء الأخيرة من الكتاب، والتي كان ينقصها الإجزاء الأُوَلُ منه بعد مطالعتي للطريقة التي أتبعها المصنف في تنزيه نبي الله يوسف عليه السلام من المعصية،وما نقله عن الرازي من انه قد شهد الله وملائكته ويوسف والعزيز وامرأته وابن عمها حتى الشيطان قد نزه يوسف من المعصية بقوله إلا عبادك منهم المخلصين، وقول الله في يوسف صلى الله عليه في آية اخرى (إنه كان من المخلصين) إلاّ هؤلاء الذين نسبوا ليوسف أشياء يُسْتَحَى أن تنسب لبعض العصاة .

ثم اكملت الأجزاء المتبقية من هذا الكتاب من لدن سيدي العلامة محمد عبد العظيم الهادي حفظه الله .

بعد ذلك بدأت المحاولة في طبع الكتاب وتحقيقه فطبعت جزءاً منه على كمبيوتر صخر عند بداية ظهور هذا النوع من الأجهزة .

ولم اقتنع بتلك الطباعة فبدأت في صفه على كمبيوتر شخصي ولكن ببرنامج قديم MLS. ووصلت في الصف إلى سورة ق. اضطررت بعدها لشراء برنامج ابجد لإخراج الكتاب في صورة أفضل .

ولما لم استطع التعامل معه بدأت في صفه مرة ثالثة على برنامج Word .

ولولا تشجيع الكثير من الأخوة في اليمن وغيره حفظهم الله على اخراج هذا الكتاب لكنا قد أصبنا بالإحباط من كثرة العوائق ولما استطعنا إخراجه إلى النور .

ثم استعد الأخ عبدالسلام الوجيه حفظه الله بالمشاركة والتعاون فسلمت له نسخة من المصفوف قام بالمقابلة لها على المجموع المخطوط، وخرج الكثير من الأحاديث وتراجم للرجال، وكنا قد أعددنا خطة عمل وهي أن نضيف عدة تفاسير في الحاشية منها :

١ ـ تفسير غريب القرآن. للإمام زيد .

٢ ـ تفسير البرهان لابي الفتح الديلمي .

٣ ـ تفسير الإمام الحسين بن القاسم العياني.

٤ ـ ما وجدنا في تفسير للإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام.

٥ ـ مباحث التنزيل لحيي بن الحسين العلوي.

٦ ـ ما وجد من تفسير للإمام الهادي والقاسم أو لبقية أهل البيت وعلماء الزيدية لم يذكر في الكتاب.

ولكن كما يقال (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) فالعوائق اصبحت سمة ملازمة لنا والأخ عبد السلام الوجيه اصابه المرض نسأل الله له العافية التامة والاجر الجزيل.

ومع إلحاح الأخوة الذين يهمهم اخراج هذا الكنز كان القرار بأن نقدم هذا الجزء كما تيسر لنا الآن، مع انا نعترف بأننا لم نوفه حقه ومع استكمال بقية الأجزاء وإمدادنا من قبل المطلعين بمحالّ القصور سنعمل إنشاء الله على تلافي الأخطاء، وجوانب نقص عملنا في هذا الكتاب.

بعد إدخال التصحيحات الأولى من المجموع المخطوط كما ذكرت جرى ادخال بعض الحواشي والتراجم وعمل على تصحيح الكتاب ومقابلته على مخطوطتين.

رمزنا للأولى بالنسخة(أ).

والثانية بالنسخة (ب).

ولكون النسخة (أ) كانت اصح من النسخة (ب) فقد اعتمدناه مع اضافات ما في المجموع المخطوط.

ولتصحيح بعض النصوص من النسخة (ب)..

وقد جعلنا الزيادات بين اقواس زيادة وما لم نذكر المصدر فهو من المجموع المخطوط.

كما ان للوالد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي وتشجيعه بل مقابلته لأجزاء من هذه النسخ رغم مرضه شفاه الله منه الأثر الكبير في اخراج هذا الجزء إلى حيز الوجود.

جوانب العظمة في هذا الكتاب.

لا بد لكل من اطلع على هذا التفسير أن يلاحظ الجوانب العلمية التي بني عليها هذا الكتاب وان اعتماده على لغة العرب ولسانها الذي نزل القرآن به والاستشهاد بأقوال العرب وما تنطق به هو السمة البارزة والمنهج الواضح. ثم الحضور البارز لإعمال العقل والفكر والتدبر للخروج برؤية واضحة ومعاني تتفق مع الفطرة السليمة التي وهبها الله لأصحاب العقول النيرة.

والبعد عن كل ما هو دخيل على معاني القرآن من الاسرائيليات، ومناقشة

التفسيرات المغلوطة، وتوضيح الحق باسلوب علمي متميز.

من خلال معايشتي لعلم التفسير وجدت في هذا التفسير وبعض تفاسير علماء الزيدية توضيحاً لأشياء كانت ولا زالت محل نقاش، بل وجود إصرار من الكثير على إبقاء أفهامهم محدودة غير متجاوزة للمشاهد المحسوس أو الاكتفاء بما رواه بعض المفسرين من غير نظر لصحة التفسير ومطابقته للواقع.

وأنا أذكر مثالين لذلك:

الأول: في تفسير ﴿**والنازعات غرقا والناشطات نشطا**﴾ فقد ذكر الإمام القاسم وولده محمد عليهما السلام قالا: (النازعات) فيما أرى ـ والله اعلم فهن السحائب المنتزعات لماء الأمطار من البحار والأنهار ومما في الأرض من الندوة والبخار.

وهذه الحقيقة طالما سمعنا الكثر ينفونها بل لا يسلم قائلها من التشكيك في إيقانه وأنهأصبح ألعوبة للمناهج الفكرية الحديثة.

والإمام القاسم لم يكتف بالتدليل اللغوي بل ذكر أن ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وكذلك صح في الروايات والأخبار).

الثاني: ما وجدته في تفسير الحاكم الجشمي المحسن بن كرامه في تفسير قوله تعالى في سورة الكهف (فلما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئه).

بعد أن سرد اقوال المفسرين بأنها تغرب في ماء وطين، وفي ماء اسود، وفي ماء عكر ـ ذكر: بأن المراد أنه لما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب (في عين) أي: ذات؛ لأنه يقال: عين الشيء أي ذاته ومعنى (حمئة) أي حَامية حارة لم يخب لهيبها ولم ينطفِ ولم يَخِفَّ ضوءها كما يتراءى للرائي بأنه قد ضعف ضوؤها وخف نورها).

أي: أنه وجدها تغرب في هيئتها الكاملة كما هي وقت الزوال، وأن عينها أي ذاتها لا زالت كما هي عليه وقت اشتدادها. لم تتغير ولم تتبدل كما قد توهم الرائي.

اخيراً أسأل الله العالي القدير أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الخير وأن يجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم ولسنا في غنى عن النصح وتبيين أوجه القصور منا وسنعمل انشاء الله لتلافي أخطائنا في بقية الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بيروت في ٢/ ٥/ ١٤١٧هـ
١٩٩٧/٩/٤م

المؤلف

عبد السلام عباس الوجيه

هو السيد العلامة الأديب المتكلم الفاضل الناسك عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن صلاح بن أحمد بن محمد بن القاسم بن الأمير داود إبن المترجم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم الحواري بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب الحسني والقاسمي المعروف بالشرفي.

نشأ وترعرع في شهاره وعده الجرموزي مؤلف النبذة المشيره في سيرة القاسم بن محمد عليه السلام في الطبقة الثانية من أصحاب القاسم بن محمد عليه السلام الذين نبلوا في خلافته وكانوا عيوناً في أيامه وأيام أبنائه؛ ولعله شهد في وقت مبكر من حياته فتح الإمام القاسم لمدينة شهاره سنة ١٠٠٦هـ وكان مع من أسهموا في بناء المسجد الجامع بشهاره سنة ١٠١٥هـ الذي بلغ طلبة العلم به (٨٠٠) طالب إستقروا فيه حتى وفاة الإمام القاسم عليه السلام سنة ١٠٢٩هـ وكان من أنبل الطلبة في شهارة ثم من عيون العلماء في عصر الإمام القاسم بن محمد وعصر المتوكل على الله إسماعيل وصف بأن له في العلم الحظ الأوفر.

شيوخه:

قرأ المؤلف على الإمام الشهير القاسم بن محمد بن علي مُؤَلِّفَه الأساس في أصول الدين وغيره وأجازه جميع مروياته ومؤلفاته ومستجازاته، وكان من تلامذة القاسم النابهين، الذين استفادوا وتعلموا فعملوا وعلموا، وجعلوا رسالتهم خدمة العلم.

ومن شيوخه السيد العلامة الأصولي الأديب المؤرخ الفقيه الشهير أحمد بن محمد الشرفي، صاحب المؤلفات الكثيرة التي من أشهرها شرحا الأساس الصغير والكبير، واللآلىء المضيئة في تاريخ الأئمة الزيدية، قرأ عليه المؤلف شرح الأساس، وسمع عليه

الأحكام للإمام الهادي عليه السلام .

كما روى عن العلامة الناصر عبد الحفيظ بن المهلا مؤلفه المحرر المختصر من المقرر إجازة، وأخذ عن غيرهم من عيون علماء العصر في شهاره عاصمة الإمام القاسم بن محمد وإبنه الإمام المؤيد بالله عليهما السلام.

تلاميذه:

تفرغ المؤلف لخدمة العلم الشريف تدريساً وتأليفاً ووهب نفسه لهذا الهدف الجليل، وكان من كبار المدرسين في شهاره، درس عليه مؤلفه المصابيح وغيره من الكتب مجموعة من طلبة العلم الشريف.

قال في طبقات الزيدية: وأخذ عنه جماعة، منهم: السيد عامر بن عبد الله مما سمع عليه مؤلفه في التفسير، والسيد علي بن عبد الله بن أمير الدين وغيرهما.

قال تلميذه عامر بن عبد الله: ومن مسموعاتي المصابيح في التفسير للسيد العالم الحافظ الجليل عبد الله بن أحمد، فإني أرويه عنه قراءةً من أوله إلى آخره، وهو ستة أجزاء، جمع فيه تفسير أئمة آل محمد عليهم السلام.

قال في السيرة: وهذا التفسير المسمى بالمصابيح الصادعة الأنواع المجموعة من تفسير الأئمة الأطهار ابتدئ فيه بآخر القران عكس المؤلفين [قلت: بل تبعاً لما درج عليه الأئمة القاسم والهادي والحسين بن القاسم العياني عليهم السلام] ثم قال: وهذا التفسير قليل الوجود لمثله إنما هو نصوص الأئمة وتفسيرها، وكتابه يدل على تمكن في العلوم، وإطلاع على أقوال الأئمة عليهم السلام .

وفي ترجمة السيد عامر من الطبقات قال السيد عامر: ومن مسموعاتي المصابيح للسيد عبد الله الشرفي فإني أروي عنه قراءة من أوله إلى آخره، وكتاب حديقة الحكمة أرويه قراءة على السيد عبد الله بن أحمد الشرفي، وكذلك الأساس وشرحه على السيد عبد الله بن أحمد، وكذلك كتاب الأحكام أرويه أيضاً على شيخنا، وكتاب المحرر المختصر من المقرر إجازة، وقراءة، وهو يرويه عن مؤلفه قاضي القضاة ناصر المدلا .

وفي ترجمة السيد علي بن عبد الله بن أمير الدين بن عبد الله بن نهشل قال صاحب الطبقات: ولما طلبت منه إجازة قال ما لفظه: فإنه طلب مني الولد إبراهيم بن القاسم المؤيد - أن أجيز له من مسموعاتي عن الشيوخ ممن اخذت عنهم من الكتب وسمعته عليهم، أول ذلك في أصول الدين الأساس وشرحه عن السيد الجليل الوالد عبد الله بن أحمد الشرفي .

وفي ترجمة العلامة أحمد بن ناصر المخلافي قال: ومن جملة مسموعاتي أوائل كتاب المصابيح في التفسير للسيد عبد الله بن أحمد الشرفي وخطبته، وتفسير الفاتحة وما

بعده إلى الضحى بإملائي لذلك على سيدي أمير المؤمنين المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله اسماعيل في بلد معبر، وإجازته لباقي الكتاب مناولةً.

لقد عاش المؤلف حياة خالصة للعلم، وعاصر نجوم العلماء وكان منْ أقرانه الذين درسوا معه في حلقة القاسم بن محمد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وعمالقة العلماء أمثال السيد العلامة الحسن بن شرف الدين وصالح بن عبد الله الغرباني، وعلي بن صلاح العبالي، وأمير الدين بن عبد الله بن نهشل، وأحمد بن محمد الشرفي، ومحمد بن علي عشيش الحوثي، وعلي بن إبراهيم الحيداني، والحسين بن علي الجحافي، وصلاح بن عبد الخالق الجحافي، وعبد الله والحسن والحسين أبناء محمد المحرابي، وناصر بن محمد القاسمي، وعامر بن محمد الزماري وسعيد بن صلاح الهبل، وعبد الهادي بن أحمد التلائي، والحسن بن سعيد اليزدي، وعلي بن الحسين المسوري، والعلامة أحمد بن سعد الدين المسوري، وعشرات غيرهم.

وكان عالماً فاضلاً ديناً سكن شهارة، ولم يزل بها مقيماً على التدريس، والإحياء لعلوم الدين، معروفاً بالصلاح والفضل، محترماً من أعيان علماء وحكام عصره، حتى توفاه الله في يوم الإثنين قبيل الزوال لاثني عشرة ليلة مضت من صفر الخير عام (١٠٦٢ هـ) وقبره في ذي الشرفين بجانب الباب الغربي للمسجد.

قلت: ومقبرة ذي الشرفين هي مقبرة صغيرة يتوسطها مسجد خرب، قبر فيها مشاهير العلماء منذ تأسست شهاره، منهم: الأمير ذو الشرفين الذي سميت باسمه، وتقع وسط مدينة شهارة ما بين الجامع الكبير والبركة المشهورة (الحسني) شمالاً تجاورها دار المؤيد الشهيرة، وغرباً الطريق إلى الجامع، وجنوباً مقبرة أبي طالب، ودار سعدان، وممن قبر في هذه المقبرة من معاصريه العلامة صالح بن عبد الله بن علي الغرباني المتوفي سنة ١٠٤٨هـ، العلامة الحسن بن شرف الدين بن صلاح المتوفي سنة ١٠٢٨هـ، العلامة محمد بن الحسن بن شرف الدين بن صلاح المتوفي سنة ١٠٦٣هـ، العلامة محمد بن صالح بن عبد الله بن الغرباني سنة ١٠٢٩هـ، العلامة صلاح الدين بن صالح بن عبد الله حنش المتوفي سنة ١٠٢٩هـ.

هذه خلاصة المعلومات التي أوردها مترجموه ومن مصادر ترجمته:

١ ـ أعلام المؤلفين الزيدية (تحت الطبع).

٢ ـ طبقات الزيدية القسم الثالث صفحة ٩٣ (خطيه).

٣ ـ سيرة الإمام القاسم (النبذة المشيره) خطية ص٥٥.

٤ ـ تحفة الاسماع والأبصار (سيرة المتوكل على الله إسماعيل) خطيه.

٥ ـ التحف شرح الزلف الطبعة الثانية ص٢٣١.

٦ ـ ملحق البدر الطالع ١٢٦ .
٧ ـ معجم المؤلفين ٦/ ٢٠ .
٨ ـ الجواهر المضيئة خطية ص٥٥ .
٩ ـ معجم المفسرين (المستدرك) ٢/ ٨٣ .
١٠ ـ مصادر التراث في المكتبات الخاصة باليمن (تحت الطبع) .



المفسرون في هذا الجزء

إشتمل هذا التفسير على:

تفسير ثلاثة من الأئمة هم: الإمام القاسم بن إبراهيم، الإمام محمد بن القاسم والإمام الهادي وهذه تراجم مختصرة لكل منهم.

١ ـ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي: (١٩٦هـ ـ ٢٤٦هـ)

الإمام القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) أبو محمد المعروف بالرسي، أحد عظماء الإسلام، ونجوم الآل الكرام، مولده بالمدينة، ونشأفي أحضان الفضيلة يطلب العلم عند أكابر علماء أهل البيت عليهم السلام، حتى فاق أقرانه فكان فقيهاً، محدثاً، مناظراً شاعراً، زاهداً، ورعاً، شجاعاً، سخياً، ثائراً في الله، وهو أحد الدعاة إلى بيعة أخيه الإمام محمد بن إبراهيم في مصر، بقي مختفياً بها مدة عشر سنوات، والمأمون يجد في طلبه، ولما توفي أخوه محمد بالكوفة سنة ٢١٨هـ نهض القاسم عليه السلام بأمر الإمامة، وسميت بيعته البيعة الجامعة؛ لإجماع وجوه أهل البيت(ع) عليها سنة ٢٢٠هـ في عهد المعتصم العباسي، ولما عاد إلى الحجاز إشتهر أمره وطار صيته فطاردته جيوش العباسيه في اليمن والحجاز، وأضطر إلى الاختفاء ثانية لم تساعده الإمكانيات في وجه العباسيين فاعتزل واشترى جبلاً قرب المدينة يسمى الرس، وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على بعد ستة أميال من المدينة، وإليه ينسب هو وأولاده. وعاش هناك بقية عمره حتى توفاه الله ودفن سنة ٢٤٦هـ وله أخبار طوال في كتب التأريخ، وقد حفظ لنا من تراثه العظيم وأفكاره النيرة رسائل وكتب. ومن مؤلفاته:

١ ـ الإحتجاج في الإمام والإمامة.

٢ ـ الأصول الخمسة.

٣ ـ أصول العدل والتوحيد ونفي الجبر والتشبيه.

٤ ـ الإمامة.

٥ ـ تثبيت الإمامة.

٦ ـ الدليل الكبير على وجود الله .

٧ ـ الدليل الصغير .

٨ ـ تفسير القرآن وهو الذي يتضمنه هذا الجزء من تفسير المصابيح .

٩ ـ الرد على الروافض .

١٠ ـ الرد على الملحد .

١١ ـ الرد على المجبره .

١٢ ـ الرد على الزنديق بن المقفع .

١٣ ـ سياسة النفس .

١٤ ـ صفة العرش والكرسي وتصريفهما .

١٥ ـ العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الواحد الحميد .

١٦ ـ فرض الله على المكلفين .

١٧ ـ الفرائض والسنن .

١٨ ـ القتل والقتال .

١٩ ـ الكامل المنير في الرد على الخوارج .

٢٠ ـ كتاب الهجرة للظالمين .

٢١ ـ كتاب يرد على النصارى .

٢٢ ـ كتاب المسائل المنثورة (أجاب به على أسئلة ابنه محمد) .

٢٣ ـ المكنون في الآداب والحكم .

٢٤ ـ المسترشد .

٢٥ ـ المديح الكبير للقرآن .

٢٦ ـ المديح الصغير .

٢٧ ـ المصباح ويسمى العالم والوافد، وغيرها من الكتب أنظر عنها وعن تفصيلاتها في أماكن وجودها، أعلام المؤلفين الزيدية، وفهرست مؤلفاتهم تأليف عبد السلام الوجيه (تحت الطبع) .

مصادر الترجمة

أعلام المؤلفين الزيدية ـ مقدمة كتاب الرد على الملحد تحقيق محمد يحى سالم طبعة أولى ص٨ ـ ١٢ ـ الحدائق الوردية (خ) ـ المصابيح في السيرة (خ) ـ مآثر الأبرار

(خ) مقاتل الطالبيين (٥٥٣) ـ أعيان الشيعة ٨/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ـ الأعلام ٦/ ٥ التحف شرح الزلف طبعة ١/ ٣٩ ـ الزيدية لمحمود صبحي ١١٥ ـ معجم المفسرين ١/ ٤٣١ عمدة الطالب (٢٠١) ـ سر السلسلة العلوية (٢٨) ـ الشافي ١/ ٢٦٢ الجواهر والدرر (مقدمة البحر الزخار) ٢١٨ ـ رسائل الغدل والتوحيد ٢١/ ٢٣ معجم رجال الاعتبار وسلوك العارفين (تحت الطبع) ـ طبقات الزيدية (خ) ـ الجداول (خطيه) ـ الإمام الهادي مجاهداً ووالياً ص٧٠ ـ رجال شرح الأزهار.

٢٩ ـ مصادر التراث في المكتبات الخاصة تحت الطبع وغيرها.

محمد بن القاسم بن إبراهيم المتوفي سنة ٢٨٤ هـ

محمد بن القاسم بن ابراهيم الرسي تقدمت بقية نسبه في ترجمة أبيه وهو عم الهادي يحي بن الحسين عليه السلام، عالم، فاضل، مفسر، متكلم، بليغ، مجاهد، عانى كما عانى آباؤه الكرام من ظلم وتعسف ومطاردة وملاحقة بني العباس، وكان يختار البادية على الأمصار، وطاف كثيراً من البلدان، وأقام ببغداد والبصرة، ودخل الأهواز وخراسان والشام ومصر والمغرب، وسكن آخر مدته بالحجاز، ثم خرج مع ابن أخيه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (عليه السلام) مشيعاً، ومتابعاً، ومجاهداً في سبيل الله، وكان من جملة أتباعه حتى توفاه الله سنة ٢٨٤هـ وله مؤلفات منها:

١ ـ الأصول الثمانية مختصر في أصول الدين.

٢ ـ تفسير القرآن الكريم الذي تضمنه هذا الجزء.

٣ ـ تفسير بعض الآيات القرآنية وتفسير سورة يس.

٤ ـ شرح شروط الايمان شرح فيه خطبة الامام علي (بني الايمان على أربع دعائم).

٥ ـ الشرح والتبيين في أصول الدين.

٦ ـ الهجرة ـ الوصية.

٧ ـ أجوبة على أسئلة في حكاية موسى في القرآن.

مصادر ترجمته:

أعلام المؤلفين الزيدية وفهرست مؤلفاتهم ـ المستطاب (خطيه) ـ الجامع الوجيز (خطيه) الإمام الهادي مجاهداً ووالياً وفقيهاً ص٧٢.

الإمام الأعظم الهادي يحيى بن الحسين (عليه السلام) (٢٤٥ ـ ٢٩٨هـ)

الإمام الأعظم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي،

أبو الحسين، أحد عظماء الفكر الإسلامي وأعلام أئمة الآل، إمام، مجتهد، مجاهد، عالم، فقيه، زاهد شجاع، متكلم لسن، خطيب شاعر، نشأ في أحضان العلم والعمل والتقوى والجهاد، وترعرع في جيل الرس القريب من المدينة المنورة وأخذ عن علماء ومحدثي الآل وشيعتهم، واشتغل بالعلم من طفولته فظهر نبوغه واشتهر في الآفاق، وراسله أبو العتاهية الهمداني إلى جبل الرس بالمدينة المنورة، ودعاه إلى بلاده، ووفد إليه أكابر رجال اليمن يدعوته إلى الخروج إليهم لإحياء سنة جده المصطفى صلى الله عليه وآله فلبى دعوتهم وخرج إلى اليمن سنة ٢٨٣هـ فأحيا الله به الدين، وخلص به اليمن من القرامطة والفساد والفتن، وأعتبر الرجل الثاني بعد الإمام زيد (عليه السلام) في تجديد مذهب الآل، ولم يزل مجاهداً في سبيل الله مدافعاً عن الحق ناشراً للفضيلة حتى توفاه الله بصعدة سنة ٢٩٨هـ وقبره بها مشهور مزور، أخباره كثيرة ومناقبه وفضائله غزيرة، لا تتسع لها مثل هذه العُجالة وفي سيرته كتب وهو صاحب المدرسة المتميزة داخل المذهب المعروفه بالهدويه ومن مؤلفاته:

١ ـ أجوبة مسائل كثيرة منها مسائل أبي الحسين الطبري، ومسائل الأنصاري، ومسائل الرازي، ومسائل الكوفي، ومسائل محمد بن سعيد، ومسائل المرتضى، ومسائل نصارى نجران، ومسائل ابن أسعد، انظر تفاصيلها ومخطوطاتها في أعلام المؤلفين الزيدية.

٢ ـ إثبات النبوة.

٣ ـ كتاب الإرادة المشيئة.

٤ ـ أصول الدين.

٥ ـ البالغ المدرك طبع مع شرحه للأخ محمد يحيى سالم.

٦ ـ تثبيت الإمامة.

٧ ـ تفسير القرآن الكريم قيل أنه في ستة أجزاءء وقيل ٩ أجزاء اساسية.

٨ ـ تفسير العرش والكرسي.

٩ ـ تفسير خطايا الأنبياء.

١٠ ـ تفسير معاني السنة.

١١ ـ جامع الأحكام في الحلال والحرام أشهر كتب الفقه عن الزيدية، طبع في مجلدين فاخرين بسعي وتحقيق الأخ محد قاسم الهاشمي.

١٢ ـ كتاب الجملة.

١٣ ـ الخشيه.

١٤ ـ الديانة والتوحيد.

١٥ ـ الردود على الإمامية، وعلى ابن الحنفية، وعلى سليمان بن جرير وعلى أهل صنعاء، وعلى أهل الزيغ من المشبهين، وعلى المجبرة القديه وعلى غيرهم تضمنها مجموع كتبه أنظر تفصيله في أعلام المؤلفين.

١٦ ـ كتاب الفنون في أبواب من العلم والفقه وكتاب المنتخب طبعا معاً سنة ١٤١٢هـ كتب كثيرة متفرقة أنظر تفصيلها في أعلام المؤلفين.

مصادر الترجمة

أعلام المؤلفين الزيدية وفهرست مؤلفاتهم (تحت الطبع) ـ سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين تأليف علي بن محمد العباسي العلوي طبع سنة ١٩٧٢م تحقيق سهيل زكار ـ الإمام الهادي موالياً ومجاهداً وفقيهاً عبد الفتاح شايق نعمان طبعة أولى سنة ١٤١٠هـ ـ خلاصة سيرة الهادي (أرجوزة لزباره) طبعت سنة ١٩٥٢هـ ـ مصادر الحبشي قسم مؤلفات حكام اليمن ـ الإفادة في تاريخ الأئمة السادة طبع بتحقيق محمد يحيى سالم ـ المصابيح في السيرة (خطيه) ـ الحدائق الوردية(خطية) الترجمان (خطيه) ـ مآثر الأبرار (خطية) ـ اللالىء المضيئة (خطية) ـ المقصد الحسن (خ) التحفه العنبرية (خ) طبقات الزيدية (خ) مطمح الآمال (خ) ـ يواقيت السير (خ) الجامع الوجيز (خ) ـ غاية الأماني من أخبار القطر اليماني (١٦٦ ـ ٢٠١هـ) ـ إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ٤٢ ـ الإمام زيد لأبي زهرة (٥٠٩ ـ ٥١٤) المقتطف (١٠٤ ـ ١٠٦) الأعلام ٨/ ٧١ ـ أئمة اليمن لزيارة ـ عمدة الطالب ٢٤ ـ سر السلسلة العلوية. ٢٨ وعشرات غيرها.

صنعاء في ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ونعم الوكيل [1]

[مقدمــــــة]

الحمد لله الذي جعل القرآن نورا هدانا به من ظلمات الضلالـة ، ورحمة وشفاء من داء كل عمى وجهالة ، ونجاة لمن اعتصم بـه ، وبأهله الذين دل عليهم بأوضح دلالة وجعله جل وعلا لمن عقل واهتدى دليلا على من إليه هدى ، ومبينا لقدرة من قَدَّرَهُ وشاهداً على حكمة من دَبَّرَهُ .

وأشهد أن لاإله إلا ا لله وحده لاشريك له في حكمه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى ا لله عليه وعلى آله الذين هم عيبة [2] علمه ، اصطفاهم لإرث وحيه فخصهم بفهمه ، واستخراج [3]حكمه ، حين جعلهم [4] حفاظ كتابه وأحكامه وخزان حلاله وحرامه ، والمستحفظين على أسراره وغوامضه ، والقائمين بنشر مسنوناته وفرائضه ، والعالمين بطرق الصواب ، مما اختلف فيه المختلفون ، والمبينين للصحيح الذي تقول فيه المتقولون ، إذ هم الدعوة الباقية في عقب ابراهيم الخليل مهبط التنزيل ، وملجأ التأويل ، ومختلف ميكائيل وجبريل .

وبعد :

فإنه لما كان كتاب ا لله العزيز كذلك ، وكانت حكمته عزوجل اقتضت إنزاله على

---

(١) ـ ب : وبه أستعين .

(٢) ـ العيبة بالفتح الوعاء ، وهذا المقطع اشارة إلى قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في النهج الخطبة الثانية : وهم موضع سره ، ولجأ أمره ، وعيبة علمه .

(٣) ـ أ : فخصهم باستخراج .

(٤) ـ أ : وجعلهم .

الأساليب العربية والمعاني اللغوية ، وفيها العام والخاص والمجمل والمبين ، و الظاهر والمأول ، ومايحتمل وجها ، ومايحتمل وجهين فأكثر ، وماتتشابه فيه المعاني وتتعدد فيه الوجوه ، ولذلك من لم يتبع سبيل أعلام الهدى ، وأرباب التقى أهل بيت محمد المصطفى ، صلوات الله عليه وعليهم وسلم فسر الكتاب على آرائه ، والحق على أهوائه ، فعَمِيَ وعمَّى على غيره ، وضل وضل غيره بسببه ، وترى المتتصر يصرف الأدلة بمجرد العبارات ، ويتطلب للتأويلات حتى يُقَوِّم الأدلة الى مساق هوى النفس فيقربها إليه ، ويعتمد في دينه ودنياه عليه ، لايلوح لأعين [1] البصائر فيه إلا كلمعان البروق ، وتَرَقْرَقُ فيه لأهل الأهواء والأغاليط أقاويل تروق .

ولقد صدق **أمير المؤمنين** عليه صلوات رب العالمين حيث يقول [2]:(سيأتي بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ، ولاأظهر من الباطل ، ولاأكثر من الكذب على الله ورسوله ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته) [يريد عليه السلام إذا اتبع حق اتباعه ـ كذا عن زيد بن علي عليه السلام] [3] ولاأنفق منه إذا حرف عن مواضعه) اهـ.

قال بعض أئمتنا عليهم السلام : والتحريف على وجهين **أحدهما** : تحريف ماأنزل الله لفظا كما يفعله اليهود .

والثاني : تحريفه تأويلا كما يفعله أهل البدع والأهواء ، فيجب التثبت في ذلك لئلا يضل بضلالهم ، ويجب الإقتداء بمن أمر الله الإقتداء بهم ، والكون معهم من آل رسول الله صلى الله عليه وعليهم السلام ؛ لإنه صلّى الله عليه وآله وسلم قد أمننا من الضلال مهما تمسكنا بهم ، إذ أخبرنا وهو الصادق في خبره أن المتمسك بهم لن يضل أبدا ، وأن اللطيف الخبير نبأه بذلك

وقال علي عليه السلام :(ولقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول:

---

(١) ـ ب : لأهل .
(٢) ـ أ : ولقد قال أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين .
(٣) ـ ما بين قوسي الزيادة في ب حاشية ، وليس اصلا .

(إني لأخاف على أمتي مؤمنا ولامشركا ، أما المؤمن فيمنعه ا لله بإيمانه ، وأما المشرك فيحرمه ا لله بشركه ، ولكني أخاف عليكم منافق اللسان يقول ماتعرفون ، ويفعل ماتنكرون) اهـ.

وقد أخبرك ا لله سبحانه عن المنافقين أنهم [يقولون] (١) : يريدون أن يبدلوا كلام ا لله كما أخبر ا لله عن من مضى من قبلهم من أهل الكتاب أنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، وعن مواضعه ، ويكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند ا لله ليشتروا به ثمنا قليلا ، وأنه منعهم عن ذلك بالإعجاز ، وحال بينهم وبين تبديل القول بالحفظ ، وابتلاهم من جهة التأويل ، وأبان حالهم فيه ومقاصدهم إليه .

قال:﴿ **وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا ا لله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب** ﴾(٢) وأنه عزوجل بحكمته حفظ التأويل كما حفظ التنزيل ، بتفضيل بعض خلقه في العلم ، كما فضل بعضهم على بعض في الرزق.

وببيان من شرح ا لله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، ومن جعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .

وببيان من اختاره ليترجم عن تأويله ، كبيان اختياره لمن يتحمل عهدة تنزيله ، ممن يفسر بعض القرآن ببعضه، ويدل على متشابهه بمحكمه بنحو قوله تعالى:﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا لله ذلك هو الفضل الكبير**﴾(٣) وتفسيره بقوله عزوجل :﴿**إن ا لله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض وا لله سميع عليم**﴾ (٤) فقوله سبحانه :﴿**ذرية بعضها من بعض**﴾ ليس المراد به تعليم الخلق تناسلهم وولادة بعضهم من بعض ؛ لأنه أمر ظاهر معلوم ، وإنما المراد موافقة

---

(١) ـ ما بين القوسين غير موجود في ب .
(٢) ـ آل عمران : ٧ .
(٣) ـ فاطر : ٣٢
(٤) ـ آل عمران : ٣٣

طريقتهم التي لها ولأجلها اختارهم الله تعالى ، فدلت الآية على مزية وخصوصية زائدة على الإيمان والولادة والقرابة، وتلك الخصوصية هي موافقة من اصطفاه الله في باب الطهارة والعصمة والكمال والوقار ، واجتماع الخصال التي تسعها النبوة والإمامة، وهذا ظاهر لأنه إذا لم يكن معنى بعضهم من بعض الولادة ، فلا يبقى إلا ماذكرناه ، وسيأتي بيان ذلك وغيره شافيا إن شاء الله تعالى في مواضعه .

وتعيينه سبحانه باصطفائه محمدا الطاهر أن المصطفين لإرث هذا الكتاب ـ إذ لايصدق قوله :﴿**ذرية بعضها من بعض**﴾ على غيرهم ـ هم ذريته الأخاير (1).

يزيد هذا وضوحا قوله تعالى :﴿**ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب**﴾(2) ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء من ذريتهما فيجب أن تكون ذريته هم خاتمة الذراري ، الذين أخبر الله أنه يجعل الكتاب فيهم وتعيينه إياها في ولد الحسن والحسين سلام الله عليهما وعليهم بنحو آية المباهلة ونحو خبر(كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم ، إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما)(3) والإجماع المعلوم بين الأمة.

قال الإمام الأعظم **القاسم بن ابراهيم عليهم السلام** ـ وقد احتج بهذه الآية ونحوها على هذا المعنى في الأنبياء وذرياتهم وفي نبينا وذريته عليهم السلام ـ : فأي ضياء أضوى ؟أو حجة لمحتج أقوى؟ في اثبات الصفوة والفضل لأبناء المنتجبين (4) من الرسل مما تلونا تنزيلا مبانا أنزله الله في وحيه قرآنا لاتعارضه شبهة لبس ، ولايلبس

---

(١) ـ جملة (هم ذريته الأخاير) خبر قوله : أن المصطفين .

(٢) ـ الحديد : ٢٦

(٣) ـ أخرجه الإمام الهادي عليه السلام في مقدمة الأحكام ، وأخرج الحاكم ١٦٤/٣عن جابر وصححه ، وأخرج ابويعلى ١٠٩/١٢ برقم ٦٧٤١، وأخرج البغدادي في تاريخ بغداد ٢٨٥/١١، وأخرج الطبراني كما في كنز العمال ١١٦/١٢ برقم (٣٤٢٦٧) (٣٤٢٦٦) اربعتهم أخرجوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام (أنا أبوهما وعصبتهما والعاقل عنهما) وروى هذا الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٢/٩ عن فاطمة ، ورواه الطبراني في ذخائر العقبى ١٢١ عن عمر ، وقال : أخرجه أحمد في المناقب .

(٤) ـ انتجبته : أي استخلصته ، واصطفيته اختيارا على غيره ، وأنجبت المرأة : إذا ولدت غلاما نجيبا ، والنجابة : مصدر النجيب من الرجال ، وهو الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم ، العين للفراهيدي ١٥٢/٦.

على ذي ارتياده ملبس ، ولكن اقتطع الناس دونه ـ وحال بين العامة وبينه ـ جور أكابرهم في الحكم ، واعتساف (١)جبابرتهم فيه بالظلم ، فأعين العامة في غطاء عن مذكوره ، وقلوبهم ذات عمى عن نوره ، فمعروفه لديهم مجهول ، وداعيه فيهم مرذول ، إن لم يقتل عليه عظم تعسفه فيه ، ولم يَعْدُوا من جهلهم بفرضه ، وماهم عليه من رفضه ـ سبيل ماهم عليه ، ومأمسوا وأصبحوا فيه ، من جهل غيره من الحقوق وتعطيلها ، ومحو أعلام الدين وتبديلها ، فالله المستعان في ذلك وغيره ، وإياه نسأل تبديل ذلك وتغييره الى آخر كلامه عليه السلام في هذا المعنى، وهو طويل جدا.

وبيان أن في المصطفين ظالما لنفسه لايؤمن على التأويل ، ولايوثق به في الإتباع كمن كان في من قبلهم من ذرية الأنبياء فيما أخبر من قوله تعالى :﴿**ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**﴾(٢) وقوله في ابراهيم صلوات الله عليه :﴿**وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين**﴾(٣) .

ولما كانت الحاجة الى معرفة السابق والمقتصد من ضروريات التكليف ، وعدم إبانة أمرهما من التعمية والتلبيس ـ بَيَّنَ سبحانه من يجب اتباعه والكون معه ، بالصفة التي فيها أكمل المعرفة فقال عزوجل:﴿**ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾(٤) فقوله تعالى :﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾ أمر بموافقة الصادقين ، ونهي عن مفارقتهم وظاهر الأمر للوجوب ، والله سبحانه بحكمته لايأمر بالكون مع من لايعلم صدقه قطعا ، فوجب على المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين ، ومتى وجب الكون مع الصادقين فلا بد من وجود الصادقين ، لأن الكون مع الشيئ مشروط بوجود ذلك الشيء فهذا يدل على أنه لابد من وجود الصادق في كل وقت ، فيجب علينا حينئذ طلبه لنكون معه كما أمر الله ، ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب .

---

(١) ـ العسف : السير على غير هدى ، وركوب الأمر من غير تدبير ، وركوب مفازة بغير قصد ، العين ٣٣٩/١.

(٢) ـ الحديد : ٢٦

(٣) ـ الصافات : ١١٣

(٤) التوبة : ١١٩

قال في **البلغة** (١) في تفسير هذه الآية :(أمـر ا لله المؤمنين بـالتقوى وهـو أن يجتنبـوا المعاصي وأمرهم بالكون مع الصادقين ، والصادقون هم الأنبياء والأئمة عليهم السـلام والصديقون من المؤمنين ، والفرق بين كن مـع الصـادقين ، وبـين كـن مـن الصـادقين وبين كن في الصادقين ـ أن مع تفيـد المصاحبـة ، ومـن تنبي عـن التبعيض ، وفي عـن الظرف والوعاء ، فمن كان في جملتهم فقـد حصـل المعـاني الثلاثـة، وكـان علـي بـن الحسين عليهما السلام إذا تلى هذه الآية بكى، وناح على نفسه ، وله أدعية طويلة في هذا الباب ، مفصلة بالمواعظ البليغة والحكم البديعة).

ثم فسرهم بأحوالهم ودل عليهم بأقوالهم وأعمالهم بقولـه عزوجـل:﴿**ليـس الـبر أن تولوا وجوهكم قبـل المشـرق والمغرب ولكـن الـبر مـن آمـن بـا لله واليـوم الآخـر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتـامى والمسـاكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**﴾ (٢) .

ثـم قـال عزوجـل في مـن جمـع هـذه الأوصـاف :﴿**أولئـك الذيـن صدقـوا**﴾ وقال:﴿**وأولئك هم المتقون**﴾ (٣) ثم أمر ا لله تعالى بالكون معهم حيث قال:﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾ وقوله تعالى :﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا با لله ورسـوله ثـم لم يرتـابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا لله أولئك هم الصادقون**﴾ (٤) .

قال الهادي الى الحق عليه السلام(٥) :<فلم يحكم عزوجل بحقائق الإيمان إلا لمـن بعـد

---

(١) البلغة لمن لايحضر المفسر في تفسير القرآن العظيم تأليف محمد بن محمد بن أحمد بن الحكـم الطوسـي (ابوالعبـاس) منه نسخة مخطوطة من الجزء الثالث ، وأخرى الجزء الرابع في المكتبة الغربية الجـامع الكبـير رقـم ١١ـ ١٢ تفسـير ، ونسخة خ في مكتبة جامع شهارة وقد نقل عنه المؤلف كثيرا .

(٢) ـ البقرة : ١٧٧

(٣) ـ البقرة : ٧٧

(٤) ـ الحجرات : ١٥

(٥) ـ الإمام الهادي الى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم الرسي ابو الحسين أحـد عظمـاء الفكـر الإسـلامي وأعلام أئمة الآل ، امام مجتهد مطلق مجاهد عالم فقيه زاهد شجاع متكلم مفسر خطيب شاعر نشأ في أحضـان العلـم والفضيلة والجهاد في جبل الرس بالقرب من المدينة المنورة وأخذ عن فقهاء أهـل بيتـه وشيعتهم مشتغلا بـالعلم مـن

منه الإرتياب في وجوه الدين والإحسان ، فنسأل الله الثبات على دينه ، والتوفيق لما يرضيه برحمته>.

قال الإمام المنصور با لله عبدا لله بن حمزة عليهم السلام [1]:"لما عقب ذلك بقوله سبحانه :﴿**أولئك هم الصادقون**﴾ دل ذلك [على] [2] أن من ادعى الإيمان بغير ماذكرنا فهو من الكاذبين ، وأن دعواه تلحق بدعوى المنافقين ، سيما وقد أكد ذلك بترك الإرتياب ، ولايزول الإرتياب إلا بعد استحكام العلم بالبرهان) وسيأتي كلامه إن شاء الله مستوفى في الحجرات .

طفولته فظهر نبوغه واشتهر ، وراسله ابو العتاهية الهمداني اليمني ودعاه الى بلاده اليمن ، ووفد اليه أكابر رجال اليمن يدعونه الى الخروج اليهم لإحياء سنة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فلبى دعوتهم وخرج الى اليمن سنة ٢٨٣ فأحيا الله به الدين وخلص اليمن من القرامطة وأهل الفتن واعتبر الرجل الثاني بعد الإمام الأعظم زيد بن علي عليهم السلام في تجديد مذهب الآل ، و لم يزل مجاهدا في سبيل الله ناشرا للفضيلة حتى توفاه الله بصعدة بعد جهاد مرير ، وقبر هنالك مشهور مزور ، وأخباره كثيرة ومناقبه غزيرة ، وفي سيرته كتب منها سيرة الإمام الهادي تأليف علي بن محمد العباسي طبع ، الإمام الهادي واليا ومجاهدا وفقيها ، تأليف عبدالفتاح شايف نعمان ط ١٤١٠هـ خلاصة سيرة الهادي محمد محمد زبارة ط ١٩٥٢م ومن مؤلفاته:

١ـ تفسير القرآن الكريم قال ابوعلامة : في ستة أجزاء ، وهو اليوم مفقود .

٢ـ معاني القرآن الكريم قال العلامة مجد الدين المؤيدي : في تسعة أجزاء

٣ـ التفسير الموجود اليوم من سورة المنافقين الى سورة النبأ ، وقد تضمنه هذا الكتاب .

٤ـ ٦٨ كتابا ورسالة وبحث تضمنها مجموعه ومنها المطبوع : الأحكام ، المنتخب ، الفنون في الفقه (انظرها على التفصيل لمخطوطاتها في أعلام المؤلفين الزيدية وفهرست مؤلفاتهم ، وانظر مصادر ترجمته هناك) .

(١) ـ الإمام المنصور با لله عبدا لله بن حمزة الحسني اليمني < ٥٦١ ـ ٦١٤ > أحد عظماء الإسلام ونجوم الآل الكرام امام مجتهد مجاهد مجدد اكتملت فيه جوانب العظمة في الشخصية ، وفاق مجتهدي عصره علما وأدبا وجهادا ، وقام بالإمامة بتكليف من علماء عصره سنة ٥٨٣هـ وأقام في كفاح وجهاد من أجل رفعة الدين واقامة العدل ، وتصحيح الخلل وتقويم الإعوجاج ، وخاض معارك عديدة مع المطرفية ومع سلاطين بني حاتم ، وضد الغازي طغتكين القادم من مصر ، أخباره كثيرة ومناقبه غزيرة ، وفي سيرته كتب منها السيرة المنصورية لابن دعثم طبع منها مجلدان ، والباقي مفقود ، كما ألف في سيرته كل من علي بن نشوان الحميري ، ومحمد بن أحمد بن الوليد ، توفي ودفن بظفار . ومن مؤلفاته:

١ـ تفسير القرآن الكريم ذكره المؤرخ ابوعلامة في كتاب التحفة العنبرية ، وقال: شرع فيه و لم يكتمل .

٢ـ الشافي في الأصول (الكلام) ط في مجلدين .

٣ـ ثلاثة وسبعون كتابا ورسالة (انظر تفصيلها ومخطوطاتها في أعلام المؤلفين الزيدية وفهرست مؤلفاتهم .

(٢) ـ ما بين قوسي الزيادة من ب .

(ولم نجد من اجتمعت له هذه الصفـات ، واقتفـى خلفـه سلفه في هـذه الـدلالات الواضحات ـ غَيْرَ هؤلاء الأيمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذين طابقت عقائدهم المعقول والمنقول ، فشهد لهم بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكـة والكتـاب والنبيين والسنن صرائـح العقـول ، وعـرف منهـم الحـرص علـى سـائر صفـات الذيـن صدقوا بما ميزوا به مـن المحقـين والمبطلـين ، والمطيعـين والعـاصين ، وفرقـوا ؛ لأن الله عزوجل لايخلي بين الكاذبين وبين الأمور التي لاتكـون إلا مـن صفـة الصـادقين ، لأن الحكيم في حكمه قد جعل بين الحق والباطل فصلا ، وبين منزلة الصـادقين والكـاذبين فرقا، وكذلك صفة المؤمنين من العاملين والمخلصين ، أمرهم مباين لسيماء المموهين .

قال في البلغة : (فإذا كان الله تعالى أثنـى علـى مـن كـانت صفتـه مـاذكر في الآيـة ووصفهم بأنهم الصادقون المتقون الفاضلون ، ولايوجد في أمة محمـد صلـى الله عليـه وآله وسلم بعد نبيئها عليه وآله السلام بهذه الصفة أَجَلُّ من أمير المؤمنين علي بن ابـي طالب صلوات الله عليه ، فلو لم يدل هذا على أنه أفضل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيد الصادقين ـ لما دل شيئ على شيء في الدنيا ، وهذه بعينها طريقة الأئمة والكبـار مـن آل محمـد ، وهـم الصـادقون الذيـن قـال الله للمؤمنـين :كونـوا معهـم بقولـه:﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [١] ولـو أخـذت في زهديات الحسن والحسين وأولادهما من الأيمة الطاهرين السابقين المقتصدين ، **كعلـي بن الحسين**[٢] **ووليده زيد**[٣] **ومحمد** [٤] **وكعبـدالله بـن الحسـن** [٥] **وأولاده محمـد**[٦]

---

(١) ـ التوبة : ١١٩

(٢) ـ علي بن الحسين : هو زين العابدين الإمام السجاد علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام <٣٨ـ ٩٤> أحد عظماء الإسلام ، وأشهر من يضرب بهم المثل في الحلم والورع و الزهد والعبادة والتقـوى ، أجمع أهل الإسلام على جلالته وعلمه وزهده وفضله ، مولده ووفاته بالمدينة ، وهـو بقيـة ولـد الإمـام الحسين السبط شهيد كربلاء ، سلم بأعجوبة بعد الفاجعة التي شهدها ، ونجا منها لمرضه ، كان من المحسنين أحصي من كا ن يعولهم بعد موته فكانوا أكثر من مائة بيت من فقراء المدينة الذين فقدوا صدقة السر بعد موته أخباره كثيرة جدا ، وفي سيرته كتب ومن آثاره الصحيفة السجادية الخالدة التي تضمنت أبلغ وأروع الأدعية . مصادر ترجمته كثيرة جدا انظرها في معجم الرواة في أمالي المؤيد بالله ، وفي معجم رجال الإعتبار تحت الطبع .

(٣) ـ هو الإمام الأعظم الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابـي طـالب عليهـم السـلام <٧٥ـ ١٢٢> من أعلم الناس وأخطبهم وأفصحهم حليف القرآن ، الثائر في سبيل الله ، ومن اجل اقامة حكم الله ، وموسس المذهب

الزيدي ، ومجدد طريق الثورة و الجهاد مولده بالمدينة ، وأقام بالكوفة ، ورضع العلم من بيت النبوة على يد والده وأخيه الباقر ، وقد ثار على الظلم ، ورفع الراية التي سقطت في كربلاء ، وبايعه اهل الكوفة ، وسجل ديوانه اربعين الفا ممن يايعوه ولبو دعوته الى كتاب الله وسنة رسوله ، وجهاد الظالمين ونصرة المستضعفين ، وخاض معركته الشهيرة مع الدولة الأموية حتى استشهد في الكوفة ، وأخباره كثيرة ومناقبه وفيرة ، وهو أول من صنف في الحديث والتفسير والفقه ، ووصلت الينا كتبه ومن مؤلفاته :

١ـ المجموع الفقهي والمجموع الحديثي ، ويعرف بمسند الإمام زيد بن علي مطبوع مشهور .

٢ـ تفسير غريب القرآن ط . ٣ـ مجموع رسائله وكتبه وهي كثيرة منها ماهو مطبوع ومنها ماهو تحت الطبع .

والمؤلفات في سيرته وأخباره كثيرة جدا منها اخبار الإمام زيد بن علي تأليف ابراهيم بن محمد الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣هـ اخبار زيد بن علي عليه السلام تأليف عبدالعزيز بن يحي بن أحمد الجلودي المتوفى سنة ٣٢٢هـ ومثله لمحمد بن زكريا بن دينار المتوفى سنة ٢٩٨هـ ومثله لمحمد بن علي بن الحسين القمي المتوفى سنة ٣١١هـ ومن الكتب في سيرته ايضا مجموع فضائل الإمام زيد بن علي وكتاب من روى عن زيد بن علي تأليف محمد بن عبدا لله بن بهلول الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧هـ وكتاب من روى عن زيد بن علي للثقفي ، وكتاب اسناد المذهب الزيدي ، ومن روى عن الإمام لعبد العزيز بن اسحاق البقال البغدادي ، وهناك أيضا مؤلفات حديثة كثيرة تتحدث عن الإمام زيد عليه السلام مطبوعة مشهورة ..

(٤) ـ محمد : هو الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين ، بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ابوجعفر من عظماء الإسلام وائمة العلم والحديث والفقه المشهورين سمي بالباقر لغزارة علمه ، كان ناسكا عابدا ناشرا للعلم مولده ونشأته في المدينة ، ووفاته بالحميمة ، ودفن بالمدينة أخباره كثيرة ، ومناقبه غزيرة ، وفي سيرته كتب منها كتاب لعبدالعزيز الجلودي وهو أحد الأئمة الأثني عشر عند الإمامية الجعفرية ، انظر مصادر ترجمته في معجم الإعتبار وسلوة العارفين .

(٥) ـ عبدا لله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ابومحمد <٧٠ـ ١٤٥> أحد عظماء آل البيت عليهم السلام كان شيخ بني هاشم و المقدم فيهم ، وعرف بالفضل والعلم والكرم ، مولده بالمدينة المنورة في المسجد النبوي ببيت فاطمة الزهراء عليها السلام ، حبسه الدوانيقي العباسي مع اخوته سنة ١٤٤هـ في سرداب تحت الأرض ، وقتل في محبسه بالهاشمية سنة ١٤٥هـ روى عن الإمام الأعظم زيد بن علي ، وعن أبيه الحسن وغيرها ، أخباره كثيرة جدا تضمنها سير أولاده الآتين ، ومصادرها كثيرة جدا (انظر معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين ، وفي سيرته كتب منها : أخبار عبدا لله بن الحسن لعبدالعزيز الجلودي .

(٦) ـ الإمام الشهيد المهدي لدين ا لله محمد بن عبدا لله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام المعروف بالنفس الزكية <٩٣ـ١٤٥> أحد عظماء الإسلام ، وروواد الثورة على الظلم ، غزير العلم واسع الرواية شجاع سخي ورع زاهد ، مولده بالمينة ونشأته ، بايعه سرا جماعة من أهل بيته ، ومن سائر علماء الأمة ، وكان من دعاته ابوالعباس السفاح ، وابوجعفر المنصور ، ولما انقرضت دولة بني أمية نكث بنو العباس البيعة وحولوا الأمر الى أنفسهم فتخلف عنهم محمد وأهل بيته ، وبقي متخفيا متواريا في المدينة ، وقبض على ابيه المتقدم الذكر واثني عشر من أهل بيته وشيعتهم من قبل المنصور العباسي ، ثم قام بثورته الشهيرة في المدينة ، وقاتل قتال الأبطال في معركة يطول شرحها حتى استشهد سنة ١٤٥هـ وبعثوا برأسه الى المنصور الذي كان قد قتل من سجنهم من أهله ومن آثاره : كتاب السير نشره فؤاد السيد في مجلة الإجتهاد ، وفي أخباره كتب منها أخبار محمد بن عبدا لله بن الحسن لعبد العزيز الجلودي ، وأخبار ابراهيم ومحمد بن عبدا لله لأبراهيم الثقفي انظر أعلام المؤلفين الزيدية .

وابراهيم[١] ويحي [٢] وكجعفر بن محمد [٣] وكالحسين بن علي [٤] صاحب فخ

---

(١)هو الإمام الشهيد ابراهيم بن عبدا لله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام <٩٧- ١٤٥> هـ أحد عظماء الإسلام مولده ونشأته بالمدينة ، وكان عالما شاعرا عارفا بأيام العرب وأخبارها وآدابها ، ذهب الى العراق داعيا لأخيه النفس الزكية ، وجاء خبر استشهاده بعد وصوله الى البصرة فاستولى عليها ، ودعا الى نفسه ، وتنقل بينها وبين الكوفة , وبايعه خلق كثير ، وجرت بينه وبين جيوش المنصور العباسيي وقائع كثيرة ، وكان ممن آزره في ثورته ابوحنيفة ، وقد استشهد سلام ا لله عليه بباخمرا أول الحجة في نفس السنة التي قتل فيها أخوه ، وأخباره كثيرة ، ومناقبه غزيرة ، وممن صنف في سيرته وأخباره عبدالعزيز الجلودي وابراهيم الثقفي وانظر مصادر ترجمته في معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين .

(٢)الإمام الشهيد يحي بن عبدا لله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام المتوفى بعد ١٨٠هـ أحد أعلام آل البيت ومشاهيرهم في العلم والفضل والشجاعة والزهد والورع والجهاد والثورة على الظلم ، دعا الى ا لله حوالي سنة ١٧١هـ وبايعه أناس من الجزيرة وقصدوا اليمن والمغرب وكان من أعوان الإمام الحسين بن علي الفخي قاتل معه ، ثم جال فتفكر في أقطار كثير ، واستقر بالديلم ودعا الى نفسه ثانية سنة ١٧٨هـ واشتد طلب هارون العباسي له وبعث من يخادع الديلم فيه ، ويعرض له الأمان ، وقبل الأمان وعاد الى بغداد ثم غدر به هارون الرشيد وهو ليس برشيد ودس له السم في سجنه سنة ١٨٠هـ وقيل: في موته في السجن غير ذلك ، أخباره كثيرة وفي سيرته كتب منها كتاب أخبار فخ ويحي بن عبدا لله للرازي ط ، ومنها كتاب اخبار يحي بن عبدا لله لعلي بن ابراهيم بن الحسن الحراني وغيرها انظر مصادر ترجمته في معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين.

(٣) - الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ابوعبدا لله<٨٠- ١٤٨> هـ أحد عظماء آل البيت وأعلام الفكر الإسلامي ، وهو سادس الأئمة الأثني عشر عند الإمامية امام علم مشهور حاول المنصور الدوانيقي قتله مرارا فنجاه ا لله واستمر ينشر العلم وينير العقول ، أخباره شهيرة والمؤلفات في سيرته كثيرة .

(٤) - الإمام الشهيد ابوعبدا لله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام المعروف بصاحب فخ <١٢٨- ١٦٩> هـ العالم الزاهد العابد المجاهد قام بالإمامة ودعا الى ا لله سنة ١٦٨هـ وقيل: ١٦٩هـ وبايعه الشيعة وظهر بالمدينة بعد أن عاد من الكوفة ، واستوثق من بيعة أهلها وأهل خراسان والجيل وغيرهم واشتدت عليه المضايقة من أمير المدينة فصعد الى المنبر وخطب الناس فحمد ا لله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس أنا ابن رسول ا لله على منبر رسول ا لله في حرم رسول ا لله أدعوكم الى كتاب ا لله وسنة رسول ا لله ، والى أن أستنقذكم مما تعلمون ، فبايعوه واستخلف على المدينة رياشا الخزاعي ، وخرج الى مكة ومعه ثلاثمائة من أصحابه فلما وصلوا الى فخ لقيتهم الجيوش العباسية في ذي القعدة ١٦٩هـ فقاتل عليه السلام حتى استشهد عن احدى واربعين سنة ودفن بفخ (ويطلق عليه حاليا الزاهر وهو في الطريق الذاهب الى التنعيم) وحمل رأسه الى الهادي العباسي وأخباره طويلة ، وفي سيرته كتب منها أخبار فخ ويحي بن عبدا لله للرازي ط ، وانظر معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين .

وكمحمد (١) والقاسم ابني ابراهيم ، وكالهادي الى الحق يحي بن الحسين ، وولديه محمد (٢) وأحمد (٣) عليهم السلام ، وكسادات من آبائهم وأبنائهم واخوانهم ونظرائهم ، في الدين والورع والزهد والعلم والعمل ، وكذلك من سلك مسلكهم من شيعتهم واخوانهم رحمة الله عليهم لصارت مصنفات ، ولست أدري لماذا اشتغل الناس بابراهيم بن أدهم (٤) ورابعة العدوية (٥) وفضيل بن عياض (٦) وشقيق البلخي (٧)

---

(١) ـ الإمام ابو القاسم محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام <١٧٣ـ ١٩٩> هـ قام في الكوفة في جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ وبعث أخاه الإمام القاسم بن ابراهيم المتقدم الذكر الى مصر ، وزيد بن موسى الكاضم الى البصرة ، وبايعه الإمام محمد بن محمد بن الإمام زيد بن علي و الإمام محمد بن جعفر الصادق ، والإمام علي بن عبيدا لله بن الحسين بن علي بن الحسين ، ويحي بن آدم ، وابوبكر وعثمان ابنا ابي شيبة ، وأبونعيم الفضل بن دكين ، وعبدا لله بن علقمة ، وغيرهم وحارب جنود العباسية وكان شجاعا عالما زاهدا ، وأخباره كثيرة ، توفي عليه السلام شهيدا في أول رجب سنة ١٩٩هـ عن ٢٦ عاما من مولده ، انظر التحف شرح الزلف ص ٧٨ الطبعة الثانية .

(٢) ـ الإمام المرتضى لدين الله ابوالقاسم محمد بن الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم الرسي الحسني العلوي ، أحد عظماء الإسلام وأئمة الآل الكرام ، مجاهد مجتهد مطلق ورع زاهد ، مولده في جبل الرس سنة ٢٧٨هـ ونشأ في أحضان الفضيلة والتقوى ، وأخذ عن أبيه وأخيه وعلماء عصره وجاهد مع أبيه وأسر وأقام بناحية بيت بوس حتى تخلص من الأسر بايعه الناس بعد وفاة و الده الإمام الهادي سنة ٢٩٩هـ فأقام بمدينة صعدة ، وحكم أجزاء من اليمن ، وقاتل القرامطة ، ثم تنازل عن الإمامة لأخيه الناصر أحمد الآتي سنة ٣٠٤هـ وعاش عابدا زاهدا ذاكرا حتى أدركته الوفاة بصعدة في محرم سنة ٣١١هـ وأخباره كثيرة ، ومن مؤلفاته كتاب تفسير القرآن في تسعة أجزاء ذكره المولى العلامة مجد الدين في التحف ، وهو مفقود ، والموجود بعض من تفسيره وهو ماتضمنه هذا الكتاب ، وله أكثر من اربعة وعشرين كتابا ورسالة ، انظر تفصيلها وأماكن وجود مخطوطاتها في أعلام المؤلفين الزيدية ، وفهرست مؤلفاتهم .

(٣) ـ الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي الى الحق يحي بن الحسين بن القاسم الرسي أحد الأئمة الأعلام عالم مجتهد مجاهد زاهد عادل شجاع توفرت فيه الشروط وبويع بعد اعتزال أخيه سنة ٣٠٤هـ وجهز الجيوش لقتال القرامطة وغيرهم ، واستمر في جهاد حتى توفاه الله بصعدة سنة ٣٢٥هـ أخباره ومناقبه كثيرة ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن الكريم الموجود منه تفسير سورة الإسراء تضمنها هذا الكتاب ، وله قرابة اثني عشر كتابا ورسالة انظر تفصيلها ومصادر ترجمته في أعلام المؤلفين الزيدية .

(٤) ـ ابراهيم بن ادهم بن منصور التميمي البلخي ابوا سحاق المتوفى سنة ١٦١هـ عابد زاهد مشهور ، كان ابوه من أهل الغنى ببلخ ، فتفقه ورحل الى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأمصار الثلاثة وكان يشترك مع الغزاة في قتال الروم ، ويعيش من العمل في الحصاد ، وحفظه البساتين والطحن ، وأخباره كثيرة وفيها اضطراب ، واختلاف في مسكنه ونسبته ووفاته ، وحدث عن الإمام الباقر . انظر مصادر ترجمته في المعجم .

وبث زهدياتهم ونسوا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله المستعان>.

ثم قال فيها:وإذا صرف الإنسان همته الى طريقتهم نسي طريقة فقهاء العامة ، وفي دروس طريقة أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة والتنزيل في شريعة جدهم عليهم السلام ، واستشهار طريقة العوام ـ عبرةٌ للعاقل ، ودليل واضح على ماجرى عليهم من الضيق ومعاداة الظلمة ، وقد كانوا في هذا العالم ـ وهم فصحاء الشريعة ـ علماءَ شريعة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم عباد وزهاد (١) أهل ورع واجتهاد ، قبل أن يخلق الله ابراهيم النخعي (٢) وأبا حنيفة (٣) والشافعي (٤) والله المستعان). اهـ

وقد ذكر مثل هذا المعنى وزاد ، في صفات أهل البيت عليهم السلام الفقيه العلامة

---

(٥) ـ رابعة بنت اسماعيل العدوية أم الخير مولاة آل عتيك البصرية المتوفاة سنة ١٨٥هـ صالحة مشهورة ، مولدها ونشأتها بالبصرة ، ووفاتها بالقدس ، ولها أخبار مشهورة ، وكلام في الزهد والحكمة ، وقد كتبت الأنجليزية مارغريت سميث كتابا عنها رجحت فيه أنها عاشت وتوفيت بالبصرة سنة ١٨٥هـ وفي شذور العقدين لابن الجوزي سنة ١٣٥، وفي وفيات الأعيان وغيره سنة ١٨٥هـ انظر الأعلام ٣/ ١٠.

(٦) ـ الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، ابوعلي الخراساني <١٠٥ـ ١٨٧> هـ زاهد عابد مشهور كان ثقة في الحديث أخذ عنه عدة منهم الإمام الشافعي مولده في سمرقند ، ودخل الكوفة وهو كبير ثم سكن مكة وتوفي بها ، ذكره السيد صارم الدين الوزير بين المحدثين الشيعة , روى عن الأعمش وجعفر الصادق وقتادة وغيرهم انظر معجم الإعتبار .

(٧) ـ شقيق بن ابراهيم بن علي الأزدي البلخي ابوعلي الصوفي المتوفى سنة ١٩٤هـ كوفي زاهد متصوف من مشائخ الصوفية في خراسان ، قيل: هو أول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية ، وجاهد واستشهد في غزوة كولان من بلاد ماوراء النهر ، ذكره في النجوم الزاهرة في وفيات سنة ١٥٣هـ و١٩٤هـ وفي وفيات الأعيان سنة ١٥٣هـ انظر الأعلام ٣/ ١٧١.

(١) ـ رفعت على القطع ، وإلا فهي منصوبة خبرا لكان .

(٢) ـ ابراهيم بن زيد بن قيس ابن الأسود النخعي ابوعمران الكوفي <٥٠ ـ ٩٦> هـ فقيه أهل الكوفة ومفتيهما ، هو والشعبي في زمانهما ، كان رجلا صالحا قليل التكلف ، وثقه رجال الحديث ، روى عن مسروق الأجدع والأسود بن زيد والربيع بن خثيم وعنه الأعمش وزبيد اليامي ، ومنصور بن المعتمر , وآخرون . انظر معجم الإعتبار .

(٣) ـ ابو حنيفة النعمان بن ثابت <٨٠ـ ١٥٠> هـ أحد أعلام الفكر الأسلامي وأحد ائمة المذاهب الأربعة مشهور ، انظر رجال الإعتبار، وهو ممن ناصر ايمة الزيدية ، وأفتى بوجوب الخروج معهم ، وساعد بما قدر عليه من الأموال وتحريض الناس ، واعتذر عن الخروج بودائع كانت عنده .

(٤) ـ محمد بن ادريس الشافعي <١٥٠ـ ٢٠٤> هـ أحد أعلام الفكر الأسلامي وأحد ائمة المذاهب الأربعة مشهور ممن أوذي في محبته لأهل البيت عليهم السلام وله أشعار كثيرة تدل على ولائه لأهل البيت النبوي الطاهر .

عبدا لله بن زيد العنسي [١] رحمة ا لله عليه ، وأشار في كتابه الإرشاد [٢] إلى بعض شئ من عبادة أمير المؤمنين وصفاته ، كالمنبه على ماسواه ؛ لأن القليل من ذلك يدل على الكثير ، كضوء البارق [٣]يشير بالنو المطير.

من ذلك ماروواه فيه عن ابي **الدرداء** [٤] قال في حديث التفضيل :(شهدت عليا عليه السلام ، وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى عن من يليه ، واستتر بفسلان النخل [٥] فافتقدته وقلت : لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي ، وهو يقول: إلَهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولاأنا راج غير رضوانك) .

قال ابوالدرداء [رحمه ا لله] [٦] : فشغلني الصوت ، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بعينه فاستترت منه وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثم فزع إلى الدعاء والإستغفار والبكاء ، والبث والشكوى ، فكان مما ناجى به ربه أن قال:

---

(١) ـ عبدا لله بن زيد بن ابي الخير العنسي المذحجي الزبيدي المتوفى سنة ٦٦٧هـ احد أعلام العلماء الزيدية في اليمن مجتهد ورع زاهد اصولي متقن ، عاصر الإمام أحمد بن الحسين وناصره حتى قتل شهيدا سنة ٦٥٦هـ ثم خرج الى خولان واستقر بها مدة وسكن كحلان في آخر عمره ، وأخباره كثيرة ومؤلفاته شهيرة منها ٢٢ كتابا ورسالة تفصيلها في أعلام المؤلفين الزيدية .

(٢) ـ الإرشاد الى نجاة العباد : من أشهر الكتب في اليمن في موضوع الزهد وتصفية النفوس نسخه الخطية كثيرة ، الكتاب تحت الطبع وهو من الكتب التي تنسق حياة المؤمن اليومية ، وكيفية استغراق المرء لوقته كله بالطاعة والمحافظة على الواجبات و المندوبات والمسنونات ، وترك مايشغل الأنسان عن اليوم الآخر ، وفي أواتله مقدمات في اصول الدين لايستغني عنها طالب العلم .

(٣) ـ في ب : البرق

(٤) ـ ابوالدرداء : هو عويمر بن مالك بن قيس الأنصاري الخزرجي المتوفى سنة ٣٢هـ صحابي كان قبل البعثة تاجرا بالمدينة واشتهر بالشجاعة والفتك ، وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ، وهو أ ول قاض بها مات بالشام ، وهو أحد حكماء الأمة ، وقبره بدمشق مشهور مزور وقد زرته هناك ، ونصائحه لأهل الشام كثير منها موجود في مشهده .

(٥) ـ في المصباح : الفسيل صغار النخل ، وهي الودي ، والجمع فسلان مثل رغيف ورغفان ، الواحدة فسيلة ، وهي التي تقطع من الأم ، اوتقلع من الأرض فتغرس .

(٦) ـ ما بين القوسين موجود في ب .

(الهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي ، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها ، فتقول: خذوه فياله من مأخوذ لاتنجيه عشيرته ، ولاتنفعه قبيلته ، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء ، ثم قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلى [1] آه من نزاعة للشوى ، آه من ملهبات لظى).

قال: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسا ولاحركة ، فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر ، أوقصد لصلاة الفجر ، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة ، فحركته فلم يتحرك فزويته فلم ينزو ، وقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات والله علي بن ابي طالب ، قال: فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم ، فقالت فاطمة عليها السلام : هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله ، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ، ونظر إلي وأنا أبكي فقال: مم بكاؤك ؟ فقلت: بما أراك تنزله بنفسك ، فقال : ياأبا الدرداء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب [2] وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ ، وزبانية أفظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبار ، وقد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا ، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لاتخفى عليه خافية .

فإذا نظرت أيها الطالب للنجاة في أميرالمؤمنين عليه السلام ، وشدة عبادته ، وإتعابه لنفسه ، وشدة مواظبته على طاعة ربه ، من كل نوع من أنواع الطاعات ، مع أنه مقطوع له بالجنة ـ علمت حقارة عملك ، وعظم خطرك ، وتحققت أنك أولى الناس بالعمل لنفسك ، والخضوع لربك ؛ لخلاصك لالنفع غيرك .

وانظر فيما رواه الباقر عليه السلام : فإنه قال: (إن كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد ، ويجلس جلسة العبد ، وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيين ويخير غلامه خيرهما ، ثم يلبس الآخر ، فإذا جاوز كمه أصابعه قطعه وإذا جاوز كفيه حذفه ، ولقد ولي خمس سنين ماوضع آجرة على آجرة ، ولالبنة على لبنة

---

(١) ـ في المعجم الوسيط : الكلية عضو في البطن خلف البريتون ، ينقي الدم ، ويفرز البول ، وهما كُليتان ، الكلوة لغة فيها ، والجمع كُلى .

(٢) ـ في ب : للحساب .

ولاقطع قطيعا ، ولاأورث بيضاء ولاحمراء ، وإن كان ليعطي خبز البر واللحم وينصرف الى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل ، ومـاورد عليه أمران كلاهما رضى لله إلا أخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد أعتق الف مملوك من كد يده ، ومأأطاق عمله أحد من الناس ، وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وإن أقرب الناس شبها به علي بن الحسين عليهما السلام ، ما أطاق عمله أحد من الناس بعده) اهـ[1].

قال الإمام **أحمد بن سليمان** [2] عليه السلام في كتاب الحكمة الدرية : دخل **ابوجعفر محمد بن علي عليهما السلام** على أبيه قال: فإذا هو قد بلغ من العبادة مالم أر أحدا قط بلغه ، وإذا به قد اصْفَرَّ لونُه ، ورمضت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته وانخرمت أنفه من السجود ، وورمت شفتاه وقدماه من الصلاة ، فرأيته بحال فلم أملك أن بكيت من رحمته فإذا به ينظر إلي ، ثم قال :يابني اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي ، فأعطيته بعضها فما قرأ منها إلا شيئا يسيرا حتى رمى به تضجرا وقال: من يقوى على عبادة علي صلوات الله عليه [3].

---

(١) ـ حديث الباقر عليه السلام هو ملخص لعدد كبير من الروايات الواردة بزهد أمير المؤمنين وعبادته وورعه انظرها في مناقب أمير المؤمنين تأليف محمد بن سليمان الكوفي ، وكذلك ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر بتحقيق محمد باقر المحمودي ، وفي غيرها من الكتب التي في سيرته عليه السلام ، وفي مناقبه ، وروى قريبامنه الإمام الموفق بالله الحسين بن اسماعيل الجرجاني في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين بسنده الى الإمام جعفر الصادق ، ومنه :< ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب حريته والنجاة من النار ، مما كد بيده ، ورشح منه جبينه ، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة ، وماكان لباسه الا الكرابيس اذا فضل عن يده من كمه أدى بالجلم فقصه ، ومأشبهه من ولده ولاأهل بيته أحد وإن كان اقرب القوم به شبها المتوكل على الله في لباسه ، وفقهه علي بن الحسين عليه السلام > .

ورواه ايضا في ينابيع المودة ١/ ١٤٥، عن الإمام جعفر الصادق من حديث طويل.

(٢) ـ الإمام احمد بن سليمان بن محمد الحسني العلوي <٥٠٠ ـ ٥٦٢> أحد عظماء الإسلام وائمة الزيدية الأعلام ، امام مجتهد مجاهد دعا الى الله سنة ٥٣٢هـ فبايعه علماء عصره وحكم معظم مناطق اليمن ، وخطب له بالحجاز ، وأخباره ومناقبه كثيرة ، ومن كتبه ١ـ اصول الأحكام في الحلال والحرام تحت التحقيق ٢ـ حقائق المعرفة ٣ـ الحكمة الدرية والدلالة النبوية خ في عدة مكتبات وانظر بقية مؤلفاته في أعلام المؤلفين الزيدية

(٣) ـ وأخرج هذا الحديث بلفظه الإمام الموفق بالله في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين ، وهو في ينابيع المودة من حديث طويل ١/ ٦٤١.

وفي تفسير ابن عباس [١] رضي الله عنه قال:<ماأنزل الله تعالى في القرآن ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها> [٢].

قال **المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليهم السلام** :(ولاتعترض شبهة عند أحد من أهل البصائر أن كل آية في القرآن تتضمن مدحا وتعظيما وتشريفا للمؤمنين أوالمسلمين مجملا ـ أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام درة تاجها ، ونور سراجها ولاوقع وعد للمسلمين في العقبى ، ولانصرة في الدنيا ـ إلا وهو مقصود عند جميع الأمة ، فإن أشرك معه غيره مدع فبرهان يتوجده ، أيستقيم أم لا؟ كقوله تعالى: **﴿يؤمنون بالغيب﴾** [٣] **﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾** [٤] **﴿والراسخون في العلم﴾** [٥] **﴿والصابرين﴾ ﴿والصادقين﴾** و**﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾** [٦] و**﴿قد أفلح المؤمنون﴾** [٧] و**﴿إنما المؤمنون﴾** [٨] و**﴿السابقون الأولون﴾** [٩] **﴿وعد الله الذين**

---

(١) ـ عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم <٣ ق هـ ـ ٦٨> هـ صحابي شهير من أكابر العلماء في التفسير والفقه والحديث لازم أمير المؤمنين وأخذ عنه ، من آثاره تفسير القرآن ، أول تفسير لكتاب الله يعتمد على اللغة نقل منه المفسرون ، وجزء منه جمعه الفيروز آبادي ، وله أيضا غريب القرآن ، انظر معجم رجال الإعتبار..

(٢) ـ.قول ابن عباس في تفسيره أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي بن ابي طالب من سبع طرق عن ابن عباس ، انظر ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر ، تحقيق محمد باقر المحمودي ٢/ ٤٢٨ـ ٤٣١، وأخرجه ابونعيم في حلية الأولياء ١/ ٦٤بسنده الى ابن عباس ، ورواه في الباب ٣١من كفاية الطالب ص ١٣٩ ط الغري، بطريقين عن ابي نعيم ، وفي فضائل أمير المؤمنين مسند أحمد رقم ٢٣٦، وأخرجه الحاكم الحسكاني في الفصل ٦ من مقدمة شواهد التنزيل ، ورواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٩/١١٢كما أخرجه القطيعي في الحديث ٢٣٦من باب مناقب علي عليه السلام من كتاب الفضائل ، وفي الباب عن حذيفة انظر شواهد التنزيل ١/٤٩، وانظر تفسير فرات الكوفي ، وتفسير الحسين بن الحكم الحبري ، ومناقب الخوارزمي ص ٧٨.

(٣) ـ البقرة : ٢

(٤) ـ البقرة : ١٧٧

(٥) ـ آل عمران : ٧

(٦) ـ محمد : ٧

(٧) ـ المؤمنون : ١

(٨) ـ الأنفال : ٢

(٩) ـ التوبة : ١٠٠، في ينابيع المودة ٣/١٠٩ أخرج الديلمي عن عائشة والطبراني ، وابن خروف عن ابن عباس عن النبي : (السابقون ثلاثة فالسابق الى موسى يوشع بن نون ، والسابق الى عيسى صاحب الدين ، والسابق الى محمد علي بن ابي طالب).

آمنوا﴾ (١) ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ (٢) ونحو ذلك مما يطول ذكره ، وكذلك أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينوه باسمه ، ويدل على فضله بقوله وفعله ويبين لأمته أنه القائم بخلافته والمنصوص على امامته وأن الإمامة بعده في ذريته ، وأكد الأمر فقال سبحانه:﴿ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته﴾ (٣) .

ولما علم سبحانه مافي قلوب أقوام من الضغائن أمنه من شرهم بما أوضح من عصمته بقوله عزوجل :﴿والله يعصمك من الناس﴾ فامتثل أمر ربه وبين بقوله وفعله وميزه من أمته ، يشهد بذلك وبما ورد فيه الموالف والمخالف ، ومجمع (٤) على صحة النقل فيه جميع الطوائف ، وفضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى ، ولها كتب مفردة وظهورها عند أهل العلم يغني عن الإطناب فيها) اهـ(٥).

وانظر [أيضا] (٦) فيما روى أنس بن مالك (٧) حيث قال يقول الناس : إن قوله تعالى :﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ (٨) نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام ، قال: فأتيته لأنظر عبادته قال: فأشهد لقد رأيته وقت المغرب فوجدته يصلي بأصحابه المغرب ، فلما فرغ منها جلس في التعقيب إلى أن قام إلى العشاء الآخرة ، ثم دخل منزله فوجدته طول الليل يصلي ، ويقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر ، ثم جدد وضوءه وخرج إلى المسجد وصلى بالناس صلاة الفجر ، ثم جلس في التعقيب الى أن صلى بهم العصر ، ثم أتاه الناس يختصمون وهو

---

(١) ـ المائدة : ٩

(٢) ـ الإنفطار : ١٣، والمطففين

(٣) ـ المائدة : ٦٧

(٤) ـ في ب : ويجمع

(٥) ـ انظر تفسير الآيات شواهد التنزيل ، وتفسير فرات الكوفي ، وتفسير الحبري وغيرها .

(٦) ـ ما بين القوسين موجود في ب .

(٧) ـ. أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي ابوحمزة د١٠ق هـ ـ ٩٢> هـ صحابي جليل شهير ، انظر معجم رجال الإعتبار .

(٨) ـ الزمر : ٩٠

يقضي بينهم الى غربت الشمس ، فخرجت وأنا أقول : أشهد أن هذه الآية نزلت فيه.

وعلى هذا المنهاج جرت العترة الطاهرة عليهم السلام ، مما لايمكن شرحه ، وبيانه هاهنا مخافة الإملال من السامع ، ولظهور حالهم ، بخلاف غيرهم ، فعلمنا أنهم صلوات الله عليهم ومن دان بدينهم وسلك سبيلهم - هم الذين تعين فيهم الإتباع واختص بهم الإقتداء ، وأنهم المرادون بآية الإجتباء ، وآية التطهير والمودة ، وأحاديث التمسك والسفينة .

أما آية الإجتباء وكونهم المرادون بها وهي قوله تعالى :﴿**هو اجتباكم**﴾ إلى قوله: ﴿**ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾ [1] فالأدلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها ماذكره الإمام المنصور با لله عليه السلام في الشافي حيث قال : والدليل على أن هذه الآية الكريمة في أهل البيت عليهم السلام ، وعلى كونها دالة على وجوب الإقتداء بهم ، وعلى أن اجماعهم دون غيرهم حجة طريقان : جدلية وعلمية .

فالعلمية الكتاب والسنة .

والجدلية : مانذكره من بعد إن شاء الله تعالى .

أما الكتاب : فهذه الآية الكريمة ووجه الإستدلال بها : أن الله سبحانه اختارهم له شهداء ، فلو لم يكن قولهم حجة لما اختارهم وهذه الدلالة مبنية على أصلين .

أحدهما : أنه اختارهم له شهداء .

والثاني : أنه لو لم يكن حجة لما اختارهم .

فأما الذي يدل على الأول ، وهو أنه اختارهم له شهداء ، فظاهر الآية ينطق بذلك في قوله :﴿**هو اجتباكم**﴾ والإجتباء هو الإختيار ، وظهوره في اللغة يغني عن الإستشهاد عليه فثبت الأصل الأول.

---

(١) - الحج : ٧٨

وأماالأصل الثاني : وهو أنه لايختار له شهداء إلا من يكون قولهم حجة واجبة الإتباع فمادل عليه عدله وحكمته يوجب ذلك ، ألا ترى أن قاضيا من قضاة المسلمين لو قال: قد اخترت فلانا شاهدا ، ووجب عندي قطع الحق بقوله ، لدلنا ذلك أنه قد رضي بقوله ، وثبتت عدالته عنده ، وأنه لايقول إلا مايجب العمل به فعلام الغيوب أولى بذلك ؛ لأنه إذا اختار هذا النصاب للشهادة على الناس ـ دل ذلك على أنهم عدول عنده ، وأنهم لايقولون إلا الحق ﴿**فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون**﴾ (١) .

وقول من يقول : إن عموم الآية تتناول جميع ولد ابراهيم من اليهود والنصارى وغيرهم من سائر القبائل من ولد ابراهيم عليه السلام قول لاوجه له ، فإنه وإن كان كذلك ، فإن الأخبار الواردة من جهة النبي صلى ا لله عليه وآله وسلم ماأوجبت متابعة من عدا عترته من القبائل ، فالآية وإن كانت عموما قد خصتها الأخبار الواردة عن الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم ، والكتاب والسنة يحذيان الى جهة واحدة فلا يجوز الفرق بينهما ، ولم ينص الرسول صلىا لله عليه وآله وسلم على أن قول غير عترته من القبائل حجة ، فيجب حمل الآية على أن المراد بها عترته عليهم السلام دون ماولد ابراهيم لهذه الدلالة ، فهذا الذي دل عليه الكتاب .

وأما السنة : فالدلالة منها قول النبي صلىا لله عليه وآله وسلم :(إني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب ا لله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) (٢).

والكلام في هذا الخبر يقع في موضعين :

احدهما : في صحته في نفسه . والثاني : في وجه الإستدلال به .

---

(١) ـ.يونس : ٣٢

(٢) ـ.هذا هو حديث الثقلين المشهور ، قال في حاشية الفلك الدوار : وممن أخرجه وفيه لفظ العترة الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع ٤٠٤، والإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة ٤٦٤، والدولابي في الذرية الطاهرة ١٦٦رقم ٢٢٨، والبزار ٨٩/٣رقم ٨٦٤عن علي عليه السلام ، وأخرجه مسلم ١٥/ ١٣٩ وتمام التخريج في حاشية الفلك الدوار ...ص ٩.

أما الكلام في صحته ، فإن ظهوره بين الأمة وانتشاره فيها ، بحيث لادافع له ولاراد له ـ دلالةعلى صحته لإنه لو لم يكن من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لدفعوه وردوه ؛ لأنه يتضمن وجوب متابعتهم قولا وعملا واعتقادا ، وذلك يقضي بوجوب اتباعهم في الأصول والفروع عاما.

وأما الوجه الثاني : فهو أن ظهور هذا الخبر جار مجرى الأخبار الواردة في اصول الشرائع ، كالصلاة والزكاة والحج والصوم ؛لأن وصولها إلينا على حد واحد ، والعلم لنا بأحدها كالعلم بالآخر ، فالمنكر لذلك متجاهل أوجاهل .

وأما وجه الإستدلال به فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمننا من الضلال أبدا ماتمسكنا بعترته ، والتمسك بهم هو متابعتهم في القول والعمل والإعتقاد .

والثالث : أنه لو لم يكن اجماعهم حجة لما أمننا .

والذي يدل على الأصل الأول : وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمننا من الضلال ابدا ماتمسكنا بعترته ، فذلك ظاهر في لفظ الخبر ، بحيث يستغني عن تبيينه والإستدلال عليه لأنه قال : (إني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا) وهذا في غاية الظهور والجلاء.

وأما الأصل الثاني : وهو أن التمسك بهم هو متابعتهم في القول والعمل والإعتقاد فلأنه لايحسن من أحدنا أن يقول : إني متمسك بطريقة فلان ، ولكني لاأقول قوله ولاأعمل عمله ، ولاأعتقد اعتقاده ، بل يعد من يقول بذلك مناقضا نازلا منزلة من يقول : إني متمسك بطريقه وغير متمسك .

ولأنه عليه السلام قرنهم بالكتاب ، ولاخلاف في وجوب متابعة الكتاب في الوجوه الثلاثة التي قدمنا ، وكذلك العترة ؛ لأن حالهم عنده صلى الله عليه وآله وسلم على سواء .

فإن قيل: ماأنكرتم أن يكون ذلك في الأصول ؟

قلنا: هذا تحكم لأنه لم يفصل ، ولأن الواجب في الأصول الرجوع إلى أدلة عقلية

يجب اتباعها ، دعا إليها الواحد أوالجماعة العترة أوغيرهم ، وتجويز من يجوز - ممن قال: إجماعهم غير حجة - مخالفتهم في الفروع لاوجه له ؛ لأنه لايخلو إما أن يقول : بأنه أمارة مفضية إلى الظن كخبر الواحد أودلالة مؤدية إلى العلم أوالقطع ، فإن قال بالأول بطل بشهادة الكتاب والسنة .

ولأنه لايجوز مخالفة خبر الواحد في الشرعيات متى حصل الظن بصدقه ، وإنما تجوز مخالفته عند فقد الظن ، فقد ثبت بطلان جواز المخالفة على هذا الوجه.

وإن قال بالثاني من الوجهين ، فكيف يجوز مخالفة المعلوم والمقطوع به إلى المظنون المتوهم ، هل ذلك إلا عين التنكب لطريق الإنصاف .

وأما [الأصل] الثالث : وهو أنه لولا أن اجماعهم حجة ، ومتابعتهم واجبة لما أمننا ؛ لأن المعجزات الظاهرة على يديه صلى الله عليه وآله وسلم قد أزاحت عنا تجويز التلبيس والتغرير في أخباره ، فلو لم يكن قولهم واجب الإتباع لكان قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا) إتيان لنا من غير مأمون ، واستدعاء الى ارتكاب المخوف ، وذلك أعظم التغرير وأقبح التلبيس ، وقد ثبت أنه لايجوز عليه شئ من ذلك .

وأما الطريقة الثانية من الطريقتين المتقدمتين فهي : أنا نقول قد ثبت لنا بما قدمنا كون اجماع أهل البيت عليهم السلام حجة ، فلا يخلو القائل بأن إجماع الأمة حجة إما أن يعتبر أهل البيت ، أولايعتبرهم ، فإن لم يعتبرهم فقد أخرج أفاضل الأمة عن أن يعتد بهم ولاقائل بذلك ، وإن اعتبرهم فالحجة لازمة لقولهم لما قدمنا، فلا معنى لجعل إجماع الأمة إجماعا ثانيا غير إجماع العترة ، فقد صح لك أن مدار الحق على العترة في الحالتين جميعا ، وذلك يكشف أنه لا اعتبار بمن سواهم ، إلا أن نجعل الحجة ماكان قائما بنفسه في الدلالة ، فلو ساغ جعل ماليس بحجة حجة إذا انظم إلى الحجة لساغ قول من يقول : إن قول الواحد حجة يجب اتباعها اذا انضم إلى دليل عقلي ، وذلك ظاهر الفساد ، فهذان الطريقان بحمد الله كافيان لمن أنصف .

وأما آية التطهير وهي قوله تعالى :﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل**

البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (١) فهي دليل العصمة أيضا ؛ لأن رجس الأقذار حكمهم فيه وحكم غيرهم بالإتفاق واحد ، فلم يبق فائدة الآية وخبر الكساء (٢) الذي بيّنها إلا تطهيرهم من درن الأوزار ، وذلك معنى العصمة ، شهادة الله لهم وشهادة رسوله بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم .

والتطهير : التنزيه عن الإثم ، وعن كل قبيح ، ذكر ذلك صاحب المجمل في اللغة أحمد بن فارس اللغوي (٣) وهذا هو معنى العصمة ، وهو ترك مواقعة الرجس وبمقتضى لفظ القرآن العزيز ، وقد ورد لفظ الصحيح من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فصار ذلك دليلا من الطريقين، وطريق عصمة من الأصلين ، وذلك يقضي بعصمتهم بإرادة الله سبحانه ، وإخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) ـ الأحزاب : ٣٣

(٢) ـ حديث الكساء المشهور احد الأحاديث التي تفوق درجة التواتر ، وهو الذي خصص آية التطهير في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقب اميرالمؤمنين بأرقام : ٩٢ ـ ٦١٧ـ ٦٣٥من عدة طرق منها رقم ٩٢ عن عمر بن ابي سلمة ربيبْ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة :﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة وأنا معهم يارسول الله ؟ قال: أنت على مكانك أنت الى خير .

ورواه الطبراني وترجمة عمر بن أبي سلمة تحت الرقم (٨٢٩٥) ج ٩ ط بغداد من المعجم الكبير ، وقال في تعليق الكتاب : ورواه الترمذي في الحديث ٣٢٥٨، ٣٨٧٥من سننه ، وابن جرير في تفسيره ٢٢/٨ وهو حديث حسن ، ورواه الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ٢/ ٥٥ ـ ٧٩ ط الأولى .

كما أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رقم ٦١٧ عن عائشة والحاكم الحسكاني ٢/ ٣٧ والحموي في فرائد السمطين ١/ ٣٦٧ط بيروت ، و ابن عساكر رقم ٦٥٠ ترجمة أميرالمؤمنين في تاريخ دمشق ١٦٣/٢ وهو في المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي رقم ٦٣٥ عن الإمام جعفر الصادق ، وقريبا منه رواه الحافظ الحسكاني ٣١/٢ ط الأولى ، وله شواهد اخرى في تخصيص آية التطهير يطول سردها .

(٣) ـ أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي النحوي القزويني الأصل ثم الرازي ، صاحب كتاب المجمل في اللغة المتوفى سنة ٣٩٥هـ وقيل: سنة ٣٩٠والأول أصح كان فقيها شافعيا ثم انتقل الى مذهب مالك آخر عمره ، وذكره الطوسي في مصنفي الإمامية ، واختاره آل بويه معلما لأبنائهم ، وهو من أكابر ائمة اللغة ومن تلاميذه الصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني ذكروا له خمسة وثلاثين مؤلفا انظر أعيان الشيعة ٦٠/٣، ٦٣وانظر مصادر ترجمته الكثيرة في مجلة تراثنا العدد ١٧ الصادر ١٤٠٩هـ ص ٧٥ مع كتابه المنشور في نفس العدد بعنوان كتاب الليل والنهار .

بذلك ، ويمنع وقوع الخطأ عاجلا وآجلا ، وإذا أمنا وقوع الخطأ منهم وجب الإقتداء بهم ، دون من لم نأمن منه وقوع الخطأ ،وتطرق الرجس عليه وترك التطهير له ، ومن يؤمن وقوع الخطأ منه ثبت أنه يهدي الى الحق لموضع قول ا لله سبحانه وتعالى: ﴿**أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم لايهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون**﴾ [١] فقد أوجب ا لله الإقتداء بمن يهدي الى الحق ، وليس ذلك إلا مع تطهيره له ، وإذهاب الرجس عنه ، ووبخ من لم يحكم بذلك فصار ذلك حكم ا لله سبحانه وتعالى ، ومن لم يحكم به كان من أهل هذه الآية ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الكافرون**﴾ [٢] .

وأما آية المودة فدالة على وجوب محبتهم على الجزم .

ووجه الإستدلال بها : أنه عزوجل جعل حبهم الذي هو لهم نفعة في الدين أجرا لسيد المرسلين ، أوجبه على كافة الخلق أجمعين ، ومن ظلم الأجير أجرته فهو من الظالمين ، فما حال من ظلم النبي الأمين في وداد عترته الأكرمين ، فهو من الهالكين بأيقن يقين .

وفي المودة والبغض لآل محمد صلوات ا لله عليه وعليهم أخبار كثيرة ، وأحاديث، شهيرة ، رواها الموالف والمخالف ، وسيأتي ان شاء ا لله في سورة المودة الإشارة إلى شيء منها ، ولنذكر هاهنا حديثا واحدا في المودة ، وآخر في البغض من رواية الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش [٣] عليهم السلام تبركا بذكره وروايته ؛ فإنه قال في كتاب البساط [٤] مالفظه :(وخبرت عن الحسن بن عبدا لله بن ابي ليلى [٥]

---

(١) ـ يونس : ٣٥

(٢) ـ المائدة : ٤٤

(٣) ـ تقدمت ترجمته .

(٤) ـ البساط : كتاب شهير للإمام الناصر الأطروش في أصول الدين منه نسخ مخطوطة في مكتبتي الجامع الكبير وفي كثير من المكاتب وهو الآن تحت الصف والتحقيق .

(٥) ـ الحسن بن عبدا لله بن ابي ليلى لم أجده ، ولعله الحسن بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى

قال: حدثنا سعيد بن نصر السكوني[١] عن محمدبن ابي ليلى [٢] وعن الحكم بن عبدالرحمن بن ابي ليلى [٣] عن أبيه [٤] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وأهلي أحب إليه من أهله ، وعترتي أحب إليه من عترته ، وذاتي أحب إليه من ذاته) [٥].

وقال عليه السلام فيه أيضا :(وحدثنا **محمد بن منصور** [٦] قال: حدثنا **حرز بن**

---

(١) ـ سعيد بن نصر السكوني : وفي سند المناقب الآتي لمحمد بن سليمان الكوفي سعيد بن عمرو ، وفي سند المرشد بالله سعيد بن عمرو بن أبي نصر السكوني ، ولعله سعيد بن عمرو بن سعيد بن ابي صفوان السكوني ابوعثمان الحمصي ، انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١١/ ١٧، يروي عنه محمد بن عمرو بن الحسن بن ابي هاشم بن ابي كرب الحمصي .

(٢) ـ محمد بن ابي ليلى : هو محمد بن عبدالرحمن ابوعبدالرحمن الكوفي قاضي الكوفة <٧٤ـ ١٤٨> ذكره محمد يحي سالم في معجم اصحاب الإمام زيد بن علي عليه السلام وقال : قاريئ محدث فقيه ثقة مشهور أثنى عليه المحدثون وغيرهم .انظر معجم اصحاب الإمام زيد .

(٣) ـ الحكم بن عبدالرحمن بن ابي ليلى : هكذا في السند ، وفي غيره الحكم عن عبدالرحمن ، وهو الصحيح ، والذي يروي عن عبدالرحمن هو الحكم بن عتيبة كما في تهذيب الكمال ١٧/ ٣٧٤, والحكم بن عتيبة الكندي : ابومحمد الكندي ، ويقال: ابوعبدالله ، ويقال: أبوعمرة <٥٠ ـ ١١٣> هـ وقيل: ١١٤ ـ وقيل: ١١٥، يروي عنه محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى ، انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٧/ ١٤٣٨.

(٤) ـ عبدالرحمن بن ابي ليلى واسم ابي ليلى يسار ، ويقال: بلال ، ويقال: داود بن بلال المولود لست سنوات بقين من خلافة عمر ، المتوفي ٨٣هـ تابعي مشهور انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٧/ ٣٧٢، وقيل: ولد بخلافة ابي بكر شهد النهروان مع علي ، وقتل في وقعة دير الجماجم سنة ٨٢هـ .

(٥) ـ الحديث أخرجه أيضا الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رقم ٢٦١٩/ ١٣٤ قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عبدالله قال : حدثني ابوشعيب ، قال: حدثنا محمد بن عمران ، قال: حدثنا سعيد بن عمرو عن ابن ابي ليلى عن الحكم عن عبدالرحمن بن ابي ليلى عن ابي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..الحديث .

وأخرجه الإمام المرشد بالله يحي بن الحسين في الأمالي الخميسية باب مناقب اهل البيت ص ١٥٥ ط الأولى وسنده قال: وبه أخبرنا الشيخ ابونعيم أحمد بن عبدالله الحافظ اجازة قال: حدثنا ابوبكر بن خلاد قال: حدثنا احمد بن محمد بن صاعد ، قال: حدثنا محمد بن عمران ، قال: حدثنا سعيد بن عمر بن ابي نصر السكوني عن ابن ابي ليلى عن الحكم عن عبدالرحمن بن ابي ليلى عن أبيه أبي ليلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث .

(٦) ـ الإمام الحافظ المسند محمد بن منصور ابن يزيد المرادي ابوجعفر الكوفي الزيدي ، احد الأعلام المعمرين من علماء الزيدية وأصحاب الأئمة مولده بالكوفة في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وسمع الحديث في مدرستها الكبرى وتتلمذ على ائمة آل البيت عليهم السلام الإمام القاسم الرسي ، والإمام احمد بن عيسى بن زيد وغيرهما من ائمة الآل ، وتعمر طويلا ، ولعل وفاته سنة ٣٠٠هـ وله كتب ومصنفات كثيرة منها الموجود ومنها المفقود (انظر اعلام المؤلفين الزيدية تحت الطبع ، وانظر مقدمة كتاب الذكر للمترجم .

الحسين (١) قال : حدثنا **حسان بن سدير** (٢) قال : حدثني **شريف المكي** (٣) قال: حدثنا **محمد بن علي** ومارأيت محمديا يعدله ، قال: حدثنا **جابر بن عبدا لله الأنصاري** (٤) قال: خطبنا **رسول ا لله** صلى ا لله عليه وآله وسلم فقال: (أيها (٥) الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه ا لله يوم القيامة يهوديا) قال: قلت يارسول ا لله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ؟ قال:(وإن صام وصلىوزعم أنه مسلم)(٦) .

ومن المعلوم أنه ليس من محبتهم الرفض لهم ولعلومهم ، والإقتداء بغيرهم ، فإن ادعاء المحبة بغير عمل سخرية وجهل ، لأن خلافهم خلاف المودة ، ولم يودهم من خالفهم ، وقد قال تعالى :﴿**قل إن كنتم تحبون ا لله فاتبعوني يحببكم ا لله ويغفر لكم ذنوبكم وا لله غفور رحيم**﴾(٧) فقرن المحبة بالإتباع ، فمن لم يتبعهم لم يحبهم ، وكفى بالإجماع دليلا ، فإنه لاخلاف في وجوب حب آل محمد صلى ا لله عليه وآله وسلم لمكان الآيات والآخبار ، والكل من ذلك دال على وجوب اتباعهم قولا وعملا واعتقادا ، لإن عدم ذلك خلاف المودة ، فمن خالفهم فلم يودهم ، ومن لم يودهم فقد عصى ا لله ، ومن هاهنا يعلم أن اجماعهم حجة ، وسيأتي إن شاء ا لله تعالى في

---

(١) ـ حرز بن الحسين لعل في الأسم تصحيفا ، و لم يذكره محقق كتاب الذكر محمد يحي عزان وقد تتبع مشائخ المرادي كلهم ، ولعله حريز بن عبدا لله بن الحسين السجستاني ابومحمد الأزدي الكوفي ، أعيان الشيعة ٦١٨/٤.

(٢) ـ حسان بن سدير : لعله حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب ، ابوالفضل الصيرفي كوفي روى عن الصادق وعده الإمامية في اصحابه وأصحاب الكاظم قال الدراقطني : إنه من شيوخ الشيعة انظر أعيان الشيعة ٦/ ٢٥٦.

(٣) ـ شريف المكي : هو شريف بن ميمون المكي روى عن محمد بن علي الباقر ، قال الذهبي رافضي خرج مع ابن حسن يعني عبدا لله فظفر به المنصور فقتله ، ذكره السيد صارم الدين الدين وابن خلكان ، وابوحميد في ثقات محدثي الشيعة .

(٤) ـ جابر بن عبدا لله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي <١٦ ق هـ ـ ٧٨> صحابي مشهور ، انظر معجم رجال الإعتبار .

(٥) ـ في ب : يا أيها الناس .

(٦) ـ لم نجد الحديث بلفظه ، وله شواهد كثيرة بألفاظ متقاربة منها ماأخرجه في الفلك الدوار ص ١٥٦ عن جابر بن عبدا لله قال : خطبنا رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم فقال:(من أبغضنا أهل البيت حشره ا لله يوم القيامة يهوديا وإن صام وصلى ، إن ا لله علمني أسماء امتي كلها كما علم آدم الأسماء كلها ، ومثل لي أمتي في الطين فمر بي أصحاب الرأيات فاستغفرت لعلي وشيعته) وفي المناقب لابن المغازلي ٥٠ ـ ٥٣ (من آذى عليا بعث يوم القيامة يهوديا أونصرانيا) والحديث بنصه وسنده في الأصل رواه العلامة مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ٣٦٧/١ .

(٧) ـ آل عمران : ٣١

هذه الثلاث الآيات [1] ونحوها ، من تفسير ائمتنا عليهم السلام مايشفي الغليل ويوضح السبيل ، فالطريق بحمد الله في ذلك واضح ، والحق فيه منير لائح ، فليتق الله المتأول لهذه الآيات الملقي في قلوب السامعين الشبهات .

وأما أحاديث التمسك والسفينة : فهي كما رواه في كتاب قواعد عقائد آل محمد عليهم السلام[2] وغيره أنهما مما تلقتها الأمة بالقبول.

من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم نزل بماء يدعى خما بين مكة والمدينة في حجة الوداع ، فقام خطيبا : فحمد لله وأثنى عليه ، ثم قال:(أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول من ربي فأجيب ، فإني تارك فيكم ثقلين كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي).

وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، إني سألت الله أن لايفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض ، فأعطاني ذلك) .

وفي رواية (إني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) .

والأصل في ذلك : مارويناه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في خطبة الوداع :(أيها الناس إني امرؤ مقبوض ، وقد نعيت إلي نفسي ، ألا وإنه سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي ، فما أتاكم عني فأعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته ، وماخالفه فليس مني

---

(١) ـ في ب : الآيات الثلاث وغيرها .

(٢) ـ كتاب قواعد عقائد آل محمد ، ويسمى قواعد عقائد آل البيت ، تأليف العالم الكبير محمد بن الحسن الديلمي المتوفى سنة ٧١١هـ مخطوط في عدة مكتبات خاصة وعامة ، انظر عن مخطوطاته التراث الإسلامي في المكتبات الخاصة في اليمن ، وعن المولف ومولفاته أعلام المولفين الزيدية ، وقد نشر جزأ من هذا الكتاب محمد زاهد الكوثري سنة ١٣١٩هـ وهو مايتعلق بالرد على الباطنية .

و لم أقله) [١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(أمة أخي موسى افترقت على احدى وسبعين فرقة) [وافترقت أمة أخي عيسى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة] [٢].

وفي رواية (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها هالكة إلا فرقة واحدة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار) [٣] .

وفي روايات أخر (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ماأنا عليه اليوم وأصحابي) والأمة مجمعة على صحة هذا الخبر ، وكل فرقة من فرق

---

(١) هذا حديث العرض المشهور ، والمعمول به في قبول الحديث عند آل محمد ، أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام في الرسالة المدنية ، ورواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب القياس ، وهو في الإعتصام للإمام القاسم بن محمد ، ورواه الطبراني في الكبير ٢/ ٩٧، ومجمع الزوائد ١٧/١ وهو بلفظ مقارب في أول تفسير البرهان ، لأبي الفتح الديلمي ، وفي الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٧٤، رقم ١١٥١، وقد شكك فيه الحشوية ، وقالوا: إن حديث العرض يحتاج الى عرض ، ثم اضطروا الى عرض بعض آحاديث على كتاب الله خصوصا تلك التي لاتتعارض مع مبادئهم ، وقد صنف المولى العلامة مجد الدين المؤيدي كتابا في حديث العرض ، وكيفية العمل به ، والرد على الإشكالات التي أوردت عليه ، وهو تحت الطبع .

(٢) ـ ما بين المعكوفين زيادة من ب .

(٣) ـ حديث (تفترق امتي) ورد في أغلب مسانيد وأمهات ومصنفات كتب الحديث بروايات وألفاظ متعددة ، وسيطول المقام لو توبعت ، وفي الحديث كتب مؤلفة ورسائل وبحوث عديدة ، وهذه الرواية اخرجها الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد في الإعتصام ٩/١ وعزاها الى الجامع الكبير للسيوطي عن ابن ماجه ، والطبراني برواية عوف بن مالك .وشواهده كثيرة .

وقد ورد بألفاظ وطرق متعددة وممن أخرجه الترمذي جزء ٤ رقم (١٢٢٩) عن ثوبان وصححه ، ومسلم ٦٥/١٣ بشرح النووي وابن ماجه ١/٥ـ٦ـ وأحمد ٥٧٨/٥، ٢٨٣، ٢٨٤عن ثوبان ، وأخرجه الدارمي ٢١٣/٢ عن المغيرة بن شعبة ، والحاكم ٤٤٩/٤، وأقره الذهبي عن عمر ، وأخرجه البخاري ١٨١/٩، وأخرجه مسلم ٦٦/١٣عن جابر بين يزيد ، وأخرجه النسائي ٢١٤/٦عن سلمة بن نفيل ، وأخرجه عبد بن حميد ١١٥، وأحمد ٣٦٩/٤ عن زيد بن ارقم ، وأخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء عن سعيد بن ابي وقاص ٥٥٢/٥ .اهـ من هامش الإرشاد للإمام القاسم بن محمد بتحقيق الأخ محمد يحي سالم .

الإسلام تتلقاه بالقبول ، وتزعم أنها هي الناجية - (فلما سمع ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم ضاق به المسلمون ، وضجوا بالبكاء ، وأقبلوا عليه وقالوا: يارسول الله كيف لنا بعدك بطريق النجاة ؟ وكيف لنا بمعرفة الفرقة الناجية حتى نعتمد عليها ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ، كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا بم تخلفوني فيهما) .

وحديث التمسك هذا معلوم الصحة لتواتره برواية المخالف والموالف ، وهذا الخبر ونحوه قد شهد لهم بالإستقامة إلى ورود الحوض يوم القيامة ، ودل على أن العترة عليهم السلام متمسك كالكتاب ، حيث قرنهم به ، وجعلهم حجة مثله ، وإلا بطل معنى الإقتران ، فكما أن الكتاب واجب الإتباع فكذلك هم ، وأمننا الصادق مع ذلك من الضلال ، بشرط التمسك بهم ، وذكرهم بلفظ (لن) وهي لنفي الأبد فلا خوف مع ذلك .

ومما رواه **أئمتنا عليهم السلام** وشيعتهم رضي الله عنهم ، عن علي عليه السلام أنه قال بعد ذكره افتراق اليهود والنصارى :(وافترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كل فرقة على ثلاث وسبعين ملة ، كل ملة ضالة مضلة إلا من أخذ بحجزتي وحجزة أهل بيت رسوله ، وكتابه ، وسنته ، واتباع الحبل الأكبر والحبل الأصغر) [(١)].

ومن ذلك ماروي من طريق أخرى (أنه خرج في مرضه الذي توفي فيه ، ومعه علي والعباس ، فصلى ووضعاه على المنبر ، فخطب وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: (أيهاالناس إني تارك فيكم الثقلين لن تعمى قلوبكم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ماأخذتم بهما ، كتاب الله سبب بينكم وبين الله فأحلوا حلاله وحرموا حرامه) فعظم من أمر الكتاب ما[illegible] الله أن يعظم ثم سكت ، فقال عمر بن الخطاب

---

(١) - رواه في الإعتصام ١٣٦/١عن حقائق المعرفة للإمام احمد بن سليمان ، وعن الإمام الحسن بن بدر الدين عن علي عليه السلام من خطبة الزهراء .

: هذا أحدهما قد أعلمتنا به ، فأعلمنا بالآخر ؟ قال: أما إني لم أذكره إلا وأنا أريد أن أخبركم به ، غير أنه [١] أخذني الريق ، فلم أستطع أن أتكلم ، ألا وعترتي ، ألا وعترتي ، ألا وعترتي) ثلاثا .

وفي رواية ثم قال : (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، فوالله لايبعث رجل يحبهم إلا أعطاه الله نورا حتى يرد علي يوم القيامة) .

وفي رواية رواها **الحجوري في الروضة** [٢] قال قال **ابو العباس محمد بن اسحاق**:[٣] فلما اشتد به صلى الله عليه وآله وسلم الوجع اجتمع إليه أهل بيته ، ونساؤه فلما رأت **فاطمة عليها السلام** أباها قد ثقل دعت **الحسن والحسين** ، فجلسا معها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووضعت خدها على خد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعلت تبكي حتى اخضلت لحيته ووجهه بدموعها ، فأفاق صلى الله عليه وآله ، وقد كان أغمي عليه ، فقال لها : (يابنيه لقد شققت على أبيك) ثم نظر إلى **الحسن والحسين** ، واستعبر بالبكاء فقال: (اللهم إني أستودعكهم وصالح المؤمنين ، اللهم هؤلاء ذريتي أستودعكهم ، وكل مؤمن) ثم أعاد الثالثة ووضع رأسه ، ثم قالت **فاطمة** : واكرباه لكربك ياأبتاه ، فقال صلى الله عليه وآله

---

(١) ـ في ب : غير أني أخذني الريق .

(٢) ـ الحجوري : هو يوسف بن محمد الحجوري. والروضة : هو كتاب روضة الأخبار وكنوز الأسرار الذي يشار اليه عادة باسم روضة الحجوري ، والكتاب مخطوط منه نسخة في باريس رقم ٥٩٨٢ ق ٢٤١.

(٣) ـ محمد بن اسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١هـ صاحب السيرة وشيخ كتابها لم يصلنا كتابه كاملا ، بل وصلت منه أجزاء فقط ، أما الكتاب بتمامه فقد اختصره ابن هشام في السيرة النبوية فحذف منه أشياء كثيرة , قال: تركت ذكرها للإختصار ، وأشياء حذفها بعضها [يَشْنَعُ الحديث به ، وبعضا يسوء بعض الناس] ذكره .. الخ ، وبعضا لم يقر لنا البكائي بروايته .

وكتاب ابن اسحاق رواه عنه ثلاثة من تلامذته ، احدى الروايات التي اختصرها ابن هشام ، وهي رواية البكائي ، أما أن اسحاق قد روى عن الزهري ، وزيد بن رومان ، وفاطمة بنت ... زوجة هشام بن عروة ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، والأعمش ، وعبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وقد طبعت أجزاء من رواية يونس بن بكير عن ابن اسحاق في مجلد واحد بتحقيق سهيل زكار..

وسلم :(لاكرب على أبيك بعد الموت) (١) ثم أمر أن يصب على رأسه سبع قرب ماءً من سبع آبار ، ففعل به ، ووجد خفة ، وخرج فصلى بالناس ، ثم قام يريد المنبر وعلي والفضل بن عباس قد احتضناه ، حتى جلس على المنبر فخطبهم ، واستغفر للشهداء ثم أوصى بالأنصار ، ثم قال:(إنهم لايزيغون عن منهاجها ، ولاآمن منكم معاشر المهاجرين الإرتداد ، ثم رفع صوته حتى سمع جميع من في المسجد وورائه يقول:(أيها الناس سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، [إنكم] (٢) وا لله لاتَعْتَلُّون علي غدا بشئ ، ألاوإني قد تركت فيكم الثقلين ، فمن اعتصم بهما فقد نجا ، ومن خالفهما هلك وهوى) قال عمر بن الخطاب : وماالثقلان يارسول ا لله ؟ قال:(أحدهما أكبر(٣) من الآخر كتاب ا لله ـ سبب طرف منه بيد ا لله تعالى ، وطرف بأيديكم ، وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لاتضلوا ، ولاتبدلوا أبدا ، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، وإني سألت ا لله ذلك فأعطانيه فلا تسبقوهم فتهلكوا ولاتقصروا عنهم فتضلوا ، ولاتعلموهم فإنهم أعلم منكم بالكتاب ، أيها الناس احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي ، وافهموا عني (٤) تنتعشوا ، لئلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإن أنتم فعلتم ولتفعلن لتجدن من يضرب وجوهكم بالسيف ، ثم التفت عن يمينه فقال: أين علي بن ابي طالب ؟ ألا وإني قد تركته فيكم ، ألا هل بلغت ؟ [ألا هل بلغت] (٥)؟ فقال الناس : نعم يارسول ا لله صلى ا لله عليك ، ثم قال: اللهم اشهد ، ألا وإنه سيرد علي الحوض منكم رجال فيدفعون عني فأقول: يارب أصحابي أصحابي؟ فيقول :يامحمد إنهم أحدثوا بعدك

---

(١) ـ قوله :(لاكرب على أبيك بعد الموت) أخرجه الإمام الموفق با لله في الإعتبار وسلوة العارفين ، تحت الطبع ،والإمام المرشد با لله في الأمالي الخميسية ٩٤/٢، وابن ماجه برقم ١٦٢٩، والترمذي في الشمائل رقم ٣٩٢، وهو في تهذيب الكمال ١٤٢/ ٥٦٧٠، وكنز العمال برقم : ١٨٨١٨، ١٨٨١٩، ١٨٨٢٠، وعزاه الى الباقر ، وابن عساكر عن انس ، وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي عزاه الى من سبق والى اتحاف السادة المتقين ، ٢٦٧/١٠، و المغني للعراقي ٤٤٨/٤ والخطيب البغدادي ٢٦٤/٦، وتاريخ اصفهان ٢٣١/٢.

(٢) ـ ما بين القوسين موجود في ب .

(٣) ـ في ب : أعظم .

(٤) ـ في ب : مني .

(٥) ـ ما بين القوسين زيادة في ب .

غيروا سنتك ، فأقول : سحقا سحقا) [1] . انتهى ماذكره في الروضة.

واعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم ينتصب في حال التعب والمشقة لأن يعرفهم بما قد عرفوا من تعظيم القرآن ، وإنما أراد بذلك بيان حال العترة الأطهار أنهم صلوات الله عليهم متمسك كالكتاب .

وأيضا وجدنا الله عز وجل قد أخبر عن أهل البيت بصفة تشهد باستحقاقهم لما في خبر التمسك هذا من مقارنتهم للكتاب ، وأن لهم حكمه في التمسك حيث قال عز وجل:﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾(٢) وبيَّنهم صلى الله عليه وآله وسلم بما رواه عنه علماء الحديث في خبر الكساء .

وقد نظم الشعراء أحاديث التمسك وغيره من ذلك قول **سعد بن بارق** [3] مخاطبا للإمام الزكي **زيد بن علي عليهما السلام** :

أجبت كتاب الله حق إجابة ... وصدقته فيكم فأنتم ولاته
وسلمت للقرآن فيما قضى به ... وَوُلِّيتُكُم فيه فأنتم ولاته
وأنتم حصون العلم بعد محمد ... بكم يهتدي الهادي وأنتم رعاته

---

(١) ـ المقطوعة بنصها في روضة الأخبار للحجوري خطية ، وماورد فيها من أحاديث لها شواهد كثيرة بعضها بلفظه ، وبعضها بلفظ مقارب ، أما موقفه في مسجد المدينة وخطبته وهو مريض فأخرجه ابن عطية في مقدمة تفسيره المحرر الوجيز ٣٤٠/١ ، وابوحيان في تفسيره البحر المحيط ١٢/١، وابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٧٥ ٦٣١، وأخرجه يحي بن الحسن في كتابه أخبار المدينة ، بإسناده عن جابر ، وعنه في ينابيع المودة ، وموقفه في مرضه أخرج الحافظ ابن ابي شيبة ، وعنه العصامي في سمط النجوم العوالي ٥٠٢/٢رقم ١٣٦، وأخرجه البزار في مسنده بلفظ أوجز كما في كشف الأستار ١٦١٢، وقال الأزهري في تهذيب اللغة ٧٨/٩ : روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في مرضه ..حديث الثقلين .

(٢) ـ الأحزاب : ٣٣

(٣) ـ سعد بن بارق : لم أجد له ترجمة ، والذي يظهر انه من أصحاب الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام والمجاهدين ، وقد صرح بأنه جاهد أيضا واستشهد مع ولده الإمام يحي بن زيد بن علي عليهم السلام ، وهنالك حسان بن فائد البارقي يروي عن الإمام زيد ذكره أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق البغدادي في تلامذة الإمام زيد ، وقال: كان فاضلا شجاعا في الجهاد.

فقال **زيد بن علي عليهما السلام** : جعلك الله سعيداً في حياتك ، شهيدا في مماتك ؛ فقتل **سعد مع يحي بن زيد عليهما السلام** .

ومن أحاديث السفينة قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى) [1] فهذا الخبر دال على أنهم كالسفينة ، فكما أن السفينة منجاة للأبدان من الغرق ، فكذا أهل البيت منجاة للأبدان من الهلكة ، ولقد أحسن من قال:

أنتم سفينة نوح والمراد بها ... ولاؤكم لامساميرا ولا خشبا
فمن تعلق منها بالولاء نجا ... ومن تخلف في بحر الهوى عطبا
وما المودة في القربى بواجبة ... لهاشم بل لكم يا أقرب القربا
وما الصراط سوى إضمار طاعتكم ... فمن تنكب عن منهاجكم نكبا
وكل منقلب عن عقد بيعتكم ... كان الجحيم له مأوى ومنقلبا
بني أبي طالب لولا محبتكم ... ما فاز ذو الدين والدنيا بما طلبا
لولا محبتكم فينا وحجتكم ... لكاد يزهد في الإسلام من رغبا

---

(١) ـ حديث السفينة : أخرجه الإمام الهادي يحي بن الحسين عليه السلام في الأحكام ٢/٥٥٥ بلاغا ، والإمام أبو طالب في الأمالي ١٠٥، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/١٥١، ١٥٦- وابن المغازلي الشافعي في المناقب ١٣٣، والحموني في فرائد السمطين ٢/٢٤٦، رقم ٥١٩، والطبراني في الكبير ٣/ ٤٥، برقم ٢٦٣٦، والحاكم في المستدرك ٣/١٥١، ٢/٣٤٧، عن أبي ذر الغفاري ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/٣٠٦، والطبراني في الكبير ١٢/٣٤، رقم (١٤٣٨٨) وابن المغازلي الشافعي في المناقب ١٣٢، والطبري في ذخائر العقبى ٢٠، وقال : أخرجه الملا عن ابن عباس ، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/١٥٤، والطبراني في الصغير ٢/٨٥ رقم ٨٥٢ عن أبي سعيد الخدري ، وأخرجه الإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة ٤٦٤، و الطبري في ذخائر العقبى ٢٠ عن علي وقال: أخرجه ابن السري وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ٩١ عن أنس بن مالك .

وأخرجه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ٢٣٣، عن سلمة بن الأكوع (انظر الفلك الدوار ص ١٠، والإرشاد للإمام القاسم ص ٥٥) .

وقد علم السامعون أن الرافض لمذاهبهم ، والتابع لسواهم ، والمستفتي لغيرهم المقتبس علمه من أضدادهم متخلف غير راكب معهم في سفينتهم ، وهم سفينة النجاة فعلمنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم بَيَّنَ للأمة بذلك أن إتباع أهل بيته في القول والعمل والإعتقاد هو طريق النجاة ، وأن مخالفتهم هي سبب الهلاك ، لأنه لما مثلهم بسفينة نوح ، وقد علمنا أن أمة نوح عليه السلام هلكت كلها إلا من ركب في السفينة ـ علمنا أن كل الأمة يهلكون إلا من اتبع أهل بيت نبيئه عليهم السلام، وإلا لبطل التمثيل النبوي المأخوذ عن الملك العلي ، وأن الملتزم لطريقة غيرهم من الفقهاء الذين خالفوا طرائقهم لا ينجون مع الناجين ، كما أن أمة نوح لم ينج منها من التجأ ب غير السفينة ، ولما حكم صلى الله عليه وآله وسلم بغرق المتخلف عنهم أو ﻻكه على حسب الرواية ثبت كونه عاصيا لربه ، ضالا عن مناهج دينه ؛ إذ لم يقبل من مرشده إرشاده ولا فَقِهَ مُرَادَه .

ومما ورد فيهم [(١)] قوله صلى الله عليه وآله وسلم :«أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم» [(٢)] فكما أن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فكذا حال العترة يهتدى بهم في ظلم الشبه [والحيرة] [(٣)].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في تفضيلهم والدلالة على إتباعهم وما فضلهم الله به على غيرهم :(النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون ، وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون) [(٤)] .

---

(١) ـ في ب : ومما يؤكد ذلك بدلا عن (ومما ورد فيهم) .

(٢) ـ أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية بلفظ (مثل أهل بيتي مثل النجوم كلما مر نجم طلع نجم) عن أمير المؤمنين ، وهو في غيره بألفاظ مقاربة ، (انظر تخريج الحديثين الآتيين) .

(٣) ـ ما بين القوسين زيادة من ب .

(٤) ـ الحديث بهذا اللفظ وقريبا منه أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي بأرقام ٦١٨، ٦٢٣، ٦٥١، ٦٥٣، من طرق عن سلمة بن الأكوع ، وأخرجه كذلك الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٥٥، ويعقوب في المعرفة والتاريخ ٥٣٨/١ ط ا / قال المحمودي : ورواه مسدد وابن أبي شيبة وأبو يعلى كما في المطالب العالية ، لابن حجر وجمع الجوامع للسيوطي ٤٥١/١، وهو في كنز العمال برقم (٣٤١٨٨) وفي موضح أوهام الجمع للخطيب ٤٠/٢،

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :(النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف فإذا خالفتهم قبيلة من العرب صارت حزب إبليس) (١) فهذا ومثله فكثير عنه صلى الله عليه وآله وسلم يفهمه من روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نستغني بقليل ذكره عن كثير .

وأيضا [أن] (٢) **الأمة** مجمعة على أن النجاة إنما تكون بمتابعة القرآن والقرآن قد شهد أن النجاة بمتابعة العترة الأطهار كما قدمنا من نحو قوله عز وجل :﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ ثم عرفنا تعالى بالصادقين منهم بصفاتهم في الآيات التي مر ذكرها ، فإذا تأمل العاقل ذلك علم أن القرآن قد شهد بأن **الفرقة الناجية هم فرقة أهل البيت عليهم السلام** ، وإن التَفتَّ إلى السنة الشريفة وجدتها قاضية بمثل هذه الشهادة ، في أخبار كثيرة ، منها ما قدمنا .

ومنها : قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم بعد أن بلغ ما أمره الله به في **علي بن أبي طالب عليه السلام** :(أيها الناس إني فرطكم ، وأنتم واردون عَلَيَّ الحوض ، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل ، سبب طرفه بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيت ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يلقياني ، وسألت الله لهم ذلك فأعطاني فلا تسبقوهم فتهلكوا ولاتعلموهم فهم أعلم منكم) (٣) .

وانظر الحموي فرائد السمطين ٢/٢٤٠، ٢٥٢ ط بيروت ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣، ١٤٩، عن ابن عباس بلفظ مقارب ، وهو بلفظ مقارب في الأحكام للإمام الهادي عليه السلام .

(١) ـ أخرجه بهذا اللفظ الإمام القاسم بن محمد في الإعتصام ../١٥٧ عن ذخائر العقبى للطبري ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٤٩/٣، وصححه والسيوطي في إحياء الميت ٣٣، وابن حجر الهيتمي في الصواعق ٢٣٥.

(٢) ـ الزيادة من ب ، واللفظ فيها : وأيضا أن الأمة أجمعت .

(٣) ـ حديث الثقلين حديث ثابت صحيح مشهور متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث في الصحاح والمسانيد والسنن بطرق كثيرة صحيحة عن بضعة وعشرين صحابيا ، منهم الإمام علي

بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن أرقم ، وأبو سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله ، وجبير بن مطعم، وحذيفة بن أسيد ، وخزيمة بن ثابت، ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن سعد ، ، وضمرة الأسلمي ، وعامر بن ليلى الغفاري ، وعبدا لرحمن بن عوف، وعبدا الله بن عباس ، وعبدا الله بن عمر ، وعبدا الله بن حنطب ، وعدي بن حاتم ، وقصير بن عامر ، وأبو ذر ، وأبو رافع ، وأبو شريح الخزاعي ، وأبو قدامة الأنصاري، وأبو هريرة ، وأبو الهيثم بن التيهان، وأم سلمة ، وابن امرأة زيد بن أرقم ، وأم هانئ ، ورجال من قريش .

وقد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف مشهورة ، وفي ملأ من الناس ، أربع مرات في أربعة مواقف هي - موقف يوم عرفة ، موقف يوم غدير خم ، موقف في المسجد بالمدينة عندما استند إلى الفضل وأمير المؤمنين وخرج إلى المسجد في مرضه ، موقف في مرضه في الحجرة عندما رآها امتلأت بالناس .

والحديث يوم عرفة أخرجه الترمذي في سنه ٦٦٢/٥ رقم ٣٧٨٦، عن جابر بن عبد الله وقال : وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد ، وأخرجه ابن أبي شيبة ، وعنه في كنز العمال ٤٨/١ ط ١ ، وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢٥٠/٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٦٨(الأصل الخمسون) والطبراني في الكبير ٦٣/٣ رقم ٢٦٧٩ والخطيب في المتفق والمفترق ، وعنه في كنز العمال ٤٨/١ ط ١ ، وفي مجمع الزوائد ١٩٥/٥، ١٦٣/٩، ٣٦٣/١٠، ٢٦٨، وأخرجه البغوي في المصابيح ٢٠٦/٢، وابن الأثير في جامع الأصول ، ٢٧٧/١ رقم ٦٥، واليافعي في التدوين ٢٦٤/٢، في ترجمة أحمد بن مهران ، وأخرجه الحافظ المزي في تهذيب الكمال ٥/١٠، وفي فقه الأشراف ٢٧٨/٢، والخوارزمي في كتاب مقتل الحسين ١١٥/١، والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٢، والمقريزي في معرفة ما يجب لآل البيت النبوي .

- أما في موقف يوم غدير خم فأخرجه النسائي في خصائص علي ص ٩٦، رقم ٧٩، والبخاري باختلاف في اللفظ في التاريخ الكبير ٩٦/٣، ومسلم رقم ٢٤٠٨، وأحمد ١٧/١٥، ٣٦٦/٤، وعبد بن حميد في مسنده رقم ٢٥٦، وابن حجر في المطالب العالية ٦٥/٤، رقم ١٨٧٣، وقال: هذا إسناد صحيح ، والدارمي في سننه ٣١٠/٢، ٢٣١٩، والطبراني في المعجم الكبير ٢٦٧٩/٣، ٢٦٨١، ٢٦٨٣، وفي ٤٩٦٩/٥، وانظر فهرس المعجم ، و الحاكم في المستدرك ١٠٩/٣، بثلاث طرق ، وصححه وأقره الذهبي ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٥٥/١، ٦٤/٩، والبيهقي في السنن الكبرى ١٤٨/٢، ٣٠/٧، ١١٤/١٠، وعشرات غيرهم بألفاظ متقاربة .

- وأما موقف مسجد المدينة فأخرجه ابن عطية في مقدمة تفسيره (المحرر الوجيز ٣٤/١) وأبو حيان في تفسير البحر المحيط ١٢/١، وابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٧٥، ١٣٦، ويحي بن الحسن في كتابه أخبار المدينة بإسناده عن جابر، وعنه في ينابيع المودة ص ٤٠، وغيرهم .

- وأخيرا في موقفه صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه في الحجرة أخرجه الحافظ ابن أبي شيبة ، وأورده عنه الوصابي في سمط النجوم العوالي ٥٠٢/٢ رقم ١٣٦، والبزار في مسنده بلفظ أوجز كما في كشف الأستار ٢٢١/٣ رقم ٢٦١٢، والخطيب الخوارزمي في فضل الحسين عن ابن عباس ١٦٤/١ ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة ٨٩ عن أم سلمة في مرضه قالت : وقد امتلأت الحجرة بأصحابه .

انتهى ملخصا من مجلة تراثنا العدد ١٤ السنة ١٤٠٩ ص ٨٤ - ٩٣ تحت موضوع أهل البيت في المكتبة العربية للسيد عبد العزيز الطباطبائي ، وفي طريق حديث الثقلين عدة كتب منها ١ـ طرق حديث (إني تارك فيكم الثقلين) تأليف أبوا لفضل محمد بن طاهر المقدسي ، ابن القيسراني (٤٤٨ـ ٥٠٧) .

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(إن الله جعل عليا وزوجته وابنيه حجج الله على خلقه،وهم أبواب العلم في أمتي من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم)(١).

ومنها: صريح قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(إن الله جعل عليا لي وزيرا وأخا ووصيا ، وجعل الشجاعة في قلبه ، وألبسه الهيبة على عدوه ، وهو أول من آمن بي ، وهو أول من وحد الله معي ، وهو سيد الأوصياء ، اللحوق به سعادة ، والموت في طاعته شهادة ، واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي زوجته الصديقة الكبرى ، وابناه سيدا شباب أهل الجنة ، وهو وهما والأئمة من ولدهما حجج الله على خلقه) .

ومنها : ماروه المرشد بالله عليه السلام في أماليه بإسناده إلى **ابن عباس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(من سره أن يحي حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن التي غرسها ربي [عز وجل بيده] فليتول علي بن أبي طالب وأوصياءه فهم الأولياء والآئمة من بعدي أعطاهم الله علمي وفهمي وهم عترتي من لحمي ودمي إلى الله أشكو من ظالمهم من أمتي والله لتقتلنهم أمتي لا أنالهم الله عز وجل شفاعتي) (٢).

---

(١) ـ أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري ٥٨/١ برقم ٨٩ وله شواهد أخرى .

(٢) ـ الإمام المرشد بالله يحي بن الحسين بن إسماعيل بن حرب بن زيد الجرجاني [٤١٢ـ ٤٧٩] أحد أعلام الزيدية وأئمتهم في الجيل والديلم ، عالم مجتهد حافظ مسند متكلم دعا إلى الله في الجيل والديلم والري وجرجان في أيام المستظهر العباسي وسلك مسلك أئمة الآل في العلم والعمل ، وأخباره ومصنفاته كثيرة منها ــ الأمالي الخميسية في جزأين مطبوع ـ الأمالي الإثنينية ويسمى الأنوار في فضائل آل البيت عليهم السلام ــ سيرة المؤيد بالله ، والكتاب المشار إليه هو الأمالي الخميسية .

الحديث أخرجه بألفاظ متقاربة الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٣٦، ١٤٦، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١٠٧/١، رقم ٥٩٥، عن الباقر ، وأخرجه أيضا بلفظ (من أحب أن يحيا حياتي) الحاكم في المستدرك الصغير ٢٨/١، وأبو نعيم في الحلية ٢٤٩/٤، والطبري في ذيل المذيل كما في نسخة ص ٨٣ ط مصر عن زيد بن أرقم ، وهو في الإصابة ٥٥٩/١، وأخرجه ابن عساكر في الحديث (٤٠٥) من ترجمة أمير المؤمنين عن تاريخ دمشق تحقيق المحمودي ٩٩/٢ ط ٢ ، والطبراني كما في مجمع الزوائد ١٠٨/٩، وهو بسنده عند المرشد بالله عن الطبراني ص ١٤٤ وفي الإعتصام عن المرشد بالله ١٦٠/١، وعن الجامع الكبير للسيوطي وأبي نعيم في الحلية والرافعي عن ابن عباس .وهو في ينابيع المودة ١٢٦/١ عن أبي نعيم والحمويني .

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(قدموهم ولا تقدموهم ، وتعلموا منهم ولا تعلموهم ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تشتموهم فتكفروا) [١] فقضى بالضلال على [من خالفهم] والكفر على من شتمهم فكفى بذلك زاجرا لأهل البصائر ، وخزيا ونكالا لأهل الكبائر .

ولسنا نأتي على جميع الأحاديث الواردة فيهم عليهم السلام لأن ذلك لا يدخل تحت الإمكان لأنها كتب جمة وألوف أحاديث كثيرة من رواية المؤالف والمخالف حتى تواتر وعلم علما لا يمكن دفعه بشك ولا شبهة .

قال الديلمي رحمه الله تعالى:(الأحاديث التي من رواية الفقهاء المتفق عليها يعني في أهل البيت عليهم السلام ألف وخمسمائة وستة أحاديث[٢] غير ما ذكره أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم منها ستمائة وخمسة وثمانون حديثا يختص بعلي عليه السلام ، وتسع مائة وعشرون حديثا يختص بالعترة عليهم السلام كل واحد منها يدل على إمامتهم وفضلهم على سائر الناس) .

قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام ما معناه :<الأحاديث فيهم عليهم السلام من رواية المؤالف والمخالف قريب من ألف ألف حديث > اهـ[٣].

ودلالة ما هذا شأنه وحاله من الأحاديث على نجاة المتبعين لأهل البيت عليهم السلام ظاهر مكشوف منبوذ معناه على طرف الثُّمَام [٤] يتعاطاه الجاهل والعارف لا

---

(١) ـ حديث (قدموهم ولا تقدموهم) نقله كما سيأتي عن كتاب شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام وقد أخرجه الإمام في مقدمة كتابه الشافي ١٦/١ مرسلا فقال: روينا عن أبينا .
وأخرجه محمد بن سليمان الكوفي عن أبي بن كعب بلفظ(أوصيكم بأهل بيتي خيرا فقدموهم ولا تتقدموهم وأمروهم ولا تأمروا عليهم) ص ٣٢ برقم ٣٣٠.

(٢) ـ ذكره الديلمي في كتابه قواعد عقائد آل محمد خ .
وفي الإرشاد للإمام القاسم بن محمد نقلا عن الديلمي ألف وستمائة وخمسة أحاديث انظر الإرشاد ص ٥٥، ٥٦.

(٣) ـ رواه الإمام القاسم بن محمد في الإرشاد ص ٥٧ ، قال المحقق لكتاب الإرشاد في الهامش ينظر في هذا الرقم أولا في أي كتاب ورد عن الإمام المنصور بالله ، ثانيا في الرقم وهو مليون حديث فإن السنة النبوية لا تكاد تصل ـ هذه الرقم ، فيحتمل أنه تصحيف من النساخ (قلت : ويمكن أن ليس المراد العدد المحدود ، وإنما هو كناية عن الكثرة كما هي عادة العرب في التعبير عن الكثرة بأعداد حسابية نحو السبعين ـ السبعمائة وغيرهما).

(٤) ـ الثُّمَام : قال في المعجم الوسيط : ويقولون : هو منك على طرف الثمام ، قريب سهل التناول .

يخفى على أحد إلا أكمه لا يعرف القمراء ، وإنما غرضنا هاهنا الإشارة إلى بعض ما ورد فيهم مما يدل على وجوب التمسك بمذهب **آل محمد** صلى الله عليه وآله وسلم لأن التمسك بحبل الله وحبل رسوله وحبل ذرية رسوله أئمة الهدى عليهم السلام نجاة من كل هلاك قال تعالى :﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾(١) فحبل هؤلاء موصول بحبل الله ، وقال:﴿**ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم**﴾(٢).

وروى **الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة** عليه السلام بإسناده عن **الثعلبي** (٣) في تفسير قوله تعالى :﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال : قال **مسلمة بن حيان** (٤): سمعت **أبا بريدة**(٥) يقول: صراط محمد وآله .

قال الإمام علامة العترة محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتابه **دعائم الإيمان** (٦) : لأن الكتاب والسنة والعترة الطاهرة إمام أهل الخشية الذين يلجأون إليه

---

(١) - آل عمران : ١٠٣، وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٣١/١ بسنده عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ، يعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا ، وليأتم بالهداة من ولده فمن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) وانظر في تفسير الآية في شواهد التنزيل ١٣٠/١، من ١٧٨- ١٨١.

(٢) - آل عمران : ١٠١

(٣) - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق المتوفى سنة ٤٢٧ مفسر حافظ عالم بالعربية قال السمعاني : يقال له الثعلبي والثعالبي وهو لقب لا نسب من كتبه الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ويعرف بتفسير الثعلبي وقد طبع منه بعضه وهو ما وجد منه والباقي منه مفقود ، والكثير يخلط بينه وبين تفسير الثعالبي المطبوع وليس هو (انظر معجم المفسرين ٦٢/١ ط ٣

(٤) - مسلمة بن حيان : في شواهد التنزيل مسلم بن حنان ، وفي تفسير البرهان : مسلم بن حيان ، قال في لسان الميزان : مجهول .

(٥) - في غيره أبو بريدة ، وليس ثريدة والحديث أخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ٥٧/١ عن مسلم ابن حنان عن أبي بريدة قال المحقق المحمودي : ورواه الحافظ ابن شهر آشوب عن تفسير الثعلبي عن ابن شاهين عن رجاله كما في البرهان ٥٢/١ ط ٣ وفي الباب شواهد في تفسير الآية انظر شواهد التنزيل ٥٨/٢ وما بعده وتفسير فرات الكوفي .

(٦) - الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عم الإمام الهادي يحي بن الحسين عالم فقيه مفسر مجاهد قال في المستطاب : كان يختار البادية على الأمصار وطاف كثيرا من البلدان ، وأقام ببغداد والبصرة ودخل الأهواز وخراسان والشام ومصر والمغرب وسكن آخر مدته بالحجاز ، وخرج مع الهادي مشيعا ومبايعا ، توفي سنة ٢٨٤ ومن مؤلفاته - تفسير القرآن الموجود منه تضمنه هذا الكتاب من سورة البلد إلى سورة النازعات ، وله أيضا شرح شروط الإيمان خ بالجامع .

عند كل شبهة وفتنة ، وبذلك جاء الخبر **عن أمير المؤمنين عن النبي** صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(ستكون فتنة من بعدي قلت يا رسول الله فما المخرج منها لمن فتن ؟ قال: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، فمن اتبع الهدى في غيره أو سأل عنه غير أهله أضله الله ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن اهتدى به هدي ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهداية هدي محمد وهدي أهل بيته الطيبين ، وشر الأمور محدثاتها) اهـ.

دل ما تقدم من الأخبار والآيات على وجوب التمسك بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى تحريم مخالفتهم قولا وعملا واعتقادا ولو لم يكن من ذلك إلا قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) والمؤمن حقا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في الخبر الصحيح المتواتر ، فإن العلماء المطلعين على كتب الفرق الإسلامية يعلمون صحته لرواية الموالف والمخالف لا يختلفون إلا في يسير من اللفظ فيه مع اتحاد المعنى فمن خالف أهل بيت **محمد** صلى الله عليه وآله وسلم فقد شاقّه واتبع غير سبيل المؤمنين كيف وقد رويت أخبار كثيرة تؤدي معنى واحدا أن آل **محمد** صلى الله عليه وآله وسلم على الحق غير ما تقدم من الأخبار نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(تكون بين الناس فرقة واختلاف يكون هذا وأشار إلى علي وأصحابه ـ على الحق) ذكر معنى هذا **إمامنا المنصور** بالله عليه السلام في آيات الأحكام .

وروى أيضا في الإعتصام بإسناد بلغ به إلى **أبي الزبير**[1] عن **جابر الأنصاري** قال:(كنا جلوسا عند **رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل **علي بن أبي طالب** عليه السلام فلما نظر إليه **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتاكم أخي ، ثم التفت إلى الكعبة فقال: ورب هذه البنية إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة،

---

(١) ـ هو في مقدمة الإعتصام ١/١٣٠ عن أبي الزبير عن جابر الأنصاري ، وأبو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم أبو الزبير المكي

ثم أقبل علينا بوجهه فقال: أما والله إنه أولكم إيمانا بالله وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأقضاكم بحكم الله، وأقسمكم بالسوية، وأعدلكم في البرية وأعظمكم عند الله مزية) (١) قال جابر فأنزل الله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ (٢) فكان علي إذا أقبل قال أصحاب محمد: قد أتاكم خير البرية من بعد رسول الله، ثم ذكر فيه أحاديث جمة من طرق كثيرة عن عدة من الصحابة شاهدة بأن هذه الآية نزلت فيه عليه السلام.

وفيه أيضا عن إبراهيم بن أبي شيبة الأنصاري (٣) قال: جلست إلى الأصبغ بن نباته (٤) فقال: ألا أقرئكم ما أملاه علي بن أبي طالب، فأخرج إلي صحيفة فيها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته وأمته بتقوى الله ولزوم طاعته، وأوصى أمته بلزوم أهل بيته، وأن أهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم

---

(١) ـ الحديث أخرجه العلامة فرات الكوفي الزيدي في تفسيره ص ٥٨٥ رقم ٧٥٤، وعنه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٣٦٢/٢ من طريقين عن جابر، وفي تفسير الحافظ المفسر الزيدي الحسين بن الحكم الحبري أورده في تخريج الحديث ٧١، ص ٥٤٠، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة أمير المؤمنين منه رقم ٩٨٥، وعنه في كفاية الطالب ص ٢٤٤، وفي كنز الحقائق ص ٨٢، ٩٢، ورواه في تفسير الآية صاحب الدر المنثور كما أخرجه الطوسي في أماليه حديث ٣٦؛ ج ٩ / ص ٢٥٧، و الخوارزمي في المناقب ص ٦٢، ومحدث الشام كما في كفاية الطالب ص ٢٤٤ـ وقال في هامش شواهد التنزيل: ورواه في الحديث ٢٨ من كتاب الأربعين وهو في الحديث ١٠/ ٢٧، وحديث ٦، ٢٨ من المقصد الثاني من غاية المرام ص ٣٢٧، وفي تفسير الآية من البرهان ٤٩١/٤ ط ٢، وهو في الإعتصام ١٣٠/١ـ وللحديث شواهد كثيرة في تفسير الآية.

(٢) ـ البينة: ٧

(٣) ـ إبراهيم بن أبي شيبة الأنصاري لم أجده ولعله تصحيف عن إبراهيم بن أبي حبيبة الأنصاري الأسهلي المتوفى سنة ٥٦٥هـ (انظر تهذيب التهذيب ٩/١.

(٤) ـ الأصبغ بن نباته الحنظلي المجاشعي التميمي أبو القاسم الكوفي، أحد أصحاب الإمام علي المشهورين معروف بتشيعه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وثقه غير واحد، وأنكروا عليه التشيع (انظر رجال معجم الإعتبار والفلك الدوار).

وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١٦٦/٢ رقم ٦٤٥

وقال المحقق السيد المحمودي: ورواه محمد بن يوسف الزرندي في آخر كتاب نظم درر السمطين ص ٢٤٠ ط الغري.

، وأن شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة ، وأنهم لن يدخلوكم باب ضلالة ، ولن يخرجوكم من باب هدى) اهـ .

وفي هذا المعنى أحاديث لا تحصى كثرة ، بل لها كتب مستقلة ، وقد تضمن ما قدمنا كثيرا من خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام كالخطبة **الزهراء** التي قال فيها الإمام **الحسن بن بدر الدين** (١) عليه السلام في شرح **أنوار اليقين** (٢) ما لفظه :

الخطبة الزهراء هي الخطبة الكبرى التي خطب بها أمير المؤمنين علي عليه السلام قبل موته البعيد والقريب ، وأسمعها البغيض والحبيب ، ممن كان في عصره ممن يبلغه ذلك عنه ، وهي آخر خطبة خطبها ولقي الله عليها ، انطوت على علم كثير ، وبين فيها عليه السلام أحوال الدنيا ، وما يكون بعده من العظائم إلى يوم القيامة ، وهي موجودة بحمد الله غير أنا نذكر منها طرفا ، منبها لذوي البصائر على ما تقدم .

قال عليه السلام في موضع منها:(ألا وإني أقول قولي هذا لعلي لا أقول بعد يومي هذا مثل قولي هذا فليسمع المحبون والمبغضون فإنه ما من نبي بعث في الأولين والآخرين إلا كان له هاد من بعده ، وإن **موسى** كليم الله **ومحمد** صفي الله ، وأقام **موسى** من بعده هاديا مهديا هارون ابن أمه وإن **محمدا** أقامني هاديا مهديا فأنا نظيره إلا أني لست بنبي ، فاختلفتم كما اختلفت بنو إسرائيل على **هارون** فضربها الله بالفتن والإختلاف وإطاعة السامري ، فعاقبهم بالقتل فمن قتل نفسه بالتوبة كان شهيدا ، ومن كره القتل عوقب بالإفتراق والخروج عن الملة فافترقت على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضلت وتاهت عدا بقية من آل موسى وآل هارون ، وهي الأمة

---

(١) ـ الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين محمد بن يحي الهادي [٦١٦ ـ ٦٠٨] أحد أعلام المفكرين الزيدية إمام مجتهد مجاهد قام بأمر الإمامة سنة ٦٥٧ هـ وكانت دعوته بهجرة رغافة في بلاد صعدة ، وبايعه علماء عصره ، وعاش في عبادة وعلم وتصنيف وجهاد حتى توفي ، ومن أهم مؤلفاته : أنوار اليقين الآتي (انظر أعلام المؤلفين الزيدية) .

(٢) ـ أنوار اليقين في إثبات إمامة أمير المؤمنين وهو شرح قصيدة له ضمنه من أحاديث الفضائل الكثير الطيب ، ونقل من مصادر شتى الفرق الإسلامية مخطوط ، نسخه الخطية متوفرة في المكتبات الخاصة والعامة (انظر التراث الإسلامي المخطوط في المكتبات الخاصة) وقد شرع في تحقيقه الأستاذ عبد الله عبد الله الحوثي .

الهادية التي قال الله :﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[١] وهي التي تعدل وتهدي ، ولم يكن الله ليضل الناس بعده ، وافترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كل فرقة على ثلاث وسبعين ملة فكل ملة ضالة مضلة إلا من أخذ بحجزتي وحجزة أهل بيت رسوله وكتابه وسنته ، واتبع الحبل الأكبر والحبل الأصغر)[٢] إلى آخر كلامه عليه السلام وهو طويل جدا [٣].

قال إمامنا المنصور بالله رحمة الله عليه **في الإعتصام** [٤] - وقد أوسع في هذا المعنى من الأدلة من الآيات والأخبار ما هذا لفظه - :(دل جميع ما تقدم من الآيات والأخبار المتفق عليها في مشاهير كتب الأمة بلا تواطؤ على وجوب التمسك بمذهب آل محمد ، وهم يدعون إلى ما أوجب الله والى ما هو دعاء من الله ومن رسوله إلى الأخذ بمحكم الكتاب والمعلوم من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتواتر والتلقي بالقبول ، وعلى الرد إلى الله والى الرسول فيما اختلفوا فيه قال الله سبحانه وتعالى :

---

(١) - الأعراف : ٥٩

(٢) - الحبل الأكبر: كتاب الله ، و الحبل الأصغر عترة رسول الله) كما في بعض الروايات لحديث الثقلين .

(٣) - أوردها الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد في الإعتصام ١/١٥٥ عن الحسن بن بدر الدين .

(٤) - الإعتصام ١/١٦٢ الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي [٩٦٧ - ١٠٢٩] أحد عظماء الإسلام وأئمة الآل الكرام ، إمام مجتهد مجاهد مجدد برز في العلوم الشرعية ، وجدد في مناهج الفهم وأساليب الدعوة مولده في قرية الشاهل من قضاء الشرفين ، وقام داعيا إلى الله عز وجل من محل قارن شمالي الشرف ١٠٠٦ ، وتغلب على أغلب المناطق الجبلية في اليمن بعد كفاح مرير وهزائم وانتصارات ، وثورة من أجل المستضعفين ، وإقامة كم الله وحرر اليمن من الأتراك الذين خرجوا من اليمن بعد موته بست سنوات ، في عصر ابنه الإمام المؤيد بالله اتخذ مدينة شهارة عاصمة له ، وعرف بالورع والشجاعة والكرم توفي بمدينة شهارة ومن مؤلفاته:

١- الإعتصام بحبل الله المتين من أشهر المؤلفات في الفقه والحديث وصل فيه إلى كتاب الصيام وأتمه العلامة زبارة إلى آخره ، وَطبع في خمسة مجلدات وهو الذي ننقل عنها ما يذكره عن القاسم .

٢- الأساس لعقائد الأكياس وقد طبع طبعتين الطبعة الأخيرة بتحقيقنا . وله شرح عليه نقل منه الشرفي في شرحه على الأساس .

٣- الإرشاد إلى سبيل الرشاد في طريق أعمال العباد عند فقد الإجتهاد من الكتب النادرة في موضوعها تحت الطبع بتحقيق محمد يحي سالم.

٤- تفسير القرآن الكريم من الفاتحة إلى بعض سورة المائدة ، خ مكتبة جامع شهارة والجامع الكبير (وانظر عن بقية مؤلفاته أعلام المؤلفين الزيدية وفهرست مؤلفاتهم) .

﴿**فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى ا لله والرسول**﴾[1] وبلغنا عن أمير المؤمنين كرم ا لله وجهه في الجنة أنه قال:(الرد إلى ا لله هو الرد إلى محكم كتابه والرد إلى رسوله هو إلى سنته الجامعة غير المفرقة) وقال ا لله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[2] وهذا صراط ا لله المستقيم الذي قال سبحانه :﴿**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[3] إلى قوله عليه السلام :(وهذه سبيل محمد صلى ا لله عليه وآله وسلم وقد قال ا لله تعالى ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى ا لله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان ا لله وما أنا من المشركين**﴾[4] فنحن ندعو إلى ذلك ، ونجيب من دعانا إليه ، لا نخالف الحق ولا نختلف فيه إن شاء ا لله تعالى ، ومع هذا فإنا لا نستوحش ممن هجر مذهبنا وتجنب الأخذ والرواية عن آبائنا عليهم السلام وشيعتنا رضي ا لله عنهم ، ونرى الأخذ عن الدعاة إلى النار برواية الثقاة من الفريقين) [5] إلى آخر كلامه عليه السلام في هذا المعنى وهو بسيط جدا ، وإنما هذا تنبيه على المعنى المقصود من وجوب إتباع آل محمد صلى ا لله على محمد وعلى آل محمد وسلم .

ويؤكد ما قدمنا من الأدلة [6] **إجماع العترة الطاهرة** وشيعتهم فإن إجماعهم على ذلك مشهور ، لا ينكره إلا من قلبه بالجهل مغمور ، وإجماعهم عليهم السلام حجة واجبة الإتباع للأدلة الشرعية والبراهين القطعية ، وذلك أنهم عليهم السلام يدينون ويعتقدون أنهم أهل الكتاب الذين اصطفاهم ا لله لإرثه ، وأهل الذكر الذين أمر بسؤالهم ، وأولوا ألأمر الذين أوجب ا لله على جميع المكلفين طاعتهم ، والرجوع إليهم ، وأنهم هم الأمة الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأنهم [هم] المفلحون، وأنهم [هم] الشهداء على الناس ، وأن الرسول هو الشهيد لهم

---

(١)ـ النساء : ٥٩
(٢) ـ الأنفال : ٨
(٣) ـ الأنعام : ١٥٣
(٤) ـ يوسف : ١٠٨
(٥) ـ الإعتصام ١٦٣/١
(٦) ـ اللفظ في ب : ويؤكد هذه الأدلة كلها إجماع العترة الخ .

على الناس بذلك ، وأنهم هم الصادقون الذين أمر ا لله بالكون معهم وأنهم [هم] [(١)] الذين فرض ا لله مودتهم ، وحكم بعصمتهم وطاعتهم ، وأنهم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأنهم كسفينة نوح من اعتصم بهم و اتبع آثارهم نجا ومن تخلف عنهم غرق وهوى ، وأنهم باب حطة ، وباب السلم ، فادخلوا في السلم كافة ، وأنهم قرناء الكتاب المعبر عنه بالثقلين كما مر ، وأنهم خلفاء أرضه ، وأئمة خلقه ، ودعاة بريته ، وأنه لا تخلو الأرض من حجة منهم لله فيها وعلى الحق ظاهرين .

واعلم أنه إذا دل الدليل على شئ فالإعراض عنه وعن اعتقاده زيغ وميل عن الحق خصوصا إذا كان متعلقا بالتكليف فيأثم إثما عظيما في تركه ، والإعراض عنه لدخول ذلك في كتمان الحق ، وترك إظهاره ، والتدين يقتضي خلافه فالتمسك بالحق أولى من التمادي في الباطل [(٢)] فنعوذ با لله من إلف العصبية , وما يؤدي إليها [فهل في البيان لنجاة متبع العترة والحكمة بإصابتهم ما هو أظهر من هذا !! لكن طاشت الحلوم ، وضاعت العلوم ، واختار الناس غير ما اختاره الحي القيوم] [(٣)].

فإن قيل: أهل البيت عليهم السلام فيهم عصاة لاتجوز موالاتهم ، ومخالفون لأهل البصائر منهم لا يسع إتباعهم ، وقد قلت : إنهم كالكتاب وقرناؤه [(٤)] وقد رأينا كثيرا منهم من يجاهر بالمعاصي ، ومنهم من يتمسك بأديان الضلال ؟

قلنا ولا قوة إلا با لله : يخصص الفساق منهم آيات محكمات وأخبار صحيحات ، ليس هذا موضع ذكرها ، ولكنا نقول كما قال **الإمام المنصور با لله عبدا لله بن حمزة** عليه السلام : هم صلوات ا لله عليهم كما أن في الكتاب شرفه ا لله وعظمه محكما ومتشابها ومنسوخا ، لأن الناسخ من نوع المحكم ، فالواجب الرجوع إليه واطراح معنى المنسوخ ، فكذلك ذرية النبي صلى ا لله عليه وآله وسلم تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أئمة سابقون يجب الرجوع إليهم ، وتابعهم منهم لقول ا لله تعالى حاكيا عن

---

(١) ـ لفظة هم الموجودة بين القوسين موجودة في ب .

(٢) ـ اللفظ في ب : فالمتمسك بالحق أولى من المتمادي في الباطل .

(٣) ـ ما بين القوسين موجود في ب .

(٤) ـ مرفوع على أنه معطوف على محل خبر إن .

إبراهيم عليه السلام :﴿فمن تبعني فإنه مني﴾[1] ومجاهرون بالمعاصي بمنزلة المنسوخ من كتاب الله عز وجل يجب اطراح معناه ، ومتمسكون بأديان أهل الضلال مع ثبوت أنسابهم إلى الذرية الزكية فهم بمنزلة المتشابه من كتاب الله تعالى لا يتبعه إلا الذي في قلبه زيغ كما قال الله تعالى .

فإن قلت: لا يجب إتباع القرآن لذلك ؟ فقل في أهل البيت عليهم السلام كذلك .

قلنا: قال الله عز وجل :﴿**ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون**﴾[2] فلم يُسْقِط فسقُ الفاسقين وجوبَ إتباع الصادقين ، ولا أخرجهم من ورثة الكتاب فعلُ أهل الزيغ والإرتياب ، فتأمل ذلك موفقا ، وَأْتِ العلمَ من طرقه وبابه ، وتَفَهَّمْ رحمك الله معاني كتاب الله من أربابه ، واطلب هذا العلم من ورثته ونصابه ، فإن للدين طرقا كما للمسجد والسوق فالواجب على العاقل أن يتعرف طرق الدين لينجو من الضلال مع الناجين> اهـ.

فإذا عرف السامع من هذه الجملة ما ألقيناه ، واستبطن مقصودها فليعلم أنا لم نتبع أهل البيت عليهم السلام من أجل أنهم آباؤنا وأهلنا ، وإنما اتبعنا الدليل الذي دلنا عليهم ، وأرشدنا إليهم ، وكيف لا يكونون عليهم السلام كذلك وهم أهل بيت الرحمة وموضع العصمة ، وقرار الرسالة ، وإليهم كان مختلف الملائكة ، وهم معدن العلم وغاية الحكم ، من شجرة باسقة الفروع طيبة النبع ، ثابتة الأصل دائمة الأكل قد ساخت عروقها ، فهي طيبة الثرى ، واهتزت غصونها فهي تنطف بالندى وأورقت منضرة ، ونورت مزهرة ، وأثمرت موفرة ، لا تنقص ثمارها الجناة ، ولا يشرعها السقاة ، فمن نزل بها ، وآوى إليها ــ ورد حياضا تفيض ، ورعى رياضا لاتخيض ، وشرب شرابا رويا هنيا مريا ، عريضا فضيضا ، فروى وارتوى من قرار

---

(١) ـ إبراهيم : ٣٦

(٢) ـ الحديد : ٢٦

رَوِيٍّ بدلاءٍ مبذولة غير ممنوعة ، معروضة غير مقطوعة ، فمن تبعهم نجا ، ومن استمسك بهم فقد استمسك بالعروة الوثقى و لله القائل[1]:

بآل محمد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهم حجج الإله على البرايا ... بهم وبجدهم لا يستراب
ولاسيما أبو حسن علي ... له في المجد مرتبة تهاب
طعام حسامه مهج الأعادي ... وفيض دم الرقاب له شراب
وبين حسامه والدرع صلح ... وبين البيض والبيض اصطحاب
إذا طلبت صوارمه نفوسا ... فليس لها سوى نعم جواب
وضربته كبيعته بخم ... معاقدها من الناس الرقاب
إذا لم تبر من أعدا علي ... فما لك في محبته ثواب
هو النبأ العظيم وفلك نوح ... وباب الله وانقطع الخطاب
هو البكاء في المحراب ليلا ... هو الضحاك إن آن الضراب

تروى لأعداء علي عليه السلام ، والحق ما شهدت به الأعداء .

---

(١) ـ هو الناشئ الصغير الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الله بن الوصيف البغدادي [٢٧١ـ ٣٦٥] شاعر بليغ متطلع في الكلام والفقه والحديث والأدب ، نزل مصر وله عدة مؤلفات ، ذكره وذكر القصيدة في الغدير ٤/٢٤ـ ٣٣، وعزا القصيدة إليه ابن شهر آشوب في المناقب كما ذكرها له الحموي في معجم الأدباء ٥/٢٣٥، و اليافعي في مرآة الجنان ٢ـ ٣٣٥، وجزم بذلك السيد يوسف بن الحسين في كتابه نسمة السحر فيمن تشيع وشعر خ ، وعزا من نسبها إلى عمر بن العاص إلى أفحش الغلط ، وقد نسبها الهمداني في الإكليل و الشيرازي في تحفة العباد إلى عمرو بن العاص ، ونسبتها بعض المعاجم إلى ابن الفارض ، وهو معاصر لابن خلكان الذي قد لا يخفى عليه ، قال السيد عبد الحسين الأميني في الغدير : إن الرواة تناقلتها قبل وجود ابن الفارض .

قال في المقصد الحسن للعلامة احمد بن يحيي حابس رحمه الله نسبت لعمرو بن العاص فقد روي أن معاوية قال لأصحابه : من قال في علي ما فيه فله هذه البدرة فقال كل منهم كلاما غير موافق يشتم أمير المؤمنين أما عمرو بن العاص فإنه قال: أبياتا اعتقدها وخالفها كما هو دأب كثير من النواصب ، وهي هذه .

[**وما أحسن قول أئمة الهدى**] [(١)] **فيهم عليهم السلام جميعا** ، يقول أمير المؤمنين[(٢)] علي كرم الله وجهه [(٣)] :(نحن أهل العلم ، ومعدن التأويل والتنزيل ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:(أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه)) [(٤)].

وقال عليه السلام في بعض خطبه التي ذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم :(هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الإسلام ، وولائج الإعتصام ، بهم عاد الحق في نصابه ..الخ كلامه عليه السلام) [(٥)].

---

(١) - ما بين القوسين زيادة من ب .

(٢) - في ب : (من ذلك قول أمير المؤمنين) .

(٣) - ما بين القوسين زيادة في ب ، واللفظ في ب : وما أحسن قول أئمة الهدى عليهم السلام جميعا من ذلك قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه .

(٤) - أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل في تفسير ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ ١/٣٣٤ رقم ٤٥٩ بسنده عن الحارث قال سألت عن هذه الآية ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ قال: (والله إنا لنحن أهل الذكر نحن أهل العلم) الخ .

أما الحديث (أنا مدينة العلم) فأخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ٢/ ٢٧٤ وأبو نعيم في معرفة الصحابة كما في كنز العمال ١١/٢١٤ وابن المغازلي الشافعي في المناقب ص ٨٢ ، رقم ١٢٥ ص ٨٥ رقم ١٢٦ ومحب الدين الطبري في الرياض ٣/١٥٩ والذخائر ٧٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٤٦٥ (٩٩١) ترجمة أمير المؤمنين ، وابن كثير في البداية و النهاية عن أمير المؤمنين عليه السلام .

وأخرجه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب العدل والتوحيد خ والحاكم في المستدرك ٣/١٢٦ من طرق وصححه ، والطبراني في الكبير ١١/٦٥ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦/٩٩ وابن المغازلي في المناقب ص ٨١، ٨٢، ٨٣ وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٢٢ والحموي في فرائد السمطين ١/٩٨ والسيوطي في الجامع الصغير ١/١٦٧ والديلمي في الفردوس ١/٤٤ رقم ١٠٦ والخطيب في تاريخ بغداد ٤/٣٤٨ـ ٧/١٧٣، ١١/٤٨، ٤٩، ٢٠٢ وهو في مجمع الزوائد ٩/١١٤ والبداية والنهاية ٧/٣٩٦، عن ابن عباس .

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/١٢٧، وابن المغازلي في المناقب ٨١ ، ٨٤ عن جابر بن عبد الله ، وهو في غير هذه المصادر ، وخصوصا كتب الفضائل الشيعية ، وانظر كتاب تثبيت الوصية بمجموع رسائل الإمام زيد ٢٧٧، وهناك كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم لعلي تأليف أحمد بن محمد الصديق الغماري ط ١٤٠٣.

(٥) - في نهج البلاغة الخطبة (٢٣٩) هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، وهم دعائم الإسلام وولائج الإعتصام ، بهم عاد الحق إلى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل).

وقال ابنه الحسن عليه السلام :(ومن البلاء على هذه الأمة أنا إذا دعوناهم لم يجيبونا ، وإذا تركناهم لم يهتدوا إلا بنا، فمن الأمان به على بلاغ الحجة وتأويل الكتاب ؟ إلا أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين احتج الله بهم على خلقه ، ولم يدع الخلق سدى ، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا فرع الشجرة المباركة ؟ وبقايا الصفوة الذين طهرهم الله من الرجس وبرأهم من الآفات ؟) .

وروى الحاكم [١] **عن زيد بن علي عليهما السلام** أنه قال:(الرد إلينا والكتاب نحن الثقلان) [٢].

وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام :(وكلما ذكر الله في السور فله وجوه متصرفة يعرفها من عرفه الله إياها .. إلى قوله : فليسأل عنها وليطلب ما خفي عليه منها عند ورثة الكتاب ، الذين جعلهم الله معدن ما خفي من الأسباب ، فإنه يقول سبحانه:﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ [٣] الآية .

وقول الإمام الناصر للحق الحسن بن علي عليهما السلام في شعره المحكي في المسفر [٤] **والشافي:**

---

(١) ـ لعله الحاكم الجشمي المحسن بن كرامة الجشمي المعتزلي الزيدي كان حنفيا وتزيد في آخر عمره وله التهذيب في تفسير القرآن وهو تفسير جليل قد صففنا منه على الكومبيوتر سبعة مجلدات وله أسلوب فريد فيه ويقال إن الزمخشري عالة عليه وفيه بعد كما عشت مع هذا الكتاب أسأل الله أن يسهل بالباقي منه ، كان نقمة على المجبرة وله رسالة إبليس في الرد عليه مطبوع وقيل: إنه قتل بسبب تلك الرسالة ، وله أيضا عدة كتب ، وفي حياته وبيان مؤلفاته وطريقته ألف الدكتور عدنان زرزور كتابا بعنوان الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير فلتنظر تمام الترجمة فيه .

(٢) ـ قوله : (الرد إلينا) روى فضيل الرسان قال قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام :(قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أولى الناس بالناس أمير المؤمنين علي صلى الله عليه ، ثم قبض أمير المؤمنين صلى الله عليه فكان أولى الناس بالناس أمير المؤمنين الحسن بن علي عليهما السلام ، ثم قبض أمير المؤمنين الحسن بن علي عليهما السلام فكان أولى الناس بالناس أمير المؤمنين الحسين بن علي عليهما السلام ثم سكت ، وقال: الرد إلينا نحن والكتاب الثقلان ، وقال : نحن ولاة أمر الله ، وخزان علم الله ، وورثة وحي الله ، وعترة نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم شيعتنا رعاة الشمس والقمر) اهـ من مجموع رسائل الإمام زيد (تحت الطبع) عن أنوار اليقين و السفينة للحاكم ، والمصابيح لأبي العباس ، والمنهاج الجلي مخطوطات .

(٣) ـ فاطر : ٣٢

(٤) ـ المسفر والصفي كتاب للإمام الناصر الأطروش مفقود .

لا تبتغوا غير آل المصطفى علما يهديكم فهم خير الورى آل
آل النبي وعنهم إرث علمهم القائمون بنصح الخلق لما يألوا
وقولهم مسند عن قول جدهم عن جبرئيل عن الباري إذا قالوا

إلى قوله :

كل يرى الحق ما فيه قد اختلفوا وهم بمفروض علم الحق جهال
أعني الأولى فقههم إشراك صيدهم وسائر الناس بالإهمال غفال

وقول الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهم السلام **في شرح الرسالة الناصحة** بالأدلة الواضحة [1] وهو ما لفظه :(أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإتباع عترته المطهرة فخالفوه في ذلك ، ولهم أتباع في كل وقت يقتفون آثارهم في خلاف **العترة المطهرة** ، حذو النعل بالنعل ، بل قد تعدوا على ذلك أن قالوا : هم أولى بالحق وإتباعهم أوجب من إتباع هداتهم ، فردوا بذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(قدموهم ولاتقد موهم ، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تشتموهم فتكفروا) وهذا نص في موضع الخلاف لا يجهل معناه إلا من خذل) .

وقال عليه السلام أيضا في وصيته لبعض أولاده يحثه على طلب العلم النافع والحرص عليه إذ رب علم جهل :(واعلم أيدك الله أن ذلك هو العلم النافع ، من الأصول والفروع ، فعليك بطلبه من علماء آبائك وأجدادك فإنهم السفينة من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ، في قول وعمل واعتقاد ، وهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء إلى منقطع التكليف كما ورد في الآثار النبوية الطاهرة ، كظهور الشمس ، ووجوب إتباعهم وسلوك آثارهم لا يجهلها إلا جاهل ، ولا يضل عنها إلا مائل ، قال **جدك الهادي إلى الحق يحي بن الحسين** صلوات الله عليه مفصلا لهذه الجملة في كلام له عليه السلام في مثل هذا الباب : ثم اعلم من

(١) ـ مخطوط ضمن مجوع من كتب الإمام عبد الله بن حمزة ، والنص في المجموع الخطي ...

بعد كل علم ومن قبله ، وعند استعمالك لعقلك في فهمك أن الذين أمرنا باتباعهم من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحضضنا على التعلم منهم هم الذين أخذوا بكتاب الله من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقتدوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين اقتبسوا علمهم من علم آبائهم وأجدادهم جدا عن حد وأبا عن أب حتى انتهوا إلى مدينة العلم ، وحصن الحلم الصادق المصدق [الأمين الموفق] الطاهر المطهر عند الله المقدم **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** فمن كان علمه من آل رسول الله على ما ذكرنا منقولا إلى آبائه مقتبسا من أجداده لم يزغ عنهم ولم يقصد إلى غيرهم ولم يتعلم من سواهم فعلمه ثابت صحيح لا يدخله فساد ولا زيغ ولا يحول أبدا عن الهدى والرشاد ولا يدخله اختلاف ولا تفارقه الصحة والائتلاف) .

وقال عليه السلام أيضا في شرح الرسالة الناصحة : (وورود الحوض لا يكون إلا لأتباع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهم أشياعهم ، ولا يكون ذلك إلا بالإعتراف بفضلهم ومطابقتهم في قولهم واعتقادهم)[١] .

وفي نجاتهم يقول **الإمام الحسن بن بدر الدين عليه السلام** :[٢]

لم ينج بالكهف سوى عصبة ... فرت عن الدار وأربابها

ولا[٣] نجا في قوم نوح سوى ... سفينة الله وأصحابها

ألم يكن في المغرقين ابنه ... إذ غاب عن حوزة ركابها

وهل نجا بالسلم إلا الألى ... رقوا إلى السلم بأسبابها

أو أدرك الغفران من لم يلج ... بالأمس في الحطة من بابها

أعيذكم بالله أن تجمحوا ... عن عترة الحق وأحزابها

---

(١) - انتهى من شرح الرسالة الناصحة للإمام عبد الله بن حمزة .

(٢) - تقدمت ترجمته ، والقصيدة تنظر في كتاب أنوار اليقين .

(٣) - في ب : وهل نجا في قوم نوح سوى

وقول إمامنا **المنصور بالله القاسم بن محمد** رحمة الله عليه ورضوانه :

يـــاذا المـــريد لنفسه تثبيتا ... ولدينه عنـــد الإلـــه ثبوتـــا
أسلك طريقة آل أحمد واسألن ... سفن النجـا أن يسألوا ياقـوتا
لا تعدلن بآل أحمـد غـيرهم ... وهـل الحصاة تشاكل الياقـوتا
الله أوجب ودهم فـــي وحيه ... والرجس أذهب عنهم إن شيتا
وأئمة الأخبار تروي فـــضلهم ... فابحث تجـده مجملا وشتيتـــا
ما إن تلم بمسند أو مرســــل ... إلا وجدت لـــم هنـاك نعوتا
فيها نعوت نجاتهم فدع الـذي ... لم يلق يوما بالنــــجا منعوتا

قال الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش عليه السلام في كتاب **البساط** ما لفظه :(فلو لم يفسر القرآن أهل النقص والجهل به على مبلغ عقولهـم ، ولم يحملـوا تأويله على لكنتهم ، وردوا علمه إلى تراجمته من أهل بيت نبيئهم عليهم السلام كمـا أمرهـم الله بقولـه:**﴿ولـو ردوه إلى الرسـول والى أولي الأمـر منهـم لعلمــه الذيـن يستنبطونه منهم﴾** إلى قوله :**﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليـلا﴾** (١) لسلموا مـن الضلال وسلم من اتبعهم مـن المستضعفين الجهـال ، ولم ينسبوا إلى الله الجـور والمحـال ، ولم يجعلوا له ما كره وذم من سيئ الأفعال).

فأخبر الله سبحانه في هذه الآية ونحوها أن له مترجمين وبغامضـه عـالمين ، ولحكمـه مصيبين .

قال الإمام المنصور بالله عبـدالله بـن حمـزة عليهـم السـلام :(وإنمـا أهلـك النـاس أرشدنا الله وإياكم نواجم نجمت في الإسلام ، لم ترضـع بثـدي الهـدى ، ولا اغتـذت الحكمة ، ولا سألت ورثة العلم عن علمها وأرباب الكتـاب عـن كتـابهم ، وعملـت برأي السفهاء تمردا على الله ولن تعجزه ، وعداوة للحق ولن تنقصه ، ولم يهمل الله

---

(١) ـ النساء : ٨٣

دينه وقد أيده بحفظته ، وحرسه بحماته من عترة نبيه صلوات الله عليه وعليهم الذين هم تراجمة الكتاب ، وأعرف الناس بالهدى والصواب ، لم يضل من تبعهم ولا يعمى من استضاء بنورهم ، فمن طلب الحكمة فيهم وفق للصواب ، ومن رامها من غيرهم خسر وخاب ، وكان سعيه في تباب ، وهذا واضح لمن لم يعم الجهل عين بصيرته ، ولم تصرفه عن هداته زخارف الأقوال ، فيبقى عَمِهاً في حيرته) اهـ .

فهذا كما ترى كلام أئمة الهدى كأنه خارج من مشكاة واحدة ، قد طابق تلك الأدلة من الكتاب والسنة ﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾.

وفي الرافضين لعلوم آل محمد عليهم السلام يقول بعض العلماء من الشيعة الأبرار العظماء :(فرفضوا بأهوائهم ما أمرهم الله به وخالفوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاءهم به فتركوا من أمرهم الله عز وجل بالمسألة في كتابه حيث يقول :﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [1] وهو القرآن لقوله سبحانه :﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [2] وأهل الذكر فهم أهل بيت محمد عليهم السلام الذين أورثهم الكتاب حيث يقول:﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ فهم ورثة الكتاب وأهله . وكذلك قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(عليكم بأهل بيتي فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولن يدخلوكم في باب ضلالة)[3] وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(أهل بيتي فيكم كباب حطة فادخلوها)[4]. فرفض أكثر هذه الأمة أهل بيت نبيها وخالفوهم في أقاويلهم وتفاسيرهم وضادوهم في العلم الذي أنزله الله على نبيئه حسدا لهم وتعديا عليهم وقصدوا من خالفهم) .اهـ

---

(١) ـ النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧. وانظر في تفسير وتعيين من هم أهل الذكر شواهد التنزيل ٣٣٥/١ رقم ٤٦٠ وتفسير فرات الكوفي ومناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ١٣٠/١ رقم ٧١.

(٢) ـ الحجر : ٩

(٣) ـ فاطر : ٣٢

(٤) ـ (أهل بيتي فيكم كباب حطة) رواه في الفلك الدوار ١٣٣٥، وأخرجه الطبراني في الصغير ٨٤/٣ رقم ٨٢٥ والأوسط كما في ينابيع المودة ٢٦/١ والحمويني عن أبي سعيد الخدري كما في ينابيع المودة ٢٧/١ وفيها أيضا قال: أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط والصغير عن أبي سعيد ، وابن المغازلي عن أبي ذر ، حديث السفينة وباب حطة .

[كيفية ترتيب هذا التفسير]

فلما كانت طريقة أهل البيت عليهم السلام هي طريقة النجاة لمن طلبها وسبيلهم سبيل السلامة لمن أرادها ، وكان السلوك لسبيلهم والإقتفاء لآثارهم قولا وعملاً واعتقادا لايتم إلا بمعرفة علومهم في الدين وتوحيد رب العالمين ، ولاسيما علومهم عليهم السلام في تفسير كتابه فإنهم ورثته وتراجمته ، وخزنة علمه ، بأيديهم مفاتيح أبوابه ، وكان غرضنا هو الدعاء إلى الدين وتعريف الجاهل بواجب الحق المبين والكشف للمسترشد الطالب لما يزيده بصيرة وبيانا في دينه .

أحببت أن أجمع من تفسيرهم عليهم السلام ما أمكن جمعه ، وإن عزب عني منه الكثير وأضفته إلى ما قد وضعه نجم آل الرسول الإمام الكبير ذو العلم الشهير ، **القاسم بن إبراهيم** عليهما السلام فإنه رحمة الله عليه فسر بعض المفصل ، وبدأ في تصنيفه بوضع لم يعهد في وضع كثير من المفسرين ، فإن عادتهم الإبتداء بأم الكتاب ثم بسورة **البقرة** ، إلى آخر القرآن الكريم ، وهو عليه السلام بدأ بأم الكتاب ثم بسورة **الناس** ثم بسورة **الفلق** ، ثم بسورة **الإخلاص** ، إلى أن انتهى [إلى] (١) آخر سورة **والشمس وضحاها** ، وعاقه عن التمام شواغل الأمراض والأسقام ، منعته إلى أن نزل به الحمام .

وكذلك ابنه علامة العترة وقاموس الأسرة ، **محمد بن القاسم** عليهما السلام احتذا ذلك النسق وسلك ذلك المنهج ففسر من حيث انتهى إليه تفسير أبيه ، وذلك من أول سورة **لا أقسم بهذا البلد** إلى [آخر] (٢) سورة **النازعات** .

ثم قفا أثرهما وسلك في ذلك التفسير سبيلهما ونسج على منوالهما الإمام الأعظم **الهادي إلى الحق الأقوم يحي بن الحسين** عليهما السلام فإنه فسر من (عم) إلى سورة (المنافقين) وهو لعمري ترتيب عجيب وأسلوب غريب إذ بدأ بالسور القصار ،

---

(١) ـ الزيادة من ب .

(٢) ـ الزيادة من ب .

و لم يبدأ بالطوال والمابين تسهيلا على الطالبين ، وتيسيرا على المسترشدين لأن احسن الطرق في التعليم والتفهيم الأخذ من الأقرب فالأقرب مترقيا إلى الأصعب فالأصعب وهذا هو الوجه الذي جرى عليه أسلوب من بدأ يتعلم كتاب الله عز وجل يبدأ بذلك لهذا الوجه فجزاهم الله عن المسلمين خيرا كثيرا .

وقد رأيت أن أحذو حذوهم ، وأتبع آثارهم ، وأقتدي بوضعهم ، وأستضيء بنورهم ، وأسري هذا المسرى الذي توخيت بدلالتهم ، رجاء أن أفي ببعض حقهم وأنتظم في سلك من حفظ علومهم لأفوز إن شاء الله في يوم القيامة ببركة محبتهم

اللهم بحقك وبحق نبيئك ، وأهل بيته المطهرين صلواتك وسلامك عليهم أجمعين أن تجعلني لهم من المتبعين ، ولحذوهم من الممتثلين ، ولطريقهم من السالكين ، ولسنتهم من المقتدين ، ولحقك وحقهم من العارفين ، والحمد لله إذ جعلتهم لي إلى كل شرف ورفعة وخير هاديا وسببا ، وجعلتني بهم إليك متوسلا متقربا أدعوك حامدا لك راغبا وراهبا ، وأفزع إليك في كل ما كان بغية لي ومطلبا حتى تحشرني بعد فناء الأجسام والأعراض والأجساد ، وتحشرني إذا حشرت خلقك يوم التناد ، وقيام الأشهاد كل حزب مع حزبه ، وكل محب مع محبه ، وكل قرين مع قرينه ، وكل معين مع معينه في زمرة جدنا وأسرته ، ونجباء ذريته صلى الله عليه وعليهم وسلم صلاة يرفعهم بها أعلى الدرجات في جنته .

فقدمت أول ما وضعوه من تفسيرهم مرتبا من السور والآيات ، ثم بعد ذلك أرتب عليه إن شاء الله ما ظفرت به من تفسيرهم وتفسير أسباطهم مفرقا من الآيات والسور المتباينات فإنهم عليهم السلام قد استخرجوا من علم القرآن ما لم يستخرجه غيرهم علوما غزيرة ، وجواهر منيرة ، ونفائس خطيرة ، وقد ذكرت مع ذلك من تفسير غيرهم فوائد كثيرة ، وليعرف المطلع على ذلك تفاوت مرتبتهم ومرتبة غيرهم وبلوغ قولهم منزلة تسلب الألباب حلاوتها ، وتدهش العقول سلاستها ، فكانت علومهم لكلوم الشكوك مرهما ممن يرى إيثار رضى ربه مغنما لا مغرما ، فما أشفى كلمات الأئمة الهادين ، وأوقعها في قلوب المتقين وما أكثر فوائدها لمن تدبرها من المؤمنين العارفين ، ثم هم مع ذلك يغرفون من عين واحدة وعلى أكاليمهم طلاوة

غير الطلاوات ، ولها حلاوة مخالفة لسائر الحلاوات ، ولاغرو أن كانت كذلك إذ على قولهم مسحة من العلم الإلهي ، وعبقة من الكلام النبوي ، إذ هم حجج الله على براياه ، وهداياه السنية وعطاياه ، من استمسك بهم هدي إلى دار السلام وثبت في بحبوحة الإسلام ، فعليك رحمك الله بتفسير العترة المطهرة ينحل منها بكل جوهرة منورة ، ويحيك الله حياة طيبة ، وينلك منحا صيبة كما قال بعضهم في الحظ على الإعتماد على تفسيرهم دون غيرهم في كلام معناه : وعليك بتفسير عترة رسول الله وخزنة علمه ، وتراجمة كتابه الذين قاتلوا على تأويله كما قاتل آباؤهم على تنزيله فإنه تفسير عجيب أمره لطيف ظاهر نوره ، مشتمل من علم أئمة العترة على بحور تثلج أمواهها الصدور وتطلع متأملها على حقائق مذاهب العترة وما اختاروه لأنفسهم وأبنائهم وشيعتهم الصدور .

ورأيتهم **عليهم السلام** ينكرون كثيرا من تفسير غير الأئمة الأطهار ، وشيعتهم الأبرار ، ولا يرون ما اختاروه صوابا ، وهو عند أئمتهم غير مختار .

ومن ذلك قول **زيد بن علي** عليهما السلام فإنه قال في كتاب **الصفوة** [1] ما لفظه :(وقد رأيت ما وقع الناس فيه من الإختلاف تبرءوا وتأولوا القرآن برأيهم على أهوائهم ، اعتنقت كل فرقة منهم هوى ، ثم تولوا عليه ، وتأولوا القرآن على رأيهم ذلك بخلاف ما تأوله عليه غيرهم ، ثم بريء بعضهم من بعض ، وكلهم يزعم فيما تزين له أنه على هدى في رأيه وتأوله ، وأن من خالفه على ضلالة أو كفر أو شرك لابد لكل هوى منهم أن يقول بعض ذلك ، وكل أهل هوى من هذه القبلة يزعمون أنهم أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلمهم بالكتاب الذي جاء به وأنهم أحق الناس بكل آية ذكر الله فيها صفوة أو حبوة ، أو هدى لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلٌّ يزعم أنه إن خالفهم أهل بيت نبيئهم في رأيهم وتأولهم برئوا منه ، وأن أهل بيت نبيئهم صلوات الله عليه وعليهم لن يهتدوا إلا بمتابعتهم إياهم إلى آخر كلامه عليه السلام في هذا المعنى .

---

(١) ـ الصفوة ١٩٨ مجموع الرسائل

ومن ذلك قول الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في الإغترار بعلماء العامة وتركهم لطلب العلم من أهله ما لفظه :(فلما عموا عن حكمة الله في ذلك ورسله وما حكم به سبحانه من أحكام عدله) إلى قوله:(ولم يلقوا فيما اشتبه منه من جعلهم الله معدنه ، فيكشفوا لهم الأغطية عن حكم نوره ، ويظهروا لهم الأخفية عن مشتبه أموره ، الذين جعلهم الله الأمناء عليها ، ومَنَّ عليهم بأن جعلهم الأمة فيها ، ولما لم يجدوا عند علماء هذه العامة فيما اشتبه عليهم منه شفاء ، ولم يرج منه في مسألة لو كانت لهم عنه إكتفاء - ازدادوا بذلك إلى حيرتهم فيه حيرة ، ولم تزدهم أقوال العلماء فيه بصيرة .

ومن ذلك قول الإمام [الناصر لدين الله] [1]أبو الفتح الديلمي عليه السلام في البرهان[2] :(وقد عمل الناس في التفاسير الأعمال ، وبلغوا إلى كل غاية ومثال ، غير أن من فسر بعضه أو كله فسره على رأيه ومذهبه) .

ومن ذلك قول جبريل أهل الأرض المرتضى لدين الله محمد بن يحي عليهما السلام فإنه قال:(قد قرأنا من تفسير العامة كثيرا ، فرأيناهم يكثرون الزلل والخطأ ويقلبون المعاني عن الحق والهدى ، والتفسير فإنما هو لأهله بالتوفيق من الله لهم والمعرفة منه سبحانه ، فتأولوا ذلك بفضل الله وهدايته وتسديده لأوليائه .

وكثيرا من نحو هذا ذكره الهادي إلى الحق عليه السلام من تفسيرهم وقولهم وزهدهم في مذهب أهل البيت ، ومودتهم والإشتغال بعلومهم ومعرفة أقوالهم ولذلك قال بعض علماء أهل البيت عليهم السلام متعجبا ومذكرا :[(فلا تجد لأئمة آل محمد في كتبهم وتفاسيرهم ذكرا ، ولا تسمع لهم في مصنفاتهم خَبَراً ولا خُبْرا ، وتراهم

---

(١) - الزيادة من ب .

(٢) - الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى الديلمي الحسني المتوفى سنة ٤٤٤ من أئمة الزيدية في الجيل والديلم ، ثم في اليمن مولده ونشأته في الديلم وبها أخذ العلم حتى فاق في شتى العلوم وخصوصا في التفسير ودعا لنفسه بالإمامة هناك سنة ٤٣٠ وأخفق ثم ساح في الأرض فدخل مكة وانتقل منها إلى صعدة ، سنة ٤٣٧ فدعا بها لنفسه وجعل محل إقامته ذيبين ، واختط حصن ظفار ، وقاتل الصليحيين حتى قتل شهيدا في معركة معهم ببلاد عنس ، ومن آثاره البرهان في تفسير غريب القرآن خ ينقل عنه المؤلف كثيرا وانظر أعلام المؤلفين الزيدية والتحف .

يذكرون مذاهب جميع من على وجه الأرض من سعيد وشقي ، وعدو وولي ويتركون ذكر ذرية النبي] [١]ومصطفى الواحد العلي ، كيف وقد شهد لهم رسول ا الله صلى ا الله عليه وآله وسلم بملازمة الكتاب إلى يوم الحساب !! وأخبر أن فيهم العلم والصواب ، وأنزل فيهم قوله عز وجل :﴿**إنما يريد ا الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ والمطهر من الرجس لا يكون في دينه [٢] زلل ، ولا في قوله ميل ، ولا في تأويله للقرآن خطل ، فلم يكن عز وجل ليطهر من يكذب عليه فيكون من عانده أولى بالحق منه ، وهو عز وجل أعلم بالمفسد من المصلح ولو علم ا الله في هذه الأمة أنهم يقومون مقام أهل بيت نبيه لجعلهم مترجمين لكتابه ولكن ﴿**ا الله أعلم حيث يجعل رسالاته**﴾[٣] ﴿**وا الله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾ [٤].

قال بعض **الشيعة الأخيار** : (واعلم أنها لما رغبت أهل بيت نبيها وعاندت عن طريق أئمتها وهداتها ، وجمحت عن طاعتها ، وسعت في خذلانها وتكثير سواد عدوها عليها ، اضمحلت الأنباء ، وعمت الأشياء ، وغشت الظلماء ، وانقمع الضياء وهلك الأخيار ، وظهر الأشرار ، وا الله المستعان ، فإن مذهب أهل البيت عليهم السلام أسس على المحن ، وولد أهله في طالع الهزاهز والفتن ، والأيام عليهم متحاملة والدنيا عنهم مائلة .

وحكي عن أصحاب أبي حنيفة أنهم كانوا إذا تكلموا في المسألة عند أبي حنيفة وأرادوا ذكر **علي عليه السلام** قالوا: قال الشيخ ، ولم يفصحوا باسمه خوفا من السلطان ، وكان إذا سمى أحد ولده عليا قتلوه ، فكيف يظهر علم أهل البيت عليهم السلام مع طول المدة من دولة بني أمية إلى آخر دولة بني العباس وإلى يومنا هذا فإنهم على هذه الأحوال مع أنه ـ بحمد ا الله لإقامة حجج ـ لم يطف لعلومهم مصباح ولم

---

(١) ـ ما بين قوسي الزيادة موجود في المقصد الحسن لابن حابس .مخطوط

(٢) ـ اللفظ في (أ): والمطهر من الرجس لايكون في ذريته زلل .

(٣) ـ الأنعام : ١٢٠

(٤) ـ الصف : ٨

يخف لهم صباح ، علومهم في كل وقت ضاحكة الرياض عذبة الحياض ، أنيقة الأزهار طيبة الأثمار .

وفي هذا المعنى يقول **الإمام المنصور با لله عبدا لله بن حمزة** عليه السلام :(وإنما أتيت هذه الأمة من الإكتفاء بنفوسها ، وعدولها عن عترة نبيها صلى ا لله عليه وآله وسلم ، فخبطوا العشواء وتفرقوا لتفرق الأهواء ، فصاروا كالأعمى ينقاد للأعمى لايدرى أيهما أهدى ، فتاهوا في أودية الضلال ، وباعوا الماء بالآل ، وقد قال تعالى **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾** وقال تعالى:**﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** [1] وألوا الأمر هم آل محمد صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وهم بحار العلم وجبال الحلم ، وسفينة النجاة وماء الحياة وعصمة اللاجئين ، ونور الحكم ومنهاج الرحمة ، وسبيل الهدى ، وعروة ا لله الوثقى وحبل ا لله المتين ، وصراطه المستبين ، وورثة النبيين ، وأهل التأويل والتنزيل) إلى قوله عليه السلام :(فيجب على الناس جميعا إتباعهم ، وعليهم إتباع سلفهم إلى قوله عليه السلام :(فعليك باقتفاء آثارهم ، واحتذاء أمثالهم ، وترك التفريق بينهم لا يفرق بين أحد منهم لأن المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين) اهـ .

وأعلم أنه قد اعتل أولئك المتنكبون عن سبيلهم بآيات من الكتاب متشابهات حرفوها بالتأويل ، ونقضوا بها التنزيل ، كما فعل من كان قبلهم حرفوا كلام ا لله عن مواضعه ، وبأحاديث أفتعلها الضلال من بغاة الإسلام من المنافقين[2] [ووضع الفاسقين ، ووهم الواهمين ثم حشو الملاحدة وأهل البدع والأهواء من المارقين

---

(١) ـ النساء : ٨٣

(٢) ـ ما بين القوسين موجود في الفلك الدوار للسيد صارم الدين ص ٢٠ وهو في مقدمة الإعتصام للقاسم ص ٢٠ وانظر تعريف الفرق المذكورة فيها في ذلك ، أما شعبة فهو شعبة بن الحجاج العتكي محدث مشهور توفي سنة ١٨٢ هـ (انظر معجم رجال الإعتبار).

يحي بن معين : هو يحي بن معين بن عون المزني الغطفاني أحد الحفاظ وأئمة الجرح والتعديل عند القوم لم يسلم من لسانه أحد ، وخصوصا الشيعة توفي سنة ٢٣٣ (انظر معجم رجال الإعتبار) .

الخوارج [١] وعتاة **النواصب** [٢] وغلاة **الروافض** [٣] وطغام المجبرة [٤] **والمشبهة** [٥] وهمج **القصاص** [٦] **والوعاظ والحشوية** [٧] **وأغتام الظاهرية** [٨] **والكرامية** [٩] **والخطابية** [١٠] وغيرهم مما لا أحصى كثرة من المسترسلين في وضع الأخبار من عوام المتفقهين ونساك المتعبدين والمتصوفين الذاهبين إلى قبول المجهولين ، قال **شعبة** : لم يفتش أحد عن الحديث تفتيشي فوجدت ثلثي ما وجدت منه كذبا حتى قال ابن **معين** : كذبنا عن الكذابين].

وفي مقدمة **جامع الأصول** ما لفظه : قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: (إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا .

---

(١) ـ الخوارج : ابتداء امرهم وتسميتهم عندما خرجوا على الإمام علي عليه السلام في صفين ، وكفروا الإمام علي واستمروا كثيرا ، وحاربوا بني أمية في وقعات كثيرة ، من أهم رؤسائهم شبيب الخارجي ، وغزالة .

(٢) ـ النواصب : هم من ينصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ، أو يجحد فضلهم ، ويغمطهم حقهم .

(٣) ـ الروافض : وهم الذين تجاوزوا الحد في ادعاء حب أهل البيت عليهم السلام حتى أخرجوهم عن مصاف البشر وأول أمرهم عندما رفضوا القتال مع الإمام زيد عليه السلام ، فسماهم الإمام زيد روافض .

(٤) ـ المجبرة : هم من يقول بأن الله هو خالق الأفعال كلها ، وأنه ليس للعبد أي اختيار في فعله ذلك ، بل هو كالشجرة في مهب الريح ، كالجهمية ، ومن نحا نحوها من أهل الحديث .

(٥) ـ المشبهة : وهم الذين يشبهون الله بخلقه ، ويزعمون أنه له أيد وأرجل ، وأنه خلق نفسه على صورة آدمن ، وأنه يضع قدمه في جهنم ، وهم يقولون : نؤمن بهذه الأشياء كلها على الحقيقة ولانتصورها ، وهو عذر لايسمن في باب التنزيه لله سبحانه .

(٦) ـ القصاص : هم الذين دأبهم سرد الحكايات والأخبار من دون تحر للصدق والحقيقة والواقع .

(٧) ـ الحشوية : هم الذين يحشون في الأحاديث الكذب ، ويدسون فيها ما ليس منها ، وقد أطلق هذا على من دس فضائل المخالفين لأهل البيت عليهم السلام .

(٨) ـ الظاهرية : هم الذين يعملون بالظاهر من الألفاظ ، وينكرون المجاز ، وهذا كثيرا في أهل الحديث .

(٩) ـ الكرامية : أتباع محمد بن كرام ، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه ، وكَرَّام : بفتح الكاف وتشديد الراء ، قال في الفرق بين الفرق : الكرامية قالت بتجسيم المعبود ، وزعمت أنه جسم له حد ونهاية من تحته ، والجهة التي منها يلاقي عرشه .

(١٠) ـ الخطابية : طائفة منسوبة إلى الخطاب بن وهب الأسدي الأجدع ، وكانوا يدينون بشهادة الزور على من خالفهم لمخالفته في العقيدة ، ورئيسهم هو : محمد بن مقلاص أي زينب الأسدي ، وكنيته : ابو الخطاب ، أو أبو اسماعيل ، قتله عيسى بن موسى قائد المنصور بسبخة الكوفة ، راجع فرق الشيعة ص ٤٢.

إذا عرفت هذا فكيف يجوز الإعتماد في تفسير كتاب الله العزيز على نحو هذه الأخبار ، والإعراض عما رواه أئمة أهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم ، فالله المستعان .

وبأحاديث لم يعرفوا حسن تأويلها ، و لم يعنوا بتصحيحها ، فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، والله سبحانه قد حرم الإحتجاج بالشبه المضلة ؛ لأنه صد عن سبيل الله ، وأشد الناس ضلالا من كان ضالا وكان يعتقد في نفسه أنه محق ، ثم [إنه] لم يقتصر على ذلك ، بل بذل كل جهده في إلقاء غيره في مثل ذلك الضلال ، بإلقاء تلك الشبهات في القلوب ، معارضا بلمع السراب ماء الشراب ، فهذا الإنسان لاشك قد بلغ في الضلال إلى أقصى الغايات وأعظم النهايات .

كما [1] **قال بعض علماء أهل البيت** عليهم السلام في هذا المعنى :

فضلوا وأغووا من أضلوا بعلمهم ... وإن كان ما قالوه ليس بغامض

ولكنه من لم يحط أصل دينه ... عن الرفض لم يشعر بلبس المعارض

ومن لم يكن آل النبي هداته ... إلى الحق ألقى نفسه في المداحض

ولما كان لهؤلاء في كل عصر ورثة يتبعونهم حذو النعل بالنعل مع ادعائهم لمحبة أهل البيت عليهم السلام وروايتهم ما ورد فيهم على الخصوص من قواطع تلك الأدلة وصرائح النصوص .

قال بعض صفوة الشيعة الأبرار[2] وحتف النواصب الفجار [3]:(إني لأكثر التعجب وما عشت أراك الدهر عجبا من رجل عالم بمصادر الأمور ومواردها وكيفية الإستدلال ومقاصدها ، ودلالات الألفاظ على معانيها ، وتراهم وهم كثير ـ وما ذاك

---

(١) ـ اللفظ في ب ، ولهذا

(٢) ـ اللفظ في ب : ولقد صدق بعض صفوة الشيعة الأبرار ...... حيث قال .

(٣) ـ هو الحافظ شيخ الإسلام احمد بن سعد الدين المسوري [١٠٠٧ ـ ١٠٧٩] أحد علماء الزيدية الأعلام حافظ مجتهد شاعر بليغ من أصحاب الإمام القاسم بن محمد ، والمؤيد بالله محمد بن القاسم والمتوكل على الله إسماعيل كان مرجع العلماء في عصره ، ومسند آل محمد له عدد من المؤلفات ، منها : الرسالة المنقذة من الغواية في طرق الرواية خ ، والنص منقول منها .

إلا لإرادة ا لله عز وجل إظهار الحق على ألسنتهم وأيديهم حجة عليهم وإن راموا إنكارها - يوردون ويروون عن ا لله عز وجل وعن رسوله صلى ا لله عليه وآله وسلم تلك الأدلة والنصوص والقواطع ، في حق آل محمد عليهم السلام على الخصوص ، بما لا يمكن دفعه لفظا ولا معنى ولا سندا ولامتنا ، حتى إذا اسْتُنْتِجَتْ منهم فائدَتُها وطُلِبَتْ منهم عَائِدَتُها ، بوجوب إتباعهم الذي هو مقتضاه في علم أو عمل - أنكر وبرطم ، ولوى عنقه وتجهم ، إن ذكرت عنده خلافتهم رآها نكرا ، أو رأى من يتابعهم في مقالة أو مذهب عده مبتدعا ، أو سمع بقراءة في كتبهم ومؤلفاتهم أتخذها هزؤا ولعبا ، فما أدري ما أبقى لهم من معاني تلك الأدلة والنصوص ! وأي فضل ترك لهم على الناس إذ أوجب عليهم أن يكونوا تبعا وا لله قد جعلهم متبوعين ، ومؤخرين وا لله قد جعلهم مقدمين.

ثم نظم هذا المعنى فقال:

عجبت لمن يدين بحب قوم ... لهم فرض الودة والولاية
ويتلو فيهم آيات ربي ... وهل من بعد آي ا لله آية
ويروي فيهم سننا أنارت ... معالمها لكل أخي هداية
إذا ما أُسنِدَت فإلى رجال ... علت بهم أسانيد الرواية
وإن عرضت على ميزان معنى ... شهدن لها موازين الدراية
تناقلها أئمة ذا وهذا ... أما فيهم لذي عقل كفاية
[أقر بها العدو كما أقر الـ ... ـولي بها وبالغ في العناية]
فلما استُنتِجَت منهم بما لا ... يراد سواه حكم فيه رأيه
إذا ذكرت خلافتهم أباها ... وأظهر ميله عنها ونأيه
وإن ذكرت روايتهم رآها ... ضلالا فهو يركض في العماية
وإن سمع القراءة في كتاب ... لهم أبدى التوجع والشكاية

ونقص أئـمة الحق الأولى في   اتباعـــهم السلامة و الوقاية
ودعوى الـحق والتحقيق ممن   يدين بـما استبان من الغواية
ويزعم أنهم بلـغوا مقـامـا   من الإتـقان لـيس وراه غاية
وأن المرجئين ومن تلاهـم   من أرباب النـميمة والسعاية
أحق بالإتباع فليت شعـري   أذاك في الانتها أم في البداية؟

انتهى

ولما كان حالهم عليهم السلام والأمر فيهم وفي كتاب الله ــ والله المستعان ــ كذلك رأيت أن ابذل وأفرغ وسعي في التقرب إلى الله عز وجل ، بنقل ما ظفرت به من علوم أئمتنا عليهم السلام في التفسير مستعينا بالله اللطيف الخبير ؛ حفظا لعلومهم وتبركا بكلامهم ، وصلة مني لهم عليهم السلام ؛ لينجيني الله إن شاء الله بعفوه من النار بنجاتهم ، ويحشرني إن شاء الله في زمرتهم ، ويجعلني برحمته وكرمه من وفدهم إلى دار السلام ، وأرجو بذلك إن شاء الله أن يمتاز الصحيح من السقيم ، والأعوج من المستقيم ، ليهتدي بذلك من أراد الرشاد ، ولتثبت به الحجة على من سلك طريق العناد **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسمع عليم﴾** [1].

مع أن النصيحة كما قال بعض **خلص الشيعة** :كانت من أركان الإسلام ، ومن أسباب الدين بقول خاتم النبيين عليه صلوات رب العالمين ، بل النصيحة في الدين ، والدعاء إلى الحق المبين من سنن جميع المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين **فنوح** صلى الله عليه قال:**﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾** [2] **وهود** عليه السلام قال:**﴿وأنا**

---

(١) ـ الأنفال : ٤٢
(٢) ـ الأعراف : ٦٢.

لكم ناصح أمين﴾ [١] وصالح عليه السلام :﴿**ونصحت لكم**﴾ [٢] والرجل المؤمن قال لموسى عليه السلام :﴿**فاخرج إني لك من الناصحين**﴾[٣].

ولو لم يكن في ذلك إلا ماروراه **الإمام أحمد بن سليمان** عليه السلام بالإسناد المعتمد عليه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(ما أهدى المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة يسمعها فانطوى عليها ، ثم علمه إياها يزيده الله بها هدى ، أو يرده عن ردى ، وإنها لتعدل إحياء نفس ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، لكفى بذلك باعثا لأهل العلم على بذل النصيحة وإرشاد العباد إلى المذاهب الصحيحة إذ كان [ذلك] [٤] سببا للفوز في المحشر ، ووسيلة إلى النجاة يوم الفزع الأكبر ، مع اعتقادي بتقصيري عن رتبة المصنفين ، ومحل الأئمة المؤلفين ، فاستعصم الله بعصمته التي لا تهتك ، وأسترشده السبيل الذي ينجو به من هلك ، وأستوهبه التوفيق لهدايته ، والحظ الوافر من طاعته ، وأرغب إليه في الهام حكمته واجتناب معصيته ، وهو حسبي فنعم الهادي إلى صراط مستقيم من ملته ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الذين جعل رسول الله المتمسك بهم كالراكب مع نوح في سفينته ، والعادل عن منهاجهم كمن غرق من أمة نوح بمخالفة دعوته .

---

(١) ـ الأعراف : ٦٨

(٢) ـ الأعراف : ٧٩

(٣) ـ القصص : ٢٠

(٤) ـ الزيادة من ب .



مقدمة

في ذكر شئ من فضائل القرآن وإعجازه وأقسامه

قال الإمام الصوام القوام أحمد بن سليمان عليه السلام :[إعلم] (١) (أن ا لله تعالى جعل كتابه حجة على العباد ، وداعيا إلى الحق والرشاد ، وزاجرا عن الغي والفساد ومرغبا في الجنة، ومخوفا من النار ، وجعله مؤكدا لحجة العقول ، وشاهدا بصدق الرسول ، وحاكما بين الناس ، ومبينا للإلتباس ، وجعل فيه جميع ما يحتاج إليه من علم الأصول والفروع ، ومعرفة الحلال والحرام ، ومعرفة القضاء والأحكام والمواريث وعلم الشرع ، وقصص الأولين ، ونبأ ما يكون في يوم الدين ، وجعله نورا للمؤمنين ومبينا للمهتدين ، وجعله بالغا موجزا ، وقريب المتناول معجزا ، وقد سماه ا لله هدى وموعظة وذكرى وعزيزا ومباركا ، ونورا قد مثله ا لله بالمصابيح وبالنجوم ، حيث يقول عزمن قائل :**﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾** (٢).

وفي فضائله ما يقول رب العالمين :**﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**(٣) وقوله تعالى :**﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل ا لله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾** (٤) وقوله تعالى :**﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾** (٥) وكفى شرفا أن يكون نزل من عند رب العالمين نزل به الروح الأمين إلى محمد خاتم المرسلين صلوات ا لله عليه وعلى أهل

---

(١) ـ الزيادة من ب .

(٢) ـ الواقعة : ٧٥ـ ٨٠

(٣) ـ الإسراء : ٨٢

(٤) ـ يونس : ٥٧ ـ ٥٨

(٥) ـ الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥

بيته الطيبين ، وبأنه كلام الله جعله وأحدثه كما قال تعالى :﴿**ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾ [١].

قلت: وإنما يكون هدى ونورا وموعظة وشفاء لأن الله عز وجل جعلهم له ورثة ولما مر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(فمن ابتغى الهدى في غيره أو سأل عنه غير أهله أضله الله) [٢] والله عز وجل يقول فيه :﴿**هدى للمتقين**﴾ أي زيادة هدى لأنهم المنتفعون به ، ويقول سبحانه :﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**﴾ [٣] ويقول تعالى :﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾ [٤] وقال تعالى :﴿**إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾ [٥] ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون**﴾ [٦] ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليه ولعلهم يتفكرون**﴾[٧] ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾[٨] وأكد ذلك بتكريره في السورة إلى أشباه ذلك ، مما يدل على أن تعلقه ومعرفة المراد به مراد لله تعالى ، ولما يأتي إن شاء الله [من] [٩]كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي ذلك يقول نجم آل الرسول الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام :(إن القلوب كالأبنية المصدوعة فيما ينازع إليه من غرائزها المطبوعة ، فَرُمُّوها بالعلم بكتاب الله ، والوقوف على محكم تأويله ، ففي هذا لها تقويم وتعديل وهداية ونور ودليل على منهاج خالص الطريق المستأثر بها في حب الله وطاعته ، وما أوجب الله

---

(١) ـ الأنبياء : ٢

(٢) ـ (فمن ابتغى الهدى في غيره) الخ هو من حديث يأتي تخريجه .

(٣) ـ فصلت : ٤٤

(٤) ـ ص : ٢٩

(٥) ـ يوسف : ٢٠

(٦) ـ الدخان : ٥٨

(٧) ـ النحل : ٤٤

(٨) ـ القمر : ٢٢، ٣٢، ٤٠

(٩) ـ الزيادة ليستقيم الكلام ، واللفظ في ب : ولما سيأتي إن شاء الله تعالى .

على العباد من أثرته وعبادته ، فبكتاب ا لله تنجلي عن القلوب ظلم الحيرة ، وبلطيف النظر فيه تدرك حقائق العلم والبصيرة ، وقد زعم بعض أهل الحيرة والنقص ، ومن لا يعرف النجاة والتخلص : إن الألطاف في النظر تدعو صاحبه إلى الخيلاء والبطر ، وإنما يكون ذلك كذلك عند من يريده للترؤس لا لما فيه ، ولما جعله ا لله عليه من حياة الأنفس ، فاتقوا [1] مثل هذا عن ضمائركم وسددوا ثلمة [2] عيبه عن سرائركم .

فعلم القرآن على هذه الطريقة هو العلم النافع الذي يقول ا لله عز وجل فيه : **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾** [3].

قال الإمام المنصور با لله عبد ا لله بن حمزة عليهم السلام :(والحكمة العلم النافع وهو علم القرآن وتفسير معانيه وتفصيل مجمله والمعرفة بأحكام أوامره ونواهيه ومحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه ومجمله ومبينه ، وناسخه ومنسوخه ، والإعتبار بغيره والفهم لأمثاله العجيبة وقصصه الغريبة ، فهذا عندنا رأس الحكمة ومفتاح الرحمة).

ومن شرفه : أن ا لله فضل الليلة التي أنزل فيها وهي ليلة القدر على ألف شهر قال ا لله تعالى : **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك مالية القدر ليلة القدر خير من ألف شهر﴾** [4] .

ومن شرفه أنه أكبر معجزات رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم .

ومن إعجازه أن ا لله تحدى الكفار أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم يكونوا على ذلك من القادرين مع فصاحتهم وبلاغتهم ، فرجعوا إلى الحرب واستسهلوا من دونه الطعن والضرب .

---

(١) ـ فانقوا ظ .

(٢) ـ الثلمة : كَبُرْمَة ، الخلل الواقع في الحائط وغيره ، والجمع ثُلَم كبرم ، ومنه الحديث (إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لايسدها شئ) مجمع البحرين ١/٣٢٢

(٣) ـ البقرة : ٢٦٩

(٤) ـ القدر : ١ ـ ٣

وقد قال إمامنا المنصور با لله القاسم بن محمد رحمة ا لله عليه في آيات الأحكام ما لفظه :(قوله تعالى :﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [١] إلى قوله تعالى :﴿فاتقوا النار﴾[٢] الآية إلى آخرها تدل على أن السورة الواحدة معجزة وأن معارضتها بمثل لها مستحيل ومن أنكر ذلك كفر ، وأن فعل التقوى الجامعة للإيمان با لله والقيام بالواجبات المحرمات خشية من النار مجير ومنج من النار ، وأن القائم بذلك كذلك قائم بما فرض ا لله عليه . أهـ

وقد اجتهد كفار العرب وأهل الكتابين على أن يأتوا بسورة مثله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا مع أنهم وجدوا فيه من البلاغة والكمال والفصاحة ، وضرب الأمثال مابذ [٣] الفصحاء والشعراء ، ووجد أهل الكتابين فيه من علم الأولين والآخرين ما استيقنوا به أنه من رب العالمين ، فمنهم من صدقه وآمن به كما قال عزمن قائل : ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾[٤] وقوله :﴿يؤتون أجرهم مرتين﴾ يعني المرة الأولى بما علموا في التوراة وآمنوا وصدقوا، والمرة الأخرى إيمانهم بالقرآن ومحمد صلى ا لله عليه وآله وسلم وتصديقهم وعملهم فهؤلاء هم المفلحون ، ومنهم من كفر به وأعرض عنه مع أنهم [قد] [٥] وجدوا فيه مايوافق ما عندهم من العلم فألحدوا فيه ، وقالوا:﴿إنما يعلمه بشر﴾ [٦] وقد حكى ا لله [ذلك] [٧] عنهم فقال تعالى :﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد

---

(١) ـ البقرة : ٢٣

(٢) ـ البقرة : ٢٣

(٣) ـ في الحديث (إذا قال بذ القائلين) أي سبقهم وغلبهم ، من قولهم : بذه يبذه بذاذا ، أي غلبه وفاقه ، مجمع البحرين ١٧٠/١.

(٤) ـ القصص : ٥٢ ـ ٥٣

(٥) ـ الزيادة من ب .

(٦) ـ النحل : ١٠٣

(٧) ـ الزيادة من ب .

جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ [١] وقد رد الله عليهم قولهم واحتج عليهم بالحجة التي لم يجدوا لها مدفعا حيث يقول عز من قائل :**﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾** [٢]وكان من إعجازه تصديق القصص الذي في كتب الأنبياء المتقدمين وما فيها من ذكر ما يكون في يوم الدين .

ومن إعجازه قوله عز من قائل :**﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾** [٣] وفي هذا كفاية في الإعجاز ، مع ما فيه من حلاوة اللفظ ، وعذوبة المنطق ، وحسن المعاني كما قال بعض القائلين:

يزداد في طول التلاوة جِدَّة ومتى يعد شئ سواه يخلق

وقد وردت في فضل تلاوته أخبار كثيرة من ذلك مارواه **الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم** عليهما السلام في كتابه دعائم الإيمان قال عليه السلام : قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(الحاذق بتلاوة القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند متشابهه ويستعمل كل حرف فيما أمر به فذلك الماهر في القرآن وهو القائم بحدوده آناء الليل والنهار ، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له ثواب القرآن مرتين أي بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول : ألم حرف ، ولكن أقول : الألف حرف ، واللام حرف ، وميم حرف ، فذلك ثلاثون حسنة) [٤] أهـ

---

(١) ـ الفرقان : ٤ ـ ٧

(٢) ـ النحل : ١٠٣

(٣) ـ الإسراء : ٨٨

(٤) ـ اختلف الناس في اسمه ولقبه واسم أبيه إلى أكثر من خمسين قولا ، قال حسين أسد محقق سند أبي يعلى : " اختلافا لم يحصل مثله في اسم أحد في جاهلية أو إسلام ، أسلم عام خيبر ومكث في الصفة أكثر من عام ، وأكثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول راوية أتهم في الإسلام> انظر معجم الرواة في أمالي المؤيد بالله

وكذلك فضل استماعه ولا يمتنع أن يكون الإستماع أفضل من القرآءة عند أمور **منها:** أن يكون في الجماعة من هو أجود قراءة وأصح ضبطا فيكون استماعه أولى لأمرين : **أحدهما** : ما يحصل من تعلم القراءة القوية فيكون جمعا بين العلم والعبادة .

وثانيهما : الإحتراز من اللحن لو قرأ ضعيف القراءة لنفسه .

ومنها: أن يكون الإستماع أدعى إلى التدبر والتفهم والخشوع .

ومنها: أن يكون في قراءة كل من الحاضرين تخليط للقراءة وتشويش على المستمعين ونحو ذلك، فأما إذا عدم وجه ترجيح فقراءة كل منهم لنفسه أفضل .

وفي **البخاري** وغيره عن **ابن مسعود** قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(اقرأ علي سورة النساء قال: قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه حتى انتهيت إلى قوله :**﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾** [1] فرفعت رأسي فإذا عيناه تهملان) [2]. وفي رواية (تذرفان) .

قال **الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الديلمي** عليه السلام في **برهانه** :(روينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر ثلاث مرات ، فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) [3].

---

(١) - النساء : ٤١

(٢) - في البخاري (تذرفان) وفي مسلم (فرأيت دموعه تسيل) وفي الترمذي (تهملان) والحديث أخرجه بألفاظ مقاربة أبن حبان ٩/٣ رقم ٧٣٥، ١٥رقم ٧٠٦٥، وأخرجه مسلم رقم ٨٠٠، والبخاري رقم ٤٥٨٢، ٥٠٤٩، ٥٠٥٠، ٥٠٥٥، ٥٠٥٦، وابو داود ٣٦٦٨، والترمذي ٣٠٢٨، وفي ...رقم ٣١٦، وابن أبي شيبة ٥٦٣/١٠، وأحمد ٣٨٠/١، ٤٣٣، والبغوي في شرح السنة : ١٢٢٠، والطبراني :٨٤١٠، ٨٤٦٢، ٨٤٦٣، ٨٤٦٧، و الحميدي : ١٠١، والحاكم : ٣٢٩/٣، وصححه وأقره الذهبي.

(٣) - حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أخرجه أحمد ٣٠٠/٢، والطبري عن أبي هريرة بلفظ (أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء في القرآن كفر فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) وهو في مجمع الزوائد ١٥١/٧، وقال: رواه أحمد بإسنادين أحدهما رجال الصحيح ، وله شواهد عن أبي هريرة ، وأبي بن كعب وهشام بن حكيم بن حزام وغمر وغيرهم ، وقد عمل الإمام زيد بن علي عليه السلام رسالة قصيرة حققها الدكتور الحكيم ، بعنوان الأحرف السبعة في القرآن ، وشرح معنى ذلك فلينظر في الكتاب المطبوع .

وأما تفسير قوله :(**سبعة أحرف**) فإنما هي **أمر ونهي وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل** .

وأما إعجاز القرآن فقد اختلف فيه الناس على ثمانية أوجه :

أحدها: أن وجه إعجازه هو الإيجاز والبلاغة مثل قوله تعالى :﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾[1] فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير .

والثاني: أن وجه إعجازه هو البيان والفصاحة كالذي حكاه بعض أهل العلم : أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ :﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ [2] فسجد فقال: سجدت لفصاحة الكلام ، وسمع أخر رجلا يقرأ ﴿**فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا**﴾[3] فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وحدثنا بعض أهل العلم بإسناد له رفعه إلى عالم من علماء أهل اللغة (أنه رأى في تطوافه بالبادية جارية خماسية [4] فصيحة فأعجبته فصاحتها وبراعتها ، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك ؟ فقالت له : أو تعد هذا فصاحة بعد قول الله سبحانه وتعالى ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولاتحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾ [5] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين [وخبرين] [6] وبشارتين .

والثالث : أن وجه إعجازه هو الوصف الذي تقضي به العادة ، حتى صار خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والهزج ، ولا يدخل في شئ منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه حروف من جنس كلامهم مستعملة في نظمهم ونثرهم .

---

(١) ـ البقرة : ١٧٩

(٢) ـ ﴿وأعرض عن المشركين﴾ الحجر : ٩٤

(٣) ـ يوسف ٨٠

(٤) ـ في المعجم الوسيط : الخماسي من الغلمان والثياب : ماطوله خمسة أشبار .

(٥) ـ القصص : ٧

(٦) ـ الزيادة من ب .

والرابع : أن قارئه لا يكل وسامعه لا يمل ، ولا تزيده [١] كثرة تلاوته إلا حلاوة في النفوس وميلا في القلوب ، وغيره من الكلام وإن كان مستحلى النظم مستحسن النثر يُمَلُّ إذا أُعِيْد ، ويُستَثْقَلُ إذا رُدِّدَ .

والخامس : أن إعجازه هو ما فيه من الأخبار مما علموه أو لم يعلموه فإذا سألوا عرفوا صحته وتحققوا صدقه ، كالذي حكاه من قصة أهل الكهف ، وموسى والخضر وذي القرنين ، وقصص الأنبياء مع أممهم .

والسادس : أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب والأخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته ، مثل قوله تعالى :﴿**قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾ [٢] ثم قال:﴿**ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين**﴾ [٣] وقوله لقريش:﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**﴾ [٤] فقطع بأنهم لا يفعلون .

والسابع : أن وجه إعجازه هو كونه جامعا لعلوم لم تعرفها العرب ولا يتعاطى عليها فيها الكلام ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد ، ولا يشتمل عليها كتاب قال عز من قائل:﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾ [٥] وقال:﴿**تبيانا لكل شيء**﴾ [٦] وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من طلب الهدى في غيره ضل)﴾.

والثامن: الصرفة وهو أن الله سبحانه صرف هممهم عن معارضته ، مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله فلم تخدعهم أنفة التحدي ، وصبروا على نقيصة العجز فلم

---

(١) ـ اللفظ في ب : ولايزيد على كثرة تلاوته .

(٢) ـ البقرة : ٩٤

(٣) ـ البقرة :٩٥

(٤) ـ البقرة : ٢٤

(٥) ـ الأنعام : ٣٨

(٦) ـ النحل : ٨٩

يعارضوه وهم فصحاء العرب مع توفر دواعيهم على إبطا له ، وبذل نفوسهم في قتاله فصار بذلك معجزا لخروجه عن العادة كخروج المعجزات .

روينا عن **الحارث الأعور** [1] قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الحديث فدخلت على أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الحديث ؟ فقال: أوقد فعلوها ؟ قلت: نعم ، قال: أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إلا إنها ستكون فتنة فقلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: كتاب الله عز وجل فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذي لاتزيغ به الأهواء ، ولا يلبس به الألسنة ولايشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الترديد ، ولاتنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا:﴿**إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به**﴾ من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور).

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: :(لتكثرن علي الكذابة فما حدثتم به فاعرضوه على كتاب الله عز وجل فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه) .

وقد روي في بعض وصايا السلف أنه قال: أتخذ كتاب الله إماما وارض به حكما وقاضيا هو الذي استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الطاهرين من عترته شفيع مطاع وشاهد لايتهم ، فيه خبر ما قبلكم وخبر ما فيكم وذكر ما قبلكم وذكر ما معكم) .

---

(١) - ستأتي ترجمته

ورويناعن **أمير المؤمنين عليه السلام** أنه قال وقد أهوى بيده نحو المشرق : وهذه الفتن قد أضلت كأنها قطع الليل المظلم كلما مضى منها رَسَلٌ بدا رَسَل [1] ويل للعرب من شر قد اقترب ، إلا من فزع إلى الله عز وجل وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فعمل بمحكم الكتاب وآمن بمتشابهه ، يصبح الرجل مؤمنا فيها ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يموت فيها قلبه كما يموت فيها بدنه يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل).

ورويناعن **أمير المؤمنين علي** عليه السلام أنه قال:(ما أنزل الله في القرآن آية إلا أحب أن يعلم العباد منها ما يعني بها).

وعنه عليه السلام :(ما من شئ إلا وعلمه في القرآن لكن رأي الرجل يعجز عنه).

وزوينا عن بعض الصالحين أنه قال:(**ثلاثة** لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الرياح في مكان سحيق أحب إلي من أن أكون أحدهم : **قوم** استحلوا أحاديث لها زينة وبهجة وسيبوا القرآن . **وقوم** أطاعوا المخلوق في معصية الخالق . **والخوارج**).

ونرجو أن يكون لأمة جدنا انتباه ورجوع إلى الحق واتباع لما أمروا باتباعه من أئمة الهدى الذين لا يدخلون أحدا في باب ردى ، ولا يبيعون الأحكام باليسير التافه من الحطام ، بل هم تقاة أمناء ، عدول خلفاء ، ومصابيح لكل من اهتدى بهم وأضواء ، لم يتعلموا للنفاسة [2] ولم يدعوا الخلق إلى طاعة الله عز وجل للتكثر بهم والرياسة ، دعوهم لينفعوهم وطلبوهم ليهدوهم ، وأرادوهم ليفدوهم ، فمن تعلق بهم نجا ، ومن تخلف عنهم هوى ، ومن استخف بأمرهم تردى ، هم الذين درجوا [3] من ذكر

---

(١) - الرَّسَل : القطيع من الإبل والغنم وغيرهما ، والجماعة من الناس . المعجم الوسيط ، وقال في معجم مااستعجم للأندلسي ١/٧٣ : رسل : بالتحريك ، وهي الجماعات يتلو بعضها بعضا ، وجمعه أرسال .

(٢) - النفاسة : من نفس الشئ بالضم نفاسة ، أي صار مرغوبا فيه ، ونافست في الشئ منافسة ونفاسا : إذا رغبت فيه على وجه المباراة .

(٣) - يقال : درج الشئ والصبي درجانا : مشى مشية الصاعد في درجه ، والمراد هنا نشأ ، وقد استعير الدرج للموت كما يقال : درج صغيرا ، انظر مفردات الراغب ص ١٦٧.

الوحي والتنزيل ، وخرجوا من صميم المعرفة والتأويل ، وهم شهداء الله على خلقه العدول الذي لا يدانيهم التغيير والتحويل والحمد لله على ما خصنا به من الأكرومة [١] وأخرجنا من خير الأرومة [٢] وأمدنا بتأييده حتى سلكنا طريق الصواب ، وتجنبنا مواقف الشك والإرتياب ، وذكرنا لأمة جدنا من علم الكتاب على سبيل الإستقامة والصواب ماها به المخلص إن أرادته ، وفيه الفوز إن أممته) اهـ كلام **البرهان**.

فصل

في ذكر وجوه اشتمل عليها القرآن الكريم

قال **الإمام احمد بن سليمان عليه السلام** : (واعلم أن القرآن مبني على وجوه : فمنه **المحكم** ، ومنه **المتشابه** ، ومنه **المجمل** ، ومنه **المفسر** ، ومنه **الظاهر** ، ومنه **الغامض** ، ومنه **الناسخ** ، ومنه **المنسوخ** ، ومنه **الجواب** ، ومنه **مفهوم الخطاب** ومنه **الحقيقة** ، ومنه **المجاز** ، ومنه **ما هو في مخرجه عام ومعناه خاص** ، ومنه **الخاص** ، ومنه **العام** ، ومنه **مايوجب العلم** ، ومنه **مايوجب العمل** ، ومنه **القصص والأخبار والأمثال** ، ومنه **الأمر والنهي** ، ومنه **الوعظ والزجر والترهيب** ، ومنه **الوعيد والوعد** ، وغير ذلك .

فأما **المحكم** فيحكيه قول الله عز وجل :﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر ألا أولوا الألباب**﴾[٣].

---

(١) ـ الأكرومة : من الكرم كالأعجوبة من العجب .

(٢) ـ الأرومة : جمعها أروم بمعنى الأصول ، البداية والنهاية ٣١٧/٢.

(٣) ـ آل عمران : ٧

فالمحكم هو الجلي البين الذي يكون تأويله موافقا لتنزيله وهو الأكثر والمعمول عليه والأحسن ، وهو أصل الكتاب والذي يرجع إليه ، والمحكم مالا يحتمل إلا وجها واحدا ، ويعرف المراد بظاهره .

والعلة في المتشابه البلية والإمتحان لأهل العقول السنية ، وهو مردود إلى المحكم ، قال الله تعالى :﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات**﴾ الآية ، فبين الله تعالى أن الكتاب منه المحكم ومنه المتشابه ، وأخبر أن المحكم هو الأصل المعمول عليه ، لأن أم الشئ أصله.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهم السلام :(لأن بجهل المحكم والمتشابه هلك كثير من الناس ، فادعى في المحكم أنه متشابه ، والمتشابه أنه محكم وعرض تأويل ما يعارض مذهبهم من محكم الكتاب .

واعلم أيها المسترشد أن التأويل لا يسلم للمتأول جزافا فلا بد أن يطلب على صحة تأويله برهانا ، فإن أقام الدلالة ونصب البرهان قبل قول الخصم طائعا أوكارها [فإن] [1]كابره مكابرة ظاهرة ، كان عند المستحفظين خائنا ، وعند الله مائنا ،وكفى بنفسه عليه حسيبا ، وبعقله على اختلاله رقيبا ، وإن لم يقم دلالة ولانصب برهانا لم يعط مراده بقوله ولا ينفعه تأويله .

قال عليه السلام : فحقيقة المتشابه : كل لفظ إذا أطلق عليه سبق إلى فهم السامع معنيان ، أو ثلاثة أو أكثر بعضها صحيح وبعضها فاسد ، فيبقى متردد الفهم بين تلك المعاني ، فيقع الإشتباه عليه حتى يميز بعضها من بعض بالبرهان العقلي والشرعي كالشاهدين العدلين يقعان لإحدى الدعاوى فيستحق المدعي ويبطل كلام الآخرين بعد أن كانوا قبل الشاهدين على سواء .

وأما المحكم فعلى وجهين أيضا **أحدهما** : ما صح المراد في باب الحكمة وأحكمت آياته ورصفت من الخلل ، لأن الحكم في الأصل هو المنع ، ومنه أخذت حكمة الدابة لأن يمنعها من العدوان ، فكذلك الحاكم ، والحكمة تمنع صاحبها من التعدي والمحكم

(١) ـ الزيادة ليستقيم اللفظ ، ففي أ : أو كابره مكابرة

كالمانع ، والممنوع عن الإضلال في وجه من الوجوه ، أوفي كل وجه فعلى هذا الوجه يحمل القرآن كله على أنه محكم ؛ لأن ألفاظه صحيحة ووصفه بريء من الخلل والغلط وعليه يحمل قوله تعالى :﴿**الر كتاب أحكمت آياته**﴾ [١] فوصف القرآن كله على هذا المعنى بأنه محكم .

والوجه الثاني من معنى المحكم : أن كل لفظ إذا أطلق سبق إلى فهم السامع منه معنى أو معنيان يشهد بصحتهما دلالة العقل وصريح السمع يحكيه قول الله تعالى : ﴿**منه آيات محكمات هن أم الكتاب**﴾ فلم يصف بالإحكام على الوجه الأخير إلا البعض لأنه تعالى قال:﴿**منه آيات محكمات هن أم الكتاب**﴾ أي أصله الذي يرجع إليه ﴿**وآخر متشابهات**﴾ فنوعه نوعين ، فلولا حملنا له على هذه المعاني الصحيحة لكان عز من قائل متناقضا ، لأن الشئ الواحد لا يكون بصفتين متنافيتين في حالة واحدة ، ولايسوغ ذلك عقل سليم).

ثم قال عليه السلام :(ولا يحسن أن يخاطبنا سبحانه بخطاب لا نفهم معناه ، والدليل على ذلك أنه تعالى حكيم لا يفعل القبيح ، أما أنه حكيم فلأنه عالم غني ، ولا يقع القبيح والعبث إلا من الجاهل المحتاج ، وقد صح علمه ، بوجود الأفعال من قبله محكمة ، وغناه باستحالة الحاجة عليه فإذا خاطبنا بخطاب لا يفهم كان كمخاطبتنا للعرب بالزنجية ولا ترجمان ، فإن ذلك يكون عبثا لأنه لا يخلو إما أن نريد معرفة ما نكلمه به أولا نريد ، فإن لم نرد كان الخطاب عبثا ، وإن أردنا كان الخطاب قبيحا ، لأنا نكلفه علم مالا سبيل له إلى علمه ، وتكليف مالا يفهم معناه قبيح ، يعلم بقبحه كل عاقل ، فإذا تقررت هذه الجملة ثبت أنه لايجوز أن يكون في كتاب الله سبحانه ما لا يفهم معناه ، فإذا كلفنا معرفة معناه فلا بد من طريق إلى ذلك وإلا قبح .

قال عليه السلام : والطريق إلى معرفة معناه العقل والنقل واللغة ، فاللغة العربية لساننا وميداننا .

---

(١) - هود : ١

والنقل : هو ما جاءنا عن نبيئنا صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن سلفنا الصالح من ذريته سلام الله عليهم .

والعقل هو الذي يلزم به التكليف من قبله تعالى ، وتقوم به الحجة على العبد ، فهذا شرح المحكم والمتشابه .

ثم ذم سبحانه من يتبع المتشابه فقال عز وجل :﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة**﴾ يريد بالفتنة المجادلة للحق وأهله ﴿**زيغ**﴾ أي ميل عن الحق وأهله لغرض من الأغراض كما قال الشاعر:

ترى السفيه له في كل مُحْكَمَة   زيغٌ وفيه إلى التَّشبيه إِصغاءُ

والإستدلال بالمتشابه كقوله تعالى :﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة**﴾ (١).

[قال **الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام** قول الله تعالى :﴿**لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾ (٢) وقوله:﴿**تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا**﴾(٣) وقوله:﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾(٤) ثم بين الله تعالى تحريم الخمر والميسر بآية محكمة ، فقال عزمن قائل :﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾ (٥)فبين الله تعالى بهذه الآية تحريم الخمر والميسر ، وقد قال غيرنا: الآيات الأولة توجب الترخيص ، وقد نسخ الترخيص بهذه الآية ، وهي ناسخة وعندنا أنه لم يكن في الخمر والميسر ترخيص ؛ لأن الله تعالى لم يكن لينعم على عباده بالعقول ويجعلها أكبر حجة عليهم ثم يحل لهم شئ يفسد عليهم عقولهم ، ويحمل قول الله تعالى :﴿**لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ الآية على سكر

---

(١) ـ القيامة : ٢٢

(٢) ـ النساء : ٤٣

(٣) ـ النحل : ٦٧

(٤) ـ البقرة : ٢١٩

(٥) ـ المائدة :٩٠

النوم ، إلى آخر كلامه عليه السلام في الحقائق] (١) فما ورد من المتشابه فالواجب رده إلى المحكم كما أمر الله تعالى بذلك .

مسائل الشاك

قلت : ومن المتشابه مسائل الشاك(٢) حين سأل أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة** التي رواها [عنه عليه السلام] (٣) **محمد بن إسحاق الكوفي الأنصاري** من طريقين :

إحداهما : عن أبي **معشر السعدي**(٤) وقد كان أدرك **عليا عليه السلام** .

والأخرى: عن **أبي إسحاق** (٥) عن الحارث عن **علي عليه السلام** قال:(أتى رجل **عليا عليه السلام** فقال : **يا أمير المؤمنين** إني شككت في كتاب الله المنزل .

فقال له **علي**:ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل ؟ .

---

(١) ـ الزيادة موجودة في أ ، وليست موجودة في ب .

(٢) ـ مسائل الشاك متداولة معروفة قد رواها غير واحد بسند متصل، منهم المؤلف رواها عن الإمام القاسم بن محمد، والعلامة الطبرسي في كتابه الاحتجاج.

(٣) ـ الزيادة من ب .

(٤) ـ أبو معشر السندي وليس السعدي : هو نجيح بن عبدالرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم قيل توفي سنة ١٧٠هـ قال في تهذيب الكمال : رأى أبا أمامة بن سهل بن حنيف ، وله رؤية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انظر تهذيب الكمال ٣٢٢/٢٩

(٥) ـ أبو إسحاق السبيعي : عمرو بن عبد الله بن علي ، الحافظ الكبير من أكثر الناس ولاء لأهل البيت توفي رحمه الله سنة ١٢٧هـ وقيل: سنة ١٢٨هـ عده الحافظ ابو عبدالله العلوي فيمن روى عن الإمام زيد بن علي عليه السلام من التابعين ، وقال المزي: كان رحمه الله من العلماء العاملين ، ومن جلة التابعين ، انظر معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين .

والحارث : هو الحارث بن عبد الله بن جابر الهمداني الأعور : ابو زهير المتوفى سنة ٦٥هـ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كان من أفقه الناس وأفرض الناس ، تعلم الفرائض على أمير المؤمنين ، وقد أسيء الظن فيه من قبل القوم لما عرف من مذهبه في التشيع قال الذهبي : حديث الحارث في السنن الأربع والنسائي رغم تعنته في الرجال قد احتج به ، وقوى أمره ، والحارث عالم عارف محدث ثقة ، موال لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (انظر رجال الإعتبار وسلوة العارفين) .

فقال الرجل: إني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضا ، وينقض بعضه بعضا ولايصدق بعضه بعضا ، وكيف لا أشك فيما تسمع يا أمير المؤمنين !! .

فقال له **علي عليه السلام** :<إن كتاب الله يصدق بعضه بعضا ولا ينقض بعضه بعضا ولا يكذب بعضه بعضا، ولكنك لم تستعمل عقلا تنتفع به ، فهات الذي شككت فيه> .

فقال : إني أجد الله يقول في كتابه:﴿**اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾[١]ويقول:﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾[٢] ويقول:﴿**وما كان ربك نسيا**﴾ [٣] فمرة ينسى ومرة لا ينسى ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع ؟.

فقال له **علي عليه السلام**:<ويحك هات ما شككت فيه> .

فقال: وأجد الله يقول :﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾[٤] ويقول عن مقالتهم:﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ [٥] أفصواب ذلك ؟ ويقول:﴿**يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا**﴾[٦] ويقول:﴿**إن ذلك لحق تخاصم أهل النار**﴾[٧] ويقول:﴿**لا تختصموا لدي**﴾[٨] ويقول:﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾[٩] فمرة يتكلمون ومرة لا يتكلمون ، ومرة تنطق الجلود والأيدي والأرجل ومرة لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ؟ ومرة يقول عن مقالتهم

---

(١) ـ الأعراف : ٥١

(٢) ـ التوبة : ٦٧

(٣) ـ مريم : ٦٤

(٤) ـ النبأ : ٣٨

(٥) ـ الأنعام : ٢٣

(٦) ـ العنكبوت : ٢٥

(٧) ـ ص : ٦٤

(٨) ـ ق : ٢٨

(٩) ـ يس : ٦٥

:﴿**وا لله ربنا ما كنا مشركين**﴾(١) فمرة يختصمون ، ومرة لا يختصمون ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع ؟ .

فقال له علي عليه السلام :<هات ويحك ما شككت فيه>؟ .

قال: وأجد ا لله يقول:﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾(٢) ويقول:﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾(٣) ويقول:﴿**ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى**﴾(٤) ويقول:﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**﴾(٥) ومن أدركته الأبصار أحاطت به علما ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟ .

فقال له علي عليه السلام :<سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتعالى ، هات ويحك ما شككت فيه>.

قال: أجد ا لله يقول: ﴿**ما كان لبشر أن يكلمه ا لله إلا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء**﴾(٦) وقال:﴿**وكلم ا لله موسى تكليما**﴾(٧) وقال:﴿**وإذ نادى ربك موسى**﴾(٨) وقال:﴿**وناداهما ربهما**﴾(٩) وقال:﴿**يا أيها النبي**﴾ ﴿**يا أيها الرسول**﴾ ﴿**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾(١٠) و﴿**يا إبليس ما منعك أن تسجد**﴾(١١) فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟.

---

(١) ـ الأنعام : ٢٣

(٢) ـ القيامة : ٢٣

(٣) ـ الأنعام : ١٠٣

(٤) ـ النجم : ٢٣ ـ ٢٥

(٥) ـ طه : ١٠٩

(٦) ـ الشورى : ٥١

(٧) ـ النساء : ١٦٤

(٨) ـ الشعراء : ١٠

(٩) ـ الأعراف : ٢٢

(١٠) ـ الأعراف : ١٩

(١١) ـ ص : ٧٥

فقال له **علي رحمة الله عليه** :<هات ويحك ما شككت فيه>.

قال: وأجد الله يقول:﴿**هل تعلم له سميا**﴾[١] وسمى الإنسان سميعا بصيرا ، وملكا وربا ، فمرة يقول : ليس له سمي ، ومرة يقول : أسماء كثيرة غير واحدة ، فأي ذلك **يا أمير المؤمنين** تقول ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع ؟.

فقال له **علي عليه السلام** :<هات ويحك ما شككت فيه>.

قال: وأجد الله يقول:﴿**لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**﴾[٢] ويقول:﴿**ولا ينظر إليهم**﴾[٣] ويقول :﴿**إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ فمرة ينظر ، ومرة لاينظر إليهم ، ومن لا ينظر الله إليه عزب عنه ، ومن حجب عنه عزب عنه ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع!

فقال له **علي** رحمة الله عليه :<هات ويحك ما شككت فيه> .

قال: وأجد الله يقول:﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾[٤] وقال:﴿**والظاهر والباطن**﴾[٥]وقال:﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾[٦]وقال:﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾[٧] وقال:﴿**ونحن أقرب إليه منكم**﴾[٨] وقال:﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا**﴾[٩]

---

(١) - مريم : ٦٥

(٢) - سبأ : ٣

(٣) - في آيات عديدة

(٤) - الملك : ١٦

(٥) - في الأصل (وهو الظاهر والباطن) و لم نعثر على هذا اللفظ ، و الذي في القرآن ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ الحديد : ٣

(٦) - الحديد : ٤

(٧) - ق : ١٦

(٨) - الواقعة : ٨٥

(٩) - المجادلة : ٧ .

وقال:﴿إن ربك لبالمرصاد﴾[١] وقال:﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾[٢] فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع!

فقال له **علي رحمة ا لله عليه** :<سبوحا قدوسا تبارك ا لله تعالى هات ويحك ما شككت فيه> .

قال: وأجد ا لله يقول:﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾[٣] وقال:﴿**لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾[٤] وقال:﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾[٥] يقول مرة :﴿**جاء ربك**﴾ ومرة يقول:﴿**جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ ومرة ﴿**يأتي ربك**﴾ ومرة ﴿**يأتي بعض آيات ربك**﴾ فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع !.

فقال له علي عليه السلام :<سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتعالى وتقدس هات ويحك ما شككت فيه>.

قال: وأجد ا لله يقول:﴿**بل هم بلقاء ربهم كافرون**﴾[٦] وذكر أمر المؤمنين فقال:﴿**الذين يظنون أنهم ملا قوا ربهم وأنهم إليه راجعون**﴾[٧] ويقول :﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾[٨] ويقول:﴿**ولا يحيطون به علما**﴾[٩] وقال في المنافقين:﴿**فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه**﴾[١٠] وقال:﴿**من كان يرجو لقاء**

---

(١) ـ الفجر :

(٢) ـ هود : ٥٦

(٣) ـ الفجر : ٢٢

(٤) ـ الأنعام : ٩٤

(٥) ـ الأنعام : ١٥٨

(٦) ـ السجدة : ١٠

(٧) ـ البقرة : ٤٦

(٨) ـ الأنعام : ١٠٣

(٩) ـ طه : ١١٠

(١٠) ـ التوبة : ٧٧

ربه **فإن أجل الله لآت**﴾[1] فيقول مرة :﴿**يلقونه**﴾ ومرة ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ ومرة ﴿**لا يحيطون به علما**﴾ فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع !

فقال له **علي عليه السلام** :<سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتعالى وتقدس هات ويحك أيضا ما شككت فيه>.

قال: وأجد الله يقول:﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها**﴾[2] وقال:﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين**﴾[3] وقال:﴿**وتظنون بالله الظنونا**﴾[4] فمرة يظنون ومرة يعلمون ، والظن الشك ، فأي ذلك يا **أمير المؤمنين** وكيف لا أشك فيما تسمع ؟.

فقال [له] [5] **علي** رحمة الله عليه :<هات ويحك ما شككت فيه>.

قال: وأجد الله يقول:﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[6] ويقول:﴿**وأما من خفت موازينه**﴾[7] وقال:﴿**فأما من ثقلت موازينه**﴾[8] وقال :﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾ [9]وقال:﴿**فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب**﴾[10] فمرة تقام الموازين ، ومرة لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ومرة يحاسبون ، ومرة لا يحاسبون ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع ؟.

فقال له علي رحمة الله عليه :<هات ويحك أيضا ما شككت فيه>.

---

(١) ـ العنكبوت : ٥

(٢) ـ الكهف : ٥٣

(٣) ـ النور : ٢٥

(٤) ـ الأحزاب : ١٠

(٥) ـ الزيادة مس ب .

(٦) ـ الأنبياء : ٤٧

(٧) ـ القارعة : ٧ في الأصل فأما من خفت موازينه ، والصحيح ما أثبتناه .

(٨) ـ القارعة : ٥ ، في الأصل وأما من ثقلت موازينه . والصحيح ما أثبتناه .

(٩) ـ الكهف : ١٠٥

(١٠) ـ غافر : ٤٠

قال: وأجد الله يقول: ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم**﴾[١] وقال: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾[٢] وقال: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**﴾[٣] وقال: ﴿**توفته رسلنا وهم لا يفرطون**﴾[٤] وقال: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**﴾[٥] فمرة يقول: ﴿**يتوفاكم ملك الموت**﴾[٦] ومرة يقول: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾ ومرة يقول: ﴿**توفته رسلنا وهم لا يفرطون**﴾ وقال: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**﴾ ومرة يقول: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**﴾ فأي ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وكيف لا أشك فيما تسمع ؟ فقد هلكت إن لم يرحمني ربي ، ويشرح لي صدري بما عسى أن يجريه على يديك ، فإن لم يكن ذلك وكان الرب حقا ، [والكتاب][٧] والرسل حقا ، لقد خبت وخسرت ، وإن يكن الكتاب باطلا والرسل باطلا ، وما وعدوا وأوعدوا فما علي من بأس فقد نجوت .

فقال علي رحمة الله عليه :<هات ويحك ما شككت فيه>.

قال: حسبي ما ذكرت لك فإن يكن عندك علم فهاته لعل الله يرزقني على يديك خيرا ، وإن يكن سوى ذلك فما من رب ولا رسول ولا ثواب ولا عقاب .

فقال له **علي عليه السلام** :<سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتقدس ونشهد أنه الحق الدائم الذي لا شريك له ولاشيء مثله ، وأن الكتاب والرسل حق عليهم السلام والثواب والعقاب حق ، ولكنا سنعلمك ما شككت فيه ، ولا قوة إلا بالله وصلى الله على محمد وعلى النبيئين وعليهم السلام ورحمة الله .

---

(١) ـ السجدة : ١١

(٢) ـ الزمر : ٤٢

(٣) ـ النحل : ٢٨

(٤) ـ الأنعام : ٦١

(٥) ـ النحل : ٣٢

(٦) ـ في الأصل (يتوفاهم) وفي القرآن ﴿يتوفاكم﴾ .

(٧) ـ الزيادة من ب .

أما قوله عز وجل :﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ [١] فإنما يعني بالنسيان أنهم نسوا الله في دار الدنيا ، فلم يعملوا له بالطاعة ولم يؤمنوا به وبرسوله فنسيهم في الآخرة فلم يجعل لهم في ثوابه نصيبا ، فصاروا منسيين من الخير ، فذلك تفسير قوله:﴿**اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ [٢] يعني لا يثيبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا ذاكرين ، حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب ، وآثروه ورسوله .

وأما قوله تعالى :﴿**وما كان ربك نسيا**﴾ [٣] فليس بالذي ينسى ، ولا يغفل تبارك وتعالى وتقدس، وهو الحفيظ العليم ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ [٤] وقد تقول العرب في بعض النسيان للملك والسيد : نسيتنا فلا تذكرنا ، يعنون أنه لا يأتينا منك خير ، أفهمت ما ذكرت لك ؟ قال: نعم فرجت عني غما وكشفت عني بعض ما بي وحللت عني عقدة فكشف الله همك وأعظم أجرك يا أمير المؤمنين .

قال: وأما قوله تعالى :﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾ [٥] وقوله حيث استنطقوا :﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ [٦] وقوله:﴿**ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا**﴾ [٧] وقوله:﴿**إن ذلك لحق تخاصم أهل النار**﴾ [٨] وقوله:﴿**لا تختصموا لدي**﴾ [٩] وقوله:﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ [١٠] فإن ذلك ليس في موطن واحد بل في مواطن في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين الف سنة

---

(١) - التوبة : ٦٧
(٢) - الأعراف : ٥١
(٣) - مريم : ٦٤
(٤) - الملك : ١٤
(٥) - النبأ : ٣٨
(٦) - الأنعام : ٢٣
(٧) - العنكبوت : ٢٥
(٨) - ص : ٦٤
(٩) - ق : ٢٨
(١٠) - يس : ٦٥

مما يعدون فيجمع ا لله الخلائق في ذلك اليوم في موطن فيتعارفون فيه ، ويكلم بعضهم بعضا ، ويستغفر بعضهم لبعض ، أولئك الذين بدت منهم الطاعة من الرسل والأتباع ، وتعاونوا على البر والتقوى في دار الدنيا ، ويلعن أهل المعاصي بعضهم بعضا الذين بدت منهم المعاصي وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا المستكبرين والمستضعفين يلعن بعضهم بعضا ، ويكفر بعضهم ببعض ، والكفر في هذه الآية براءة ، يقول تبرأ بعضهم من بعض ، ونظيرها قول إبراهيم صلى ا لله عليه وعلى محمد وآله والمرسلين ، حيث قال لأبيه وقومه :﴿**كفرنا بكم**﴾[1] يقول: تبرأنا منكم ، ونظيرها قول الشيطان حين قال لما قضي الأمر :﴿**كفرت بما أشركتموني من قبل**﴾[2] يقول: برئت مما أشركتموني من قبل، ثم يجمعون في مواطن أخر يفر بعضهم من بعض ، فذلك قوله عز وجل :﴿**يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه**﴾[3] أن تعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا ﴿**لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾ ثم يجمعون في موطن يبكون فيه ، فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معاشهم ، ولتصدعت الجبال إلا ما شاء ا لله ، ولا يزالون كذلك حتى يبكون الدم ثم يجمعون في موطن يستنطقون فيه فيقولون :﴿**وا لله ربنا ما كنا مشركين**﴾ [4] ولا يقرون بما عملوا فيختم ا لله على أفواههم وتستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية بدت منهم ، ثم يرفع الخاتم عن ألسنتهم ، فينطقون فيقولون لجلودهم وأيديهم وأرجلهم لم شهدتم علينا؟ فتنطق فتقول:﴿**أنطقنا ا لله الذي أنطق كل شيء**﴾[5] ثم يجمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق فلا يتكلم أحد ﴿**إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾ [6] فيقام الرسل صلوات ا لله عليهم فتسأل ، فذلك قوله لمحمد صلوات ا لله عليه وعلى آله وسلم ﴿**فكيف إذا جئنا من**

---

(١) ـ الممتحنة : ٤

(٢) ـ ابراهيم : ٢٢

(٣) ـ عبس :٣٤ـ ٣٦

(٤) ـ الأنعام : ٢٣

(٥) ـ فصلت : ٢١

(٦) ـ النبأ : ٣٨

كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾[١] والشهداء هم الرسل ـ على محمد وآله وعلى الرسل السلام ـ ثم يجمعون في موطن يكون فيه [مقام] [٢] محمد المحمود على محمد وآله السلام ، فيقوم فيثني على ربه جل ثناؤه ، وتباركت أسماؤه وحسن بلاؤه ما لم يثن أحد قبله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غير مرسل ولا يثني أحد مثله بعده بمثله ، ثم يثني على ملائكة الله عليهم السلام ، ولا يبقى ملك مقرب إلا أثنى عليه محمد ما لم يثن عليه أحد قبله ولا يثني عليه أحد بعده بمثله ، ثم يبدأ بالصديقين والشهداء ثم الصالحين ، فيحمده أهل السماء والأرض فذلك قوله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم :**﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾** [٣] فطوبى لمن كان له في ذلك اليوم حظ ونصيب ، وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظ ولا نصيب .

ثم يجمعون في موطن يجتمعون فيه ، ويدان لبعض الخلق من بعض وهو القصاص ، وذلك قبل الحساب ، فإذا أخذوا للحساب شغل كل بما لديه ، فنسأل الله بركة ذلك اليوم ، أفهمت ما ذكرت لك؟ قال: نعم فرجت عني غما فرج الله عنك كل هم وغم ، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين .

قال : وأما قوله :**﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**[٤]وقوله :**﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾** وقوله:**﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾**[٥]وقوله :**﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾** [٦] وقوله:**﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾** [٧].

---

(١) ـ النساء : ٤١

(٢) ـ الزيادة من ب .

(٣) ـ الإسراء : ٧٩

(٤) ـ القيامة : ٢٣

(٥) ـ النجم : ١٤

(٦) ـ طه : ١٠٩

(٧) ـ طه : ١١٠

أما قوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ فإن ذلك في موطن ينتهي بأولياء الله إلى نهر يقال له الحيوان بعد ما يفرغ من الحساب فيغتسلون فيه ويشربون منه فتنضر وجوههم وهو الإشراق ، ويذهب عنهم كل قذى فينظرون إلى ربهم متى يأذن لهم في دخول الجنة ، ومنه يدخلون الجنة ، وذلك قول الله حين أخبر عن تسليم الملائكة حيث يستقبلونهم في ذلك الموطن ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[١] حيث يذهب عنهم كل قذى ، وأيقنوا بالجنة ، ولا يعني بالنظر الرؤية لأن الأبصار لا تدركه وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، وذلك مدحة امتدح بها ربنا تبارك وتعالى وتقدس فأحق من لا تنقطع مدحته في الدنيا ولا في الآخرة الله رب العالمين .

وقد قال موسى نبي الله على محمد وعلى موسى السلام :﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾[٢] فأبدى ربنا تبارك وتعالى وتقدس بعض آياته فتقطع الجبل وصار رميما ، وخر موسى صعقا ، يعني ميتا فتاب وأحياه الله ومنه :﴿سبحانك إني تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾[٣] بأنك لاتُرَى وإنما يعني [بقوله][٤] : ﴿أول المؤمنين﴾ من أمته ، وقد سأل قوم موسى فقالوا:﴿أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة﴾[٥] ومن سأله أو ظنه ظنا فخرج من الدنيا على ذلك فقد بريء من دين الله ، إن الله تبارك وتعالى وتقدس لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا ينبغي أن تنقطع مدحته ، وكذلك لا تأخذه سنة ولا نوم ، وكذلك قال:﴿يطعم ولا يطعم﴾[٦] وكذلك قال:﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾[٧] وقال:﴿قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له

(١) ـ الزمر : ٧٣
(٢) ـ الأعراف : ١٤٣
(٣) ـ الأنعام : ١٠٣
(٤) ـ الزيادة من ب .
(٥) ـ النساء : ١٥٣
(٦) ـ الأنعام : ١٤
(٧) ـ الجن : ٣

ولي من الذل﴾[١] مع ما ذكر من مدحته ولا يسع أحدا أن يشك في مدحتـه في الدنيـا والآخرة .

وأما قوله :﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ [٢] فإنما يعني **محمدا** صلى الله عليه وآله وسـلم أنه رأى **جبريل** عليه السلام عند سدرة المنتهى التي لا يجاوزها خلق من خلق الله فرأى **محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **جبريل** عليه السلام في صورته هذه المرة وقبلها مـرة أخرى فذلك قوله سبحانه :﴿**ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى**﴾[٣] وقد أعلـم في آخر الآية أنه رأى غير ربه حيث يقول:﴿**ما زاغ البصـر ومـا طغـى لقـد رأى مـن آيات ربـه الكـبرى**﴾ [٤] وذلـك أن خلـق جـبريل عليـه السـلام آيـة عظيمـة هـو مـن الروحانيين الذين لا يعلم خلقهم وصورهم إلا الله رب العالمين .

وذكر **علي** عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم قـال:(رأيـت جبريل في صورة له ستة أجنحة جناحان ارتداهما وجناحان تزين بهما وجناح خـارج في المشرق في الهواء ، وجناح في المغرب في الهواء ، قد ملأ الآفاق كلهـا) سبحان الله وتعالى وجل ثناؤه .

وأما قوله :﴿**لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمـن ورضـي لـه قـولا**﴾ [٥] وقولـه :﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**﴾ [٦] فأما ما بين أيديهم فـأمر

---

(١) ـ الإسراء :١١١
(٢) ـ النجم : ١٣
(٣) ـ النجم : ٢٣ ـ ٢٥ تخريج الحديث في تفسير ﴿ولقد رآه نزلة أخـرى﴾ أخرجـه ابـن حبـان في صحيحـه ، انظـر الإحسان : ٢٥٥: رقم ٥٩ عن ابن مسعود في تفسير الآيات قال : رأى رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم جبريل في حلة من ياقوت قـد مـلأ بـين السـماء والأرض) وأخرجـه أحمـد ٣٩٤/١، ٤١٨، والـترمذي ٣٢٨٣ في تفسير سورة الجن ، وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٠٤ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٣٤، والحـاكم ٤٦٨/٤، ٤٦٩، وصححه ، وأقره الذهبي والطيالسي ٣٢٣ والسيوطي في الـدر المنثور ١٢٣/٦، وأخرج مسلم عـن ابـن مسعود قال: رأى جبريل عليه السلام له ست (ستة) جناح وهكذا في البخاري في تفسير ﴿فكان قاب قوسـين أو أدنى﴾ رقم ٤٨٥٦، والترمذي ٣٢٧٧، وغيرهم وله شواهد كثيرة ، وفي مجمع البيان للطبرسي أن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى جبريل مرتين مرة في الأرض ، ومرة في السماء ، أما في الأرض ففي الأفق الأعلى .
(٤) ـ النجم : ١٧ ـ ١٨
(٥) ـ طه : ١٠٩

الآخرة ، وأما ما خلفهم فأمر الدنيا ﴿ولا يحيطون به﴾ فلا تحيط الخلائق بـا لله علمـا هيهات هيهات ، جعل على أبصار القلوب عن ذلك الغطاء فلا وهم ينالـه ، ولاقلب ينعته ولا يخطـر علـى بـال ، ولا يعـرف إلا بالآيـات والسـلطان ، والقـدرة والجـلال والعظمـة ، كمـا وصـف نفسـه في القـرآن ﴿ليـس كمثلـه شـيء﴾[١] و﴿لا تدركـه الأبصار﴾ ﴿الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ ﴿الخالق البـارئ المصور لـه الأسماء الحسنى﴾ خلق الأشياء كلها فليس شيء من الأشياء إلا لـه تبارك وتعـالى وتقـدس ، أفهمت ما ذكرت لك ؟ قال: نعم ، فرجت عني فرج ا لله عنك كل غم وحللت عـني عقدة فعظم ا لله أجرك يا أمير المؤمنين .

قال: وأما قوله :﴿ما كان لبشر أن يكلمـه ا لله إلا وحيـا أومـن وراء حجـاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشـاء﴾ [٢] وقولـه :﴿وكلـم ا لله موسـى تكليمـا﴾ [٣] وقوله :﴿وناداهما ربهما﴾[٤] وقوله :﴿وإذ نادى ربـك موسـى﴾[٥] وقولـه:﴿يـا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [٦] وقوله :﴿يا أيها النبي﴾ ﴿يـا أيهـا الرسـول﴾ و﴿يـا إبليس ما منعك أن تسجد﴾ [٧] .

أما قوله :﴿وما كان لبشر أن يكلمه ا لله إلا وحيا أومن وراء حجـاب أو يرسـل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ [٨] فهو كما قال ا لله ، وليـس بكـائن وراء حجـاب ، وقد يرسل الرسول بوحي منه إلى رسل السماء ، فتبلغ رسـل السـماء رسـل الأرض ، فيتفهمه رسل الأرض من دون مشافهة رسل السـماء ، وقـد يخلـق الكـلام بينه وبـين

---

(٦) ـ طه : ١١٠
(١) ـ الشورى : ١١
(٢) ـ الشورى : ٥١
(٣) ـ النساء : ١٦٤
(٤) ـ الأعراف : ٢٢
(٥) ـ الشعراء : ١٠
(٦) ـ البقرة : ٣٥
(٧) ـ ص : ٧٥
(٨) ـ الشورى : ٥١

رسل السماء من غير مشافهة رسل السماء لأحد من خلقه ، وقد قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام كيف تأخذ الوحي من رب العالمين ؟ قال: آخذه من اسرافيل ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من أين يأخذ اسرافيل؟ قال : يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أين يأخذه ذلك الملك ؟ فقال: يقذف في قلبه قذفا ، فهو كلام الله(١) فكيف ماوصفت لك من كلام الله [فإن كلام الله](٢) ليس بنحو واحد ، ولا يجري على نحو واحد منه ما يجيء في المنام ، وذلك قول إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿**يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى**﴾ (٣) ومنه ما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين أرؤسكم ومقصرين لا تخافون**﴾ (٤) ومنه ما قاله الله لمحمد أيضا :﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة**﴾ (٥) ومنه ما يبلغ رسل السماء رسل الأرض ، ومنه ما يقذف في قلب الملك قذفا ، وذلك ما قال جبريل عليه السلام لنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما قذف الله في قلب الملك الذي فوق اسرافيل ، أفهمت ما ذكرت لك ، قال: نعم فرجت عني غما فرج الله عنك كل غم يا أمير المؤمنين .وأما قوله :﴿**هل تعلم له سميا**﴾ (٦) فلا سمي له يعني لا مثل له ، فإياك أن تقيس شيئا من كتاب الله برأيك حتى [تسأل عنه المحقين] من العلماء ، فإنه رب

---

(١) ـ الحديث أخرجه الإمام الهادي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب مسائل الرازي مخطوط ، وعنه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في كتاب حقائق المعرفة (خ) ونص الحديث وقد سأله الرازي : كيف يأخذ جبريل الوحي من الله؟ وكيف يعلمه ؟ وكيف السبيل فيه حتى يفهمه ؟ فقال عليه السلام : اعلم هداك الله أن القول فيه عندنا كما روي فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام عن ذلك فقال: آخذه من ملك فوقي ، ويأخذه الملك من ملك فوقه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : كيف يأخذه ذلك الملك ويعلمه ؟ فقال جبريل عليه السلام : يلقى في قلبه إلقاء ، ويلهمه إلهاما) انظر حقائق المعرفة

(٢) ـ الزيادة موجودة في أ ، وليست موجودة في ب .

(٣) ـ الصافات : ١٠٢

(٤) ـ الفتح : ٢٧

(٥) ـ الإسراء : ٦٠

(٦) ـ مريم : ٦٥

تنزيل يشبه كلام البشر وفعل البشر وتأويله لا يشبه كلام البشر ، ولا فعل البشر ، كما أنه ليس كمثله شيئ من خلق كذلك لاشيئ يشبهه من فعله ولا كلامه أفاعيل البشر ولا كلامهم أفهمت ما ذكرت ؟ قال: نعم .

وأما قوله :﴿**لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**﴾[1] وقوله لأهل النار :﴿**ولا ينظر إليهم**﴾ فكذلك ، وكيف يعزب عن من خلق ...﴿**وهو اللطيف الخبير**﴾ وهو الشاهد لكل شيء تبارك وتعالى وتقدس .

وأما قوله :﴿**لا ينظر إليهم**﴾ فإنما يعني بذلك لا يرحمهم ولا ينظر إليهم بخير ، تقول العرب للرجل البر أو الملك : والله ما ينظر إلينا، يعنون إنك لا تصيبنا بخير فكذلك النظر من الله إلى خلقه في هاتين الآيتين ثواب أو عقاب ، أفهمت ما ذكرت لك ؟ قال : نعم .

وأما قوله :﴿**إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ [2] فإنما يعني أنهم عن ثواب ربهم وكرامته محرومون .

وأما قوله :﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾[3] وقوله :﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ وقوله :﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم**﴾ وقوله :﴿**والظاهر والباطن**﴾[4] وقوله :﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[5] وقوله :﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ وقوله :﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة**﴾[6] وقوله:﴿**ونحن أقرب إليه من حبل**

---

(١) ـ سبأ : ٣ ، في الأصل (لايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) ولا توجد آية بهذا اللفظ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢) ـ الإسراء : ٦٠

(٣) ـ الملك : ١٦

(٤) ـ الحديد : ٤ ، في الأصل (وهو الظاهر والباطن) و لم نعثر على آية بهذا اللفظ ، وإنما الآية ما أثبتناه .

(٥) ـ طه : ٥

(٦) ـ المجادلة : ٧

الوريد﴾ [١] وقوله :**﴿إن ربك لبالمرصاد﴾**[٢] وقوله :**﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾**[٣] فكذلك الله تبارك وتعالى وتقدس من غير أن يكون ما سمى من كينونيته في خلقه ومع خلقه وعلى خلقه وفوق خلقه يجري ذلك منه على نحو ما يجري من المخلوقين وهو اللطيف وأعظم وأجل وأكبر من أن ينزل به شيء ما ينزل بخلقه هو الشاهد لكل شيء والوكيل على كل شيء ، والمنشيء لكل شيء ، والمدبر للأشياء كلها بلا علاج ولا تفكر ، ولا حدث عليه ولامؤنة تعينه سبحانه وبحمده تبارك وتعالى وتقدس ، فإذا جال شيء في صدرك من عظمة الله مما في القرآن من كينونته[٤] في الخلق ومع الخلق وفوق الخلق ، وعلى الخلق ، وتفكرت في ديمومة الله وعظمته ووسوست نفسك بشيء فقل : لا إله إلا الله فإن ذلك من وساوس الشيطان وتفكر في ديمومة الله قبل أن يخلق خلقا سماء ولا أرضا ، ولا عرشا ولا هواء ، ولا شيئا من السماء والأرض ، فتبصر أنه الدائم الذي لا إحصاء لديمومته وليس مع شيء ، وذلك أنه الأول ابتدأ الأشياء لامن شيء فكذلك الله فعند ما خلق من الخلق كذا كان قبل أن يخلق الخلق و لم يتحول ، ولا يتحول ولا يأفل مع الآفلين فلا تجري عليه زيادة ولا نقصان ، ولا يدرك ولا يعرف إلا بالديمومة ، والأيات والسلطان والقدرة دائما سرمدا أبدا ، لاإحصاء لديمومته تبارك وتعالى وتقدس ولا يزال [٥]، ابتدأ خلقه على غير مثال ، وذلك أنه الأول فلا شيء معه ، وخلق الأشياء لامن شيء .

وأما قوله :**﴿إن ربك لبالمرصاد﴾** فإنما يعني أن ربك قادر أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم ، وهو فاعل ذلك ، وقد تقول العرب للعبد أولمن يأمرونه فيستعصي : إنا لك بالمرصاد ، يعنون إنا قادرون على جزائك ، ونحن فاعلون ذلك

---

(١) - ق : ١٦

(٢) - الفجر : ١٧

(٣) - هود : ٥٦

(٤) - في ب (كينونيته) .

(٥) - في أ : ولا زوال .

وأما قوله :﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [١] فإنما يعني أنه حق يجزي بالإحسان إحسانا وبالسيء سيئا ، ويغفر لمن يشاء سبحانه وتعالى وتقدس أفهمت ما ذكرت لك؟ قال : نعم .

وأما قوله :﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وقوله :﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ [٢] وقوله :﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾[٣] وقوله :﴿إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾[٤] فذلك حق كما قال الله سبحانه ، وليس جيئته كجيئة الخلق ، وقد أعلمتك أنه رُبَّ شيء من كتاب الله تأويله غير تنزيله ، ولا يشبه تأويله كلام البشر ، ولا فعل البشر ، وسأنبئك بطرف منه تكتفي به إن شاء الله تعالى ، من قول إبراهيم عليه السلام حين قال:﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [٥] فذهابه إلى ربه توجهه وعبادته واجتهاده وقراره إلى ربه ، إلا أن تأويله غير تنزيله ، وقال:﴿أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾[٦] وقال:﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾[٧] فسماه إنزالا ، وإنزاله الأنعام خلقه إياها ، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله .

وقال موسى ـ على محمد وموسى السلام ـ حين سقى لابنتي شعيب عليه السلام قال الله :﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [٨] لما رزقتني من خير فقير .

وأما قوله :﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾ [٩] فإنما يخبر محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عن المنافقين والمشركين الذين لم يستجيبوا لله وللرسول ،

---

(١) ـ هود : ٥٦
(٢) ـ الأنعام : ٩٤
(٣) ـ البقرة : ٢١٠
(٤) ـ الأنعام : ١٥٨
(٥) ـ الصافات : ٩٩
(٦) ـ الأنعام : ١٤٣
(٧) ـ الحديد : ٢
(٨) ـ القصص : ٢٤

فقال :﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ حين لم يستجيبوا لي ولرسولي ﴿أو يأتي ربك﴾ معنى إتيانه : العذاب في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى فهذا خبر يخبر نبيه عليه السلام ، ثم قال: ﴿أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ أن تجيء هذه الآيات ، وذلك قبل طلوع الشمس من المغرب ، وإنما يكتفي ذووا الألباب والحجج ، أو أولوا النهي أن يعلموا من قول الله ﴿وجاء ربك﴾ (١) ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ (٢) أنه يكشف الغطاء ، فترى ما وعدوا وأوعدوا وقال في آية أخرى :﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ (٣) يعني بذلك أنه أرسل عليهم عذابا فذلك إتيانه إياهم ، وقال :﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (٤) فإتيانه البنيان من القواعد إرساله العذاب عليهم ، وقد قال فيما أنزل :﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ (٥) يعني بذلك ما يهلك من القرون ، وكذلك ما وصف من أمر الآخرة ، تبارك وتعالى وتقدس ، وتجري أموره في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة ، كما تجري أموره في الدنيا ، لا يتعب ولا ينصب ولا يأفل مع الآفلين ، فاكتف بما وصفت لك من ذلك مما تجيل في صدرك مما أنزل الله في كتابه وتسمى به من أفاعيله .

واعلم أن تأويل أفاعيله غير ما وجه لفعل البشر ، لأنه لا ينزل به ما ينزل بالبشر أفهمت جميع ما ذكرت لك من جميع مافي كتاب الله مما تنزيله على نحو من كلام البشر هو أعظم وأجل ، وأعز وأكبر جل ثناؤه من أن يكون كذلك وتعالى وتقدس .

وقال: ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (٦) يقول : لعنهم الله فسمى اللعنة قتالا وقال: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ (٧) يقول: لعن الإنسان ما أقل شكره ، وقال لنبيئه صلى

---

(٩) ـ الأنعام : ١٥٨

(١) ـ الفجر : ٢٢

(٢) ـ الأنعام : ٩٤

(٣) ـ الحشر : ٢

(٤) ـ النحل : ٢٦

(٥) ـ الرعد : ٤١

(٦) ـ التوبة : ٣٠ـ المنافقون : ١٤

ا لله عليه وآله وسلم :﴿فلم تقتلوهم ولكن ا لله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن ا لله رمى﴾[1] فسمى فعل النبي ، وفعل المؤمنين فعلا منه ألا ترى أن تأويله غير تنزيله .

وقال :﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ [2] وذكر المؤمنين فقال:﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ [3] وقال:﴿لا تدركه الأبصار﴾ وقال للمنافقين : ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾[4] وقال:﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [5].

أما قوله :﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ [6] يقول : هم بالبعث هم كافرون فسماه لقاء ، وكذلك ذكر المؤمنين فقال: ﴿يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ يقول: يوقنون أنهم مبعوثون ، والظن منهم يقين ، وكذلك ﴿من كان يرجو لقاء ربه﴾ يقول: من كان يوقن أنه مبعوث ومحاسب ومجزي فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، وقال:﴿من كان يرجوا لقاء ا لله فإن أجل ا لله لآت وهو السميع العليم﴾ [7] يقول: من كان يوقن أنه مبعوث وأنما وُعِدَ وأُوعِدَ جاءٍ عن الثواب والعقاب فسمى اللقاء أجلا ، ولو كان إلى ما ذهب وهمك من لقاء ربه فكان يكون من كان يرجو لقاء ربه ، والذين هم بلقاء ربهم كافرون بلفظ الرؤية ، وليس كذلك ، فاللقاء : الرؤية واللقاء : البعث ، ولا يعني به الرؤية لأن الأبصار لا تدركه ، وكذلك ﴿إلى يوم

(٧) ـ عبس : ١٧

(١) ـ الأنفال : ١٧

(٢) ـ السجدة : ١٠

(٣) ـ البقرة : ٤٦

(٤) ـ التوبة : ٧٧

(٥) ـ الكهف : ١١٠

(٦) ـ في الأصل (والذين كفروا بلقاء ربهم) ولا توجد في القرآن آية بهذا اللفظ ، وكأنه أراد معنى قوله تعالى :﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ وقد أثبتنا نص المصحف ، وهو المسؤول عنه .

(٧) ـ العنكبوت : ٥ ، كان في الأصل (من كان يرجو لقاء ربه) ولفظ الآية مع تتمتها الموجودة هو ما أثبتناه ﴿من كان يرجو لقاء ا لله﴾ .

يلقونه﴾ يعني المنافقين ، يقول: لا يزال النفاق في قلوبهم إلى يوم يبعثون ، أفهمت ما ذكرت لك ؟ قال: نعم .

قال : وأما قوله :**﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾** [١] وقوله عمن أوتي كتابه بيمينه :**﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾** [٢] وقوله :**﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾**[٣] وقوله للمنافقين :**﴿وتظنون بالله الظنونا﴾**[٤] .

أما قوله :**﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم موافعوها﴾** [٥] فإنما يعني بالظن اليقين يقول: إنهم أدخلوها .

وأما قوله عمن أوتي كتابه بيمينه :**﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾** يقول : إني أيقنت .

وأما قوله :﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ فليس ذلك الظن باليقين ، ولكنه شك ، والظن ظنان : ظن يقين ، وظن شك ، فما كان في كتاب الله من ذكر الظن في أمر المعاد فهو يقين ، وما ذكر في أمر الدنيا فهو شك ، وذلك لو كان إلى ما ذهب إليه وهمك لا يكون مؤمنا ، وذلك لأن ما ذكر الله من الظن الذي سماه من المؤمنين في باب الآخرة لا يكون شكا ، لأن من شك في شيء من الأشياء في كتاب الله المنزل كان مشركا أفهمت ما ذكرت لك من أمر الظن في الدنيا والآخرة ؟ قال: نعم .

قال : **وأما قوله ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾** [٦] فهو العدل تؤخذ به الخلائق ، ويدين الله الخلق بعضهم من بعض ، ويجزيهم بأعمالهم ، والدين هاهنا قصاص .

---

(١) ـ الكهف : ٥٣
(٢) ـ الحاقة : ٢٠
(٣) ـ النور : ٢٥
(٤) ـ الأعراف : ١٠
(٥) ـ الكهف : ٥٣
(٦) ـ الأنبياء : ٤٧

وأما قوله لأهل الجنة ﴿فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾[١] فإن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:(حقت مودتي لمن تزاور في الله ، وتحاب في الله ، وتباذل في الله ، المتحابون في الله وجوههم من نور على منابر من نور عليهم ثياب من نور ، قيل: من هؤلاء ؟ قال: ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، ولكنهم قوم تحابوا بجلال الله في الله على طاعة الله في دار الدنيا إذا عصي الله في دار الدنيا لا يزالون جلوسا على تلٍّ حتى يفرغ من الحساب ، ويدخلون الجنة لا يحاسبون) .

قال : وأما قوله :**﴿من خفت موازينه﴾** و**﴿ثقلت موازينه﴾** [٢] فإنما يعني بذلك قلة الحساب في الموازين ، وكثرتها أفهمت ما ذكرت لك ؟ قال: نعم .

قال: وقوله :**﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾** [٣] وقوله :**﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** [٤] وقوله :**﴿توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾** [٥] وقوله :**﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾** [٦] وقوله :**﴿تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** [٧] فإن الله تبارك وتعالى وتقدس يدبر الأمور كيف يشاء ، ويوكل من خلقه ما يشاء بمن يشاء .

وأما قوله :**﴿يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾** فإن الله وكله بخاصة من خلقه وملائكة معه . وأما قوله :**﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾** [٨] فإنما يعني به أنهم ينشرون من بعد الموت فسمى النشور رجعة ، وكذلك قال:**﴿إلى ربهم يحشرون﴾** [٩] يقول: ينشرون من بعد الموت فسمى النشور رجعة .

---

(١) ـ غافر : ٤٠
(٢) ـ القارعة : ٧ـ ٨
(٣) ـ السجدة : ١١
(٤) ـ الزمر : ٤٢
(٥) ـ الأنعام : ٦١
(٦) ـ النحل : ٢٨
(٧) ـ النساء : ٩٧
(٨) ـ في الأصل (ثم إلى ربهم يرجعون) والذي تقدم السوال عنه هو قوله تعالى :(ثم إلى ربكم ترجعون) .
(٩) ـ الأنعام : ٣٨

وأما قوله :﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ فكذلك الله يتوفى الأنفس كيف يشاء على يدي من يشاء من خلقه .

وأما قوله :﴿توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ فإن الله وكلهم بخاصة من خلقه، والملائكة الذين ذكر الله : تتوفاهم طيبين ، والملائكة الذين ذكرهم الله تتوفاهم ظالمي أنفسهم وَكَلَهُم بخاصة من خلقه تبارك وتعالى وتقدس ، وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفشيه إلى كل الناس ، منه ما يطاق حمله ، ومنه مالا يطاق حمله إلا من رزقه الله تعالى اطاقته من خاصة أوليائه ، وإنما يكفيك وجميع المؤمنين أن يعلموا أن الله تبارك وتعالى وتقدس المميت المحيي ، فإنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه وملائكته أو غيرهم ، بغير علاج منه تبارك وتعالى وتقدس أفهمت ما ذكرت لك ؟ قال : نعم فرجت عني كل غم ، فرج الله عنك كل غم وكشف عنك كل هم ، كما كشفت عني ما كان بي من الغم ، وذلك مَنٌّ الله وحده لا شريك له له الحمد والمنُّ والكبرياء ، والطول لا اله إلا هو ، وأشهد أنه الحق الدائم الذي ليس كمثله شيء ، ولا ينزل به ما ينزل بخلقه وأنه خالق الأشياء كلها والقادر على الأشياء لامقدور عليه ولا رب غيره ، ولا راد لحكمه وهو سريع الحساب ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به من عند الله ، وأن الكتاب حق يصدق بعضه بعضا ، نسأل الله ألا يزيغ قلوبنا بعد أن هدانا ، وأن يهب لنا من لدنه رحمة ورضوانا إنه الوهاب ، عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ، وأمتع بك عامة المسلمين) .

المجمل والمفسر

وأما المجمل والمفسر فقال **الإمام أحمد بن سليمان** عليه السلام في **الحقائق** : إن من المجمل سورة الحمد وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني ، قال الله تعالى :﴿**ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم**﴾ [1] في هذه السورة أكثر المعاني المفسرة في سائر القرآن ، وهو مجمل في هذه السورة.

قلت: قال في **النجم الزاهر في تفسير الباهر** ما لفظه : "وأما فضل التفسير فروينا عن **الحسن** [2] قال:(أنزل الله مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها منها أربعة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان ، ثم أودع علوم الفرقان المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها علم تفسير جميع كتب الله تعالى المنزلة ، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان) وهذا الحديث وإن كان موقوفا على **الحسن** ، لابد أن يكون مسندا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم متى ثبت كونه عن **الحسن** ، وهو من أخبار الآحاد التي يجوز قبولها ، ولكنه منطو على أشياء ليست من مسائل الإجتهاد ، فلا يكون قولا له ، ولايصح أن يكون إلا بوحي الله تعالى ، فكان قويا من هذه الجهة جدا .

ثم قال عليه السلام :(من ذلك ذكر أسماء الله الحسنى ، وذكر الحمد والشكر والثناء ، وذكر جميع ما خلق الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة في ذكر العالمين وأن الله تعالى مالك الدنيا والدين ، وفيه ذكر العبادة والإستعانة ، وهما يشتملان على جميع العبادات ، وفيه ذكر الصراط المستقيم ، والإشارة إلى غير المستقيم ، وفيه ذكر المهتدين والذين أنعم عليهم رب العالمين ، وفيه ذكر المغضوب عليهم ، وذكر الضالين والمغضوب عليهم الذين يتعمدون المعاصي ، ويعلمون أنهم عاصون ، والضالون : فهم الذين يحسبون أنهم ناجون وهم عند الله هالكون) .

---

(١) ـ الحجر : ٨٧

(٢) ـ المراد به الحسن البصري

قلت: وقوله تعالى :﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ يقول : طريق الذين أنعمت عليهم من النبيئن والصديقين والشهداء والصالحين .

وقوله :﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ قيل: هم العصاة الذين أراد الله الإنتقام منهم وقوله :﴿**ولا الضالين**﴾ عام لكل من ضل عن الدين ، وسيأتي الآن بيان ذلك في تفسير هذه السورة المباركة إن شاء الله ، قال الإمام عليه السلام :(ففي هذه السورة جميع معاني القرآن) .

ومن المجمل في الكتاب ما يكون تفسيره من القرآن ، وذلك مثل قوله تعالى :﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم**﴾[1] فهذه الآية مجملة وتفسيرها في مَن توضع فيهم الصدقة وهو قوله : ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾ [2] .

ومن ذلك قول الله تعالى :﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**﴾[3] فهذا مجمل ظاهره يوجب أن ذبيحة الناسي التسمية ، والصبي الذي لم يبلغ لاتجوز ، ثم فسره بقوله :﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب**﴾[4] فبين أن المراد بالآية الأولى أن النهي بما ورد عن أكل ما أهل به لغير الله.

ومن المجمل أيضا قوله :﴿**اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [5] ثم فسر الله

---

(١) ـ التوبة : ١٠٣

(٢) ـ التوبة : ٦

(٣) ـ الأنعام : ١٢١

(٤) ـ المائدة : ٣

(٥) ـ المائدة : ٥

هذا ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾[١] وقال:﴿إنما المشركون نجس﴾[٢] وقال:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[٣] فبين أن المراد بالآية الأولى من آمن من أهل الكتاب .

ويؤيد ذلك قول الله تعالى :﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن با لله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾[٤] .

ومن المجمل في الكتاب ما يكون تفسيره في السنة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك مثل قوله تعالى :﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٥] ومثل قوله:﴿و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[٦] فكان تفسير الصلاة وشروطها ، وحدودها ، وواجبها ، ونوافلها في الشرع ، على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك الزكاة فيم تؤخذ ؟ ومتى تؤخذ ؟ وكذلك الحج وأوقات الصلاة فقد ورد في ذلك القرآن مفسرا ، ومساورد في الشرع فهو تأكيد له ، فهذا وأمثاله من المجمل والمفسر ، وإن كانت هذه الثمانية الأصناف تحتاج إلى تفسير .

قال عليه السلام : (ومن غامض كتاب الله قوله تعالى :﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾[٧] وقد استدلت الباطنية ـ لعنهم الله تعالى ـ بهذه الآية على إبطال الأعمال وإظهار عيبه ، وقالوا: هو ينقض بعضه بعضا ، وإذا كان يتناقض كان باطلا ، قالوا : قوله:﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ يوجب ترك

---

(١) ـ البقرة : ٢٢١

(٢) ـ التوبة : ٢٨

(٣) ـ الممتحنة : ١

(٤) ـ آل عمران : ١٩٩

(٥) ـ البقرة : ٨٣

(٦) ـ آل عمران : ٩٧

(٧) ـ الإسراء : ١١٠

الصلاة ؛ لأنه بزعمهم لا يمكنه أن يصلي بغير جهر ، ولا مخافتة .

فنقول : ليس الأمر يتناقض ، وإنما أمره أن لا يجهر بكل الصلاة ، ولا يخافت بكلها وأمره أن يبتغي بين ذلك سبيلا ، وقد ابتغى صلى الله عليه وآله وسلم سبيلا ، وهو أنه جهر بالقراءة في الليل وصلاة الفجر ، وخافت بها في صلاة الظهر والعصر ويجهر بالأذان والإقامة والتكبير وقوله : سمع الله لمن حمده ، والتسليم في جميع الصلوات وذلك مروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الأخبار المتظاهرة ، وهو إجماع الأمة وقد أمرنا الله بإتباعه فقال:﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1] فيبطل قول الباطنية .

[الناسخ والمنسوخ]

وأما الناسخ والمنسوخ فقال عليه السلام :(اعلم أن في الكتاب ناسخا ومنسوخا فمن المنسوخ ما نسخ حكمه ، ولم ينسخ حفظه وكتابته وتلاوته ، والأمة مجمعة على ذلك إلا فرقة ممن لا يعمل على قوله .

ومن المنسوخ ما نسخ وجوبه وحرم فعله كالتوجه بالصلاة إلى بيت المقدس .

ومن المنسوخ ما نسخ وجوبه ، وبقي جوازه ، كصوم عاشوراء .

ومن الدليل على أن في الكتاب ناسخا ومنسوخا ـ قوله الله تعالى :﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**﴾[2] وفي هذا تقديم وتأخير ، أراد ما ننسخ من آية أو ننسها ، فلا ننسخها ونقرها على حالها ، قال الله تعالى :﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾[3] هي أصله والمحكم .

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سمع رجلا يعظ الناس ، ويقص عليهم

---

(١) ـ الحشر : ٧

(٢) ـ البقرة : ١٠٦

(٣) ـ الرعد : ٣٩

فقال: هل علمت ناسخ القرآن ومنسوخه ؟ قال: لا . قال له عليه السلام : هلكت وأهلكت).

وسبب الناسخ والمنسوخ ضعف الإسلام في مبتدَئِه ، وقوتُه في منتهاه ، وتخفيف من الله للمؤمنين ، فأول ما نسخ القبلة ، وذلك أن الكعبة كانت قبلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قبل أن يهاجر إلى المدينة ، وكان أهلها لا يعرفون قبلة إلا بيت المقدس ، وكان الإسلام عربيا [1] فأنزل الله تعالى :﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾[2] فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت المقدس على ما روي ستة عشر شهرا ، وقيل: سبعة عشر شهرا ، فلما تقوى الإسلام توقع صلى الله عليه وآله وسلم الوحي من ربه، وانتظر جبريل عليه السلام ينزل به، فأنزل الله تعالى :﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾[3] أي نحوه .

ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منها**﴾[4] نسخها آية المواريث .

ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾[5] يريد الزائد على كفايتهم نسختها آية الزكاة .

ومما نسخ :﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾[6] فكانوا لا

---

(١) - في ب : وكان الإسلام غريبا .

(٢) - البقرة : ١١٥. حديث (صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا) أخرجه ابن حبان في صحيحه الإحسان ٦١٧/٤ رقم ١٧١٦، والبخاري ٤٤٩٢، ٧٢٥٢، والترمذي ٣٤٠، ورقم ٢٩٦٢، وعنه البغوي في شرح السنة ٤٤٤ وأخرجه البيهقي ٢/٥ ، وابن أبي شيبة ٣٣٤/١ ، وعنه مسلم ٥٢٥، وأخرجه الطيالسي ٧١٩، والطبري ١٣٣/٣، ١٣٤، وأبو عوانة ٣٩٣/١، وابن سعد ٢٤٢/١، ٢٤٣، وابن ماجه رقم ١٠١٠، والدارقطني ٢٧٣/١ والنسائي ٦٠/٢ من طرق عن البراء بن عازب .

(٣) - البقرة : ١٤٤

(٤) - النساء : ٨

(٥) - البقرة : ٢١٩

(٦) - البقرة : ١٨٣

يأكلون بعد الرقاد بالليل ، ولا يشربون ولا يجامعون ، فنسخ ذلك قول الله تعالى :﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾[1] معنى قوله :﴿**وابتغوا ما كتب الله لكم**﴾ يريد الولد .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن تفسير الخيط الأبيض من الخيط الأسود ؟ فقال: (هو الليل والنهار)[2].

ثم قال الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام أيضا :(ومما نسخ نكاح المتعة ، وهو قوله تعالى :﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن**﴾[3] نسخها قول الله تعالى : ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة**﴾[4].

قال عبد الله بن الحسين عليه السلام في كتاب الناسخ والمنسوخ ، بعد أن ذكر خلاف العامة في ذلك : والقول عندنا إنها منسوخة ، نسخها الكتاب والسنة ، ثم شرح ذلك فيه وبينه أحسن بيان ، وإن الإستمتاع الذي ذكره الله تعالى إنما هو تزويج إلا أنه كان فيه شروط .. إلي قوله : وقد فسرت ذلك في آخر الباب .

وأما الكتاب فنسخها بقوله سبحانه :﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**﴾[5] فنسخها تعالى ما أوجب من

---

(١) ـ البقرة : ١٨٧

(٢) ـ في الإحسان في شرح صحيح ابن حبان عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت :﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ قال النبي :(إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل ، وهو في صحيح ابن خزيمة ١٩٢٥، ١٩٢٦، وأخرجه الترمذي رقم ٢٩٧٠، وأحمد ٣٧٧/٤، والبخاري رقم ١٩١٦ـــ ٤٥٠٩، ٤٥١٠، والطحاوي ٥٣/٢، والبيهقي ٢١٥/٤، والبغوي في تفسيره ١٥٨/١، والدارمي ٦٠٥/٢، ومسلم برقم ١٠٩٠، والطبري في جامع البيان ٢٩٨٩، ٢٩٨٦، ٢٩٨٧، ٢٩٨٨، و الطبراني في الكبير ١٧ رقم ١٧٨، ١٧٩ كلهم من طرق عن عدي بن حام ، وللحديث شواهد كثيرة .

(٣) ـ النساء : ٢٤

(٤) ـ الطلاق : ١

(٥) ـ المؤمنون : ٥ ـ ٦

العدة للزوجة ، والميراث والصداق والطلاق ، وقوله للأولياء : انكحوا ــ ولاتنكحوا وأما السنة: فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شرط في النكاح ، وقد بلغني من غير جهة : أن المتعة إنما كانت ثلاثة أيام ، وإنما كانت تزويجا إلا أنه كان فيها شروط ، فنسخ الله تلك الشروط، ثم بين لنا الناسخ من الكتاب والسنة .. إلى قوله :وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه اعتمر فشكا الناس إليه الغربة فقال:(استمتعوا من هذه النساء ، واجعلوا الأجل بينكم وبينهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث أو الرابع من قوله ـ خرج صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف بين الركن والمقام ، وأسند ظهره إلى الكعبة فقال: (أيها الناس إني كنت أمرتكم بالإستمتاع إلا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده شيء منهن فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) [1].

وروي أنه قال في آخر كلامه :(متعة النساء حرام) قال ذلك ثلاث مرات .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه مر بعبد الله بن عباس وهو يفتي بنكاح المتعة فقال أمير المؤمنين عليه السلام:(نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها وعن لحوم الحمر الأهلية)[2] والأمة مجمعة على تحريم المتعة إلا الإمامية فإنهم يرونها .

ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا**﴾ وهذا في المختلعة وقوله :﴿**وقد آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما**

---

(١) ـ في تحريم المتعة أحاديث كثيرة منها حديث مقارب لما في المتن أخرجه ابن حبان انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٩/٤٥٤ رقم ٤١٤٧، وأحمد ٣/٤٠٤، ٤٠٥، وابن أبي شيبة ٤/٢٩٢، وعبدا لرزاق ١٤٠٤١ والحميدي رقم ٨٤٧، والدارمي ٢/١٤٠، ومسلم ١٤٠٦، وابن ماجه ١٩٦٢، وأبو يعلى ٩٣٩ والطحاوي ٣/٢٥، والطبراني بأرقام والبيهقي ٧/٢٠٣ وكلهم من طرق عن الربيع بن سيرة الجهني عن أبيه ، وله شواهد كثيرة وروايات من طرق أخر عن عدة من الصحابة .

(٢) ـ قول أمير المؤمنين في النهي عن المتعة والحمر أخرجه ابن حبان انظر الإحسان ٩/٤٤٨، رقم ٤١٤٠، ٤١٤٥، ٤١٤٣، من طريقين عن أمير المؤمنين ، وأخرجه سعيد بن منصور ٨٤٩، ومن طبقة الطحاوي ٣/٢٥، بلفظ المتن كما أخرجه البخاري بأرقام ٤٢٠٦، ٥٥٢٣، ٥١١٥٠، ومسلم ١٤٠٧، والنسائي ٦/١٢٦، ٧/٢٣، والترمذي ١٧٩٤، و ابن م ماجه ١٩٦١، والبيهقي ٧/٢٠١، وسعيد بن منصور ٨٤٨، والحميدي ٣٧، والدارمي ٢/١٤٠ وأبو يعلى ٥٧٦، و ابن أبي شيبة ٤/٢٩٢، وغيرهم بألفاظ متقاربة .

بينا﴾[١] نسخه قول الله :**﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم إلا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾**[٢].

وروي أن أول مختلعة في الإسلام **حبيبة بنت سهل** [٣]كانت عند **ثابت بن قيس بن شماس** [٤] فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله لا أنا ولا ثابت، فقال: أفتردين عليه ما أخذت منه ؟ قالت : نعم وكان ثابت تزوجها على حديقة من نخل ، فقال ثابت : هو يطيب لي يا رسول الله ؟ قال: نعم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطلاقها)[٥] .

ومما نسخ قول الله تعالى :**﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾**[٦] فكان عدة آل متوفى عنها زوجها سنة وكانت لها الوصية ، ولم يكن لها ميراث ، فنسخت بالعدة بقوله عز وجل :**﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾** [٧] وسبب العدة إظهار الحزن على صاحبها ، وتوقع الولد منه ، وفي هذه المدة يتبين الحمل إن كان .

---

(١) ـ النساء : ٢٠

(٢) ـ البقرة : ٢٢٩

(٣) ـ حبيبة بنت سهل الأنصارية : أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يتزوجها ، ثم تركها ، فتزوجها ثابت بن قيس ،روت عنها عمرة ، وهي التي اختلعت من زوجها (أخرجه الثلاثة) وقد قيل : إن المختلعة جميلة بنت أبي بن سلول قال ابو عمرو : جائز أن يكون حبيبة وجميلة اختلعتا من ثابت . (أسد الغابة ٤٢٣/٥)

(٤) ـ ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهد أحدا وبيعة الرضوان ، وكان جهير الصوت خطيبا بليغا ، استشهد يوم اليمامة .

(٥) ـ أخرجه ابن حبان انظر الاحسان ١١٠/١٠ رقم ٤٢٨٠، ومالك في الموطأ ٥٦٤/٢، والشافعي ٥٠/٢ـ ٥١ وأحمد ٤٣٣/٦، ٣/٤ وأبو داود ٢٢٢٧، ٢٢٢٨، والنسائي ، ١٦٩/٦، والبيهقي ٣١٢/٧، ٣١٣ من طرق عن عمرة بنت عبد الرحمن عن حبيبة بنت سهل

(٦) ـ البقرة : ٢٤٠

(٧) ـ البقرة : ٢٣٤

وقيل: إنه يكون في أربعين يوما نطفة ، وفي أربعين يوما علقة ، وفي أربعين يوما مضغة ، فإذا بلغ أربعة أشهر صار عظاما ، ولم يخف كونه ، ولا يغبى وجوده .

ونسخت الوصية لهن بآية المواريث وهي قوله تعالى :﴿**ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن**﴾[1] .

ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا**﴾[2] نسخه قول الله تعالى :﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾[3] .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حدوهن واقتلوهن قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي عام والثيب بالثيب الرجم) [4].

ومما نسخ قول الله في أهل الذمة :﴿**فإن جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم**﴾[5] نسخها قول الله تعالى :﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾[6] .

ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**وأشهدوا إذا تبايعتم**﴾[7] نسخ بقوله تعالى :﴿**فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته**﴾[8] ذكر هذا كله الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في الحقائق .

---

(١) ـ النساء : ١٢

(٢) ـ النساء : ١٦

(٣) ـ النور : ٢

(٤) ـ لم أجده بهذا اللفظ والمشهور (خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر ، الثيب بالثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة ، والبكر بالبكر جلد مائة ثم نفي سنة) عن عبادة بن الصامت .

(٥) ـ المائدة : ٤٢

(٦) ـ المائدة : ٤٩

(٧) ـ البقرة : ٢٨٢

(٨) ـ البقرة : ٢٨٣

قال الإمام عبد الله بن الحسين عليه السلام في كتابه الناسخ والمنسوخ : والشهادات فقد اختلف فيها ، وفيما جاء في ناسخها ومنسوخها ، وهو الشهادة على البيع ، قال عز وجل :﴿**وأشهدوا إذا تبايعتم**﴾ فزعم قوم : أنها محكمة ، وأن الإشهاد لازم على مادق وجل ، مما يتبايعه الناس بينهم ، وقال آخرون : إنها منسوخة نسخها قول الله تعالى :﴿**فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أوتمن أمانته**﴾ .

قال عبد الله بن الحسين عليه السلام : والقول عندنا إنها منسوخة ، وإن المتبايعين بالخيار بالإشهاد ، إن أحبا أشهدا ، وإن تركا فلا حرج .

قال الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام :ومما نسخ حج المشركين ، وفي ذلك ما يقول الله تعالى :﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام**﴾[1] نسخه الله بقوله :﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾[2] ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**لا إكراه في الدين**﴾[3] وقوله :﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾[4] وقوله تعالى :﴿**لست عليهم بمسيطر**﴾[5] وقوله تعالى :﴿**فاعف عنهم**﴾[6] فكانت هذه الآيات وما شاكلها نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة ، فلما هاجر أمره الله بالجهاد،ونسخ الآيات هذه بقوله :﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾[7] وبقوله تعالى :﴿**قاتلوا الذين لا**

---

(١) ـ المائدة : ٢

(٢) ـ التوبة : ٢٨

(٣) ـ البقر' ٢٥٦

(٤) ـ ق : ٤٥

(٥) ـ الغاشية : ٢٢

(٦) ـ المائدة : ١٣

(٧) ـ الحج : ٤٠

يؤمنون با لله ولا باليوم الآخر﴾[١] وقوله تعالى :**﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾**[٢]

قلت: وقال غيره إن هذا منسوخ لأن العفو والصفح ونحوهما لا ينافي القتال وهو الأقرب وا لله أعلم .

قال الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام :ومما نسخ قول ا لله :**﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾**[٣] نسخها قول ا لله تعالى :**﴿انفروا خفافا وثقالا﴾**[٤] .

واعلم أن سورة براءة نسخت كل آية عقد بين المؤمنين والمحاربين ، وذمة وصلح وشرط ، ونسخت الصلح الذي كان في الأشهر الحرم ، وفي مكة لقوله تعالى :**﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾**[٥] إلا ما استثنى ا لله فيها من قوله :**﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن ا لله يحب المتقين﴾**[٦] فتحريم القتال في الحرم منسوخ بآية السيف ، وعلى ذلك إجماع أهل البيت عليهم السلام .

ومما نسخ قول ا لله تعالى :**﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾**[٧] نسخها ا لله تعالى بقوله :**﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾** [٨] .

قال عبد ا لله بن الحسين عليه السلام : وأما ناسخ المواريث ومنسوخها فلا أعلم اختلافا في قول ا لله عز وجل :**﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم**

---

(١) ـ التوبة : ٢٩

(٢) ـ التوبة : ٧٣

(٣) ـ التوبة : ١٢٢

(٤) ـ التوبة : ٤١

(٥) ـ التوبة : ٥

(٦) ـ التوبة : ٤

(٧) ـ الأنفال : ٧٢

(٨) ـ الأنفال : ٧٥

وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾(١) فأجمع الناس على أنه إذا كان الأخوان أحدهما مؤمنا أعرابيا ، والآخر مؤمنا مهاجرا لا يتوارثان لهذه الآية ، حتى أباح الله ذلك ونسخ الآية بقوله :**﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾** (٢) .

ومما نسخ فرض الوصية للوالدين والأقربين ، وذلك قول الله تعالى :**﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين﴾** (٣) نسخه الله بآية المواريث .

وعلى هذا يحمل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع :(ألا لا وصية لوارث) وقد نسخ ذلك بآية المواريث ، وهذا مما نسخ وجوبه ، وبقي جوازه ، ويؤيده قول الله تعالى :**﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾**(٤).

ومما نسخ التغليظ في النهي عن مخالطة اليتامى في النفقة والأكل معهم ، وذلك قول الله تعالى :**﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾**(٥) .

وروي أنه لما نزلت هذه الآية امتنع المسلمون من قبول الوصايا في اليتامى أن يكفلوهم ، وتحرجوا من مخالطتهم فنسخ الله ذلك التغليظ بقوله تعالى :**﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وأن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾**(٦) يقول: لو شاء لضيق عليكم ،

---

(١) ـ الأنفال : ٧٢ ، في الأصل : (والذين هاجروا وجاهدوا) والصواب ما أثبتناه .
(٢) ـ الأنفال : ٧٥
(٣) ـ البقرة : ١٨٠
(٤) ـ الأحزاب : ٦
(٥) ـ النساء : ١٠
(٦) ـ البقرة : ٢٢٠

وقال:﴿**ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف**﴾(١) المراد ـ وا لله أعلم ـ : أنه من كان غنيا عن المخالطة فليستعفف عن المخالطة لهم ، و الأكل معهم ومن كان فقيرا إلى ذلك فليخالطهم وليأكل معهم ، ولا يتعمد الظلم لهم ، والنقص لهم في مالهم ، وقد اختلف في هذه الآية ، فمن الناس من حملها على ظاهرها ، وأجاز للوصي الأكل من مال اليتيم إذا كان الوصي فقيرا ، وأن ينفق منه على نفسه ومن يلزمه نفقته ، ومن الناس من قال : يتناول منه ما يتناول المضارب من مال المضاربة على سبيل الأجرة .

قال عليه السلام : وعندنا أن ذلك لا يجوز لقول ا لله تعالى :﴿**فليأكل بالمعروف**﴾ ومن المعروف أن يخرج الوصي لليتيم من ماله مثل ما يخرج لمثله من أولاده ، ثم يخلطه في نفقته أولاده ، ويواسيه بأولاده ، ولا ينقصه في ماله ، ولا في نفقته ، فهذا هو المعروف .

ويؤيد ذلك قول ا لله تعالى :﴿**وا لله يعلم المفسد من المصلح**﴾ (٢).

ومما نسخ قول ا لله تعالى :﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن ا لله غفور رحيم**﴾(٣) وسبب نزول هذه الآية أن المسلمين أكثروا النجوى ، حتى أضر ذلك برسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم ، فأراد ا لله أن يخفف عنه فأنزل ا لله هذه الآية ، فامتنع كثير من الناس من المناجاة .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:(إن في كتاب ا لله لآية وفرضا ما عمل بهما غيري ولا يعمل بهما أحد بعدي لما أنزل ا لله :﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن ا لله غفور رحيم**﴾ كان معي دينار فصرفته ، وكنت إذا أردت أن أناجي رسول ا لله

---

(١) ـ النساء : ٦

(٢) ـ البقرة : ٢٢

(٣) ـ المجادلة : ١٢

صلى الله عليه وآله وسلم تصدقت بدرهم ، فلم يفرغ الدينار حتى نسخت الآية) فنسخها الله بقوله :**﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا لزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون﴾**(١) .

قيل: ومما نسخ قول الله تعالى :**﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾** .

وقال عبد الله بن الحسين عليه السلام في كتابه الناسخ والمنسوخ مالفظه :(فزعم أهل هذا القول أن هذا في صلاة الليل ، وأنه جاء بعد الأمر بها الترخص في تركها بالنسخ ، وقال آخرون : إن السورة كلها محكمة ، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ وإنما أراد الله الأمر بالصلاة والقيام والترتيل له إنما ذلك كله في صلاة العتمة المفروضة وإنما جاء في آخر السورة من التوسعة في الأوقات رحمة من الله للعباد ، ولما ذكر الله من علمه بهم وأن منهم مريض ومسافر ومجاهد ، وهذا الآخِر قولنا ، وبه نأخذ .

ومن الدليل على ما قلنا به أن الصلاة التي في هذه السورة هي العتمة المفروضة جمع الله بها في آخر الكلام الزكاة ، قال الله سبحانه :**﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾** (٢).

---

(١) ـ المجادلة : ١٣ ، آية النجوى : رواه في ينابيع المودة ٩٩/١ عن الجمع بين الصحاح الستة للعبدي ، و تاريخ البخاري ، و ابن المغازلي والثعلبي و الحمويني وأبي نعيم ، وابن المغازلي ، وأخرجه فرات الكوفي في تفسيره ص ٤٦٩ إلى ص ٤٧١ بألفاظ وطرق متعددة ، كما أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل من طرق عدة والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين رقم ١٠٢ــ ١٠٦ وابن المغازلي في المناقب رقم ٣٧٣ والحمويني في فرائد السمطين ، و ابن أبي شيبة في المصنف رقم ١٢١١٤، ١٢١٧٥ والطبري في تفسيره ٥٨٠/٢٠ بلفظه عن أمير المؤمنين ، وهو بلفظ مقارب عنه ، قال محقق تفسير فرات الكوفي : وأخرجه الحسكاني بأسانيد عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة وابن أبي شيبة في المصنف والمتقي في الكنز، والسيوطي في الدر المنثور عن أبي شيبة ، وعنه ابن حميد وابن جرير وأبي يعلى وابن المنذر ، والدورقي وابن حبان وابن مردويه والترمذي وحسنه ... وأخرجه ابن المغازلي وأبو نعيم والسيوطي أيضا مع اختلاف في اللفظ عن عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وسعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة والحاكم ، وصححه وأخرجه أبو جعفر الكوفي المناقب وابن طاووس ، وانظر ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر.

(٢) ـ المزمل : ٢٠

قلت : وسيأتي إن شاء الله تعالى للهادي عليه السلام [في سورة المزمل ما يدل على انه لاناسخ فيها ولا منسوخ ، وقد صرح بذلك أيضا أخوه الإمام عبد الله بن الحسين عليه السلام في كتابه الناسخ والمنسوخ والله أعلم] (١).

ومما نسخ قول الله تعالى :﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**﴾(٢) نسخ هذه الآية بقوله :﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**﴾ (٣) .

فهذا ما جاء في الناسخ والمنسوخ .

[العام والخاص]

ومن القرآن ما هو في مخرجه عام وفي معناه خاص ، وذلك مثل قوله تعالى :﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾ (٤) فمخرج الآية يدل على أن الله اصطفى آل ابراهيم وآل عمران على العموم والكمال ، والمعنى : أنه خص بالإصطفاء من آل إبراهيم وآل عمران من يستحق الإصطفاء لقوله تعالى :﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾(٥) .

ومن الكتاب العام لجميع العباد مثل قوله تعالى :﴿**يا عباد فاتقون**﴾(٦) .

ومنه العام لجميع المتعبدين مثل قوله :﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾(٧) .

---

(١) ـ ما بين قوسي الزيادة من ب .
(٢) ـ الأنفال : ٦٥
(٣) ـ الأنفال : ٦٦
(٤) ـ آل عمران : ٣٣ ـ ٣٤
(٥) ـ البقرة : ١٢٤
(٦) ـ الزمر : ١٦
(٧) ـ البقرة : ٢١

ومنه العام للمؤمنين مثل قوله تعالى :﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله**﴾(١) وهذا ذكر عام للمؤمنين دون الكافرين ، وذلك لاستماع المؤمنين للأمر ، وبعد الكافرين عن استماع الأمر والطاعة .

ومنه الخاص لبعض المؤمنين ، وهو مثل قوله :﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾(٢) فهذه الآية خاصة **لعلي** أمير المؤمنين عليه السلام [إذ لايكون الولي إلا غير المولى عليه] (٣).

قلت : ومثل ما روي علامة الشيعة **عبد الله بن زيد العنسي** (٤) رحمه الله في رسالته **البديعة** عن **ابن عباس** قال: أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيدي ويد علي وخلا بنا على ثبير ، ثم صلى ركعات ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن موسى بن عمران سألك ، وأنا محمد نبيئك أسألك أن تشرح لي صدري ، وتيسر لي أمري ، وتحلل عقدة من لساني ، ليفقه به قولي ، واجعل لي وزيرا من أهلي علي بن أبي طالب أخي ، اشدد به أزري ، وأشركه في أمري) قال ابن عباس : فسمعت مناديا يا أحمد ، قد أوتيت ما سألت ، فرفع علي يده إلى السماء وهو يقول: اللهم اجعل لي عندك عهدا ، واجعل لي عندك ودا ، فأنزل الله على نبيه :﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**﴾(٥) فتلاها النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) ـ الجمعة : ٩

(٢) ـ المائدة : ٥٥ . وممن بين في سبب نزول هذه الآية ، وفسرها وهي آية ﴿إنما وليكم الله﴾ وأنها خاصة في أمير المؤمنين الحافظ محمد بن سليمان الكوفي المناقب بأرقام ٨٥، ١٠٠، ١١٠، وأخرجه الحسين بن الحكم الحبري في تفسيره رقم ١٣، وعنه الحاكم الحسكاني في تفسير الآية من شواهد التنزيل ١/١٨٤ رقم ٢٤٠، وتحت أرقام أخرى من عدة طرق عن أمير المؤمنين وعمار وأبي ذر وجابر والمقداد وعبد الله بن عباس وأنس وأخرجه من طرق أبو نعيم في كتاب ما نزل من القرآن في علي كما في خصائص الوحي المبين ، ص ١٧ ط ١ ، والنور المشتعل ص ٥٦ ط ١ ، ومجاهد . وطرقه وأسانيده قد ألفت فيها كتب .

(٣) ـ ما بين القوسين موجود في ب .

(٤) ـ عبد الله بن زيد بن أبي الخير العنسي المتوفى سنة ٦٦٧ عالم كبير من أعيان الناصر الإمام احمد بن الحسين له مقالات ومقامات عظيمة ومن مؤلفاته الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة خ انظر عنه وعن مؤلفاته أعلام المؤلفين الزيدية وله كتاب الإرشاد المعروف بإرشاد العنسي .

(٥) ـ مريم : ٩٦ حديث ابن عباس : أخرجه بلفظه فرات الكوفي في تفسيره رقم ٦٣٦ وابن المغازلي في المناقب

وسلم على أصحابه ـ فعجبوا من ذلك تعجبا شديدا ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (منها تعجبون القرآن أربعة أرباع فربع فينا أهل البيت خاصة ، وربع في أعدائنا ، وربع حلال وحرام ، وربع فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في علي كرائم القرآن) .

وعن **علي** عليه السلام :(نزل القرآن أرباعا ربع فينا ، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، فلنا كرائم القرآن) [1] .

[محذوف الجواب]

ومنه **محذوف الجواب** مما يوجب العلم مثل قوله تعالى :﴿**ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى**﴾[2] الآية المراد بها لكان هذا القرآن فحذف الجواب لعلم السامع . ومثل قوله تعالى :﴿**ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون**﴾ إلى قوله :﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم**﴾ أراد تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر ، فحذف الجواب لعلم السامع

ومثل قوله تعالى :﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها**﴾[3] المراد به أمرنا مترفيها بالطاعة ، ففسقوا فيها ، ولا يغرنك ما ذكره صاحب الكشاف هاهنا

حديث ٣٧٥ في المناقب ، والحافظ أبو نعيم فيما نزل كما في البحار ٣٥/٣٥٩، وأورده المجلسي في البحار عن فرات والروضة ٣٥/٣٥٦، كما أورده الحسكاني في شواهد التنزيل عن فرات أيضا حديث ٥٧ وللحديث شواهد كثيرة ، أما ذيله وهو قوله :(القرآن أربعة أرباع) فله شواهد جمة من طرق متعددة عن الباقر والصادق وأمير المؤمنين عليهم السلام وغيرهم .

(١) ـ وفي ينابيع المودة ١/١٢٦ قال وفي المناقب عن الأصبغ بن نباته عن علي عليه السلام قال: نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، ولنا كرائم القرآن) أيضا عن أبي الجارود وأبي بصير وحيثمة وهم جميعا عن الباقر عليه السلام قال هذا الحديث بلفظه . قلت: وأخرجه فرات الكوفي في تفسيره من عدة طرق ص ٤٦ـ ٤٨ قال محققه : وروى العياشي بسنده خلة ، والحسكاني ، وأخرجه الحسين بن الحكم الحبري في تفسيره ، وعنه الحسكاني في الشواهد ، وهو في الشواهد من طرق عديدة .

(٢) ـ الرعد : ٣١

(٣) ـ الإسراء : ١٦

من أن المحذوف هو الفسق المأمور به على المجاز ، فإنه خلاف ما أجمع عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد أمرنا بإتباعهم ، ونهينا عن مخالفتهم ، ألا تسمع كيف يقول فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(ولا تخالفوهم فتضلوا) الخبر ، كما مر الإشارة إلى ذلك ، من وجوب إتباعهم ، مع أنه تفسير الكل من أهل التحقيق من غيرهم ، خلا ما أصر عليه صاحب الكشاف ، كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه من سورة السجدة .

ومثل قوله تعالى :﴿**فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا**﴾[1] المراد من قبل أن يتماسا ، كسبيله في العتق والصيام ، والمعنى واحد ، ومثل هذا موجود في كلام العرب ، قال الشاعر:

عفا الله عنك كل شاة برجلها   على نفسه يخطي الفتى ويصيب

أراد كل شاة معلقة .

ومن محذوف الجواب قوله :﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾[2] الآية ، فالمحذوف هنا جواب وإن خفتم فالمعنى : وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فلا تتولوهم ، وقوله :﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**﴾ مستأنف مبتدأ .

قلت : وقال الهادي عليه السلام في هذه الآية : إن هذا من التقديم والتأخير ، ثم فسر ذلك وبينه في كلام له بسيط ، رواه عنه ولده المرتضى عليه السلام في الإيضاح .

[أنواع الكلم في كتاب الله]

قال صنوه الإمام الناصر أحمد بن يحي عليهم السلام بلفظه:(وفي القرآن أكرمك الله الإستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والإضمار والحذف

(١) ـ المجادلة : ٤

(٢) ـ النساء : ٣

والتكرار ، **والإخفاء** ، والإظهار ، **والتعريض** ، **والإفصاح** ، **والكناية** ، **والإيضاح** **ومخاطبة** الواحد بمخاطبة الجميع ، **والجميع** بخطاب الواحد ، **والجميع** بخطاب الإثنين ، وعجائب القرآن لا تحصى ، ولا تنزف بحارها ، ولايدرك قرارها لذا جعله عز وجل حجته البالغة على خلقه ، ونوره الزاهر في بريته ، وحقه الدامغ لجميع من خالفه والحمد لله رب العالمين) .

[مفهوم الخطاب]

ومنه مفهوم الخطاب ، وذلك مثل قوله تعالى :﴿**ولا تقل لهما أف**﴾[1] ففهم من هذا الخطاب أنه لا يجوز للولد أن يفعل بالوالدين ما كان فوق قوله : أف كالضرب والشتم والغضب ، وأمثال ذلك ؛ لأنه لم ينه عن العليل إلا وقد نهى عن الكثير .

[المجاز]

ومنه المجاز مثل قوله تعالى :﴿**في سبيل الله وابن السبيل**﴾ [2] ومثل قوله تعالى : ﴿**واخفض لهما جناح الذل**﴾[3] فسمى ابن السبيل على المجاز ، وكذلك جناح الذل وليس ثم جناح على الحقيقة وإنما هو على المجاز .

[الغامض]

وأما **الغامض** فهو الذي لا يعلمه إلا الله ، والراسخون في العلم ، كما قال عزمن قائل :﴿**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب**﴾[4] فأولئك العلماء الصالحون من ورثة الكتاب ومن تبعهم من ذوي الألباب .

---

(١) ـ الإسراء : ٢٣

(٢) ـ التوبة : ٦٠

(٣) ـ الإسراء : ٢٤

(٤) ـ آل عمران : ٧

[القصص والعبر والأمثال

[والوجه في تجزئة بعض الأخبار وتكرار بعض]

وأما القصص والعبر والأمثال والمواعظ والأخبار ، وأمثال ذلك فظاهر .

قال إمامنا المنصور با لله عليه السلام وقد سئل عن الوجه في كون بعض القصة في موضع من القرآن وتمامها في موضع آخر : إن ذلك جاء كذلك لمصالح يعلمها ا لله

تعالى لتعلق بعض المعاني ببعض القصة في موضع من القرآن ، وبعضها بالبعض الآخر أو اقتضت الحكمة أن يكون كل شيء من ذلك في موضعه ، وكذلك تكرار القصص لولا أن تفصيل ذلك يستغرق زمانا وكُتُبًا ؛ لبيَّنّا لك من بديع الكلام ، ومعاني القرآن ما تعلم به وجه الحكمة .

وقد أشار بعضهم إلى شيء من ذلك حيث قال:(ومن الكتاب العزيز آيات مكررة قصصه ، وأحكامه ، ووعده ، ووعيده ، وذلك لاتساع الكلام ، والإبلاغ والبيان فكرر ماكرر من ذلك ؛ لفوائد يعرفها اليقضان ، منها: التأكيد ، والرسوخ في النفوس لأنها أنفر شيء عن الوعظ والنصح.

ومنها : تثبيت النبي الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم ، عند عظيم ما يرد عليه من ذوي الطغيان ، فإن لطراوة التنزيل موقعا ، ليس لما أنزل منه منذ أزمان .

ومنها: أنه يرد المعنى الواحد بعبارات مختلفة ، كلها فصيحة الألفاظ صحيحة المعاني ، يدل على تناهيه في الفصاحة ، واقتدار قائله على التوسع في البلاغة والإفتتان ثم ما كرر من ذلك خفيف على الآذان ، وما ذلك إلا أنه كلام المالك الديان ، فحمدا له على ما خصنا به ، وعلى ما أظهر لنا من فضله وأبان ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الذي نسخ بدينه جميع الأديان .

وبعد هذا فلنشرع فيما وعدنا بذكره وتقديمه من تفسير أئمتنا عليهم السلام فنقول وبا لله نستعين :

[تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام]
[مقدمة في مدح القرآن]

قال الإمام الأعظم نجم آل الرسول **القاسم بن إبراهيم** الغمر طباطبا ، ابن إسماعيل الديباج الأكبر ، ابن إبراهيم الغمر ـ أيضا ـ الشبه ، ابن الحسن الرضا المثنى ، ابن الحسن السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم وسلامه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الهدى فيما نزل من كتابه مكملا .

قال الإمام الناصر احمد بن يحي عليهما السلام : (قال الحكماء وأهل العلم والمعرفة بمقدار جوامع الكلم : إن هذه الكلمة وحدها تقوم وتغني عن مائة كتاب ؛ لصدقها في معناها ، وكمال ما افترض الله من فرائضه على خلقه ، في كتابه الكافي عما سواه فله الحمد والمنة على كل حال).

ونزل برحمته للعباد منه تبيانا كريما مفصلا ، فيه لمن استغنى به أغنى الغنى ، ولمن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى ، لا يحتوي على جنائه أبدا محتوي ، ولا يدوي على شفائه أبدا مدو، نور أعين القلوب المبصرة ، وحياة الباب النفوس المطهرة ، إلف كل حكيم ، وسكن نفس كل كريم ، وقصص الأنباء الصادقة ، ونبأ الأمثال المحققة ويقين شكوك حيرة الإرتياب ، وخير ما صحب من الأصحاب ، سر أسرار الحكمة ومفتاح كل نجاة ورحمة ، قول أرحم الراحمين ، وتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، فأي منزل سبحانه ونازل وتنزيل ، لقد جل سبحانه وتنزيله عن كل تمثيل ، وطهر وتقدس إذ وليه بنفسه ونزل به روح قدسه عن قذف الشياطين وأكاذيبها ، وافتراء مردة الآدميين وألاعيبها ، فأحكم عن خطل الوهن والتداحض وأكرم عن زلل الإختلاف والتناقض ، فجل بآياته مترافدا ، وبضياء بيناته مشاهدا غير

متكاذب الأخبار ، ولا متضائق الأنوار ، بل ضحيان النور فتحان الأمور متيحان الأنهار بالحياة المنجية ، واسع الأعطان والأفنية ، ساطع النور والبرهان ، جامع الفضل والبيان ، فأنواره بضيائه زاهرة ، وأسراره لأوليائه ظاهرة ، فما أن يوارى عن أهله الذين استودعوا علمه من سرائره سريرة ، ولا يدع ما وضع من نوره من مشكله حيرة ، بعزائم حكماته المنزلة ، ودلائل آياته المفصلة ، فسبحان من جاد به طولا وجعل سببه موصولا ، لقد أجل سبحانه المنة به على العباد ، ودلهم به تبارك وتعالى على كل رشاد ، فجاد لهم منه بما لا تجود به نفس وإن عظم جودها ، لقد جاد لهم منه بكنوز لا تبلى ، وأعطاهم به عطية لا يجد لها واجد وإن جهد مثلا ، فبذل لهم منه كنز الكنوز ، ودلهم به على نجاة وفوز ، فتح لهم أبواب الجنان وهداهم به سبيل الرضوان ، ونبأهم فيه عن نبأ السموات العلى ، وما مهد تحتهن من الأرضين السفلى ، وما فتق من الأجواء بين الأرض والسماء ، وعن خلق الملائكة والجن والأنس فقد نبأهم ، وعن كل علم كريم فيد به آثارهم ، فقص به عليهم أخبار القرون الماضية وخبرهم فيه بمن أهلك بذنبه من الأمم العاتية ، فكل عجيب من الأشياء ، أو قصة كريمة من قصص الأنبياء فقد أوصل فيه علمها إليكم ، وأورد عجيب بيانها به عليكم ، فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا ، وبه فهو ذو العبر فاعتبروا ، ففيه نوافع العلم وجوامع الكلم التي يستدل بقليلها عن كثير من تلبيس قال وقيل، ويستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل ، فسبيل قصده فاسلكوا ، وبه ما بقيتم فتمسكوا، فهو ذروة الذرى وبصر مالا يرى ، وعروة الله الوثقى ، وروح من أرواح الهدى ، سماوي أحله الله أرضه ، وأحكم به في العباد فرضه فلا يوصل إلى الخيرات أبدا إلا به ، ولا تكشف الظلمات إلا بثواقب شهبه ، من صحبه صحب سماويا لا يجهل ، وهاديا إلى كل خير لا يضل ، ومؤنسا لقرنائه لا يمل ، وسليما لمن صحبه لا يغل ، ونصيحة لمن ناصحه لا يغش ، وأنسا لمن وانسه لا يوحش ، وحبيبا لمن حابه لا يبغض ، ومقبلا على من أقبل عليه لا يعرض ، يأمر بالبر والتقوى ، وينهى عن المنكر والأسواء ، لا يكذب أبدا حديثا ، ولا يخذل من أوليائه مستغيثا ، إن وعد وعدا أنجزه أو تعزز به أحد أعزه ، لا تهون لأوليائه معه حجة ، ولا تبلى له مآقي أبدا بهجة ، لا

يخلقه كر ولا ترداد ، ولا يلم به وهن ولا فساد ، ولايعيا بـه وإن لكـن إنسـان ، ولا يشبه فرقانه فرقان ، ومن قبل ما صحب الروح الأمـين والملائكـة المقربـين فكـان لهـم هاديا ومبينا ، وازدادوا من ا لله يقينا ، فاتخِذُوه هاديا ودليلا ، واجعلوا سبيله لكم إليـه سبيلا حافظوا عليه ولا ترفضوه ، واتّخِذُوه حبيبا ولا تبغضوه ، فإنه لا يحب أبـدا لهـم مبغضا ، ولا يُقْبِلُ على من كان عنه معرضا ، ولا يهدي إليه من عاداه ، ومـن تعـامى عنه أعماه ، لا يبصر ضياءه إلا من تأمله ، ولا يعطي هـداه إلا أهلـه ، مـن ضـل عنـه أضله ، يقلد جهله من جهله ، إن أدبر عنه أدبر ، أو أقبل عليه بَصَّر ، جعله ا لله يَتَلَوَّنُ في ذلك بألوان ، ويتفنن فيه على أفنان ، فهو الهادي المضل ، وهو المدبر المقبل ، وهـو المسمع المبصر المُصِمُّ ، وهو المهين المكرم ، وهو المعطي المانع ، وهو القريـب الشاسـع وهو السر المكتوم ، وهو العلانية المعلوم ، فمرة يهدي إليه من اصطفاه ، ومـرة يضـل من أبى قبول هداه ، ومرة يُقْبِلُ على من أقبل عليـه ، ومـرة يدبـر عـن مـن التـوى في الهدى عليه ، ومرة يسمع من استمع منه ، ومرة يصم من أعـرض عنـه ، ومـرة يهـين الأعداء ، ومرة يكرم الأولياء ، يعطي من قبل عطاءه ، ويمنع من أبى قبول هداه يَقْرُبُ لمن ارتضاه ، ويَشْسَعُ عن من سخط قضاءه ، يعلن لأوليائه ويظهر ، ويكتم عن أعدائه ويستتر ، نور هدى على نور ، وفرقان بين البر والفجور ، أرشد زاجر وآمر ، وأعـدل مقسط ومقدِّر ، يوقظ بزجره النومى ، ويعظ بأمره الحكمـاء ، ويحيي بروحـه الموتـى ولا يزيد من مات عنه إلا موتا ، يعدل أبدا ولا يجور ، وكل أمر فَقَدَرٌ مقدور ، ظـاهره ضياءٌ وبهجة ، وبطنه غَور ولُجَّةٌ ، لا يملك حُسْنُ أنوارِه ولا تدرك باطنُ أغواره فمـن ظهر لظاهر مناظره رأى عجائبه في مـوارده ومصـادره ، ومـن بطـن المستنبطة ، رأى مكنون محاسنه ، من غرائب علمه ، وأطائب حكمه ، لُبَابُ كلِّ لُبَـابٍ ، وفَصْـلُ كُـلِّ خِطَابٍ ، وحكمـه مـن حكـم رب الأربـاب ، اكتفـى بـه منـه في هـدى مـلأُ أوليائـه واصطفى به من خصه ا لله سبحانه باصطفائه ، فمصابيح الهدى به تزهر واهجة وسبل التقوى به إلى ا لله تلوح باهجة ، يُحْتَاجُ إليه ولا يَحْتَاجُ ، سـراجه أبـدا بنـوره وهـاج يُعَلِّمُ ولا يُعَلَّمُ ويُقَوِّمُ ولا يُقـوَّمُ ، فهـو المهيمـن الأمـين ، والفـاصل المبين ، والكتـاب الكريم ، والذكر الحكيـم ، والرضـاء المقنـع ، والمنـادي المستمع ، والضيـاء الأضـوى

والحبل الأقوى ، والطود الأعلى ، الذي يعلو فلا يعلى ، لا يؤتى لسورة من سُوَرِهِ بِمِثْلٍ ولا نظير ، ولا يوجد فيه اختلاف في خبر ولا حكم ولا تقدير ، فصل كل خطاب ، وأصل كل صواب ، فجعلنا الله وإياكم من أهله وعصمنا وإياكم بحبله والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما .

[مقدمة لتفسير الإمام القاسم عليه السلام]

وبعد فإنا لما رأينا ما فيه جوامع الهدى واليقين ، وكان الهدى واليقين به مقدمة معتصم كل دين ، علمنا متيقنين ، وأيقنَّا مستبينين ، أن لن نصيب رشدا ولن ننال مطلوب هدى إلا به ، وعن تفسيره ، وبما نور الله به القلوب من تنويره ، فنظرنا عند ذلك فيه ، واستعنا به عليه فوجدناه بمن الله لكل علم من الهدى ينبوعا ، ورأينا به كل خير في الهدى مجموعا ، فلا خير في الحياة كخيره ، ولا يهتدى لأحكام الله بغيره من طلب الهدى في غيره لم يجده أبدا ، ومن طلبه به وجد فيه أفضل الهدى ، فقصدنا قصده ، والتمسنا رشده ، فأي رشد فيه وجدنا ! والى أي قصد منه قصدنا [1] ! تا الله ما غابت عنه من الهدى غائبة ، ولا خابت لطالب فيه خائبة ، لقد كشف ستور الأغطية ، وأظهر مكنون سر الأخفية ، فأوجد مطلوب ملتمسها ، وأبان ملتبس مقتبسها على ما بلي به قديما من تلبيس ملوك الجبابرة وأتباعها ، من علوم العوام المحيرة في توجهها له على أهوائها وتصريفه، وتأويلها له بخطابها على تحريفه ، حتى عطل فيهم قضاؤه ، وبدلت لديهم أسماؤه ، فسمت الإساءة إحسانا ، والكفر با لله إيمانا ، والهدى فيه عندهم ضلالا ، وعلماء أهله جهالا ، ونور حِكَمِه ظُلَماً ، ونور ضيائه عمى ، حتى كادت أن تجعل فاؤه ألفا ، وألفه للجهل با لله فاء ، تلبيسا على الطالب المرتاد ، وضلالة من العامة عن الرشاد ، فنعوذ با لله من عماية العمين، والحمد لله رب العالمين ، فلولا ما أيد الله في كتابه وحججه ، وأذكى سبحانه من تنوير سرجه ، لأباد حججه بتظاهرهم المبطلون ، ولأطفأ سرجه الظلمة الذين لا يعقلون

---

(١) - في ب : فأي رشد فيه وجدناه ، وإلى أي قصد منه قصدناه .

ولكن الله سبحانه أبى له أن يُطْفَا ، وجعله سراجا لأوليائه لا يخفى ، وفي ذلك ما يقول سبحانه :﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [١] ولعلنا ولا قوة إلا بالله العلي الكبير ، وبالله نستعين على ما هممنا به لكتابه من التفسير أن نضع مما علمنا الله فيه طرفا ، وأن نصف فيه من وجوه الحق وصفا ، نبين عنه بما يحضرنا الله فيه من التبيين ، ونعتمد فيه على ما نزل الله به من هذا اللسان العربي العزيز المبين ، فإن الله جعله مفتاح علمه ، ودليل من التمسه على حكمه فلا يفتح أبدا إلا بمفاتيحه ، ولا يكشف ظلمه إن عرضت في فهمه إلا بمصابيحه ، فعنه فاستمعوا ، وبه وفيه انتفعوا .

واعلموا : أنا لن نضع من ذلك إلا قليلا وإن أكثرنا ، وإنا وإن بلغنا من تفسيره كل مبلغ فلن نمسك عنه إلا وقد قصرنا ، وأن لكل تفسير منه تفسيرا ، وإن في قليله تفسيره كثيرا ، ولكل باب منه أبواب ، وكل سبب فقد تصله الأسباب ، إلا أنا سنقول في ذلك بما يحضرنا الله فهمه ، وما نسأل الله أن يهبنا في كتابه علمه .

ونبدأ من تفسير كتاب الله بما نرجو أن يكون الله بدأ من تفسير السورة التي أمر نبيه أن يسأله فيها الهدى ، وسماها عوام هذه الأمة فاتحة الكتاب والفرقان ، وقال بعضهم : اسمها أم القرآن ، وذلك مما يدل على من يستدل على أنها أول ما نزل لا كما يقول بعض الجهلة العوام بغير ما دليل ولا برهان : وإن أول ما نزل من القرآن :﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق﴾ [٢] ألا ترى كيف يقول : اقرأ ما نقرئك باسم ربك الذي نزل عليك ، فأخبر جل ثناؤه أن قد نزل عليه قبلها الإسم الذي أمر بقراءته فيها ولها ، وأن يقدمه في القراءة عليها ثم يصير بعد القراءة به إليها ألا ترى أنه لو كان ما قد قرأ هو ما أمر عليه السلام أن يقرأ لكان إنما أمر بفعل تام مفعول ، وقول قد تقدم مقول ، وإنما اسم ربه الذي أمر أن يقرأ به بسم الله الرحمن الرحيم الذي قدم له في صدر كل سورة عند أول كل تعليم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما .

---

(١) - التوبة : ٣٢

(٢) - العلق : ١ - ٢

تفسير سورة (الحمد لله رب العالمين)

قال [الإمام] القاسم بن إبراهيم عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله﴾ تأويل ﴿الحمد لله﴾ فهو الشكر لله على نعمه وإحسانه ، والتحميد لله والثناء عليه ، ومن الحمد قيل: محمود وحميد ، كما يقال من الجود :جواد ومجيد .

والله لا شريك له : فهو الذي تأله إليه القلوب ، ويستغيث به في كل كرباته المكروب ، وإليه يجأر الخلق كلهم جميعا ويألهون ، وإياه سبحانه يعبد البررة الأزكياء ويتألهون ، دون كل إله ورب ومعبود ، وإياه يحمدون في كل نعمة قبل كل محمود .

وتأويل ﴿رب العالمين﴾ فهو : السيد المليك الذي ليس معه فيما ملك مالك ، ولا شريك .

وتأويل قوله سبحانه :﴿العالمين﴾ فيراد : الخلق أجمعون ، الباقون منهم والفانون ، والأولون منهم والآخرون .

وتأويل ﴿الرحمن﴾ فهو : ذو الغفران والمن والإحسان .

وتأويل ﴿الرحيم﴾ فهو : العفوُّ عن الذنب العظيم ، والناهي عن الظلم والفساد لما في ذلك من رحمته للعباد ، ضعيفهم وقويهم [وفاجرهم وبرهم] .

وتأويل ﴿ملك يوم الدين﴾ فهو : مالك أمر يوم الدين ، الذي لا ينفذ أمر في ذلك اليوم غير أمره ، ولا يمضي فيه حكم غير حكمه ، والمَلِكُ : من المُلْكِ ، والمالك : من المِلْكِ ، وهما يقرآن جميعا ، وكلاهما [معا] [1] فلله ، فهو يوم الجزاء والثواب والعقاب ، وإنما سمي الدين لما يدان أي يجازى [قال: معنى يوم الدين فهو يوم يدان] [2] العاملون أعمالهم ، ويجزون يومئذ بهداهم وضلالهم .

---

(١) ـ ما بين القوسين زيادة من المجموع المخطوط .

(٢) ـ ما بين القوسين زيادة من المجموع المخطوط .

﴿إياك نعبد﴾ فهو : نوحد ونفرد <أنت يا معبودنا لا غيرك> .

﴿وإياك نستعين﴾ نسأل العون على أمرنا وتوفيقنا لما يرضيك عنا .

﴿اهدنا﴾ وفقنا وأرشدنا .

﴿الصراط المستقيم﴾والصراط : هو السبيل الذي ليس فيه زيغ ولا ميل قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

و﴿المستقيم﴾ فهو الطريق الواضح الذي افترضه الله إلى الطاعة ، المعتدل الذي ليس فيه عوج ولا ميل ، فهو لا يجور بأهله عن قصده ، ومنه قوله تعالى :﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾[1] .

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ يقول : طريق الذين أنعمت عليهم من عبادك الصالحين ، الذين هديتهم ووفقتهم لرشدهم .

﴿غير المغضوب عليهم﴾ تأويل ذلك غير المغضوب عليهم منك .

﴿ولا الضالين﴾ يقول: ولا صراط الضالين بالهوى والعمى عنك ، لأنه قد ينعم جل ثناؤه في هذه الدنيا على من يضل عنه ومن لا يقبل ما جاء من الهدى والأمر والنهي ، ولمن يغضب جل ثناؤه عليه من الكافرين ، يقول: اهدنا صراطا غير صراط الذين غضبت عليهم ، والمغضوب عليهم في هذا الموضع :فهم اليهود ﴿ولا الضالين﴾ يقول : ولا صراط الضالين ، والضالون : فهم في هذا الموضع النصارى .اهـ

وروى المرتضى[2] لدين الله عن أبيه الهادي إلى الحق عليهما السلام في تفسيره هذه

---

(١) - الأعراف :٨٦

(٢) - ننقله بنصه من كتاب الستمائة آية للإمام المرتضى محمد بن الهادي إلى الحق يحي بن الحسين ، ويعرف بمسائل عبد الله بن الحسن خ (هو بمجموع تفسير الأئمة ص ٦٨٢) ما نصه (﴿بسم الله الرحمن الرحيم وسألت أرشد الله أمرك ، ووفق لقصد الحق طريقك عن تفسير سورة الحمد ، وقد كنت سألت عنها أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ، وسأله بعض أصحابكم أيضا فقال: (معنى قوله :﴿بسم الله﴾ فهو بسم الله نبدأ كل شيء ﴿الرحمن﴾ فهو ذو الرحمة والإحسان ﴿الرحيم﴾ فهو ذو التعطف بالرحمة والإمتنان ﴿الحمد لله﴾ فهو الشكر لله على نعمه وإحسانه ، والتمجيد لله والثناء عليه ﴿رب العالمين﴾ معنى رب فهو سيد العالمين ، والعالمون : فهم الخلق أجمعون من انسي وجني ﴿الرحمن الرحيم﴾ فقد تقدم تفسيرهما ﴿ملك يوم الدين﴾ معنى ملك فهو مالك أمر يوم الدين لا ينفذ أمر في ذلك اليوم غير أمره ، ولا يمضي فيه حكم غير حكمه (يوم الدين﴾ فهو يوم الجزاء والثواب والعقاب ، وإنما سمي الدين لما يدان العالمون فيه ، ومعنى يدان : فهو يجازى ﴿إياك نعبد﴾ معناها : أنت معبودنا لا غيرك ،

السورة المباركة مثل هذا بعينه سواء سواء [1].

ومعنى نعبد : فهو نطيع ونتعبد (وإياك نستعين﴾ معناها: إياك نسأل العون على أمرنا والتوفيق لما يرضيك عنا ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ معنى اهدنا: فهو وفقنا وأرشدنا الصراط المستقيم ، والصراط المستقيم : فهو الطريق إلى الطاعة . المستقيم : فهو الحق الذي افترضه ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ يقول: طريق من أنعمت عليه من عبادك الصالحين الذين وفقتهم وهديتهم لرشدهم ﴿غير المغضوب عليهم﴾ ويقول: اهدنا صراطا غير صراط الذين غضبت عليهم ، والمغضوب عليهم في هذا الموضع فهم اليهود ﴿ولا الضالين﴾ ويقول: ولا صراط الضالين أي اهدنا صراطا غير صراط الضالين ، والضالون في هذا الموضع النصارى).

(١) - في تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي عليهم السلام ما لفظه :(حدثنا أبو جعفر قال: حدثنا علي بن احمد قال : حدثنا عطاء بن السائب قال: حدثنا أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي عن زيد بن علي عليهما السلام أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال:

﴿بسم الله﴾ هو تعظيم لله ﴿الرحمن﴾ بما خلق من الأرض في الأرض والسماء في السماء ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فقال : الجن عالم والإنس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض في كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته تبارك وتعالى ، وقوله تعالى :﴿مالك يوم الدين﴾ يوم الحساب والجزاء ، وقوله تعالى :﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فالهداية التثبيت ، و الهداية البيان وهو قوله عز وجل :﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ فصلت : ٦ والصراط : الطريق ، والمستقيم : الواضح البين ، وقوله تعالى :﴿المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ هم اليهود والنصارى .

وفي حاشية المحقق على تفسير الغريب المطبوع وهو الدكتور حسن محمد تقي الحكيم قال ما مضمونه :إن للإمام زيد بن علي عليه السلام تفسيرا للفاتحة وبعض آيات القرآن مخطوط وفيه قال الإمام زيد بن علي عليه السلام في سبب التسمية :(إنما تسمى أيضا أم الكتاب لأنه يبدأ بها في أول القرآن فتعاد ، ويقرأ بها في كل ركعة قبل قراءة ما يقرأ به من السور .

وفي هذا التفسير المخطوط أيضا نقل المحقق قول الإمام زيد بن علي عليه السلام : ﴿الرحمن﴾ مجازه ذو الرحمة ، وكانت العرب لا تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى ، ولا تسمي الله تعالى به ، وكان أهل الكتاب يعلمون أنه من أسماء الله تعالى :﴿قل ادعو الله أو أدعو الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ والرحمن : المنان .

وفي قراءة الإمام زيد بن علي المنسوبة إليه أنه قرأ ﴿الحمدِ﴾ بالكسر قال المحقق : وانظر المحتسب لابن جني ٣٧/١ ومجمع البيان للطبرسي ٢١/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٠٢/١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٦/١، و البحر المحيط لابن حيان ١٩/١، وروى أيضا أنه قرأ ﴿الحمدَ﴾ بنصب الدال ، وانظر شواذ القرآن للكرماني ١٤، والبحر المحيط ١٩/١، وروح المعاني للألوسي ٧٠/١، ومعجم القرآت القرآنية /٥.

كما روى الكرماني عن الإمام زيد أنه قرأ ﴿اهدنا صراطا مستقيما﴾ بالفتح من غير لام التعريف ، انظر شواذ القرآن ١٦، وانظر البحر المحيط لأبن حيان ٢٦/١، وروح المعاني للألوسي ٨٨/١ ومعجم القرآت ١٧/١ قال الحكيم : وذكر زيد بن علي أن للهداية معنيان : هما الدلالة والبيان ، والعصمة والهداية ، وأما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم و المؤمنين فلها معنى واحد وهو الدلالة والبيان ، انظر تفسير سورة الفاتحة وبعض آيات القرآن للإمام زيد بن علي ص ١٣ مخطوط ، والأشباه و النظائر لمقاتل بن سليمان ٨٩/١.

[الأحكام]

ولنذكر من أحكام هذه السورة المباركة ما ذكره إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد رحمة الله عليه في تفسيره في آيات الأحكام باللفظ: فيها - يعني سورة الحمد - خمس آيات، الأولى: قال الله سبحانه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الباء متعلقة بمحذوف يحتمل أن يكون اقرءوا أيها المؤمنون، أو ابتدئوا قراءة القرآن بسم الله الرحمن الرحيم.

يدل على هذا التفسير قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ واسم الرب تبارك وتعالى الله، ومن أسمائه سبحانه الرحمن الرحيم، فإذا احتمل الأمر كما ذكرنا ولا دلالة على المكلف، قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أوائل السور التي وضعها الله فيها.

[وجوب الفاتحة والجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾]

وسورة الحمد واجبة في كل صلاة واجبة، ولا تنعقد صلاة ([من] يحسنها)[1] بغيرها كما هو المعلوم من الدين.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (كل صلاة لا يجهر فيها بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فهي آية اختلسها الشيطان).

والبسملة من القرآن، وذلك معلوم من الدين، وهي آية من كل سورة إلا براءة عند العترة، وعند قالون[2] من قراء المدينة، وعند قراء مكة والكوفة وفقهائها.

والدليل على ذلك إثباتها في المصحف وأخبار صحيحة) اهـ.

---

(١) - اللفظ في أ: ولا تنعقد صلاة يحسنها بغيرها، وما بين الأقواس غير موجود في ب ..

(٢) - قالون: هو عيسى بن ميناء، قالون المدني، صاحب نافع، قال ابن حجر في لسان الميزان ٤/٤٠٧، ٤٠٨: أما في القراءة فثبت، وأما في الحديث فيكتب حديثه في الجملة، ثم قال: روى عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعنه اسماعيل القاضي، وابو زرعة وطائفة، مات سنة عشرين ومائتين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كنيته ابو موسى، روى عنه محمد بن اسماعيل البخاري، واسماعيل القاضي، وقال ابن ابي حاتم: سمعت علي بن الحسن الهسنجاني يقول: كان قالون أصم شديد الصمم، وكان ينظر إلى شفتي القاري فيرد عليه اللحن والخطاء.

واعلم أن الجهر بها واجب في كل صلاة مكتوبة ، والدليل عليه مارواه المحققون من علماء الحديث من عموم دليل الجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى بعضهم تواتر الجهر بها عن علي بن أبي طالب عليهم السلام [١] .

ولما رواه إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد رحمة الله عليه عن آل رسول الله صلى الله عليه وعليهم قال عليه السلام :(إن الجهر بها واجب في كل المكتوبات لما رواه أهل البيت عليهم السلام من طرق كثيرة منها : ماروواه عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(كل صلاة لم يجهر فيها بـ بسم الله الرحمن الرحيم فهي آية اختلسها الشيطان الرجيم) [٢] وفي الشفاء [٣] نحوه و لم يفصل .

ومنها : ماروواه أيضا عن علي عليه السلام وعمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر في المكتوبات . فرويا التعميم في فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : ماروواه الهادي عليه السلام في الأحكام عن أبيه[٤] عن جده عن أبي بكر بن أويس [٥] عن الحسين بن عبد الله بن ضميرة [٦] عن أبيه [٧]

---

(١) - انظر الروض النضير ١٠/٢ - ١٨ وأمالي أحمد بن عيسى رأب الصدع ٢٤٢/١ من رقم ٣١٦- ٣٥٨ ، والإعتصام ٣٦٨/١- ٣٧٩ وأغلب المبحث منقول منه .

(٢) - أخرجه محمد بن منصور المرادي في أمالي أحمد بن عيسى عن علي وعمار رقم ٣٢٨ ، وهو في الإعتصام ٣٧٥/١، وقال: رواه الدار قطني أيضا من حديث جابر عن أبي الطفيل عن علي وعمار وله طريق أخرى عن علي أخرجها الحاكم في المستدرك .

(٣) - الشفاء : كتاب من أهم المجاميع الحديثية جمعه الأمير الحسين بن بدر الدين رحمه الله .

(٤) - هو : الحسين بن القاسم بن إبراهيم والد الإمام الهادي عليه السلام

(٥) - أبو بكر بن أبي أويس : هو عبد الحميد بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي أويس الأصبحي المدني محدث مشهور قال في الطبقات : روى عن حسين بن عبد الله بن ضميرة وغيره ، وثقه ابن معين وغيره ، وقال الأزدي : كان يضع الحديث فقال الذهبي : وهذه منه زلة قبيحة ، وقال الدار قطني : أبو بكر بن عبد الحميد قدمه أبو داود على أخيه ، قال السيد محمد بن إبراهيم في العواصم : وعامة أسانيد الأحكام تدور عليه وعلى أخيه إسماعيل ، والقاسم بن إبراهيم خرج له الستة إلا الترمذي .

(٦) - الحسين بن عبد الله بن ضميرة رماه المحدثون بالكذب ، قال السيد احمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الوزير

عن جده (١) عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(يا علي من لم يجهر في صلاة بـ بسم الله الرحمن الرحيم فقد أخدج صلاته) (٢) ولفظ الصلاة إذا أضيف أفاد العموم إذا لم تقم قرينة على التخصيص وكذلك حكم كل جنس أو اسم جنس مضاف ، يشهد بذلك قوله تعالى :﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ (٣) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث المشهور:(يقول ابن آدم مالي مالي) (٤) ألا ترى أن العموم في كلا الصورتين يسبق إلى الفهم من غير قرينة ، وذلك من أقوى أدلة الحقيقة ، ولا يضرنا خلاف من خالف في ذلك من الأصوليين .

ومنها : ماروه الهادي عليه السلام في الأحكام أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(كل صلاة لا يجهر فيها بـ بسم الله الرحمن الرحيم فهي آية

: هو من شيعة أهل البيت وموالي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد روى عنه الأئمة القاسم وأحمد بن عيسى والهادي ، وروايتهم عنه تنزهه عن الكذب لعل وفاته بعد الستين والمائة ، خرج له أئمتنا الخمسة إلا الجرجاني ، وخرج له الهادي عليه السلام في الأحكام .(انظر الروض النضير ٢/١١، رأب الصدع : ٣/١٧٨٠).

(٧) ـ عبد الله بن ضميرة ، أوضمرة بإسكان الميم ، أوضمها مصغرا ـ السلولي ، عن أبيه وأبي هريرة ، وكعب الأحبار ، وعنه مجاهد بن حمير ، وعبد الرحمن بن سابط ، وعطاء بن قرة السلولي ، وولده حسين ، وثقه العجلي وعده ابن حبان في الثقات ، خرج له الترمذي وابن ماجه ، والإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين عليه السلام ، والسيدان الأخوان ، ومحمد .

(١) ـ ضمرة بفتح أوله وسكون الميم ، كذا في كتب أئمتنا ، والجامع والخلاصة ، وفي الأكثر بضم الضاد المهملة مصغرا ، وكذا في شرح التجريد ، قال الحاكم : وضميرة من موالي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد عقب ، يروي عن علي عليه السلام ، أخرج له ائمتنا الثلاثة والهادي في الأحكام ، وعنه ولده ، اسمه : سعد الحميري ، في قول البخاري ، وعند أبي حاتم سعيد ، وقيل : روح بن سندر ، وقيل : روح بن شيرزاد ، وقد أعطى النبي عائلة أبي ضميرة كتابا يوصي المسلمين بهم .

(٢) ـ الحديث أخرجه في الأحكام ١/.. وهو بسنده في أمالي أحمد بن عيسى ١/٢٤٢ رقم ٣١١ موقوفا عن علي ، وانظر الروض النضير ١/١١

(٣) ـ الإسراء : ١١٠

(٤) ـ أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين (تحت الطبع) وأحمد في المسند ٤/٢٤، والزهد ١٧، وابن حبان ٢/٤٧٢ رقم ٧٩ ومسلم في الزهد والرقائق رقم ٢٩٥٨ ، وابن المبارك في الزهد ٤٩٧ وانظر تخريج الحديث كاملا في الإعتبار وسلوة العارفين

اختلسها الشيطان) [1] .

هذا غير الأخبار المجملة نحو ماروا عليه السلام عن **ابن عباس** (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم حتى قبض.

وروى زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام :(أنه كان يجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم) [2].

وأيضا قال في حاشية الفصول : قال في **الأمالي** [3] ما لفظه : (قال **محمد** [4] أجمع آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم .

قال عليه السلام قلت: و لم يخص فريضة من فريضة ، ولأصح أن يكون ذلك ردا على من لم يأت بالبسملة مع الفاتحة والسورة ، ويكون حكمها أنه يجهر بها في صلاة الليل ، ويخافت بها في صلاة النهار ، لأن تظاهر الأخبار بلفظ الجهر ، ولا يقبل ذلك لا لغة ولا عرفا فلو كان كذلك لروي بغير اللفظ وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يأت في صلاته بـ بسم الله الرحمن الرحيم أومن لم يقرأ ، وكان يجب أن يروى أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يأت بـ بسم الله الرحمن الرحيم أو كان صلى الله عليه وآله وسلم يقرؤها ، وكذلك ما جاء به من حكاية إجماع

---

(١) ـ الأحكام ١٠٦/١

(٢) ـ رأب الصدع ص ٢٤٢ رقم ٣١٦ـ ٣١٧ ، وقال : أخرجه البيهقي عن الشعبي ، وأخرج الدارقطني عن علي عليه السلام قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في صلاته ، وقال : هذا إسناد علوي لابأسبه ، راجع الروض ١١/٢ . وانظر مسند الإمام زيد ، وانظر الروض النضير ١٠/١ـ ١٨ ، ط ق .

(٣) ـ قال في رأب الصدع (٢٦٠/١) : وذكر البيهقي في الخلافيات : اجتمع آل محمد على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، حكاه عن ابي جعفر الهاشمي ، وذكر الخطيب عن عكرمة أنه كان لايصلي خلف من لايجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وعن أبي جعفر الهاشمي مثله .

(٤) ـ الإمام الحافظ المتقن : محمد بن منصوربن يزيد المرادي ، احد الأعلام المعمرين ، ولد ونشأ بالكوفة ، عرف بمواقفه الصلبة والشجاعة في نصرة أهل البيت ، محدث الزيدية ، ورأس الشيعة ، كفاه تعديل الأئمة له ، لزم الإمام القاسم خمسا وعشرين سنة ، والامام أحمد بن عيسى نيفا وعشرين حجة ، وهو صاحب الإجتماع التاريخي العظيم ، الذي ذكره المولى العلامة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي في لوامع الأنوار ، لعل مولده بين ١٤٠ـ ١٥٠هـ وفاته بين ٢٩٠ـ ٣٤٠.

أهل البيت عليهم السلام) (١).

---

(١) - أما تفسير الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي للفاتحة فيقول في تفسير البرهان (مخطوط) ما لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم سورة فاتحة الكتاب مكية ، وقد قيل: إنها مدنية لها ثلاثة أسماء : فاتحة الكتاب ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، روينا عن أبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني) فأما تسميتها بفاتحة الكتاب فلأنه يستفتح بإثباتها خطا وبتلاوتها لفظا ، وأما تسميتها : أم القرآن فلتقدمها على سائر القرآن وتأخير ما سواها تبعا لها ، وصارت أما لأنها أمته أي تقدمته ، وكذلك قيل لراية الحرب : أم لتقدمها ، واتباع الجيش لها قال الشاعر:

على رأسه أم لنا نهتدي بها جماع أمور لا نعاصي لها أمرا

وقيل لما مضى على الإنسان من سني عمره : أم لتقدمها قال الشاعر :

إذا كانت الخمسون أمك لم يكن لـــــــداتك إلا أن تـموت طبيب

وأما تسميتها بالسبع المثاني أما السبع فلأنها سبع آيات ، وأما المثاني فلأنها تثنى في كل صلاة فرض وتطوع ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أجمع الناس على أن بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل بعض آية ، وإنما اختلفوا في إثباتها آية من فاتحة الكتاب ، ومن كل سورة في القرآن فذهب قوم إلى أنها آية في الفاتحة ، وليست منها ، وكذلك حكمها في سائر القرآن ، وذهب آخرون إلى أنها ليست من القرآن ، وعندنا وعند علماء العترة الطاهرة أنها آية من فاتحة الكتاب ومن كل سورة أثبتت فيها ، وأن تاركها تارك لآية من كتاب الله عز وجل ، والدليل على صحة ما ذهبنا إليه ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قراءته لها مع ما كان يقرأ من السور فلولا أنها آية من القرآن لما جاز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل في كلام الله عز وجل ما ليس منه ، كما لا يجوز أن يخلط به كلام لسواه ولا بيتا من الشعر ، فلما كان الأمر على هذا وجب أن تكون آية من السور .

والثاني : إجماع الأمة على اختلافها في إثباتها في كل سورة إلا سورة براءة ، وإجماعهم حجة ، وليس يثبت في القرآن ما ليس منه على ما ذكرنا .

وأما من قال : إنها آية وليست بآية من فاتحة الكتاب فالدليل عليه إجماع كل من قرأ القرآن إنها سبع آيات ولا تكون سبعا إلا بعد عد بسم الله الرحمن الرحيم .

وأما ﴿بسم﴾ فيجوز أن تكون صلة زائدة ، وإنما هو الله الرحمن الرحيم ، والمستشهد بقول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فذكر اسمَ السلام زيادة ، وإنما أراد ثم السلام عليكما ، أو يجوز أن يكون أسم أصل مقصود ، وفي دخول الباء عليه قولان : أحدهما : أنها دخلت على معنى الأمر ، والثاني : أنها دخلت على معنى الخبر ، فأما معنى الأمر فتقديره ابدأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وأما الثاني : فعلى الإخبار - بدأت بسم الله الرحمن الرحيم ، وحذفت ألف الوصل بباء الإلصاق في اللفظ والخط لكثرة الأستعمال ، والاسم : كلمة تدل على المسمى دلالة إشارة ، والصفة : كلمة تدل على الموصوف دلالة إفادة فإن جعلت الصفة اسما دلت على الأمرين ، على الإشارة والإفادة .

وفي اشتقاق الإسم وجهان احدهما: أنه مشتق من السمو ، وهو الرفعة لأن الإسم يسمو بصاحبه ، والآخر من السمة وهو العلامة ، فترفعه من غيره ، وأما قوله :﴿الله﴾ فهو أخص أسمائه لأنه لم يتسم به غيره ، وفيه تأويلان :

قلت : وأما قول من قال :(إنا نخصص أدلة الجهر بالبسملة بالقياس على سائر ألفاظ الفاتحة ففاسد لأن البسملة آية من سورة الفاتحة خصت حكمها عن حكمها الأخبار الصحيحة ، وأوجبت عموم الجهر بها الأدلة الصريحة فلا قياس يصح التخصيص به مع أنه إن يسلم على التنزل صحة القياس المذكور لم يصح التخصيص به لما تقدم من النصوص ؛ لأنها لم تفصل وذلك لأن دلالة النصوص المتقدمة عامة ، وعمومها لفظي ، و القياس عام وعمومه معنوي ، ودلالة اللفظي أقوى ، بدليل أنهم لا يصيرون إلى المعنوي الذي هو القياس إلا عند تعذر اللفظي ، وذلك إجماع فتخصيص الأضعف بالأقوى أولى ، كيف وقد أكد العموم والإطلاق في تلك الأدلة حتى يزيل ذلك الوهم ، وتلك المقالة إزالة لا يكون معها دلالة ولا عليها تخصيصا ولا تقديرا لفظ كل ونحوه حتى قال إمامنا المنصور با لله عليه السلام أنه لا يجوز تخصيصه إلا بالمقارن من لفظ متصل نحو قوله تعالى :﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [1] أو قرينة حالية كما سيأتي ذلك إن شاء ا لله .

قال عليه السلام :(ووجه ذلك أن لفظ كل ونحوه موضوعة لتقرير الشمول ، ودفع توهم عدمه ، نحو: جاءني القوم كلهم ، أوكل القوم ، لئلا يتوهم أن بعضهم لم يجيء لكنك لم تعتد به أوانك جعلت الحكم من بعضهم كالحكم من كلهم بناء على أنهم في حكم شخص واحد لسب من الأسباب كقوله تعالى :﴿**فعقروا الناقة**﴾[2] أي ناقة صالح عليه السلام ، وإنما عقرها قدار بن سالف وحده ، فنسب العقر إليهم لسبب

أحدهما ـ أنه اسم علم للذات ، والآخر أنه اسم مشتق من صفة ، وأسماء الصفات تكون تابعة لأسماء الذات ، فلم يكن بد من أن يختص باسم ذات يكون علما لتكون أسماء الصفات والنعوت تبعا له ، واشتقاقه من آله فحذفت الهمزة وعوض منها الألف واللام وفخم للتعظيم ، وفي اشتقاقه قولان: احدهما ـ أنه من الوله لأن العباد يألهون إليه ، أي يفزعون إليه في أمورهم فقيل للمألوه إليه : إله كما قيل للمؤتم به : إمام ، والثاني : مشتق من الألوهية : وهما لعباده من قولهم : فلان يتأله أي يتعبد قال: رؤبة بن العجاج :

(لله در الغانيات المبده لما رأتني خلق المموه سبحن واسترجعن من تأله)

انظر تفسير البرهان مخطوط

(١) ـ القصص : ٨٩

(٢) ـ الأعراف : ٧٧

رضائهم بذلك ، أو لتركهم الإنكار والذب عنها ، وهم يقدرون على ذلك ، وإذا كان الأمر كذلك وأتى بلفظ كل أو نحوها مرادا به البعض دون الكل مجردة عما يدل على ذلك حال إطلاقها بطلت فائدتها وصارت عبثا ، ولو في وقت من الأوقات وذلك لا يجوز على الحكيم لغنائه عن فعله ، وقدرته على إزاحته ، وعلمه بكونه نقصا وأما إذا قارن المخصص لم يكن كذلك لأن فائدتها توجه عند ذلك إلى الباقي ، ويعلم أنه لا تَوَهُّمَ ولا تَجَوُّزَ فيه بخلاف سائر ألفاظ العموم فوقوع التوهم من غير الله وغير رسله فيما عصمهم من التوهم فيه من تبليغ الشرائع كثير ، وكذلك التجوز فلم تبطل فائدتها بتأخير التخصيص إلى وقت الحاجة) إلى آخر كلامه عليه السلام .

ففي هذا بحمد الله لمن أنصف كفاية لمن له من ربه هداية ، فإن الأمر بحمد الله في ذلك واضح وضوح النهار ، ولكنه لا يدرك نور الشمس من سلب نور الأبصار فلله القائل :

إذا لم يكن للمـــرء عين بصيرة ... فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وكما قال بعضهم[1]:

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا

واعلم أن في أحاديث الجهر بالبسملة من طريق أئمتنا عليهم السلام وغيرهم أكثر مما ذكر منها ما قدمنا .

ومنها : ما روى إمامنا المنصور بالله عليه السلام عنهم في الإعتصام ، عن أمالي أحمد بن عيسى[2] ثلاثة وثلاثين حديثا في الجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم .

---

(١) ـ القائل هو المتنبي

(٢) ـ انظر أمالي الإمام أحمد بن عيسى [رأب الصدع ١/٢٤٢ ـ ٢٦١] قال فيه ١/٢٥٨: وقد رويت عدة أحاديث في غير هذا الكتاب عن عدد من الصحابة وغيرهم والذي روي هنا عن علي وابن عباس ، وابن عمر ، وعمار والحكم بن عمير ، وجابر بن عبد الله ، وأبي ميسرة ، وعبدالله بن الزبير ، وعمر ، وعلي موقوفا ومرفوعا وروي عن طاووس ، وابن معقل ، وعطاء ومجاهد ، وابي عبد الله الجدلي ، وسعيد بن جبير أنهم كانوا يرون الجهر بها ..

وفي الجامع الكافي[1] قال:(إن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجمعوا على الجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في السورتين ، وعلى القنوت في الفجر ، فمن زعم أن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعوا على بدعة فقد أساء القول وخالف ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعتدى في القول) .

قال:(وروى **محمد** بأسانيده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾)[2] .

قال: وروي الجهر أيضا عن **علي** عليه السلام والحسين بن علي وابن عباس) وعدد جماعة من أكابر أهل البيت عليهم السلام استغنينا بإجماعهم عن تعداد أفرادهم .

ثم قال في الجامع الكافي :(وعن أبي بكر وعمر وعمار بن ياسر ، وابن عمر وجابر بن عبد الله ، وعبدالله بن الزبير ، وعن أبي عبد الله الجدلي[3] وابن معقل[4] وسعيد بن جبير[5] وطاووس[6] ومجاهد[7] والزهري[8] وأبي عاصم[9] أنهم كانوا

---

(١) ـ الجامع الكافي لأبي عبد الله العلوي خ وعنه في الإعتصام ٣٧٣/١

(٢) ـ الحديث رقم ٣١٥ ، حدثنا ابراهيم بن محمد عن أبي ملك ، عن عبد الله بن عطاء ، وأبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم) ٢٤٣/١.

(٣) ـ ابوعبدالله الجدلي : اسمه عبيد أو عبد الرحمن بن عبيد ، وقيل: غير ذلك وهو أمير الذين خرجوا من الكوفة إلى مكة لاستنقاذ محمد بن الحنفية وابن عباس من آل الزبير عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير ، قال ابن سعد : كان شديد التشيع ، وقال الذهبي في الميزان : شيعي بغيض ، ووثقه احمد ويحي والذهبي وغيرهم ، وانظر الفلك الدوار ١٣٠ تهذيب التهذيب ٦٥/٢١ طبقات ابن سعد ١٠١/٥.

(٤) ـ ابن معقل : هو عبد الله بن معقل ـ بفتح أوله وسكون المهملة بعدها قاف ـ المزني ، ابو الوليد الكوفي، روى عن أبيه وعلي ، وابن مسعود ، وثابت بن الضحاك ، وكعب بن عجرة وآخرين ، وعنه ابو اسحاق السبيعي وعبدالملك بن عمير وغيرهم ، قال العجلي كوفي تابعي ثقة ، من خيار التابعين .
قلت : وقال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، وقال ابن حبان : في الثقات ، مات سنة بضع وثمانين بالبصرة

(٥) ـ سعيد بن جبير : هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي المقتول صبرا سنة ٩٥ قتله الحجاج ، عده أبو العباس الحسني في من بايع الإمام الحسن بن الحسن الرضا وهو محدث ثبت شهير لانزاع فيه (انظر معجم رجال الإعتبار).

(٦) ـ طاوس : هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني أبو عبد الرحمن تابعي مشهور توفي سنة ١٠٦ وقيل: سنة بضع عشرة ومائة عن سبعين عاما انظر معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين.

يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم)(١).

ثم ذكر عليه السلام بعد هذا أخبار فيها كثرة في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قال عقيبها :(وهذه الأخبار المتقدمة تدل على وجوب الجهر في جميع الصلوات لأن منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(كل صلاة لا يجهر فيها بسم الله الرحمن الرحيم فهي آية اختلسها الشيطان) ولم يفصل ، ولأن لاختصاصها

---

(٧) - مجاهد : هو مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ، وآخره راء مولى السائب بن ابي السائب ، ابو الحجاج المكي المقري الإمام المفسر ، عن ابي هريرة وابن عباس ، وروى عن ام سلمة وجابر وعائشة ، وابن عمر ، وعن علي عليه السلام ، وعنه عكرمة وعطاء ، وقتادة ، والحكم بن عتيبة وكثيرون ، ولد سنة ٢١هـ ، وثقه ابن معين وأبو زرعة ، قال القطان : مات مجاهد سنة ١٠٤هـ أخرج له الجماعة وأئمتنا الخمسة والناصر للحق عليه السلام ، له في أمالي الإمام احمد بن عيسى نحو ثلاثة وثلاثين حديثا (انظر رأب الصدع ١٨٢٣/٣) .

(٨) - الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (٥٠ هـ - ١٢٤) عرف بالنصب ونصرة الأمويين ، وهو مشهور (انظر معجم رجال الإعتبار ، معجم الرواة في أمالي المؤيد بالله).

(٩) - أبو عاصم : انظر الأنساب ٣٤٦، الجزء الرابع .

(١) - قال في رأب الصدع ٢٥٩/١: وممن روي عنهم الجهر بها في هذا الكتاب من أهل البيت عليهم السلام : محمد بن عبد الله بن الحسن ، وابراهيم بن عبد الله ، وعبدالله بن موسى ، وأحمد بن عيسى ، والباقر والصادق ، وزيد بن علي ، وعلي بن عمر بن علي بن الحسين ، وعبدالله بن الحسن ، ونقل صاحب الجامع الكافي الإجماع من أهل اللبيت ، وذكر ممن قال به عددا كثيرا .

قال في الروض : قال البيهقي بعد أن أخرج حديث الجهر بها عن علي ما لفظه : روي الجهر عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن الزبير ...ثم قال : وذكره الخطيب عن ابي بكر الصديق ، وعثمان ، وأبي بن كعب وأبي قتادة وأبي سعيد ، وأنس وعبدالله بن ابي أوفى ، وشداد بن أوس ، وعبدالله بنجعفر ، والحسين بن علي ومعاوية ، قال الخطيب : وأما التابعون ومن بعدهم ممن قال بالجهر بها ، فهم أكثر من أن يذكروا ، وأوسع من أن يحصروا ، منهم : سعيد بن المسيب ، وطاووس ، وعطاء ، ومجاهد ، وابو وائل ، وسعيد بن جبير ، وابن سيرين ، وعكرمة ، وعلي بن الحسين ، وابن محمد بن علي ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن المنكدر ، وابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد بن كعب ، ونافع مولى ابن عمر ، وابو الشعثاء ، وعمر بن عبد العزيز ، ومكحول ، وحبيب بن ابي ثابت ، والزهري ، وابوقلابة ، وعلي بن عبد الله بن العباس ، وابنه ، والأزرق بن قيس ، وعبدالله بن معقل بن مقرن .وممن بعد التابعين : عبيدالله العمري ، والحسن بن زيد ، وزيد بن علي بن حسين ، ومحمد بن عمر بن علي ، وابن أبي ذئب ، والليث بن سعد ، واسحاق بن راهويه ، وزاد البيهقي في التابعين : عبد الله بن صفوان ، ومحمد بن الحنفية ، وسليمان التيمي ، ومن تابعيهم : المعتمر بن سليمان ، وزاد ابو عمرو : هو قول جماعة من أصحاب بن عباس طاووس ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار ، وقول ابن جريج ، ومسلم بن خالد الزنجي ، وسائر أهل مكة ، وهو أحد قولي ابن وهب .

بالذكر والنص عليها بالجهر شأنا ، ولولا ذلك ما كان للأخبار المتقدمة فائدة إذ كان يكفي أن يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من أم القرآن ، أومن القرآن فيجهر بها في الجهر ويسر بها في السرية.

والذي يدل على ما ذكرناه ما ذكره جار الله في الكشاف ، من أن بسم الله الرحمن الرحيم كلمة التقوى .

قال عليه السلام :(يدل سياق الآيات لأن سبب نزولها منع المشركين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دخول المسجد الحرام عام الحديبية فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر عليا عليه السلام أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فمنعوه من ذلك ، ومن أن يكتب محمدا رسول الله ، فأنزل الله تعالى سورة الفتح وفيها قوله تعالى :﴿**هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا**﴾[1] إلى قوله ﴿**فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها**﴾ إلى آخر السورة

ثم قال عليه السلام :(وقد ثبت التخصيص لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (صلاة ويحتمل أن الله سبحانه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجهر بها إرغاما لأنوف الكافرين ، وشَدّاً لظهور المؤمنين ، لأن المؤمنين رضي الله عنهم كرهوا محوها والمشركين كرهوا إثباتها كما هو مذكور في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم).
النهار عجماء) بما ذكرناه). يعني بما ذكر من الأخبار في الجهر بالبسملة.

ثم قال عليه السلام :(ولأنه قد وقع الجهر بالتكبير والتسليم فيها أيضا ولم يخرجها عن كونها عجماء ، وثبوت الجهر في صلاة الجمعة والعيدين والكسوف ، على أن راوي (صلاة النهار عجماء) كان عاملا لإمام الفئة القاتلة لعمار على المدينة .

وقد روي أن رواية الجهر عنه صلى الله عليه وآله وسلم رواتها فوق عشرين صحابيا ، ورواية الإخفاء لم يروها إلا ابن معقل ، وهي ضعيفة ، وأنس وهي معلة .

ثم قال عليه السلام :(وقال **سعد الدين التفتازاني** في التاريخ الفظه :(أما حديث

---

(١) - الفتح : ٢٦

الجهر بالتسمية فهو عندهم من قبيل المشهور حتى أن أهل المدينة احتجوا به على مثل معاوية، ورده على ترك الجهر ، وهو مروي عن أبي هريرة وأنس إلا أنه - يعني أنسا - اضطربت رواياته ، فيه لسبب أن عليا رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر ، وحاول معاوية محو آثاره ، وبالغوا على الترك فخاف أنس

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ ، عن ابن شهاب أنه كان يقول : أول من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بالمدينة سرا عمرو بن سعيد بن العاص) (١) .

ثم قال عليه السلام بعد هذا : (قلت : شهدت الأصول من الكتاب والسنة بإغاضة الكافرين ومراغمتهم قال الله سبحانه :﴿ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولاينا لون من عدو نيلا إلا كتب لهم﴾ (٢) الآية وقال سبحانه :﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾(٣) وما يأتي إنشاء الله من شرعية الرمل في طواف القدوم ، والسعي بين الميلين لإغاظة المشركين ، وإرغاما لأنوفهم حيث قالوا:﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ (٤) وما تقدم ذكره أنهم كرهوا أن يكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عام الحديبية في كتاب الصلح بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم بسم الله الرحمن الرحيم فألزم الله المسلمين كلمة التقوى , وكانوا أحق بها وأهلها وهي بسم الله الرحمن الرحيم .

وشرع الله الجهر بها كما قدمنا من الأدلة إغاظة للمشركين ، وإرغاما لأنوفهم) انتهى ما نقلناه من الإعتصام (٥) .

---

(١) - عمرو بن سعيد بن العاص : أبو أمية المدني المعروف بالأشدق ، ولي المدينة لمعاوية ، ويزيد بن معاوية ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق سنة ٦٩ ثم قتله عبد الملك بن مروان بعد أن أعطاه الأمان سنة ٧٠ قال في تهذيب التهذيب ٣٥/٨ : وكان عمرو أول من أسر بالبسملة في الصلاة مخالفة لابن الزبير لأنه كان يجهر بها روى ذلك الشافعي وغيره بإسناد صحيح ، وانظر الذهبي تذكرة الحفاظ ..

(٢) - التوبة : ١٢٠

(٣) - النساء : ١٠٠

(٤) - الفرقان : ٦٠

(٥) - الإعتصام ٣٨٠/١

يزيد هذا وضوحا ما ذكره الرازي[1] في -تفسير قوله تعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فإنه ذكر في الجهر بها في كل صلاة حججا كثيرة ،وأخبارا شهيرة إلى قوله في كلام له طويل :

(قالت **الشيعة** : السنة هي الجهر بالتسمية سواء كانت في الصلاة الجهرية أو السرية وجمهور العلماء يخالفونهم فيه)

ثم قال: في الحجة :(**الثالث** : أن قوله : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لاشك أنه ثناء على الله ، وذكر له بالتكريم ، فوجب أن لا يكون الإعلان به إلا مشروعا كقوله تعالى :﴿**فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا**﴾ [2] ومعلوم أن الإنسان إذا كان مفتخرا بأبيه غير مستنكف ـ فإنه يعلن ذكره ويبالغ في إظهاره أما إذا أخفى ذكره أو أَسَرَّه ـ دل على كونه مستنكفا منه ، فإذا كان المفتخر بأبيه يبالغ في الإعلان والإظهار ، وجب أن يكون إعلان ذكر الله أولى ، عملا بقوله تعالى :﴿**فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا**﴾.

قال: ولهذا السبب نقل أن **عليا** رضي الله عنه كان مذهبه الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في جميع الصلوات) .

قال: وأقول إن هذه الحجة قوية في نفسي راسخة في عقلي ، لا تزول بسبب كلمات المخالفين).

ثم قال: (**الحجة الرابعة** ماروا**ه الشافعي**[3] بإسناده ـ أن **معاوية** قدم المدينة فصلى لهم ، ولم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود ثم أنه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير . وقال **الشافعي** : إن معاوية كان سلطانا عظيم القوة ، شديد الشوكة . فلولا أن الأمر بالتسمية كالأمر المتقرر عند كل الصحابة ، من المهاجرين والأنصار وإلا لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب تركه التسمية .

---

(١) ـ هو الخطيب الرازي ، وقد ذكرنا كلامه عندما نقله في رأب الصدع في حاشية سابقة .

(٢) ـ البقرة : ٢٠٠

(٣) ـ الأم ١/ ١٣٠

ثم قال: (**الحجة الخامسة** روى البيهقي[1] في السنن الكبرى ، عن أبي هريرة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر في الصلاة بـ بسم الله الرحمن الرحيم) .

ثم إن الشيخ **البيهقي** روى الجهر عن **عمر بن الخطاب** ، وعن **ابن عباس** ، **وابن عمر** ، **وابن الزبير** ، وأما أن **علي بن أبي طالب** كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب كان على الحق ، والدليل عليه :(اللهم أدر الحق مع علي حيث دار) انتهى ما نقلناه من تفسير **الرازي** .

[السبب في خفاء مذاهب أهل البيت عليهم السلام]

فإن قال قائل : رويتم عن الشيعة الجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات ، والتواتر بذلك أنه مذهب أمير المؤمنين علي عليه السلام فإن كان كذلك فلم خفي ذلك وانتشر خلافه ؟.

قلنا ولا قوة إلا بالله : الأصل في ذلك ما هو المعلوم عند أهل السير والأخبار أن معاوية ـ لعنه الله ـ لما تغلب صير عداوة أمير المؤمنين علي عليه السلام طريقة وسنة حتى كتب إلى الوالي من جهته : أن اقتل من كان على دين علي ، واضرب عنق **حجر بن عدي** [2] لأنه لم يتبرأ من علي وأنكر سبه .

---

(١) ـ السنن : ٤٧/٢ ، قال في السنن : اخبرنا ابو الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأ أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا : ابراهيم بن اسحاق السراج ، عن عقبة بن مكرم ، ثنا : يونس بن بكير عن مسعر ، عن محمد بن قيس ، عن ابي هريرة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم فترك الناس ذلك) كذا قاله السراج عن عقبة عن يونس ، عن مسعر عن ابن قيس ، ورواه الحسن بن سفيان عن عقبة بن مكرم ، عن يونس ، عن ابي معشر ، عن محمد بن قيس بن مخرمة .

(٢) ـ حجر بن عدي : هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي ويسمى حجر الخير المقتول شهيدا سنة ٥١ هـ صحابي شجاع خيّر ، من المقدمين ، وفد على رسول الله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم وشهد القادسية ، ثم كان من أصحاب أمير المؤمنين ، وشهد معه الجمل وصفين وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبيه واليا عليها فضايقه لمعرفته بحبه لأمير المؤمنين ، وولائه لأهل البيت عليهم السلام ، فطلب منه أن يسب عليا ويتبرأ منه ، فأبى فأمر معاوية بقتله قبل أن يصل إليه فقتل في مرج عذراء ـ (وهو موضع قريب من الغوطة بدمشق ، ويسمى الآن عدره وقد زرناه إلى مشهده ، وهو مشهور ـ مع أصحاب له في قصة مثيرة محزنة ، وأخباره طويلة ، وفي سيرته وقصة استشهاده كتب . انظر معجم رجال الإعتبار وسلوة العارفين ، الأعلام ١٦٩/٢ طبقات ابن سعد ١٥١/٥ أعيان الشيعة ٥٦٩/٤.

وقد روى العلامة ابن أبي الحديد [1] أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال لبعض أصحابه :(يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا ، وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ، إن رسول الله قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس فتمالت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه ، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تداولها قريش واحد بعد واحد) إلى قوله عليه السلام :(ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا ، يتقربون به إلى أوليائهم ، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة ، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا مالم نقله أو نفعله ؛ ليبغضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الأيدي و الأرجل على الظنة ومن ذكر بحبنا والإنقطاع سجن أو نهب ماله ، أو هدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمن عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، ثم جاء الحجاج [2] فقتلهم كل قتله ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى إن الرجل يقال له : زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقول : شيعة علي ، وحتى صار الرجل - الذي يذكر بالخير ، ولعله يكون ورعا صدوقا - يحدث بأحاديث عظيمة ، من تفضيل بعض ما قد سلف من الولاة ولم يخلق الله شيئا منها ، ولا كانت ولا وقعت ، وهو يحسبها أنها حق ؛ لكثرة من قد رواها ، ممن لم يعرف بكذب ، ولا قلة ورع) .

---

(١) - ابن أبي الحديد : هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني (أبو حامد) (٥٨٦ - ٦٥٥) مولده بالمدائن ، وصار إلى بغداد ، وكان حافظا عالما مدققا أديبا كاتبا شاعرا ، فشارك في كثير من العلوم ، معتزلي المعتقد من أشهر كتبه شرح نهج البلاغة المعروف ، قال العلامة الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله : من علماء العدل والتوحيد القائمين بحق الله ورسوله ووصيه وأهل بيت نبيه ، ويلوح للمنتقدين لمحات كلامه لزوم ما عليه أئمة العترة المطهرة ، ويفوح للمختبر من نفحات مرامه الحوم حول طرائقهم النيرة ، ولعله منعه عن المصارحة في الأغلب إظهار النصفة للخصوم ، لعل لها عذرا وأنت تلوم ، وقد كان تحت وطأة الدولة العباسية ، انظر لوامع الأنوار ٤٦٩/١، معجم المؤلفين ١٠٦/٥.

(٢) - الحجاج : هو الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ - ٩٥) أمير من أمراء بني أميه كان سفاكا للدماء ، مدمن على المعاصي قبيح السيرة ، أخباره مملوة بالمآسي والجرائم ، هلك بواسط . الفلك الدوار ٢٩ ، الأعلام ١٦٨/٢، الشافي ١٨٣/١.

[معاوية والأحاديث الموضوعة]

قال ابن أبي الحديد :(وكتب **معاوية** إلى عماله في جميع الآفاق : ألاّ تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ، وكتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : أن انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته ـ فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه ، وشفع ذلك بنسخة أخرى : من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به ، وهَدِّمُوا داره ، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ، ولاسيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به ، فيدخله بيته ، فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع بهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم في ذلك بلية القراء المرآؤون ، والمتصنعون الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الأحاديث ؛ ليحضوا بذلك عند ولاتهم ، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل ، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين ، الذين لا يستحلون الكذب فنقلوها ورووها ، وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ، ولا تدينوا بها ، فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام ، فازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه ، أو طريد في الأرض ، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين بن علي عليه السلام ، وولي عبد الملك بن مروان واشتد على الشيعة ، وولى عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي عليه السلام ، وموالاة أعدائه) إلى آخر كلامه عليه السلام .

[منع لعن أمير المؤمنين عليه السلام]

وكانوا لا يزالون يلعنون عليا عليه السلام على المنابر ، ويدعونه **أبا تراب** ، حتى ولي **عمر بن عبد العزيز** [1] فمنع من ذلك فقال **كثير عزة** :

---

(١) ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي الخليفة العادل (٦٣ ـ ١٠١) تولى سنة ٩٨ هـ وحسنت سيرته في الرعية ، ورد الحقوق المغتصبة ، وأمن أهل البيت في زمنه ، ولم يمهله بنو أمية فسموه ، أنظر الشافي ١٨٥/١، وقد أمر برفع اللعن عن علي عليه السلام في أيام خلافته ، وأبدلها بالآية التي كان الإمام علي عليه السلام يقولها في آخر خطبة الجمعة ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الخ الآية ٩٠ من سورة النحل ، قال الزمخشري عند ذكر الآية الكشاف

وليت فلـــم تشتم عليا و لم تخف   بريـــا و لم تتبع سجـــية مجـــرم

وقلت فصدقت الذي قلت بالذي   فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

ورد فدك على أولاد علي . وروي ردها على محمد بن علي الباقر - وهو المعروف بالباقر - وهو الذي جاءه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (إن رسول الله أمرني أن أقرأ عليك السلام) [1] وأبوه علي بن الحسين يسمي سيد العابدين .

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للحسين :(يولـد لـك غـلام يسـمى سيد العابدين) .

وروي في الخبر (أنه ينادى يوم القيامة : ليقم سيد العابدين فيقوم علـي بـن الحسـين عليه السلام) [2].

واعلم أنها مازالت لعنة أمير المؤمنين ، ولعنـة أولاده ظـاهرة إلى زمـن مـن [ولايـة] عمر المذكور ، وعلى هذا روي عن كثير عزة أنه قال في ذكر اللعنة :

طبت بيتا وطاب أهـلوك   أهل بيت النبي والإسـلام

٦٢٩/٢ : وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ، ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا ، إجابة لدعوة نبيه (وعـاد من عاداه) .الفلك الدوار ص ٤١.

(١) - روى أبوا لقاسم بن علي الخزاز قال: عن زيد بن علي عليه السلام قال: كنت عند أبـي علي بـن الحسـين عليه السلام إذ دخل جابر بن عبد الله الأنصاري فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي محمد من بعض الحجر ، فأشخص جـابر ببصره نحوه ، ثم قام إليه فقال : يا غلام أقبل فأقبل ، ثم قال : أدبر ، فـأدبر ، فقـال : شمـائل كشمـائل رسـول الله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم ما اسمك يا غلام ؟ قال: محمد ، قال : أبن من ؟ قال: ابن علي بن الحسين بـن علـي بـن أبي طالب ، قال: أنت إذا الباقر ؟ قال: فانكب عليه وقبل رأسه ويديه ، ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلّـى الله علَيهِ وآلِه وسلّم يقرئك السلام ، قال على رسول الله أفضل السلام وعليك بما أبلغت السلام ، ثم عاد إلى مصـلاه ، فأقبل يحدث أبي ويقول: إن رسول الله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم قال لي يوما : إذا أدركت ولدي الباقر فأقرئـه مني السلام فإنه سميي ، وأشبه الناس بي ، وعلمه علمـي) الخ انظر بحوث في الملـل والنحـل ٦٥/٧ عـن الخـزاز في كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر ٢٩٨.

(٢) - أخرجه الإمام الموفق بالله في الإعتبار وسلوة العارفين رقم ٥١٢ بسنده عن جابر ، وهو في ترجمة الإمام ز يد بن علي عليهما السلام من الحدائق الوردية من حديث طويل عن أبي ذر .

لعن الله من يسب عليـــا وبنيه من ســـوقة وإمـــام

تأمن الطير والوحوش ولا يأمن أهل النبي عند المقام

وكان العالم يمنع من إظهار علمه ، ولا يجسر على نشره ، و المتعلـم لا يجسـر علـى الإختلاف إليه .

وروي أن سفيان الثوري [١] دخل على الصادق فقال جعفـر الصـادق عليـه السـلام لسفيان : يا أبا عبد الله أنت رجل مطلوب ، وللسلطان علينا عيون فـاخرج عنـا غـير مطرود .

وروي أن أصحاب أبي حنيفة كانوا إذا تكلمـوا في المسـائل في مجلـس أبـي حنيفـة وأرادوا أن يحكوا قول علي عليه السلام قالوا : قال الشيخ ، ولم يفصحوا باسمه خوف السلطان ، فلما انقضى ملك بني أميــة ــ لعنهـم الله ــ في سـنة اثنتيـن وثلاثـين ومائـة وصار الملك إلى بني العباس ـ قويت عداوتهم أيضا ، ومعــاداتهم لأهـل بيـت الرسـول صلوات الله عليهم ، والعلماء منهم ، فكان الفضلاء يقتلون بضروب من القتل .

[قتل أئمة أهل البيت عليهم السلام]

قتل علي عليه السلام في الصلاة في شهر رمضان ، وسم الحسن عليه السلام على يدي امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس [٢] .

وروي عنه عليه السلام أنه دخل الخلاء ثم خرج فقال: قـد سـقيت السـم مـرارا ،

---

(١) ـ سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ابوعبدالله الكوفي [٦٧ ـ ١٦١] أحد الأعلام عـابد زاهد مفسر مولده ومنشأه بالكوفة ، وسكن مكة والمدينة ، وكان زيديا ذكـر ذلـك الإمـام أبـو طـالب في أماليـه ، وعنه الحافظ إبراهيم بن القاسم صاحب الطبقات ، وله تفسير القرآن مطبوع ، ومؤلفات أخرى كما ذكـره السـيد صارم الدين و ابن حابس ، وابن حميد في ثقاة محدثي الشيعة ، أنظره في أعلام المؤلفين الزيديـة وفهرسـت مؤلفـاتهم تحت الطبع ، ومعجم رجال الإعتبار .

(٢) ـ جعدة بنت الأشعث بن قيس زوج الإمام الحسن التي أغراها معاوية على قتله بالسم بعد أن وعدها بالترويج مـن ابنه يزيد ، في قصة مشهورة انظر تاريخ ابن عساكر ، وانظر عنها أعلام النساء لرضا كحالة .

وما سقيت مثل مرتي هذه ، ولقد مشت طائفة من كبدي [1].

وأما الحسين فخبره مشهور ، وروي أيضا أنه لما قتل ، ورد كتاب **عبيد الله بن** زياد [2] بأن توطأ الخيل على ظهره ففعل ذلك ، وحُزَّ رأسُه ، وسيق أهلُه ونساؤه على الأقتاب إلى دمشق .

وصلب بعده **زيد بن علي عليهما السلام**،وهو أحد الأئمة .

وقتل ابنه **يحي** في أيام أبيه [3] .

والنفس الزكية هو محمد بن عبد الله ، وهو أحد الأئمة الزيدية .

ثم بعده أخوه **إبراهيم بن عبد الله** ، فكان الفضلاء من أهل البيت والعلماء منهم بين مقتول ومطرود ، يخفي نفسه ، ويكتم نسبه .

فكيف ينتشر علمهم عليهم السلام والحال هذه ؟! وكيف يرغب الناس في الإختلاف إليهم والإقتباس منهم ؟!.

وروي أن القاسم بن إبراهيم عليهما السلام ، وهو أحد أئمة الزيدية كان متواريا أربعين سنة ، فما زالت هذه حالهم إلى أن ذهبت دولة العباسية بظهور الجيل والديلم وخفي علمهم وفضلهم عليهم السلام .

---

(١) - انظر ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الحدائق الوردية .

(٢) - عبيد الله بن زياد بن أبيه [٢٨ - ٦٧] هـ أحد ولاة بني أمية الجائرين ، ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣ ، ثم البصرة سنة ٥٥ ، وأقره يزيد عليها ، وهو المجرم الذي كانت فاجعة كربلاء ومقتل الحسين عليه السلام وثلاثة وعشرين من آل البيت والبقية ممن خرج مع الحسين عليه السلام على يديه ، قتله إبراهيم بن الأشتر القائد الذي كون جيشا لطلب ثأر الحسين ، وكان مقتله في أرض الموصل . انظر معجم رجال الإعتبار .

(٣) - قوله في أيام أبيه غريب ، ويحي هو الإمام يحي بن الإمام زيد بن علي عليهما السلام [٩٨— ١٢٦] الإمام الثائر المجاهد البطل الشجاع الورع الزاهد ثار على الحكم الأموي الجائر بعد مقتل أبيه ، وناضل من أجل العدالة ، وتحكيم شرع الله حتى سقط شهيدا في ساحة المعركة بالقرب من مدينة الجوزجان سنة ١٢٦ هـ وعلى باب هذه المدينة صلب ، وفيها دفن ، وقبره بها مشهور مزور ، والمدينة الآن تسمى كابون ، وفي بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية . انظر معجم رجال الإعتبار ، وقد ذكر المولى العلامة مجد الدين المؤيدي في التحف أن مولده على الأرجح سنة ٩٧هـ وقتل وعمره ثمان وعشرون سنة ، وذكر أن استشهاده في زمن الوليد بن يزيد بعد صلاة الجمعة في شهر رمضان سنة ١٢٦هـ التحف ٥١ - ٥٢. وانظر الإمام يحي بن زيد الفتى الثائر .

[سبب انتشار علم الفقهاء]

وأما غيرهم من الفقهاء فكانوا يلون الولايات العظيمة ، فيكون ذلك سببا لظهور علمهم ، وولي **أبو يوسف** [(١)] القضاء وانتشر علم **أبي حنيفة** ، ثم ولي **محمد بن الحسن**[(٢)] وولي من أصحاب أبي حنيفة **الحسن بن زياد** [(٣)] وكذلك غيرهم ، وقد كان الأئمة من العلماء ، مثل أبي **حنيفة والشافعي** وغيرهما ـ يميلون إلى أهل البيت عليهم السلام الميل العظيم ، ويرون لهم التعظيم والتقديم ، إلا أنهم كانوا يخافون السلطان ويخشون سطوته ، فلم يكن السبب في خفاء علم أهل البيت عليهم السلام لقلة علمهم ، ولقلة الأئمة فيهم ، ولكن السبب ما ذكرناه ، وهذا ظاهر مكشوف ، ومن نظر في الأخبار والسير عرفه ضرورة .

[معاوية والأسرار بالبسملة]

قال الوالد العلامة شيخ العترة شمس الدين **احمد بن محمد بن صلاح الشرفي**[(٤)] رحمة الله عليه في سيرته ما لفظه :

---

(١) ـ أبو يوسف : هو القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ، بن حبيش ، بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي ، ولد سنة ١١٣هـ روى عن هشام بن عروة ، ويحي بن سعيد الأنصاري ، وعطاء بن السائب وغيرهم ، وروى عن ابي حنيفة ولزمه ، وتفقه به ، وهو أنبل تلامذته ، قال ابن معين : ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث ، ولا أحفظ ولا أصح رواية من ابي يوسف توفي يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة ١٨٢هـ (انظر سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٥، ٥٣٨.

(٢) ـ محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الحنفي ابوعبدالله [١٣١ ـ ١٨٩] فقيه محدث ، ولد بواسط ونشأ بالكوفة ، وطلب الحديث ، وتفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وقدم بغداد وولاه الرشيد توفي بالري ، وكان يقول : إذا أمنت من أعداء زيد بن علي على نفسي فأنا على مذهبه وإلا فأنا على مذهب أبي حنيفة ، انظر الشافي ٢٣٦/١.

(٣) ـ الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، عن ابن جريج وغيره ، وتفقه على أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ضعفه أهل الحديث ، مات سنة اربع وخمسين ومائتين ، وكان رأسا في الفقه ، أخرج له ابو عوانة في مستخرجه ، والحاكم في مستدركه ، وقال سلمه بن قاسم : كان ثقة (انظر اللسان ٢٠٨/٢).

(٤) ـ أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد الشرفي المتوفى سنة ١٠٥٥ هـ أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن عالم مجتهد مؤرخ من تلاميذ الإمام القاسم بن محمد عليه السلام ، ومن شيوخ أبنائه ، درس عليه الإمام المؤيد با لله محمد بن القاسم ، وأخواه الحسين وأحمد ، وشيخ الإسلام أحمد بن سعد الدين المسوري ، وأحمد بن محمد لقمان ، وله مؤلفات كثيرة منها : كتاب اللآلئ المضيئة في تاريخ أئمة الزيدية خ في ثلاثة مجلدات ، من أشمل التواريخ ، انظر عنه وعن مؤلفاته أعلام المؤلفين الزيدية ، وفهرست مؤلفاتهم .

(واعلم أن الجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم شعار أهل البيت عليهم السلام جميعا وشيعتهم ، والإسرار بها هو شعار أعدائهم .

وكان معاوية يبالغ في نقض شعار أهل البيت عليهم السلام ، ويأمر بالإسرار بها في الأقطار ، وكان من ملك من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم يأمر بالجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم).

قلت : ومما يدل على ذلك ما ذكره الإمام **المنصور بالله عبد الله بن حمزة** عليه السلام حيث قال ما لفظه :(وقد كان الناس فريقين حربيين وإسلاميين ، فأهل الإسلام في طاعة رجل يزعم أنه إمام ، ويصدقه الأكثر ، وينقاد له الأقل ، ولأهل الحرب دار ، ولأهل الإسلام دار ، ولم يقع لأحد من أهل البيت عليهم السلام استقرار في جهة إلا القليل منهم **الداعيان : أبو محمد الحسن**[1] ، **وأبو عبد الله**[2] **ابنا زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام**، فإنه لما تمكن **الحسن** كتب إلى بعض عماله :(قد رأينا أن تأخذ أهل عملك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما صح عن أمير المؤمنين في أصول الدين وفروعه ، بإظهار تفضيله على جميع الأمة ، وتنهاهم عن القول بالجبر، ومكايدة الموحدين القائلين بالعدل والتوحيد ، وعن التحكك بالشيعة ، وعن الرواية في تفضيل أعداء الله ، وأعداء أمير المؤمنين ، وتأمرهم بالجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم وبالقنوت في صلاة الفجر، وتكبير خمس على الميت ، وترك المسح على الخفين وبإلحاق حي على خير العمل في الأذان والإقامة ، وأن تجعل الإقامة مثنى مثنى وتحذر من تعدى أمرنا فليس له إلا سفك دمه ، وانتهاك محرمه).

---

(١) ـ الإمام الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المتوفى سنة ٢٧٠ هـ أحد أئمة الزيدية ، ومؤسس الدولة العلوية في طبرستان ، عالم شجاع ، فاضل حسن السيرة ، ثائر بويع له سنة ٢٥٠ هـ أيام المستعين العباسي ، وخاض معارك كثيرة مع العباسيين ، ودامت ولايته حتى توفي ، انظر التحف ٥٩ ، الإفادة ١٤٧ ـ ١٤٨، المصابيح ، الحدائق الوردية ، اللآلئ المضيئة خ .

(٢) ـ هو الإمام محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل أحد أئمة الزيدية كان شجاعا عالما فاضلا أديبا ولي الإمامة في طبرستان بعد وفاة أخيه السابق الذكر سنة ٢٧٠ هـ فأعز الله به الدين ، وأقام مذهب العدل واستشهد سنة ٢٨٧ هـ وأخباره كثيرة انظر التحف ٦٠، الإفادة ١٤٨ ـ ١٥١، المصابيح خ ، الحدائق الوردية وغيرها .

ففي هذا ونحوه تنبيه كاف لمن تدبر وعقل ما كان من تغيير كثير من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحريف كثير من أحكام الله مع اضطهاد الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر في كل زمان إلا القليل منهم فالله المستعان .

[الجهر بالبسملة في جميع الصلوات]

فإن قال قائل : إن أحاديث الجهر بالبسملة في الصلاة لاشك في صحتها ، ولكن المراد بها في الصلاة التي يجهر فيها بالقراءة .

قلنا: هذا تخصيص يفتقر إلى دلالة ، وهي مفقودة ، مع أن من قال بذلك إنما هو تأويل المخالف وتفسيره ، ولم نتعبد بذلك ؛ إذ هو مجرد دعوى تخصيص العموم من غير تخصيص ، وهو لا يجوز لأنه خروج من العموم بغير حجة فهات الدليل على ذلك إن كان فإنك في محل الإحتجاج ، الذي لا يقتصر فيه على مجرد الدعوى ، وإلا وجب التحكم للنص .

وأما المذهب ما لم يكن عن دليل قاطع فلا يعارض الوجوب ، ولا يخصص العموم لأن اللفظ عام ، والعلة الموجبة لهذا الحكم عامة ، فالتخصيص حينئذ تَحَكُّمٌ محض .

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام :(لأن العموم دلالة يعمل بها ن وإخراجه من الإستدلال بظاهره لغير وجه يقتضي خروجه عن كونه دليلا لا يجوز) . اهـ

ولما كان لفظ الصلاة هاهنا عاما ، ولا دليل يوجب التخصيص ـ وجب اجراؤه على عمومه ، لأن لفظ الصلاة إذا أضيف أفاد العموم ؛ إذا لم تقم قرينة كما مر يشهد بذلك قوله تعالى :﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**﴾ [1] فقوله :﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾ جنس مضاف ، والجنس المضاف عند الأصوليين عام ، والعام من الكتاب والسنة يجب التمسك به حتى يعلم مخصصه .

وأما حديث (صلاة النهار عجماء) إن صح فقد ثبت تخصيصه كما مر ، هب أنا

---

(١) - الإسراء : ١١٠

سلمنا صحته على التنزل فإن قوله :(صلاة النهار عجماء) عام في البسملة وغيرها وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :(كل صلاة لا يجهر فيها بـ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فهي خداج) خاص فيه ، عام في كل صلاة .

ولذلك نظائر من أمثلته عند أهل المذهب (إنما تغسل ثوبك من البول) إلى قوله : (سافح) فهذا عام في كل خارج ، قيئا كان أو غيره ، وقوله :(أود سعة تملأ الفم) خاص ، الخارج منه عام لأنواع القيء ، دما كان أو غيره ، فرجحوا إيثار عموم الخصوص ، وأنه لا ينقض ولا ينجس من الدم إذا كان قيئا ـ إلا ما كان ملأ الفم فكذلك مسألة الجهر بالبسملة سواء .

قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام :(وذلك أن لفظ عجماء عام في جميع الأذكار وقد عارضه التعميم بالجهر بالبسملة ، وهو أخص بالمقصود ؛ لأنه نص في البسملة وهذا مما لا يختلف المحققون من الأصوليين في ترجيحه ، وإيثار التخصيص به .

والوجه في ذلك : أنه لو لم يؤثر التخصيص به لكان إبطالا للفظه ، وإهمالا لمعناه بلا دليل ولا مرجح ، وذلك لا يجوز ؛ لأنه خطاب حكيم لا يجوز إهماله .

وأيضا لفظ العام الأخص بالمقصود يجري مجرى المبين ، والعام الغير الأخص يجري مجرى المجمل ، ومن الواجب بناء المجمل على المبين فيكون جمعا بين الدليلين).اهـ

فإن قال: إن الإسرار بالبسملة في العجماوين قد صار إجماعا من المتأخرين كما قال بعضهم ؛ لأنه لم يرو عن أحد منهم الجهر بها فيهما ، فلِمَ لا يكون ذلك تخصيصا لما ورد من عمومات تلك الأحاديث ؟ .

قلنا ولا قوة إلا بالله : إن هذه شبهة لا حقيقة لها ، وإن كانت مرتسمة في الأذهان وواقعة عند أهل الزمان ، ونكتفي في إزالة هذه الشبهة وبيان بطلانها بما قد أجاب به عما ذكرت بعينه ـ إمامنا المنصور بالله رحمة الله عليه ، فإنه قد أشبع الفصل في الجواب ، وأذهب من هذه الشبهة كل شك وارتياب بما لا شيء أبلغ منه من الأدلة الواضحة والبراهين اللائحة ، فشفى بحمد الله الغليل بواضح الدليل حيث قال : (إن ذلك لم يكن إجماعا فيصح التخصيص به .

أما أولا : فقال بجواز الجهر فيهما زيد بن علي ، وأحمد بن عيسى [1] والناصر ، وأبو عبد الله الداعي [2] والمؤيد بالله [3] والمنصور بالله فإن الجهر والإسرار عند هؤلاء هيئة) .

قلت: إلا في بسم الله الرحمن الرحيم فإن الجهر بها وحدها عند **المؤيد بالله** عليه السلام واجب ذكر ذلك في الإجادة في الجمع بين الزيادات والإفادة .

قال عليه السلام : وفي **الشفا** ما معناه :(أن ذلك مذهب **سائر العترة** ماخلا **القاسم والهادي** وأسباطهما الأوائل عليهم السلام جميعا ، وذلك يتناول البسملة وغيرها ، وإذا كان كذلك لم يكن ذلك إجماعا ، أعني الذي ذكرتموه ؛ لتصريح هؤلاء بالجواز ، ومع ذلك إذا عمل بما قلته عامل ـ أمن من مخالفة الإجماع قطعا ، واحتاط لدينه بالعمل بما اقتضته النصوص .

وأما ثانيا : فإن إجماع المتأخرين على ذلك ؛ لأنهم لم يحيطوا بجميع الأقوال).

ثم قرر عليه السلام هذا الإستدلال وبينه ، إلى قوله :(فإذا كان الأمر كذلك فما

---

(١) ـ الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام [١٥٧ ـ ٢٤٧] أحد عظماء الإسلام والأئمة الأعلام ، ورموز الثورة على الظلم العباسي عالم كبير محدث حافظ مسند ، عاش في المدينة ، وطلبه هارون الرشيد إلى بغداد ، وسجنه ، ثم فر من السجن ، واستمر مستترا حتى مات ، انظر معجم رجال الإعتبار .

(٢) ـ ابوعبدا لله الداعي : هو الإمام المهدي لدين ا لله محمد بن الحسن بن القاسم الداعي إلى الحق [ـ ٣٦٠ هـ] مسن أعظم أئمة الزيدية في الجيل والديلم علما وورعا ، وجدا واجتهادا وجهادا ، خرج إلى فارس فأكرمه عماد الدولة ، وكان أحد قواده ، ثم انتقل إلى بغداد في أيام معز الدولة وأخيه ركن الدولة ، وشيوخه في العلم كثيرون ، وبويع في الديلم ، وممن بايعه الأخوان المؤيد با لله وابوطالب الهارونيان ٣٥٣ هـ وخاض معارك كثيرة ، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ ودفن بهوسم ، الإفادة ١٧٣ إلى آخر الكتاب ، وقد زرته والحمد لله ، وهو موجود في محلة داخل الغابات من الطريق العام على بحر قزوين في رأس مرتفع يصل الإزفلت إلى تحت الجبل الذي هو مدفون فيه قريب من عباس أباد الموجود فيه المؤيد با لله عليه السلام .

(٣) ـ المؤيد با لله أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين الهاروني [٣٣٣ ـ ٤١١] أحد أعلام الأئمة الزيدية إمام مجاهد مجتهد ، مولده بآمل طبرستان ، ونشأ وتعلم بها أ وأخذ مع أخيه الإمام أبي طالب على شيخ الزيدية أبي العباس الحسني ، وقام بالإمامة سنة ٣٨٠ ، وبقي في جهاد دائم وكر وفر في بلاد الجيل والديلم حتى توفاه ا لله إليه يوم عرفة سنة ٤١١ هـ أخباره كثيرة ، ومناقبه غزيرة ، ومصنفاته جمة ، انظر مقدمة الأمالي الصغرى الطبعة الأولى ، ومعجم رجال الإعتبار ، وأعلام المؤلفين الزيدية .

ظنك بمن لم يشتهر له كتاب من معاصريهم ، وممن جاء بعدهم ؛ لأنه ليس كل مجتهد بمصنف ، وما ظنك بأهل الديار البارحة في أقطار الأرض ؟ وفي هذا بحمد الله كفاية كافية في عدم ثبوت ذلك ، فكيف يصح التخصيص بما لم يثبت ؟! .

وأيضا : قد صح لنا عن **أمير المؤمنين** كرم الله وجهه في الشفاء وغيره أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(كل صلاة لم يجهر فيها بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فهي آية اختلسها الشيطان) فذلك يفيد التعميم بضرورة الوضع ؛ لأن لفظ كل ونحوه للشمول لغة بلا شبهة ، ولم يرو عنه ولا عن **فاطمة والحسن والحسين** عليهم السلام جميعا ، خلاف ما أفاده ذلك اللفظ كذلك على التحقيق من قول ولا فعل ، وهم صدر العترة ، وإجماعهم متيقن لكونهم عليهم السلام يجتمعون على الفرض ، ويأويهم المنزل ، حتى قال **المؤيد بالله والمنصور بالله والأمير الحسين** ، **والإمام يحي** عليهم السلام جميعا : إن إجماع العترة لم يقع إلا منهم فقط ، أعني الأربعة عليهم السلام ، وإذا كان كذلك علمنا عدم وقوع الإجماع من متأخري العترة ، على عدم الجهر بالبسملة إلا في العجماوين ؛ لأنه إن وقع أدى إلى إحدى باطلين ، وذلك إما أن يكون نسخا للإجماع الأول وهو باطل ؛ لأن النسخ لا يقع إلا بالوحي بلا شبهة ، وقد ارتفع .

وإما أن يكون أحد الإجماعين حقا وما يقابله باطلا ، وذلك باطل أيضا ؛ لأن الأدلة القطعية نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(إني تارك فيكم) الخبر يقضي أن لا يقع .

وأيضا : إن لفظ كل ونحوه له حكم مختص من بين سائر ألفاظ العموم ، وذلك أنه لا يجوز تخصيصه إلا بالمقارن من لفظ متصل نحو قوله تعالى :﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ أو قرينة حالية ، كقضية العقل المبتوتة القاضية بخروج السماء والأرض من شمول قوله تعالى :﴿**تدمر كل شيء**﴾ [1] وخروج ذاته تعالى ، وأفعال الخلق من شمول

---

(١) ـ الأحقاف : ٢٥

قوله تعالى :﴿إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ [١] في قراءة النصب .

وقد ذكر في الفصول ما يقرب من هذا المعنى .

ثم بين عليه السلام الوجه أن لفظ كل كذلك ، في كلام طويل إلى قوله :(وإذا كان الأمر كذلك ، وقلنا بثبوت ذلك الإجماع ـ أدى إلى أحد ثلاثة أمور كلها باطلة لا محالة ، وذلك لم يخل إما أن يكون هذا الإجماع ناسخا لبعض ما تناوله ذلك العام أو أن العام لم ينسخ شئ من معناه ، وإنما هذا الإجماع باطل ؛ لأنه وقع على خلاف حق ثابت لم ينسخ ، أو أن الإجماع حق ، وأن لفظة (كل صلاة) لم تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الأول باطل ؛ لأن النسخ لا يقع إلا بالوحي ، وقد ارتفع الوحي ، والثاني باطل أيضا لعصمتهم من الإجتماع على الباطل ، بالأدلة القطعية ، والثالث باطل أيضا ؛ لأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم :(كل صلاة لم يجهر فيها بـ بسم الله الرحمن الرحيم فهي آية اختلسها الشيطان) قد صح لنا عن آبائنا من شيوخ العترة وأئمتهم عليهم السلام جميعا ، وما أدى إلى الباطل كان باطلا وشاهدا لضده بالصحة ، وأنه حق بلا مرية والله أعلم وأحكم . اهـ

ففي هذا بحمد الله لمن تأمله بعين الإنصاف مايشفي غليل الصدور ، ويوضح ملتبسات الأمور ، ولكن لمن لم يُعْمِه إِلْفُ ما قد أَلِفَه من العادة التي لها سلطان قوي فإنا قد رأينا كثيرا ممن قد ألف شيئا ووافقه ، لم يكد أبدا أن يفارقه ، فالإشتغال بإيراد واضح الأدلة عليه عناء ، والرجاء لاستضائه بنوره مُنىً ، ونحن إنما وضعنا ماوضعنا منها إثباتا لحجة ، وإزالة للمعذرة ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ [٢] .

ونحن لما صح ذلك من طرائق أئمتنا عن علي عليهم السلام جميعا [نِعمَ المتبوع صلوات الله عليه] [٣] اتبعناه ، فنحن ـ بحمد الله ـ لا نستوحش من كلامات المخالفين

---

(١) ـ القمر : ٤٩

(٢) ـ الأنفال : ٤٢

(٣) ـ الزيادة من المجموع المخطوط .

سلوك طريق أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب ، عليه صلوات رب العالمين ، الذي قوله حجة ، وفعله بيان للحق ، كما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(علي مع الحق والقرآن ، والحق والقرآن مع علي) (١) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :(إذا اختلفتم في شيء فكونوا مع علي بن أبي طالب) وغير ذلك مما لا يحصى كثرة .

[مخالفة بعض أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

وقال إمامنا المنصور بالله عليه السلام عقيب هذه المسألة بعينها ما لفظه :(وأما ما روي في كتب العامة ، مما ينقض رواية أهل البيت عليهم السلام ، فإنهم قد رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حضرته الوفاة قال :(ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده) فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ يهجر (٢) .

وفي رواية :(إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجع) وقالوا: حسبنا كتاب الله .

وفي رواية ما معناه أنه كثر الكلام وارتفعت الأصوات فبعضهم يقول : لابد أن يكتب ، وبعضهم يقول: لا ، حتى أتعبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحوّل وجهه مغضبا وقال: (اخرجوا عني) (٣).

---

(١) ـ (علي مع الحق و القرآن والحق والقرآن مع علي) لم أجده بهذا اللفظ والمشهور قوله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم (علي مع الحق والحق مع علي) أخرجه ابن عساكر في تاريخ ابن دمشق ١٥٣/٣، والبغدادي في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢١ ، و الحموي في فرائد السمطين ١:١٧٧ والطبراني في الكبير ٢٣/ ٣٢٩ ٣٩٥ ، وهو في مجمع الزوائد ١٣٤/٩ ، ٢٣٥/٧ ، وله شواهد أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن المغازلي في المناقب ٢٤٤ ، وفي المسند ٣١٨/٢.

(٢) ـ (إن رسول الله يهجر ، أو غلب عليه الوجع حسبنا كتاب الله) أخرجه أحمد ٢٢٢/١، ومسلم رقم ١٢٥٧ ، و الكامل ٣٢/٢، و الطبري ١٩٣/٣ وانظر تراثنا ٤١، ص ٣٩٣.

(٣) ـ البخاري ٩/٧ ، وفيه قال عبد الله : وكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم .

ورووا أحاديث كثيرة بطرق لهم شتى وألفاظ مختلفة في **البخاري ومسلم وغيرهما** في أنه لابد أن يطرد عن الحوض طائفة من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [١].

وفي بعض الروايات عن **أبي هريرة** أنه قال:(حتى أرى أنه لا يسلم إلا مثل همل النعم) [٢] .

ورووا عن بعض **أزواج** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(لا أبريء من النفاق إلا عمر) وجميع ذلك الذي يروى يقضي ببطلان روايات العامة ، إلا ما وقع الإجماع عليه ، أو وافق كتاب الله .

والوجه في ذلك : أنه لا يخلو إما أن يكونوا صادقين فيما رووا في الصحابة من ذلك أو كاذبين ، إن كانوا صادقين فقد رووا عن المنافقين ، والمحدثين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما في حديث الكتف والدواة ، والله يقول :﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾ [٣] وكفى بذلك جرحا ، وإن كانوا كاذبين فقد لزمتهم التهمة في جميع ما رووا ، إلا ما وقع الإجماع عليه، أو وافق الكتاب ولا محيص لهم عن ذلك ولا مدفع ، إلا بالمكابرة الشاهدة بباطلهم ، وقد وقع الإجماع على كثير مما روي في أهل البيت عليهم السلام مما يقضي بعدالتهم ورجوع الناس إلى روايتهم . اهـ

[عودة إلى تفسير الإمام القاسم بن محمد عليه السلام]

عدنا إلى ما ذكره إمامنا عليه السلام من تفسير آيات الأحكام من هذه السورة المباركة فقال عليه السلام :

---

(١) ـ البخاري الجزء السابع ص ٢٠٦.
(٢) ـ البخاري ٢٠٨/٧
(٣) ـ النساء : ١١٥

الآية الثانية :﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ هذه اللام للملك والإختصاص .

دلت الآية الكريمة على أن جميع المحامد التي تليق بذي العزة والجبروت لله خاصة فلا يجوز إطلاق شيء مما كان كذلك من المحامد على غير الله سبحانه إلا ما خصه دليل .

وتدل على أن جميع ما تضمن مدحا من الأسماء فإنه لله سبحانه ولا يقصر على مارواه أبو هريرة من الأسماء الحسنى .

الثالثة :﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ دلت على أن عبادة الله وطلب الإستعانة من أخلاق المؤمنين ، وأن الواجب على عباد الله الملازمة لهما .

الرابعة :﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ دلت على وجوب الدعاء إلى الله سبحانه ، وطلب الهداية منه إلى طريق الحق ، التي هي طريق الذين أنعم الله بأن هداهم إليها ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) .

الخامسة :﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ دلت هذه الآية الكريمة على تحريم الإقتداء بالمغضوب عليهم ، وهم كل من لم يؤمن ، وكذلك كل ضال ، وهم الذين وصفهم الله بقوله سبحانه :﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا**﴾[1] الآية .اهـ

[عودة إلى تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم (ع)]

عدنا إلى ما نحن بصدده من تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم من رواية ولده محمد بن القاسم عنه عليهم السلام جميعا .

---

(١) ـ الكهف : ١٠٣

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿قل أعوذ برب الناس﴾ قال **القاسم بن إبراهيم** صلوات الله عليه: هذا أمر من الله لنبيه أن يتعوذ ، وان يقول هذا القول ، ومعناه : أستجير وألوذ برب الناس ، فالرب : هو السيد المليك مالكهم وفاطرهم ، والقادر عليهم والرازق لهم ﴿ملك الناس﴾ الملك : فهو الذي ليس في ملكه شريك [معارض] [1] ﴿إله الناس﴾ والإله : فهو الذي تأله إليه ضمائر القلوب ، وهو الرب الذي ليس بصنع ولا مربوب .

وتأويل ﴿من شر﴾ فهو : من كل مفسد مضر . وتأويل ﴿الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس﴾ فهو : ما وسوس في الصدور ﴿من الجنة والناس﴾ والموسوس فقد يوسوس بحضوره في الصدور ويخنس ، وقد تكون الوسوسة من الموسوس في الصدور ما يكون فيه من الذكر والخَطْرِ. وخنوس الوسواس : مفارقته وغيبته عن الصدور ، ووسوسته : فما ذكرنا من الخطر والحضور ، وما ذكر الله عزوجل في ذلك من الوسواس فقد يكون كما قال الله سبحانه :﴿من الجنة والناس﴾ والناس : فهم الآدميون فأمر الله نبيه أن يتعوذ من شر شياطين الجن والأنس ، وشر شياطين الجن والإنس : فهم المغوون المردة الملاعين من جني وإنسي .

وفي ذلك ما يقول الله سبحانه :﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض﴾ [2] وشياطين الإنس أقوى على الإنسان وأشد عليه من شياطين الجن .

وتأويل ﴿الوسواس الخناس﴾ فهو : الشيطان الخانس ، فهو يخنس عن أعين الناس فلا يرونه ، ومعنى يخنس : فهو يغبى فلا يرى ، فهو الشيطان ــ عليه لعنة الله ــ يوسوس بحضوره في الصدور من الذكر والخطرة ، بالوسوسة والإغواء والفسق

---

(١) ـ الزيادة من المجموع المخطوط .

(٢) ـ الأنعام : ١١٢

والردى ، حتى يدخل بحب (١) المعاصي في الصدور ، وقد تكون الوسوسة من الفريقين بالمشاهدة والمحاضرة ، وقد تكون منهما الوسوسة بالذكر والخطرات الخاطرة ، وأي ذلك كان في الصدور بخاطرة تخطر ، أو حضور - فهي وسوسة ، كما قال سبحانه من شيطان أو إنسان ، بما يجول منهما في الصدور والجنان قال الشاعر:

وكم أخطر في بال ولاأخطر في بالي (٢)

تفسير ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

تأويل ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ (٣) أعوذ : هو أستجير ، وتأويل الرب: فهو السيد

---

(١) - أي بسبب حب المعاصي يدخل الشيطان في الصدور بالتزيين ونحوه .

(٢) - في تفسير الغريب للإمام زيد عليه السلام ٤١٥ قال الإمام زيد بن علي صلوات الله عليه : مامن مولود إلا وعلى قلبه الوسواس الخناس ، فإذا عقل فذكر الله تعالى خرج ذلك من قلبه .

(٣) - في المخطوط تفسير أئمة أهل البيت المجموع (وسألته عن قول الله سبحانه :﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فقال: تأويل أعوذ : فهو أستجير .. الخ ما هو موجود هنا .

في تفسير الغريب ص ٤١٥ عن الإمام زيد قوله تعالى :﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ معناه رب الصبح ، ويقال: الفلق وادي جهنم ، والفلق : الطريق بين الضدين ، ويقال: الفلق الخلق فأمر الله تعالى نبيه صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلّم أن يتعوذ من شر ذلك .

وقوله تعالى :﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ فالغاسق الليل ، وقوله تعالى :﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ معناه السواحر ينفثن في الظلم ، وقوله تعالى :﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ معناه من نفس الحاسد وعينه .

قال المحقق : نقل السيوطي عن أبي حاتم عن زيد بن علي عن آبائه قال : الفلق جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه) الدر المنثور ٤١٨/٦ .

وفي هامش مخطوط تفسير الأئمة نقل السيد العلامة محمد بن الحسن العجري حفظه الله ما لفظه : روى ابوعبدالله العلوي مؤلف الجامع الكافي رحمه الله في كتابه أسماء الرواة التابعين عن الإمام زيد بن علي عليهما السلام فقال: حدثنا محمد بن الحسين بن غزال الحارثي الخزاز ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن عمرو الجهني قال : حدثنا محمد بن منصور المقري ، قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن مروان ، قال: حدثنا الحسن بن فرقد ، قال: حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أمير المؤمنين أبي الحسين زيد بن علي عليهما السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين الوصي علي صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك اسمه :﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ قال عليه السلام : الفلق : جب في قعر جهنم عليه غطاء إذا كشف ذلك الغطاء خرجت منه نار تصيح جهنم من شدة حر ما يخرج منه) .

أخبرنا أبو جعفر بن محمد الجعفري قراءة قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال: حدثنا الحسن بن العباس

المليك الكبير ، وتأويل الفلق : فهو الفجر إذا انفلق ، كذلك يقول الناس : انفلق الفجر وبدا إذا تبين وظهر وأضاء ، وفي ذلك وبيانه أشعار كثيرة لا تحصى ، لشعراء الجاهلية الأولى .

[من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد]

فأمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعيذ به من شر خلقه في النهار كله ، وأن يستعيذ به من شر جميع خلقه في ليله ، ولا يكون شرا إلا في ليل أو نهار وإلا بعد غسق أو انفجار .

والفلق : فأول الفجر وفلوقه قال لبيد:

الفارج الهم مسودا عساكره   كما يفرج جنح الظلمة الفلق

والغسق: فأول الليل . وغسوقه : ظلمته كما قال ابن عباس : غسق الليل أول الليل وظهوره وظلمته ، فقد أتى على ذلك كله استجارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستعاذته ، وغسق الليل ووقوبه : فهو وجوبه .

وأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مع استعاذته به من شر الليل والنهار أن يستعيذ به - لا شريك له - من شر السواحر والسحار ، والسواحر : هن النفاثات في العقد [وأمره أن يستعيذ به من شر الحاسد عند الحسد إذا حسد] (١) والنفث : هو التفل على العقدة إذا عقدت ، والعُقَدُ : فهي جمع عقدة يعقدها السواحر في خيط ، وسواء كان العقد كبيرا أو غير كبير، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإستعاذة من شر الحاسد عند حسده .

بن أبي مهران الرازي ، قال: حدثنا سهل بن عثمان الرازي ، قال: حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن الإمام الأعظم أبي الحسين زيد بن علي عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام أنهم قالوا: الفلق : حب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح جهنم من شدة حرما يخرج منه) اهـ .

قال الإمام القاسم بن إبراهيم في بعض مسائله (مجموع تفسير الأئمة) ص ٥١٨ ، وأما النفاثات في العقد ، فهن السواحر ، والنفث فهو الرقاء والتفل بالريق ، والعقد : فهو عقد السواحر لعقد كنّ يعقدنها في السير والخيط .

(١) - الزيادات من المجموع المخطوط .

وتأويل ﴿إذا﴾ ـ هاهنا ـ : عند وسواء قيل : عند ، أو إذا ، معنى هـذا فهـو معنـى هذا [وشر الحاسد ما يكون من ضره ومكره وعداوته وكيده وغير ذلك] وليعلم ـ إن شاء الله ـ من قرأ تفسير هذه السور الثلاث وما بعدها من التفسير ـ، أن كل ما فسرنا من ذلك كله فقليل مـن كثير ، وأن كـل سبب مـن كلمـات الله فيـه فموصـول [1] بأسباب عند مـن خصـه الله بعلمهـا مـن أولي النهـى والألبـاب ، لاينتهـى فيـه إلى استقصائه ، ولا يوقف منه على إحصائه ، كما قال سـبحانه :﴿**قـل لـو كـان البحـر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنـا بمثلـه مـددا**﴾[2] فكلام الله جلَّ ثناؤه في الحكمة والتبيين والهدى فما لا يدرك له أحد غـير الله منتهـى ولامدى ، وكلام غير الله في الحكمة وإن كثر وطال ، وتكلم فيه قائلـه بمـا شـاء مـن الحكمة فأقصر أو أطال ، فقد يدرك غيره من الخلق غايته ومنتهـاه ، وكـل وجـه مـن وجوه كلامه فلا يفتح وجها سواه ؛ لأن علمه ينفد وكلـه يحصى ويعـد ، وكلمـات الله سبحانه كما قـال لا تنفـد بإحصـاء ، ولا يؤتـى علـى مـا فيهـا مـن خفايـا العلـم بأستقصاء ، وقليل علمها فكاف ـ بمن الله ـ كثيرا ، وكلهـا فضيـاء ونـور وهـدى وتبصير [3].

---

(١) ـ لفظ ب (وأن كل سبب من كلمات الله فموصول) .

(٢) ـ الكهف : ١٠٩

(٣) ـ في التفسير المخطوط (وبعد : فإنا با لله نستعين نعلم بأن غيرنا ممن لعله سيقرأ كتابنا هذا وتفسيرنا ، أن لـولا مـا رأينا في الناس من الغفلة والحيرة والإلتباس في معرفة ما جعل الله عز وجل لكتابه من سعة من المخارج وأبان به وفيه من جوادّ المناهج التي قرب برحمته سبلها ، وخص بعلم قصدها أهلها لمـا تكلفنـا إنشـاء الله مـن ذلـك مـا تكلفنـا ، ولاعنينا فيه بوصف ما وصفنا ، لما ينبغي أن يكون عليه اليوم من اهتـدى فوهبـه الله عصمـة ورشـدا ، مـن الشـغل بخاصة نفسه ، والوحشة من ثقته وأنسه ، ولكنا أحببنا أن يعلم من جهل ما قلنا من سعة هموم الكتاب المكنون ، لما جعل فيه من العلم لأولي الألباب ، سيوقن أن للكتاب ظهورا وبطونا ، وأن فيه بإذن الله لأولي الألباب علما مكنونا لا يظفر أبدا به إلا من كان مريدا فيه لربه ، والحمد لله رب العالمين لا شريك له .

تفسير قل هو الله أحد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل هو الله أحد﴾ الأحد: هو الواحد عزة.

قوله سبحانه: ﴿الله الصمد﴾ الصمد: هو النهاية والمعتمد الذي ليس وراءه مصمود، ولا سواه إله معبود ﴿لم يلد﴾ تبارك وتعالى ولدا؛ فيكون لولده أصلا ومحتدا ﴿ولم يولد﴾ فيكون حدثا مولودا، ويكون والده قبله شيئا موجودا ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ والكفؤ: فهو المثل والنظير، والأحد: فهو ما قد تقدم فيه منّا البيان والتفسير، فهو الله الأحد الواحد، الذي ليس كالآحاد؛ فيكون له ند في وحدانيته من الأنداد، وأنه هو الأحد الصمد، والنهاية في الخيرات والمعتمد، الذي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يعلم ما في السموات والأرض وهو العليم الخبير﴾[1].

---

(١) - في تفسير الغريب للإمام زيد بن علي ص ٤٢٣ قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ معناه: واحد ﴿الله الصمد﴾ فالصمد هو السيد الذي ليس فوقه أحد، ولا يدانيه أحد، المرغوب إليه عند الرغائب المفزوع إليه في النوائب، والصمد: الباقي الدائم، ويقال: هو الله أحد ليس معه شريك - الصمد: يقال: هو المصمود إليه بالحوائج.

ونقل السيد الحكيم عن مجمع البيان للطبرسي ٥٦٦/١٠ عن الإمام زيد بن علي معان أخرى: فقال: قال زيد بن علي: الصمد الذي إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون، والصمد: الذي أبدع الأشياء فخلقها أضدادا وأصنافا وأشكالا وأزواجا، وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند).

وفي تفسير الغريب أيضا ﴿لم يلد ولم يولد﴾ معناه ليس بوالد ولا مولود ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ معناه: شبه، ويقال: لم يلد ولم يتولد منه شيء، ولم يتولد هو من شيء ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ ليس له شبه ولا نظير، وليس كمثله شيء.

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٨٠/٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام: الله: معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، الله المستور عن أدراك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات، ومثله عن الباقر أيضا: الأحد: الفرد المتفرد، والأحد: الواحد بمعنى واحد، وهو المتفرد الذي لا نظير له، وفيه أيضا عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: الصمد: الذي قد انتهى لسؤدده، والصمد: الدائم الذي لم يزل ولا يزال، والصمد: الذي لا جوف له، والصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد: الذي لا ينام، وفيه عن الباقر عليه السلام: والصمد: السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناه، وعن محمد بن الحنفية: الصمد: القائم بنفسه، الغني عن غيره، وعن زين العابدين عليه السلام: الصمد: الذي لا شريك له، ولا يؤده حفظ شيء، ولايعزب عنه شيء، وفيه عن عبد خير قال: سأل رجل عليا عليه السلام عن تفسير هذه السورة فقال: قل هو الله أحد بلا تأويل عدد،

تفسير ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تبَّت يدا أبِي لهبٍ وتبَّ﴾ أبو لهب : هو عبدا لعزى بن عبد المطلب ، وتأويل ﴿تبت﴾ فهو : خابت وخسرت فيما رجت وقدرت . واليدان : فهما اليدان المعروفتان ، وهما مثل قد كان يضرب به لمن خاب وخسر فيما يطلب ﴿وتب﴾ يعني أبا لهب كله فيما عليه من أمره وماله .

﴿ما أغنى عنه مالُه وما كسبَ﴾ تأويله : ما أجزأ عنه ماله وكسبه إذا هلك عند الله سبحانه وعطب ، بضلاله وسيء أعماله .

﴿سيصلى ناراً ذات لهبٍ﴾ وذات اللهب من النيران : فهي ذات التوقد الشديد والإستعار ﴿وامرأته حمّالة الحطب﴾ تأويله : فقد تبت امرأته معه تَبَابَه في الهلكة والعطب ، وتأويل ﴿حمّالة الحطب﴾ فقد يكون : حملها للنمائم والكذب الذي كانت تكذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأتي به زوجها وتنقله إليه وتنقله إلى غيره ممن كان من الكفر في مثل ما هي ، وما هو فيه لتفسد بكذبها وتغري وتكثر نمائمها وتسري على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله كما يكثر ويسري الكذوب النمام ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ جيدها : فهو عنقها ، والجيداء من النساء : فهي التي قد تم في طول العنق خلقها .

وتأويل ﴿حبل من مسد﴾ فهو : الحبل الوثيق المحصد ، وقد يكون حبل من قِدّ والقدُّ : فقد يكون من جلود الإبل ، وهو أوثق ما يكون من الأحبال ، وهو مثل يضرب لمن يحمل كذبا أو زورا يلقي به [بين] الناس عداوة وشرورا .

وقد قال بعض من فسر فيما ذكرنا من أمر أبي لهب وأمرِها : إن تفسير حملها

الصمد بلا تبعيض بدد ، لم يلد فيكون موروثا هالكا ، و لم يولد فيكون إلها مشاركا ، و لم يكن له من خلقه كفوا أحد .

للحطب إنما كانت تحمل الشوك فتطرحه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ممره ومسلكه، وقالوا: إن ﴿حبل من مسد﴾ هو حبل من ليف [1].

تفسير ﴿إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ تأويل جاء: هو أتى، وتأويل النصر: هو ما يفعل من الظهور والقهر، والفتح من الله فهو: حكم الله بالإمضاء فيما حكم به، وأوجبه من الجزاء لمن أحسن بإحسانه، ومن عصى بعصيانه، وهو الذي طلب شعيب عليه السلام ومن آمن معه من الله فقالوا:﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ يريدون احكم بيننا وبينهم بالحق يا خير الحاكمين فاجزهم جزاءهم وعجل إخزاءهم.

وتأويل ﴿ورأيت الناس﴾ فهو: رؤيتهم يدخلون فيما جئت به من الملة والدين. والأفواج من الناس: فهو ما يرى من الجماعات، التي تأتي من القبائل والنواحي المختلفات، شبيه بما كان يفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وفود القبائل والبلدان، من عقيل وتميم وأهل البحرين وعمان، ومن كل الأمم فقد كان وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدم وآمن بالله [جل ثناؤه] وبرسوله وأسلم.

---

(١) - في (أ) (حبلا من ليف).

في تفسير الغريب ص ٤١٢ قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: قوله تعالى:﴿تبت يدا أبي لهب﴾ معناه: خسرت يداه وخسر هو، وقوله تعالى:﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ معناه: لا يغني عنه ذلك بما كسبت يداه من معاندة الرسول صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم.

وقوله تعالى:﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ هي أم جميل بنت حرب بن أمية كانت تحمل شوكا فتطرحه في طريق رسول الله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم، ويقال: حملها الحطب هو كذبها وسعايتها.

وقوله تعالى:﴿في جيدها﴾ معناه: في عنقها ﴿حبل من مسد﴾ معناه من ليف، والمسد: حبل الليف، ويقال: من حديد، ويقال: قلادة من درع، ويقال: المسد حديد البكرة.

﴿فسبح بحمد ربك﴾ تأويل فسبح : فاخشع واشكر لله حامدا له فيما يرى بعينه من إظهار الله له ولدينه ، وصدق وعده في إظهاره على من ناواه ، وما أراه من ذلك بنصره له بكل من والاه في أيام حياته ، وقبل حمام وفاته . وتأويل ﴿واستغفره إنه كان توابا﴾ فأمره بالإستغفار إذ تم ما وعده الله من الإظهار ، وتأويل التواب : فهو العوّاد بالرحمة وبالنعمة منه بعد النعمة ، وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أنزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إليه وأُمر فيها بالإستغفار ، ورأى ما رأى من الإظهار قال عليه السلام :(نعيت إليّ نفسي وأخبرت بعلامات موتي) فصدق في ذلك كله نصر الله ، والفتح من الله : الخبر حين أتاه من الله الفتح والنصر ، فتوفي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرا منصورا ، وقبضه إليه بعد أن جعل ذنبه كله له عنده مغفورا ، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه فيه صلوات الله عليه وآله :﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ فنحمد الله على ما خصه في ذلك من نعمائه ، ونسأل الله أن يزيده في الدنيا والآخرة من كراماته [1].

تفسير ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾

فهو أمر من الله جلَّ جلالُهُ ثناؤه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يقول لمن كفر بربه ، ولم يوقن بما أيقن من توحيد الله به : لست أيها الكافرون بعابد ماتعبدون مع الله ، ولستم عابدين من التوحيد بما أنا به عابد لله ، وما أنا على حال بعابد لما

---

(١) ـ وقال الإمام زيد بن علي عليه السلام في تفسير الغريب ٤١١ قوله تعالى :﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ يعني جماعات في تفرقة .

تعبدون من الأصنام ، ولا أنتم بعابدين لله بالتوحيد والإسلام ، وكذلك من الله الأمر فيمن أشرك بالله ، ما كانت الدنيا والى يوم التناد ، فليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعابد لغير الله ، ولاهم بالتوحيد لله بعابدين ، والصدق - فحمداً لله ذي المن والطول - في ما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول به من القول لا مرية في ذلك ولا شبهة ، ولا يختلف فيه بمن الله وجهه ، ولذلك وكد فيه من القول ما أكد ، وردد فيه من التنزيل ما ورد (١) .

تفسير ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ تأويله : آتيناك ، وآتيناك : هي وهبناك الكوثر ، والكوثر : فهو العطاء الأكبر ، وإنما قيل : كوثر من الكثرة كما يقال : غفران من المغفرة فعرف الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وغيره من عباده بما مَنَّ الله عليه من نعمته ومنّه وإرشاده ، التي أقلها برحمة الله كثير ، وأصغرها بِمَنِّ الله فكبير ، لا يُظْفَر به إلا بِمَنِّ الله ، ولا يُصَابُ أبداً إلا بالله .

وتأويل ﴿فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ : فأمر منه سبحانه لرسوله

---

(١) - وقال الإمام زيد بن علي عليه السلام قوله تعالى ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ من أصنامكم ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ معناه : إلى دين الإسلام ، وقوله تعالى :﴿لكم دينكم ولي دين﴾ قال الإمام زيد بن علي عليهما السلام : وذلك أن قريشا قالت للنبي صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلّم : إن سرك أن نتبعك فارجع إلى ديننا عاما ، ونرجع إلى دينك عاما ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (غريب القرآن ٤١١).

وفي تفسير فرات الكوفي بسنده إلى جعفر بن محمد عليهما السلام قال: لما نزلت على النبي صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلّم ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ الإسراء ٧٤ قال : تفسيرها قال قومه : تعال حتى نعبد إلهك سنة ، وتعبد إلهنا سنة ، قال: فأنزل الله عليه ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ إلى آخر السورة .

وفي المسائل المفردة خ للإمام الهادي عليه السلام قوله عز وجل ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ نزلت في الأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، وابن العاص عرضوا على رسول الله صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلّم أن يعبدوا ما يعبد ، ويعبد ما يعبدون .

صلى ا لله عليه وآله وسلم بأن يصلي صلاته كلها لربه ، وربه : فهو ا لله تبارك وتعالى الذي أنعم عليه من النعم والكرامة بما أنعم به ؛ لأنه قد يصلي كثير من المصلين لغير ا لله مما يعبدون، ويصلي أيضا بعض أهل الملة بالرياء وإن كانوا يقرون ويوحدون.

وأمره سبحانه إذا نحر شيئا من النحائر قربانا لربه ألا ينحره عند نحره له إلا لله وحده ربه ؛ لأنه قد كان ينحر أهل الجاهلية للأصنام والأوثان ، ويشركون في نحائرهم بينها وبين الرحمن ، ويذكرون أسماء آلهتهم عند نحرها ، ويذكرون ا لله جلَّ ثناؤه عند ذكرها ، وفي ذلك ما يقول ا لله سبحانه :﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم ا لله عليه**﴾ يعني اسمه خالصا ، وما لم يكن له جلَّ ثَنَاؤُهُ من النحائر والذبائح خالصا .

وأخبر سبحانه رسول ا لله صلّى ا لله علَيهِ وآلِه وسلّم أن من شنأه فأبغضه من البشر فهو مخذول ذليل أبتر ليس له عِزٌّ مع بغضه له وشنآنه [ولا منتظر إكراما من ا لله جل ثناؤه لرسوله صلّى ا لله علَيهِ وعلى آله وإخزاء لمن شَنِئَه] (1) وأبغضه ولم يؤد إلى ا لله في محبته فرضه ، فنحمد ا لله على ما خص به رسوله من كراماته ، وأوجب على العباد من محبته وولايته ، وقد قيل : إن الكوثر نهر في الجنة خص ا لله رسوله به وجعله جلَّ ثَنَاؤُهُ في الجنة له ، وقالوا : إن شانئه الأبتر المذكور في هذه الآية قصده هو عمرو بن العاص السهمي (2) خاصة وتأويل ذلك إن شاء ا لله وتفسيره هو كل من شَنِأه عمرو كان أو غيره (3).

---

(١) ـ الزيادة من المجموع المخطوط .

(٢) ـ وذكره ايضا في تفسير نور الثقلين ٥/٦٨٥، وعزاه إلى كتاب الإحتجاج ، عن الحسن بن علي .
وفي كتاب الخصال عن ابي ذر ، وفي تفسير علي بن ابراهيم كلهم أن الأبتر عمرو بن العاص السهمي ، وبعض المفسرين يذكر أنه العاص بن وائل السهمي أبوه .

(٣) ـ الإمام زيد (غريب القرآن) قوله تعالى :﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ هو نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء ، والكوثر : الخير الكثير .
وقوله تعالى ﴿فصل لربك وانحر﴾ معناه : صل بجمع ، وانحر بمنى ، ويقال: وانحر معناه استقبل القبلة ، وقوله تعالى :﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ معناه مبغضك ، وعدوك الذي لا عقب له ، وذلك العاص بن وائل السهمي ، ويقال: كعب الأشرف اليهودي (ص ٤١٠).

تفسير ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يرآؤن ويمنعون الماعون﴾.

قال عليه السلام : تأويل **﴿أرأيت﴾** : هو تعريف وتبيين من الله وتوقيف لرسول الله صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلّم ، ولمن آمن بما أنزل من الوحي والكتاب إليه ، لا رؤية مشاهدة وعيان ، ولكن رؤية علم وإيقان ، كما يقول القائل لمن يريد أن يعرفه شيئا إذا لم ذلك الشيء له ظاهرا جليا : أرأيت كذا وكذا يعلم علمه ، يريد بأرأيت توقيفه على أن يعرفه ويعلمه على حدود ما فهمه منه وأعلمه ، فأعلم الله سبحانه رسوله صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلّم ومن نزل عليه معه وبعده هذا البيان ، أن الذي يكذب بيوم الدين من الناس أجمعين ، ويوم الدين : فهو يوم يجزي الله جلّ ثَنَاؤُهُ العاملين بما كان من أعمالهم في هداهم وضلالهم ، وهو يوم البعث حين يدان كل امرء بدينه ويرى المحسن والمسيء جزاء العامل منهما يومئذ بعينه ، وتكذيب المكذب بيوم الدين فهو : ارتيابه وإنكاره فيه لليقين ، وذلك ومن كان كذلك فهو الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، لارتيابه فيه وتكذيبه ، ولقلة يقينه به دَعَّ اليتيم ، ودَعُّه له : هو دفعه عن حقه ومنعه ، وتكذيب المكذب بالدين ، ولم يحض غيره على إطعام المسكين ، وفيه وفي أمثاله ما يقول الرحمن الرحيم :**﴿ويل للمصلين﴾** يعني من غير أبرار المتقين ، وهم الفجرة الظلمة المنافقون ، **﴿الذين هم﴾** كما قال الله سبحانه :**﴿عن صلاتهم ساهون﴾** والساهون : فهم الذين عن صلاتهم ووقتها لاهون ، ليس لهم عليها إقبال ، ولا لهم بحدود تأديتها اشتغال ، فنفوسهم عن ذكر الله بها ساهية وقلوبهم بغير ذكر الله فيها لاهية **﴿الذين هم يرآؤن﴾** وهم : المراؤن الذي ترى منهم عيانا الصلاة ، وقلوبهم بالسهو والغفلة عن ذكر الله مملاة .

﴿ويمنعون الماعون﴾ وهو ما جعل الله فيه العون من المرافق كلها ، التي يجب العون

فيها لأهلها من غير مفروض واجب الزكوات ، وما ليس فيه كثير مؤنة من المعونات مثل نار تقتبس أو رحى أو دلو يلتمس ، وليس في بذله إضرار بأهله ، وكل ذلك وما أشبهه فماعون يتعاون به ، ويتباذله بينهم المؤمنون ، ومانعوه بمنعه له مِنْ طالبه فمانعون ، وهم كلهم بمنعه لغيرهم فذامون ، وما ذكر الله سبحانه من قوله :﴿فويل للمصلين﴾ فقول لمن كان قبله ، من ذكره بمنع الماعون ، موصول في الذم والتقبيح وما يعرف في التقبيح فصغيره صغيرة ، وكبيره كبيرة ، وكله عند الله فمسخوط غير رضى ، وخلق دني من أهله غير زكي ، تجب مباينته ولا تحل مقارنته ، إلا لعذر فيه بين ، وأمر فيه نير والحمد لله مقبح القبائح ، والمنان على جميع خلقه بالنصائح الذي أمر بالبيان والإحسان ، ونهى عن التظالم والعدوان (١)

تفسير ﴿لإيلاف قريش﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ المعنى : هو إِلْفُهُم وإِيلافُهُم فقريش مَنْ ؟ أنفسهم وحليفهم ، ومن جاورهم في الحرم ، ولفيفهم ، فكل من كان

---

(١) ـ غريب القرآن للإمام زيد بن علي عليهما السلام (٤٠٩) قوله تعالى :﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ معناه يدفعه ويقال: يتركه ، ويقال: يقهره ويظلمه ، وقوله تعالى :﴿عن صلاتهم ساهون﴾ معناه : عن مواقيتها ، وقوله تعالى :﴿ويمنعون الماعون﴾ معناه : الزكاة المفروضة ، ويقال: وهو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو ، وما أشبه ذلك ، والماعون : الطاعة ، و الماعون: العطية والمنفعة ، والماعون: بلسان قريش : المال ، ويقال: الماعون المهنة

وفي مجمع البيان ٢٤٨/٦ عن علي عليه السلام وابن عباس ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ، ولا يخافون عليها عقابا إن تركوا ، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها ، فإذا كانوا مع المؤمنين صلوها رياء ، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا ، وهو قوله :﴿الذين هم يرآؤن﴾.

وفيه أيضا عن جعفر الصادق سأله يونس بن عمار عن قوله :﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ أهي وسوسة الشيطان ؟ فقال: لا كل أحد يصيبه هذا ، ولكن أن يغفلها ، ويدع أن تصلى في أول وقتها ، وعنه أيضا : هو الترك لها والتواني عنها .

وفيه أيضا ص ٢٤٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ويمنعون الماعون﴾ قال: هي الزكاة ، وعن الإمام الصادق : هو القرض تقرضه ، و المعروف تصنعه ، ومتاع البيت تعيره ، ومنه الزكاة .

يسكن في الحرم في مسكنهم ، ويأمن بمكانه معهم في الحرم بأمنهم ، ويرحل معهم إذا أراد أمْناً الرحلتين ، وينتقل معهم الطعام والإدام [1] في السنة نقلتين ، لايعرض لهم أحد من العرب بقطع في الطريق ، وليسوا في شيء مما فيه غيرهم من الخوف والضيق والعرب كلهم خائفون جياع ، وهم كلهم آمنون شباع ، لحرمة البيت عند العرب وتعظيمه وإجلاله ، ولإكْبَارِهم القطع على سكان الحرم ونُزَّاله ، فذكرهم في ذلك تبارك وتعالى بنعمته ، وبما من به تعالى من بركة الحرم وحرمته .

وفي ذلك وذكره وما ذكرنا من أمره ما يقول الله سبحانه :﴿**أولم نمكن لهم حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ وفيه ما يقول الله سبحانه :﴿**أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون**﴾ [2].

وتأويل ﴿**فليعبدوا**﴾ هو فليوحدوا ، ومعنى فليوحدوا : فهو ليخلصوا ، ومعنى ليخلصوا: فهو ليفردوا بعبادتهم ، وليخصوا ﴿**رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾ الذي بمكانهم منه ، وبما كان من مجاورتهم له ـ أطعموا من جوع ، وأُومنوا من خوف، فلم يجوعوا جوع الجائعين ، ولم يخافوا خوف الخائفين ، فكلهم يعلم ويقول : إن البيت بيت الله ذي الجلال والإكرام ، لا بيت ما عبدوا دونه من الملائكة والأصنام ، وأن الله سبحانه هو الذي حرم الحرم ، وجعل له تبارك وتعالى الجلالة والكرم ، لا الملائكة المقربون ، ولا الأصنام التي يعبدون وأمرهم جلَّ ثَنَاؤُهُ أن يعبدوه وحده ، وأن يوجبوا شكره وحمده ، على ما صنع لهم وأولاهم ، ووهب لهم بحرمة بيته وأعطاهم [3] .

---

(١) ـ اللفظ في (أ) وينتقل معهم الطعام والإدام معهم في السنة نقلتين .

(٢) ـ العنكبوت : ٦٧

(٣) ـ في تفسير الإمام زيد (غريب القرآن ص ٤٠٨) قوله تعالى :﴿لإيلاف قريش﴾ معناه : نعمتي على قريش ، وقوله تعالى :﴿رحلة الشتاء والصيف﴾ كانت لقريش رحلتان رحلة الشتاء إلى الحبشة ، ورحلة الصيف إلى الشام للتجارة وقوله تعالى :﴿وآمنهم من خوف﴾ أي من الجذام ، ويقال: من أن يعيروا في حرمهم .
وقال الطبرسي في مجمع البيان ٥٤٥/١٠: رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ، وقال الفراء في معاني القرآن ٢٩٤/٣: رحلة الشتاء إلى الشام ، ورحلة الصيف إلى اليمن .

تفسير ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾ .

معنى ﴿تر﴾ى في مخرج التأويل : ليس هو برؤية العين ، ولكنه علم اليقين ؛ لأن رسول الله صلّى الله عليهِ وآلِه وسلَّم لم ير ذلك بعينه ، ولكنه رآه بعلمه ويقينه وبما ذكر الله جلَّ ثَنَاؤُهُ عنه ، وبما وصفه الله به منه ، وسواء قيل: ألم تر ، أو قيل: ألم تعلم ، معناهما واحد في اليقين و العلم .

وتأويل **﴿كيف فعل ربك﴾** هو كيف صنع ، وأصحاب الفيل : فهم من جاء معه أو بعث به وإن تخلف عنه ، فكل من كان للفيل صاحبا مَنْ بَعَثَ وإن لم يصحبه ومن كان له مصاحبا .

وتأويل **﴿كيدهم﴾** فهو إرادة مريدهم ، والإكادة : فهي الإرادة كما قال الشاعر:

كادت وكدت وتلك خير إرادة   لولا الوشاة بأن نكون جميعا

وذلك أن أصحاب الفيل كادوا ، ومعنى ذلك : هو أرادوا أن يخربوا الكعبة ويجعلوها متهدمة خربة ، لأن العرب خربت كنيسة كانت يومئذ للحبشة ، وكان يومئذ فيهم وملك عليهم رجل من العرب من أهل اليمن يقال له : أبرهة بن الصباح وكان يدين دينهم فهو الذي بعثهم فأرسل الله سبحانه على أصحاب الفيل كما قال تبارك وتعالى :**﴿طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾** لا يصيب حجر منهم أحدا إلا قتلته وأهلكته ، ولم يكن له بقاء معه ولا بعده ، والطير الأبابيل : فهي الطير الكبير الأراعيل [1] التي تأتي من كل جهة ، ولا تأتي ناحية

---

(١) ـ الرعيل: هو اسم كل قطعة متقدمة من خيل وجراد ورجال وطير وابل وغير ذلك ، والجمع أرعال ، وأراعيل ، فإما أن يكون أراعيل جمع الجمع ، وإما أن يكون جمع رعيل كقطيع وأقاطيع ، انظر لسان العرب ٢٨٧/١١ ط دار صادر .

واحدة ، والسجيل: فهو فيما يقال : الطين المستحجر الصلب الذي ليس فيه لين فهو لا يقع على شيء إلا حطمه وفتَّهُ وهشمه ، وجعله كما قال الله سبحانه كالعصف المأكول ، والعصف : فهو عاصفة قصب الزرع البالي المدخول (١) الذي قد دخل وأكل وتناثر وتهلهل ، والمأكول منه فهو الذي لاجوف له ، والذي قد أنهيت جوفه كله (٢).

تفسير ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده أيحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة [التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة]﴾

تأويل ما ذكر الله من الويل : ما يعرف من الحرقة والعويل ، و الخزي الكبير العظيم الجليل ، والهُمَزَةُ من الناس : فهو من يغتاب صاحبه ويغمزه ، والهمزة واللُّمَزَةُ: فهو الذي يعيب حقا أو محقا ويهمزه ، والهمزة : فهو الباخس المغتاب ، واللمزة: هو الهامز العياب . وجمعه للمال : فهو اكتنازه له واجتهاده ، وتعديده له: فهو إرصاده له وإعداده بما في يده من ماله لما يخشى من نوائب حاله .

وتأويل ﴿يحسب﴾ هو أيحسب استفهاما وتوقيفا وتبيانا له وتعريفا على أن ما جمع وأعد من مال لنوائب مكروه بحال لن يخلده فينقذه ، ولن يدفع عنه ويقيه ما يخشى ويتقى من مكروه النوائب ، كيف وهو لا يدفع عنه من الموت أكبر المصائب ! لاينتفع

---

(١) - في المعجم الوسيط : دَخِلَ دَخَلا ، ودَخْلا : فسد داخله وأصابه فساد أوعيب (دُخِلَ) مثل دخِل ، والحب : سوس ، والدَّخَل : الفساد والعيب ، والداء ، والريبة .

(٢) - في تفسير الإمام زيد (غريب القرآن ٤٠٧) قوله تعالى :﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾ والطير جماعة ، وأبابيل جماعات ، قال الإمام زيد بن علي عليهما السلام : لها خراطيم مثل خراطيم الطير وأكف مثل أكف الكلاب .

وقوله تعالى :﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ معناه من حجر وطين ، ويقال: السجيل : الشديد وكانت تحمل الحجارة في أظافيرها ومناقيرها ، أكبرها مثل الحمصة ، وأصغرها مثل العدسة فترسل ذلك عليهم فتصير أجوافهم كالعصف المأكول ، وهو ورق الزرع الذي يسقط عليه الدود فتأكله ، ويقال: دقاق التبن ، ويقال: ورق كل نابت .

عند الموت به ، ولا بكده فيه وكسبه ، وكذلك كلما أراده الله به من ضر سوى الموت ، فليس يقدر له بجمع ماله وإعداده ، على خلاص ولا فوت ، في عاجل دنياه وكذلك هو في مثواه يوم القيامة إذا نبذ في الحطمة ، ونبذه فيها : إلقاؤه إليها والحطمة : فهي الأكول لأهلها باستعارها وحرها ، وهي النار التي جعل الله وقودها كما قال سبحانه بما جعل من حجارتها ، وأهلها في قرارها ، وفي ذلك ما يقول تبارك وتعالى للمنذرين :﴿**فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**﴾[1] فنار الآخرة جعلت نارا فطرها الله يومئذ افتطارا ، من غير حديد ولاحجر ولا شجر ، ولا أصل لها قبلها مفتطرة ، كما نراه من هذه النار التي جعل أصلها من الحجر والأشجار ، كما قال سبحانه :﴿**أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**﴾[2] ولو كانت نار الآخرة كهذه النار ، لكان وقودها بما توقد هذه النار من أشجار ، ولكن الله عز وجل جعل أصلها حجارتها التي فيها وأهلها ، فتوقدت واستعرت لذلك بهم ، كما يوقد أهل هذه النار نارهم بحطبهم ، فأهلها حطبها كما هم حصبها كما قال الله سبحانه :﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾[3] فأهل جهنم بخلودها ودوام وقودها فيها خالدون ، لا يفنون أبدا ولا يبيدون ، كما يعود الحطب رمادا خامدا ، ورفاتا جامدا ، كذلك تعود جلود أهل النار - نار الآخرة - رفاتا ، وشيئا هامدا باليا ، مائتا فيجدد الله ذلك بعد بلائه ، وتهافته تجديدا ؛ ليخلد الله بالتجديد له أهل النار فيها تخليدا ، كما قال سبحانه :﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما**﴾[4] فنار الآخرة أبدا بحجارتها وأهلها موقدة وحجارتها وجلود أهلها كلما بليت فمعادة ، تقدير من عزيز حكيم ، لبقاء عذاب الجحيم .

---

(١) - البقرة : ٢٤
(٢) - الأنبياء : ٩٨
(٣) - الواقعة : ٧١ - ٧٢
(٤) - النساء : ٥٦

وتأويل قوله :﴿**تطلع على الأفئدة**﴾ فهو : ما يصل إلى قلوب أهلها من الكرب والشدة ، وتأويل ﴿**إنها عليهم موصدة**﴾ فهو : مطبقة مغلقة ، وإغلاق جهنم فهو ماذكر الله عز وجل من أبوابها ، والإيصاد للأبواب الذي هو التغليق عليهم فهو من شدة عذابها ، وما ذكر الله من الإطباق والغلق : فهو أكبر الغَمِّ والألم والحرق ، كما قال سبحانه :﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**﴾(١).

وتأويل ﴿**في عمد ممددة**﴾ بعد ذكره تبارك وتعالى المؤصدة ، فهو : ما يغلق به أبواب جهنم المؤصدة المطبقة ، في عمد معروضة على أبوابها ممدودة ، كالمهاج والأوصاد التي تجعل على الأبواب المغلقة ، و[نحو] ذلك من الأغلاق ، والغلق : فأوثق ما يغلق به كل مغلق أراد إغلاق الباب ، أو إطباقا ؛ وذلك أنه يأخذ ما في طرفي المغلق كله ، وليس يأخذ ذلك من الإغلاق كلها غلق ، وإنما يغلق كل غلق من الأبواب ما يغلق ، إن كان قفلا ، فإنما يغلق واسطة الأبواب ، وإن كان غير ذلك فإنما يغلق جانبه من كل باب ، فأما المهج والرصد فيغلق الباب كله ، ويستقصى في الغلق آخره وأوله ، ولاسيما إذا كان ممتدا ثابتا ، مهجا كان أو رصدا ، فأبواب جهنم وأغلاقها كلها ، كالمقامع التي ذكر الله من الحديد لا تبيد ، كما مقامع أهلها فيها إذا أرادوا أن يخرجوا منها حديد ، كما قال سبحانه :﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾(٢) ألا فسبحان من جمع في جهنم ما جمع من أنواع الخزي والضيق للظلمة الملحدين فقيل في يوم البعث لهم جميعا :﴿**ادخلوا أبواب جهنم خالدين**﴾(٣) .

---

(١) ـ السجدة : ٢٠

(٢) ـ وقال الإمام زيد عليه السلام قوله تعالى :﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ الويل واد في جهنم ، والهمزة : الطعان ، واللمزة : الذي يأكل لحوم الناس ، وقوله تعالى :﴿كلا لينبذن في الحطمة﴾ معناه : ليرمين به في نار الله الموقدة ، وقوله تعالى :﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ معناه مطبقة ، وقوله تعالى :﴿في عمد ممددة﴾ وهو جمع عماد ، يقال: قيود طويلة (غريب القرآن ٤٠ .

(٣) ـ الزمر : ٧٢

تفسير ﴿والعصر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر**﴾ فالعصر : قد يكون من آخر النهار ، ويكون الدهر ، فَأَشْبَهُ ذلك ـ والله أعلم بالتأويل ، ومايصح فيه من الأقاويل ـ أن يكون العصر الذي بعد الظهر ، لاالعصر الذي من الدهر ، وإن كان كل ذلك وقتا ، وكان ذلك لكلا الوقتين نعتا ، كان أفضل الأوقات ماكان لصلاة من الصلوات ، وكان تأويل القسم به أشبه وأفضل وأوجه ، والله أعلم وأحكم .

وكان تأويل أنه قسم كما أقسم بالفجر والليالي العشر لفضلهما وقدرهما وماذكر الله من أمرهما . والعصر والأعصار من النهار : فهو بعد الظهر والإظهار ، وإذا كان الدهر وقتا كله كان ماكان منه للصلوات هو أفضله ، والأفضل هو الأولى بالتقدم في القسم وغير القسم .

وأما تأويل الخسر : فهو النقص في الخير والبر ، ولم يكن من الناس في خير ولابر فهو كما قال الله عزوجل :﴿**لفي خسر**﴾ وكل الناس فغير مفلح ولارابح ، إلا من عمل لله بعمل صالح كما قال سبحانه :﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ .

وتأويل الإيمان : فترك كبائر العصيان .

وتأويل :﴿**وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ فهو : عملهم لله صالحات ، وهي أولى الأعمال بهم ، لما فيها من رضى ربهم ، وصلاحهم وصلاح غيرهم .

وتواصيهم بالحق : فهو تآمرهم بطاعة الحق ، وتواصيهم بما ذكر من الصبر : هو تآمرهم بالمقام على البر ، وعلى مايعارضهم في المقام عليه من اليسر والعسر ومايقاسون فيه من منابذة المبطلين ، ومن ليس بمراقب ، ولامتق لرب العالمين ، من الفجرة المستهزئين ، والجورة المتغلبين المتمردين .

تفسير ﴿ألهاكم التكاثر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ فتأويل ﴿ألهاكم﴾ : هو أغفلكم عما عليكم في المعاد ، ولكم بما أنتم فيه من تكاثركم بالولد والمال والعشائر ، وتفاخركم بما في ذلك عندكم من الخيلاء والمفاخر ، ولذلك وبه شغلوا وألهوا ، فغفلوا بكدهم فيه وكدحهم وتكالبهم عليه ، وشحهم عن رشادهم ، وتيقن معادهم ، ولما في التكاثر بالأموال ، ومافي التشاغل بالتكاثر من الإشتغال طهر الله منه خيرته من الرسل والأبرار ، فلم يكونوا بأهل مكاثرة ولابتجار .

وتأويل ﴿زرتم المقابر﴾ هو مصيرهم إليها ، واتصالهم بالآخرة ، وإشرافهم عليها .

وتأويل ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لوتعلمون علم اليقين﴾ هو تكرير من الله تبارك وتعالى في ذلك كله عليهم للتعريف والتبيين ، إلا ترى كيف يقول سبحانه :﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ يقول جل ثناؤه : لترون ماوعدتم منها رأي العين عين يقين .

وتأويل ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ هو : لتوقفن حينئذ على ماكنتم فيه قبل متوفاكم ، وفي حياتكم ودنياكم من النعيم والمن العظيم ، الذي كانوا يتنعمون به في الحياة الدنيا وبقائها ، وقبل ماصاروا اليه من الآخرة وشقائها ، وليس مما نزل الله عزوجل من آياته في هذه السورة ولاغيرها طويلة ولاقصيرة إلا وفيها بمن الله دلالات خفية باطنة وظاهرة منيرة ، ففي أقل ظاهرها ماكفى وأغنى ، وفي خَفِيِّهَا من الحكمة والبركة مالايفنى .

تفسير ﴿القارعة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿القارعة ماالقارعة ومـاأدراك ماالقارعة﴾ فالقارعة : ماهال من الأمور وقرع وهجم على أهله بغتة بأهواله فأفزع .

وأما تأويل مأدراه فهو: تعظيم منها لمرآه ، وماسيعانيه فيها ويراه من الأهوال والأمور الفادحة ، وجزاء الأعمال الصالحة والطالحة ، حين تقوم القيامة ، وتدوم الحسرة والندامة على كل خائب وخاسر ، وظالم معتد فاجر، ألا تسمع كيف يقول سبحانه عند بعثه فيها لخلقه المبعوث :﴿**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**﴾ وتأويل ﴿**يكون**﴾ فهو يصير ، والفراش : فطير صغير خفيف عند من يراه حقير ، من همج الأرض والطير ، تمثل به العرب في الكثير ، لأنه كثير ضعيف ، وطير محتقر خفيف فتقول إذا استكثرت شيئا أواستضعفته ، واستقلت وزنه فاستخفته : ماهذا إلا كالفراش في الخفة والقلة ، وللقوم إذا استكثروهم كالفراش في الكثرة والجمَّة .

انبثاثه: فهو انبعاثه متحيرا وطائرا في كل وجهة من الجهات ، يموج ويصدم بعضه بعضا في تلك الوجوه المختلفات ، فمثّل الله سبحانه الناس في يوم البعث بما وصفنا من الفراش المنبث ، الذي يموج بعضه في بعض ، ويسقط تهافتا على الأرض لما ذكرنا من كثرته ، وموجه وحيرته واختلاف جهاته ، ويومئذ يدعوهم من تلك النواحي المختلفات الداعي فيستجيبون لدعوته كلهم جميعا باستماع ، كما قال سبحانه : ﴿**يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له**﴾ [1] تأويلها : لااختلاف لهم بعد معه كما كانوا يختلفون في المذاهب قبل دعائه ، وماسمعوا وهم في حيرتهم من ندائه ، كما قال سبحانه : ﴿**واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب**﴾[2] وهو يوم الإصاخة بالأسماع لتسمع صوت المنادي الداعي ، و[في] ماذكرنا من هذه الإصاخة [ماقيل في يوم الصاخة] :﴿**فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾[3].

وتأويل :﴿**تكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾ فالعهن : هو الصوف الناعم ، الذي ليس يفرد وذلك من الصوف ، فما يلين للنفش في اليد وينتفش ويتجافى ، ويعود خفيفا أجوفا وقد تفرقت أجزاؤه ، وبان جفاؤه فعاد قليله كثيرا ، وصغيره كبيرا

---

(١) ـ طه : ١٠٨

(٢) ـ ق : ٤١

(٣) ـ عبس : ٣٣ ـ ٣٧

لتحلله وتمزقه ، وتزايله وتفرقه ، كذلك تبلى الجبال إذا بليت ، وتفنى يوم القيامة إذا فنيت ، فتكون كالسراب الرقراق ، في الفناء والهبي والإمتحاق ، وفي جزاء الأعمال بعد تلك الأهوال يقول الله سبحانه :﴿**فأما من ثقلت موازينه**﴾ تأويلها : من ثقل في الوزن بره واحسانه فسعد بثقله ، وثَقُلَ بعمله .

وتأويل ﴿**في عيشة راضية**﴾ فهو في عيشة مرضية زاكية ، وإنما يعرف أمر الخفة يومئذ واليوم والثقل بما يعرف منها اليوم في الحال والقدر والعمل ، وليس نعلم الخفة والثقل يومئذ في المقادير والأوزان بمثاقيل يوزن بها من خف وثقل وجرمان (١) ولكنه يعرف ـ والله محمود ـ بما ذكرنا من العبرة والبيان ، وماتعرفه العرب العاربة في اللغة واللسان .

﴿**وأما من خفت موازينه**﴾ فتأويله : من خف به فسقه وعداوته ﴿**فأمه هاوية**﴾ تأويل أمه : فهو من مصيره ومهواه ، وما أُمُّهُ !! ألا تسمع كيف يقول سبحانه : ﴿**وماأدراك ماهيه نار حامية**﴾ فكانت النار الحامية التي صار اليها أمه ، التي نسبه الله اليها ؛ إذ كانت له مقرا ومأوى ، وقَرَّ بِهِ فيها المصيرُ والمثوى ، والنار الحامية : فهي التي لايطفيها مطفية ماكانت باقية أبدا ، و التي من دخلها كان فيها مخلدا .

تفسير ﴿والعاديات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

[وسألت أبي رحمة الله عليه عن قول الله سبحانه] (٢) :﴿**والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا**﴾ فالعاديات :من كل ذات ظلف أوحافر صلب أوخف ، من كل بهيمة جنية وحشية أوأنسية .

وتأويل قوله :﴿**ضبحا**﴾ فهو : عدوا ومرحا ، و﴿**الموريات قدحا**﴾ فهو : مايورين

---

(١) ـ في أ وجريان ، وفي ب جرمان : بمعنى الجرم بكسر الجيم ، الذي هو بمعنى الحجم والجسم .

(٢) ـ ما بين القوسين زيادة من المجموع المخطوط .

ويقدحن إذا عدون وضبحن ، بصلابة الأظفار والحوافر والأخفاف ، من نار الحجارة والحصاة ، والأرض الصلبة الخشناء ، فيورين النار من ذلك كله بإيقاد ، كما تُورَى وتُقْدَحُ النارُ بالزناد .

و﴿**المغيرات صبحا**﴾ فيما أرى - والله أعلم - خاصة : الخيل بينهن وبين غيرهن من ذوات الحافر في العدو والقدر واليمن من الفرق النير الجليل ، ولخاص مافيهن من النعمة والبركة والخير قُدِّمن إن شاء الله في الذكر على البغال و الحمير ، فقال الله سبحانه :﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون**﴾ [١].

وتأويل ﴿**فأثرن به نقعا**﴾ والنقع : هو الغبار المثار ﴿**فوسطن به جمعا**﴾ هو: توسطهن بغبارهن للجمع الذي عليه كان المغار .

وتأويل ﴿**إن الإنسان لربه لكنود**﴾ فهو الكافر لنعم الله بكبائر عصيانه الفاجر العنود

وتأويل :﴿**وإنه على ذلك**﴾ : من حاله وعدوانه ﴿**لشهيد** ﴾ : لربه بنعمته وإحسانه بما يرى عليه من النعمة والإحسان ، ومابين فيه من حسن الصنع والإتقان وتأويل ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾ فهو : أنه لمحب للخير مريد ، لايضعف فيه ضعفه في غيره من طاعة الله وأمره ودينه ، وكفى بذلك فيه شرا ، ومنه لربه فيه كفرا ﴿**أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور**﴾ من عظام الموتى ﴿**وحصل مافي الصدور**﴾ مما يبطن اليوم من غير الله ويخفى ، وماسيظهر حين يحاسب كل امرء ويجزى ﴿**إن ربهم بهم يومئذ لخبير**﴾ يومئذ يوم البعثرة والتحصيل ﴿**لخبير**﴾ لايخفى عليه منهم يومئذ خيِّر ولاشرِّير، وكما لايخفى عليه اليوم من أعمالهم صغير ولاكبير .

تفسير ﴿إذا زلزلت الأرض﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

[وسألت أبي صلوات الله عليه عن قول الله سبحانه] [٢] :﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك**

(١) - النحل : ٨

(٢) - ما بين القوسين زيادة من المجموع المخطوط .

أوحى لها﴾ فتأويل ﴿**زلزالها**﴾ : فهو ما ينزل بها وبأهلها من أمر الساعة وأهوالها وفي ذلك ماقلنا به من بيانه ، مايقول الله سبحانه في يوم الساعة وأهواله :﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾ ومن بيان ماقلنا به في الزلزلة من القول ، وأنه من الشدائد والهول ـ قول رب العالمين عند نزول الشدة والهول في يوم الأحزاب بالمؤمنين﴿**إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون با لله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا**﴾ (١) .

تأويل اخراج الأرض لأثقالها : فهو طرحها لما كان عليها من أحمالها ، والأثقال : هي الأحمال ، وأحمال الأرض : فما جعل الله عليها ، وكان من الثقل الذي هو الإنس ساكنا فيها ، من ميت وحي ، وفاجر وتقي ، وكيف لاتكون مخرجة لهم منها وكلهم فمنتقل إلى دار القرار عنها ، وأرض الحياة الدنيا فأرض بائدة فانية ، وأرض دار القرار خالدة باقية ، ومن أثقال الأرض ـ من في قبورها ، ومن كان من الموتى على ظهورها ، فمن كل ذلك طائفة تتخلى ، من قبل أن تبيد وتبلى ، وفي تخليها من ذلك كله واخراجها عنها له مايقول الله جلَّ جلالُهُ من أن يحويه قول أو يناله : ﴿**وإذا الأرض مدت وألقت مافيها وتخلت**﴾ تأويل ذلك : أوحشت الأرض من أهلها وأخلت ، فنشر موتاها نشرا ، وحشر الموتى إلى الموقف حشرا ، وعند ذلك من حالها ، ومايخرج من أثقالها ، يقول الإنسان ، والإنسان : فهو الناس كلهم عندما يرون من زلزالها ، وأخراجها لما كان فيها من أثقالها : مالالأرض وماشأنها ؟ فتحدث الأرض حينئذ بخبرها أعيانها بأن الله سبحانه [قد] أوحى لها ، فقطع مدتها وأجلها فحان فناؤها وانقطع بقاؤها فـ﴿**يومئذ يصدر الناس**﴾ كما قال الله سبحانه :﴿**أشتاتا ليروا أعمالهم**﴾ وتأويل أشتاتا : هو يصدرون عن موردهم في حشرهم صدراً أشتاتا متفاوتا ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، خالدا كل فريق منهم فيما صار إليه من مصير ، فيرى كل من عمل مثقال ذرة من خير وشر ـ ماقدم لنفسه من عمل في فجور أوبر ، كما قال سبحانه : ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ فتأويل يراه : فهو يجزاه .

---

(١) ـ الأحزاب : ١٠ ـ ١١

تفسير ﴿لم يكن﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ فأهل الكتاب : هم أهل التوراة ، والتوراة : فهي الكتاب الذي نزل على موسى عليه السلام ، وأهله وحملته اليهود والنصارى ، وهم أهل ملل كثيرة شتى ، فاليهود منهم فرق كثيرة مختلفة والنصارى أيضا فأصناف كثيرة متصنفة .

فمن اليهود : اليهودية [ومنهم فرقة يقال لها : **السامرية** ، ومنهم فرق أخرى تعرف وتسمى .

ومن النصارى : **الملكية** ، ومنهم **اليعقوبية**] [1] ومنهم : **النسطورية** في فرق أخرى تعرف أيضا وتسمى ، ولسنا نحتاج في هذا التفسير إلى ذكرها ، ولاتفصيل ماهي عليه من أمرها ، غير أنهم كلهم - وإن افترقوا في مذاهبهم - أهل الكتاب .

والمشركون : فهم أهل الإثبات مع الله للآلهة والأرباب ، وهم مشركوا العرب ومن كان يُقِرُّ برب ، ومن الناس من ينكر ويجحد أن يكون للأشياء رب يعبد ويزعم أن الأشياء لم تزل كما ترى ، ولايُثْبِتُ في الأشياء تدبيراً ولاأثرا ، فيكابر في ذلك عماية وجهلا مايدركه بعينه عيانا وقيلا، من الصنع النير والتأثير والبدع المتقن ومحكم التدبير الذي لايخفى على عمي ولابصير ، وإن لم يقر بمعاد ولامصير ، وليس أولئك ولامن هو كذلك من أهل التوراة ، ولامن أهل الكتاب ، ولاممن يقر بإله ، ولابرب كالعرب ، ومن كان مشبها للعرب ممن يقر با لله وإن أشرك مع الله ، فإنما أولئك عند من يعقل كالبهائم السائمة ، وإن لزمتهم الحجة بما جعل الله لهم من الجوارح السالمة التي قطع الله بها عذرهم ، وألزمهم بها كفرهم ، وأولئك فليسوا ممن ذكر في سورة لم يكن ، وإنما ذكر فيها من يقر برب وإن لم يؤمن ، من كفرة أهل الكتاب والمشركين فقال سبحانه :﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين

(١) - ما بين الأقواس في هذه السورة من المجموع المخطوط .

منفكين﴾ والإنفاكك والفك : هو المجانبة لما هم عليه والترك ، وتركهم : فهو لإشراكهم وانفكاكهم من عقد شركهم ، وفريتهم فيه على ا لله وإفكهم .

وتأويل ﴿**كفروا**﴾ فهو لم يشكروا ؛ لأن من لم يشكر ا لله تبارك اسمه بترك عصيانه فكافر وإن كان مقرا ومعتقدا لمعرفة ا لله وايقانه كابليس الذي ذكر ا لله سبحانه معرفته به ، وذكر كفره لما ارتكب من الكبائر بربة ، وكذلك كل من ارتكب كبائر تسخط من أحسن اليه فقد كفره ، ومن أتى مايرضاه وتولى أولياءه ، وعادى أعداءه فقد شكره ، ولما جمع أهل الكتاب والمشركين من كبائر عصيان رب العالمين دعوا جميعا كفرة ، وإن كانت قلوبهم كلهم وألسنتهم با لله مقرة فقال:﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين**﴾ تأويل ذلك : أنهم لم يكونوا مقصرين ولاتاركين لما هم عليه وعاصين لله فيه ﴿**حتى تأتيهم البينة**﴾ المنيرة الظاهرة فقال:﴿**رسول من ا لله يتلو صحفا مطهرة**﴾ ويتلو: يقرأ ويتبع بعد القراءة ما اقترأ .

الصحف : ماصحف ليقرأ ، والمطهرة : ماجعل منها بركة وتطهرة ، وبينات منيرة مسفرة ، وكل مطهر فمبارك ، وكل مبارك فمطهر له ، وفيه با لله البركة والتطهرة وكذلك يقال في الرسول عليه الصلاة والسلام إذا ذكر بما جعل ا لله من البركة فيه رسول ا لله الطيب الطاهر ، وهو قول الكثير عند ذكره الطاهر ، عندما يذكره بذلك صلّى ا لله عَلَيهِ وآلِه وسلَّم من الصادقين ـ كل ذاكر ، وإنما يراد بذلك المبارك المزكى وليس يراد بذلك طهارته بالماء إذا توضأ .

وكذلك يقال في ابنته فاطمة صلوات ا لله عليها إذا قيل : الطاهرة إنما يراد بذلك ماجعل من البركة فيها ، ومن ذلك ماوهب لها وجعل لبركتها من بقية رسول ا لله ونسلِه صلوات ا لله عليه وعلى آله .

فهذا ـ وا لله محمود ـ من تأويل الطهارة ومطهرة ، ومن وجوهه المعروفة غير المستنكرة ، لايجهل ذلك ـ إن شاء ا لله ـ ولاينكره من يعرف لسان العرب ويبصره

وتأويل ﴿**فيها كتب قيمة**﴾ هو كتب منيرة بينة محكمة لها نور وبرهان واحتجاج ليس فيها اختلاف ولااعوجاج ، ثم ذكر سبحانه ماذكرنا من افتراق أهل الكتاب

واختلافهم وماهم عليه اليوم ، وقبل اليوم بتشتيت أصنافهم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿**وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة**﴾ والبينة : فهي الرسل والأمور التي جاءتهم النيرة المبينة ، وهي التي ليس فيها دلسة ، ولاعماية جليلة ولالبسة ، ولكنها بينة نيرة مضيئة ظاهرة لمن يعقلها جلية ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**﴾ فأمروا ليعبدوه جل ثناؤه وحده ، فعبدت النصارى معه المسيح رسوله وعبده وأمروا ليخلصوا له الدين ، ولايجعلوا له ولدا ، فجعلوا له ولدا ، وجعلوه كلهم ثالث ثلاثة عددا ، وفيهم مايقول سبحانه :﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد**﴾ [1] فهو الله الأحد الصمد ، الذي ليس له ولد ولاوالد .

وقالت اليهود كما قال الله جلَّ جلالُهُ عن أن يساويه شيئ ويماثله :﴿**عزير ابن الله**﴾ فلحقوا بالنصارى في الكفر بالله ، وشبهوا الله ببعض حالات خلقه في الهيئة والقوى ، وزعموا أنه جالس على عرش هو سرير ، وأنه لايتوهم له قرار في جو ولاهواء ، فإن له مقعدا من العرش والكرسي ومستوى ، وتأول من شبهه من هذه الأمة في ذلك مايقول الله سبحانه :﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وأمروا أن يكونوا حنفاء فكانوا جورة [حمقاء] .

﴿**حنفاء**﴾ والحنيف : هو الطائع المستقيم الخاشع ، وأمروا أن يصلوا له فصلوا لغيره معه ، فمنهم من صلى لإثرة صنم ، ومنهم من صلى لعيسى بن مريم صلى الله عليه ومنهم من صلى لمن شبهه بآدم صلى الله عليه في الصورة واللحم والدم ، ومنهم من صلى لمن هو عنده نور من الأنوار ، وجسم مسدس المقدار ، له زعم جهات ست خلف وأمام ويمين ويسار ، وفوق وتحت ، فتعالى الله عما قالوا كلهم علوا كبيرا وجل وتقدس عن أن يكون لنفسه من خلقه مثلا ونظيرا ، وكيف يكون عابد ذليل كعزيز معبود ! من لم يزل دائما مشبها لما كان طول الدهر غير موجود .

ثم قال سبحانه في دينه وصفته :﴿**ذلك دين القيمة**﴾ تأويل ذلك : أن كل ماأمر

---

(١) ـ المائدة : ٧٣

به فمن الأمور المرشدة الهادية المستقيمة .

﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾ فالذين كفروا من أهل الكتاب ، والمشركين با لله مع اقرار الفريقين بالربوبية لله فهم كما قال ا لله :**﴿شر البرية﴾** بما كان منهم على ا لله من الدعوى المبطلة المفترية ، والبرية : فما ذرأ ا لله وبرأ مما يُرَى من الخلق كله ، ولايُرَى . ونار جهنم : فهي النار التي لايعرف في النيران مثلها ، ولايعلم منها كلها مشبها لها فيما عظم ا لله من نارها وحر استعارها .

وتأويل **﴿خالدين﴾** فهو : غير فانين ولابائدين كما قال سبحانه :**﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾** [1] فنار جهنم : هي النار المستعرة التي ليس لاستعارها أبدا من انكسار ولافتور ، ولو فترت من استعارها والتهابها فكان في ذلك تخفيف عن أهلها من عذابها .

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي ا لله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ فمن آمن : فهم المُؤَمَّنُونَ من كبائر العصيان ، والذين لايخافون على ارتكاب زور ولابهتان ، ماثبت لهم أبدا اسم الإيمان ، وحكم أهل الهدى والبر والإحسان .

والصالحات من الأعمال: فهي كل صالح عند ا لله من قول أوأفعال ، وجزاهم: هو ثوابهم من ا لله وعطاؤهم .

وتأويل **﴿جنات عدن﴾** هو : جنات مستقر وأمن ، وتأويل **﴿رضي ا لله عنهم﴾** هو : رضاء ا لله سبحانه لهم **﴿ورضوا عنه﴾** فتأويل رضاهم : فهو بماأعطاهم وجزاهم ، بأنهم لم يزالوا راضين عنه ـ جلَّ ثَنَاؤُهُ ـ في دنياهم ، قبل مصيرهم إلى ماصاروا .

---

(١) ـ فاطر : ٣٦

ثم أخبر سبحانه لمن جعل جزاءه فقال:﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ يعني : لمن خافه واتقاه ، فأخبر جلَّ جلالُهُ أنه جعل لأهل التقوى ـ الكرامة والرضاء ، والإرتضاء في المعاد والمثوى .

وتأويل ﴿خالدين فيها﴾ فهو : بقاؤهم أبدا بعد المصير اليها [١].

تفسير ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وماأدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها﴾

قال الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش سلام الله عليه :(سلوا الله الإفادة في سبعة عشر من شهر رمضان ، وفي تسعة عشر ، وفي احدى وعشرين وثلاثة وعشرين ، فإنه يكتب الوفد في كل عام ليلة القدر ، و﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾) [٢].

فقد يكون ﴿أنزلناه﴾ : جعلنا كما قال سبحانه :﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾[٣] ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ [٤] .

---

(١) ـ في تفسير الغريب ص ٣٩٩ عن ابي خالد عن زيد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى :﴿منفكين﴾ معناه : زائلون عما هم عليه منتهون عنه .

وقوله تعالى :﴿فيهاكتب قيمة﴾ معناه : دلالة ، وقوله تعالى :وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ معناه : مسلمون ، ويقال: متبعون ، ويقال: حجاج .

وقوله تعالى :﴿أولئك هم شر البرية﴾ معناه الخلق الذين برأهم الله تعالى ، معناه : خلقهم ، وقوله تعالى :﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ معناه : خاف ربه .

(٢) ـ دخان : ٤

(٣) ـ الحديد ٢٥

(٤) ـ الزمر : ٦

وتأويل أنزل في ذلك : جعل ، فيمكن أن يكون جعل القرآن كله ، وأحدثه وأتمه وأكمله فيما ذكر تبارك وتعالى من ليلة القدر المذكورة ، والقدر : فهو وقت قَدَّرَه [١] الله جلَّ ثَنَاؤُهُ من أوقات الدهور ، وقد يكون القدر : هو الجلالة والكبر كما يقال: إن لفلان أولكذا وكذا قدرا ، يراد بذلك أن له جَلالة وكبرا ، فإن كان وقتا وقت فهو وقت ذكره الله وكرمه بما قدر فيه من أموره المحكمة ومن الأدلة على أن الله جعل القرآن في ليلة القدر كله ، وأحدثه فيها فأتمه وأكمله ، وأنه لم يرد بتنزيله ووحيه انزاله له جملة على رسوله ونبيئه أن الله سبحانه إنما أنزله على رسوله صلّى الله علَيهِ وآلِه ، وأوحى تبارك وتعالى به إليه مفرقا لاجملة واحدة ، وعلمه إياه جبريل صلى الله عليهما سورة سورة ، وآيات آيات معدودة ليقرأه كما قال سبحانه على مكث وترتيل ، ولترتيله وصفه تبارك وتعالى في الوحي له بالتنزيل ؛ لأن المفرق المنزل هو المرتل المفصل ، وفي ذلك مايقول الله تبارك وتعالى فيه :﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾[٢] ويقول سبحانه لرسوله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلم في قراءته :﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾[٣] والتفصيل : هو التقطيع والتنزيل .

وفي إجماله وجمع إنزاله مايقول المشركون لرسوله صلّى الله علَيهِ وعلى أهله :﴿**لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**﴾ فقال الله سبحانه :﴿**كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**﴾ يقول سبحانه : نزلناه عليك قليلا قليلا ، ثم قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله :﴿**ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**﴾[٤]

فنحمد الله على مانور بذلك من حجته ـ بمنه ورحمته ـ تنويرا .

ثم أخبر سبحانه أن قد أنزله وتأويل ذلك : أنه قد جعله الله كله في ليلة واحدة فقال تبارك وتعالى :﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ و﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾ فأبطل بذلك كل حجة لمن كفر مظلمة مهلكة ، فكان ذلك من قدرته مالاينكره من

---

(١) ـ في ب : فهو وقت وقّته الله

(٢) ـ الإسراء : ١٠٦

(٣) ـ المزمل : ٤

(٤) ـ الفرقان : ٣٢ ـ ٣٣

أهل الجاهلية من أقر بمعرفته .

وقد يمكن أن يكون تأويل ﴿**إنا أنزلناه**﴾ هو : تنزيله سبحانه من السماء السابعة العليا إلى من كان من الملائكة في السماء الدنيا ، وقد ذكر عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه أن ذلك هو تأويل ﴿**إنا أنزلناه**﴾ وبيانه ، فأي التأويلين جميعا تُؤُوِّلَ فيه وقع بإنزاله كله عليه .

ولوكان إنما أراد بذلك إنزاله على محمد صلّى الله علَيهِ وعلى أهل بيته وسلم لكان إنما نزل اليه مفرقا ومقطعا ، غير مجمل [من الله] وإنما قال الله :﴿**إنا أنزلناه**﴾ فأوقع التنزيل على كله لاعلى بعضه ، وقال لرسوله صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم :﴿**إن الذي فرض عليك القرآن**﴾(١) فأخبر سبحانه بفرضه ، والفرض : هو التقطيع والتفصيل كما يقول القائل للشيء إذا أمر بقطعه : افْرِضْه وفَصِّلْه ؛ ليقطعه .

وتأويل ﴿**إن الذي فرض عليك القرآن**﴾ هو : أن الذي قطع تفريقا مانزل من القرآن اليك ، وذلك فهو الله الرحمن الرحيم ، ومافرض : فهو كتابه المنزل الحكيم وأي القولين اللذين (٢) ذكرنا وبينا في ذلك وفسرنا قيل به فتأويل ، وأمر كبير جليل كريمٌ [ذكرُه] واجبٌ شكرُه .

وليلة القدر التي نزل فيها القرآن : فليلة من الليالي مباركة ، تتنزل الملائكة فيها كما قال الله تبارك وتعالى الروح والملائكة ؛ لبركتها وقدرها ، وماعظم الله من أمرها ﴿**بإذن ربهم من كل أمر**﴾ من أمور الله بنازلة ، وبركة لأهل الأرض كلهم شاملة فليلة ذلك الوقت والخير ، و القدر خير كما قال :﴿**خير من ألف شهر**﴾ لما جعل الله جلَّ ثَنَاؤُهُ فيها من اليمن والبركات ، ومايمسك الله فيها عمن أجرم من النقم والهلكات ، ولما نسب الله اليها من الخير ـ تنزلت الملائكة والروح فيها من أعلى العلا الى الأرض السفلى .

يقول الله سبحانه :﴿**بإذن ربهم**﴾ تأويل ذلك بإذن الله فيها لهم ، وقد قال غيرنا

---

(١) ـ القصص : ٨٥

(٢) ـ اللفظ في (أ) : وأي القولين الذي ذكرنا .

في تأويل ﴿من كل أمر﴾ إنه من كل وجهة ، وماقلنا به ـ وا لله أعلم في نزولهم من أمر ا لله ورحمته بكل نازلة ـ أشبه وأوجه ، فهم ينزلون فيها من أمر ا لله وتقديره ؛ ولما جعل ا لله فيها من بركاته وخيره ، وحدانا وزمرا وارسالا ببركتها ، وإعظاما لها [وإجلالا] وإذ جعلها ا لله سبحانه لتنزيله ووحيه وقتا ومقدارا ، وذكرها بما ذكرها به من القدر تشريفا لها واكبارا ، وليلة القدر ليلة جعلها ا لله من ليالي رمضان ، ألا ترى كيف يقول سبحانه :﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾(١) ويقول سبحانه بعد ذكره لشهرها ، وماجعل ا لله فيها من بركتها ويمنها :﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ (٢) فهي ليلة بركة ورحمة ، وسلامة وعصمة ، وفيها مايقول أرحم الراحمين ، ورب السموات والأرضين :﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ وتأويل ﴿سلام﴾ فهي : سلامة هي حتى طلوع الفجر ، فليلة القدر [ليلة] سالمة مسلمة ، ليس فيها عذاب من ا لله تبارك وتعالى ولانقمة ، جعلها ا لله بفضله بركة وسلامة ، ورحمة للعباد الى الفجر دائمة ولحق الليلة نزل ا لله فيها وحيه وقرآنه ، وفرق برحمته فيها فضله وفرقانه ، بالبركة والتفضيل والإعظام والتجليل .

وتأويل ﴿ماأدراك﴾ فهو : مايدريك لولا مانزلنا من البيان فيها عليك ﴿ماليلة القدر﴾ في القدر والكبر ، ومايضاعف فيها لعاملة من البر والأجر ، فهي ليلة ﴿خير من ألف شهر﴾ جعلت لبركتها ويمنها في التضعيف لها ، وبالإضعاف كعشرة آلاف ليلة ، وعشرة آلاف ليلة ، وعشرة آلاف ليلة ، فذلك ثلاثون ألف ليلة ، ونحوها تامة جعلت مقدارا مضاعفا لليلة القدر ؛ تشريفا لها وكرامة ، وهي ليلة مقدسة يضاعف فيها كل بر وعمل صالح لمن عمل به فيها من أهلها ، فيزاد على تضعيفه من قبل ثلاثين ألف ضعف لقدرها وفضلها ، ونحمد ا لله في ذلك وغيره رب العالمين ، على

---

(١) ـ البقرة : ١٨٥

(٢) ـ الدخان : ٤

ماأنعم به من (١) ذلك ا لله خير المنعمين (٢).

تفسير ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق**﴾ فتأويل ﴿اقرأ﴾ فهو أن يقرأ ، وتأويل اسم ربه الذي أمر أن يقرأ به فهو بسم الله الرحمن الرحيم الذي قدم له في تعليمه كل سورة عند الإقراء له والتعليم . وربه : فهو ا لله الذي خلق خلقه فخلق الإنسان من علق إذا ماخلقه . والعلق : فهو الدم الأحمر المؤتلق الذي يتلألأ لشدة حمرته ويبرق ، فيما ذكره ا لله سبحانه من علق الدم ، وخلق الناس كلهم غير آدم وحواء ، فإن حواء خلقت من آدم ، وخلق آدم من تراب فلم يخرج آدم وحواء من بين ترائب وأصلاب كما خرج من بين الصلب والترائب غيرهما ، ولكنه كان من ا لله سبحانه ابتداؤهما وتدبيرهما ، من غير أصل مقدم من أب ولاأم ، وكان مابين ذلك من التباين والفرق في الصنع والفطرة والخلق ؛ إذ خلق آدم من تراب ، وخلق نسله من علق من أعجب العجائب ، وأدل الدلائل على قدرة الخالق على ماخلق ، مما يشاء أن يخلقه جلَّ ثَنَاؤُهُ من الخلائق ، وعلى أن قدرته فيما يخلق من خليقته و احدة غير متشتتة ولامتفرقة ، على أقدار مايرى من افتراق البدائع ، والخلق المفطورة والصنائع كما قال سبحانه :﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ (٣) فأخبر سبحانه أنه لايختلف عليه في قدرته البدائع والكون ، وأن قدرته في ذلك كله

---

(١) - في (ب) على ما أنعم به في ذلك ، وكذلك ما بين أقواس الزيادة ، وإذا لم نذكر حاشية على ما بين أقواس الزيادة فهي من المجموع المخطوط .

(٢) - في تفسير الغريب ص ٣٩ عن ابي خالد عن زيد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى :﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ معناه : في ليلة الحكم ، وقوله تعالى :﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ معناه : جبريل عليه السلام ، وقوله تعالى :﴿من كل أمر سلام﴾ معناه : يسلم من كل أمر ، معناه : من كل ملك .

(٣) - النحل : ٤٠

لاتتفاوت ، وإن تفاوت الخلق المبتدع المتفاوت .

ثم أمر تبارك وتعالى رسوله بالقراءة باسمه أمر مثنى ، وكل ذلك فواحد في الإرادة والمعنى ، إلا أن التكرير غير التفريد ، في زيادة الأمر والتوكيد ، والتكثير فأكثر في الرحمة ، وفي زيادة المن و النعمة بالعلم والتعليم والأمر والتفهيم ، وفي كل كلمة من كلمات الله تقل اوتكثر بصائر جمة ـ بمن الله ـ لمن يعقل ويبصر ، فليس في شيء من كلام الله جلَّ ثَنَاؤُهُ نقص ولافضول ، ولايشبه قول الله في الحكمة والبيان من أقوال القائلين قول ، فقال سبحانه :﴿**اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم**﴾ من كل ماعلمه ببصر أوسمع أوفؤاد ، وماكان مرضيا أومسخطا لله من غي أورشاد ، كما قال سبحانه :﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾ [1] فبما جعل الله لهم من الأفئدة يعقلون ويتفكرون ، وبما سلم من السمع والبصر يسمعون ويبصرون ، فتبارك الله أحسن الخالقين خلقا ، وأوسع الرازقين في العلم وغيره رزقا ، فهو المعلم سبحانه بالقلم وبغيره من وجنوه العلم التي ليست بخط ولاكتاب ، من كل مايعلمه أولوا الألباب مايعلمه أيضا سواهم ممن لم يبلغ في العلم مداهم ، وإن لم يكتب وكان جاهلا بالكتب مما يعلمه من صناعة أوبحرف أوبياعة فالله معلمه ومفهمه ، من ذلك أولعلمه فلولا قول الله سبحانه لم يظفر أبدا من علمه من علم ، ولم يفهم منه وفيه من يعلم مافهم ، وكذلك كل ملهم من طفل صغير ، وكلما سوى ذلك من البهائم والطير من ألهم علما في تَغَذٍّ أومحاذرة لضر أوتَوَقٍّ فالله عزوجل ملهمه معرفته وتوقيه ومحاذرته .

وتأويل قوله سبحانه :﴿**ربك الأكرم**﴾ فهو مابان به الله من الجود والكرم فيما وصل به اليه من النعم من مواهبه في العلم وغير العلم ، وقد علّم الله رسوله عليه السلام من شرائعه ودينه ، وإن لم يكتب بقلم أوبخط كتابا بيمينه ماجعله الله به فله الحمد اماما لكل امام ، كان معه في حياته وبعد وفاته من الكتبة والعلام ، فكان بمن الله لكلهم اماما ومعلما ، وعلى جميعهم في العلم والحكمة مقدما ، وفي ذلك وبيانه

---

(١) ـ النحل : ٧٨

مايقول الله سبحانه في فرقانه :﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**﴾ [1] فكفى بهذا والحمد لله بيانا وبرهانا لقوم يعقلون .

وتأويل :﴿**كلا**﴾ فهو نعم وبلى ﴿**إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾ فتأويل يطغى : فهو العتاء والطغاء ، وتأويل ﴿**أن رآه استغنىْ**﴾ فهو تكثره بالجدة والغنى في كل مارآه فيه من علم ومال ومايراه مستغنيا به أومستطيلا به من كل حال .

وتأويل ﴿**إن الى ربك الرجعى**﴾ فهو : إلى الله المعاد في قيامة الموتى ، ثم قال سبحانه لرسوله صلّى الله علَيهِ وعلى آلِه :﴿**أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى**﴾ تثبيتا له عليه السلام ، وتعريفا وتبيينا أيضا لمن كفر به ، وتوقيفا على مايعرفون ولاينكرون ، وماهم به جميعا كلهم مقرون ، من أنه ليس لأحد أن ينهى عبدا من عباد الله عن الصلاة ، والأمر بالتقوى لله .

فتأويل ﴿**أرأيت**﴾ فهو : أرأيت أنت ومن معك ممن يرى كما ترون ، وكلهم جميعا يرى أن كل من صلى - من خلق الله ، وأمر بما يحب الله ويرضى ، مبتغيا بذلك رضوان الله ، وطالبا بذلك لما عند الله مصيبا لذلك في رشده وهداه ــ قد أصاب بذلك طاعته ورضاه ، **أليس من نهاه** عندهم عن ذلك وآذاه ، فقد استوجب لعنة الله وإخزاءه ؟ وكذلك كل عبد لله أمر بالتقوى والإجلال لله ، كما كان يصلي محمد صلّى الله علَيهِ وآلِه لله ولمرضاته ، ويأمر باتقاء الله جلّ ثَنَاؤُهُ ومخافته ، وكل ماكان فيه من ذلك كله عندهم فحميد ، ومن يعمل لله بذلك فيهم فرشيد .

ثم قال سبحانه لرسوله صلّى الله علَيهِ وعلى آلِه :﴿**أرأيت إن كذب وتولى**﴾ تأويل مايقرأ من ذلك ويتلى : أفرأيت من كذب به بعد اقراره بما يصف ، وتولى في ذلك عما يعرف ، من أنه ليس له أن ينهى عبدا عن أن يصلي لله ، ولكن أن يأمر بما هو الهدى عنده من تقوى الله .

﴿**ألم يعلم**﴾ من فعل ذلك ﴿**بأن الله يرى**﴾ فيخاف أن يؤاخذه الله بفعله ويجزي .

---

(١) ـ العنكبوت : ٤٨

وتأويل رؤية الله : فهو علم الله بنهي من ينهى عبدا إذا صلى ، فما بالهم ينهون محمدا صلّى الله علَيهِ وآلِه ، وأصحابه عن الصلاة ، وعما لم يزل يأمر به من التقوى أهل البر والرشد من الهدى ، مع علم من ينهى عن ذلك ويقينه ، بأن الله علم بنهيه عن ذلك وغيره ، فلما أصر الناهي عن ذلك على ظلمه فيه وكفره ، مع ماأيقن به من علم الله بأمره فيه كله وأقر ، قال سبحانه :﴿**كلا لئن لم ينته**﴾ عما هو فيه ، وعما أصر من ظلمه عليه ﴿**لنسفعا**﴾ وتأويل ﴿**لنسفعا**﴾ فهو : لنأخذن ﴿**بالناصية**﴾ والناصية : فهي مقدم الرأس العالية .

ثم قال سبحانه :﴿**ناصية كاذبة خاطئة**﴾ إذ كانت عما لايجوز النهي عنه عندها من الصلاة والتقوى لله ناهية ، فكذبت قولها في ذلك بفعلها ، وأخطأت بنهيها عنه فيه بجهلها ، فهي كما قال الله سبحانه :﴿**كاذبة خاطئة**﴾ وهي لله مخالفة ، في ذلك عاصية ، يقول الله سبحانه فإذا أخذنا منه بالناصية ﴿**فليدع**﴾ إن استجيب له﴿**ناديه**﴾ وناديه : فهو عشيرته وأولياؤه وأنصاره ، وجلساؤه الذين كانوا يجلسون في مقامه ، وإليه يجتمعون لمجالسته ونصرته لديه ﴿**سندع الزبانية**﴾ والزبانية : فهم الملائكة المطهرة الزاكية ، التي يأمرها الله سبحانه بأمره ، فتنفذ بكل ماأمرها الله به مطيعة لله غير عاصية ، وآخذة لما أمرها الله سبحانه بأخذه غير وانية ، تأخذ بالغلظة والشدة كل نفس عاتية متمردة كما قال سبحانه :﴿**عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون**﴾ (١) .

ثم قال سبحانه لرسوله :﴿**كلا لاتطعه**﴾ يقول سبحانه لرسوله صلّى الله علَيهِ وآلِه: لاتطع من نهى عن الصلاة والهدى ، وعن الأمر لله بالتقوى ، وكذب فعمل بالكذب ، ولكن اسجد واقترب ، بكل عمل صالح مقرب ، من صلاة أوهدى ، أو بر وتقوى ، فكلهم يقر بأن الهدى والصلاة لله ، والأمر باتقاء الله لمن فعله إلى الله فليس لهم أن ينهوا عن شيء من ذلك إذا كان عندهم كذلك ، ومن يفعل ذلك اوعمل به فقد كذب فيه قوله بفعله ، وصار إلى ما لامرية فيه عنده من جهله ، وتولى

---

(١) ـ التحريم : ٦

عما كان من الإقرار لله عليه بتركه ، لما كان مقرا لله بالحق فيه ، فتشهد عليه نفسه لله بكفره ، وتثبت عليه فيه الحجة باعترافه وإقراره ، فبان منه الكفر ، وانقطع عنه العذر فلا عذر له عند نفسه ولااعتذار ولاخفاء لكفره ولااستتار ، وكذلك كل من أسلمه الله الى الباطل وحيرته ، ولبسه ، وحجة الله قائمة عليه في الحق بنفسه ، وفي اقراره من ذلك مايقر حجة لله عليه فيما ينكر ، وسواء قيل: اقترب أويقرب معناهما واحد في التقرب . والسجود فهوالسجود الذي يكون بعد الركوع ، وليس سجود التذلل والخضوع ، وكلا الوجهين فقد يدعى سجودا وبرا إذا كان ممن هو فيه بينا موجودا .

وتأويل ﴿**واسجد واقترب**﴾ : فمن السجود والصلاة ، وتأويل ﴿**واقترب**﴾ فمن التقرب مما يُقَرِّبُ من الحسنات ، وسواء قيل : اقترب أوتقرب ، معناهما جميعا اقترب [وأجد ذلك كله فيما يقال به فيه فصواب] [١].

تفسير ﴿والتين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذاالبلد الأمين﴾

فالتين : فهو هذا التين المأكول ، والزيتون : فهو هذا الزيتون المعلوم ، وقد ذكر عن أمير المؤمنين **علي بن ابي طالب** صلوات الله عليه : أن التين والزيتون هو التين الشامي خاصة وزيتونه ، وذلك لما جعل الله للشام من التقديس والبركة ، وفي الشام مايقول موسى عليه السلام لبني اسرائيل :﴿**ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة**﴾ [٢] وماذكر الله من طور سينين: فهو الجبل الذي كلم موسى منه رب العالمين .

---

(١) ـ ما بين القوسين زيادة في المجموع المخطوط .

في تفسير الغريب ص ٣٩٧عن ابي خالد عن زيد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى :﴿خلق الإنسان من علق﴾ معناه : من دم .

(٢) ـ المائدة : ٢١

و﴿**البلد الأمين**﴾: فهو : الحرم الذي على كل حد من حدوده رضم من الحجارة وعلم فصل به بين غيره وبينه لتعرف بذلك ماهو منه .

وإنما أقسم الله سبحانه من الأشياء بما أقسم من القسم ؛ لما جعل فيها من الآيات والبركات والكرم ، وإنما يقسم أبدا المقسم بما يجل من الأشياء ويكرم ، وكرم ماذكر الله من هذه الأشياء فما ليس به عند من يعقل من خفاء ، فمن كرم التين والزيتون ماجعل الله فيهما من المنافع والطعوم ، وكرم طور سينين وبركته ماكان من مناجاة الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام في بقعته ، وفي ذلك مايقول سبحانه :﴿**فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة**﴾ [١] فذكرها سبحانه بما جعل فيها من التقديس والبركة ، وفي ذلك مايقول تبارك وتعالى :﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن**﴾ [٢] والطور : فهو طور سينين المذكور .

ومن كرم الحرم وفضله فما جعل الله فيه من الأمن لأهله ، ومافرض من حج بيته وألزم الناس في ذلك من فريضته .

وتأويل ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ فهو :خلقه للإنسان في أحسن تعديل ، من كل توصيل فيه وتفصيل أصل به أوفصل ، أوهُيِّءَ بهيأته فعدل ، من هيئة أوصورة مصورة مقدرة ، أوفؤاد أوسمع أوعين مبصرة ، وكل ذلك كان مفصلا أوموصلا ، فقد جعله سبحانه مستويا معتدلا ، كما قال تبارك وتعالى :﴿**ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك**﴾.

تأويل﴿**ثم رددناه أسفل سافلين**﴾ فهو : رده إن بقي وعُمِّر إلى آخر أعمار الآدميين ، التي إن صار إليها ، وبقي حيا فيها ـ تغيرت حاله وعقله ، وبان نكسه وسفاله كما قال سبحانه :﴿**ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون**﴾ [٣] وتأويل

---

(١) - القصص : ٣

(٢) - مريم : ٥٢

(٣) - يس : ٦٨

﴿نكسه﴾ فهو : نرده في الهرم والذهاب بعد القوة والجدة والشباب ، أويموت قبل ذلك على كفر وإنكار ، فينكس بعد الكرامة في الهوان وعذاب النار ، ومن الذي هو أسفل درجة من كفره إن لم يهرم ؛ إذا هو نكس ورد في الآخرة إلى نار جهنم فنعوذ با لله من السفال بعد التمة والكمال ، وكل إنسان فرذل ، ليس له كمال ولافضل كما قال سبحانه :﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس ا لله بأحكم الحاكمين﴾ .

فكلما لم يدخله من العطايا والجود ، وذلك فما لايوجد أبدا إلا في عطايا ا لله الجواد الكريم ، وكل عطاء أعطاه معط سوى ا لله من حميد أوذميم فليس يخلو من أن تدخله مِنّةٌ وامتِنَانٌ ، وإن لم ينطق بالمنة فيه لسان ، لأن من وهبه وأعطاه لم يعطه إلا بعد أن يكلفه وعاناه ، وا لله جلَّ جلاَلُهُ يعطي من أعطى مايعطيه ، بغير معاناة من ا لله ولاتكلف فيه ، وكل معط سوى ا لله ، فإنما يعطي ماأعطا من رزق ا لله ، وإنما يعطي مما قد جعله ا لله له ، ومما هو لله تبارك وتعالى ، فنحمد ا لله الذي لاشريك له الذي يعطي فلا يُعطَى ، والذي لايعطي معط سواه إلا ماأعطا [1].

تفسير ﴿ألم نشرح﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾ .

فقال:﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ فشرحه : هو توسيعه لصدره صلَّى ا لله عليهِ وآلِه وسلَّم ، وفسحه لما كان تضيق عنه كثير من الصدور ، فما حمل من التبليغ والأمور

---

(١) ـ في تفسير الغريب ص ٣٩٦عن ابي خالد عن الإمام زيد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى :﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ فالتين : الذي يؤكل ، والزيتون : الذي يعصر ، ويقال: التين والزيتون جبلان والطور: جبل ، وسيناء الحسن بالحبشة ، والبلد الأمين : يعني مكة .

وقوله تعالى :﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ معناه : في أحسن صورة ، وقوله تعالى :﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ معناه الى أردل العمر الى أن يبدل حالا بعد حال ، وقوله تعالى :﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ معناه : غير مقطوع ،ويقال: غير محسوب .

ومن شرح الله أيضا لصدره : تيسيره في الدين لأمره ، وماأعطاه فيه من معونته ونصره ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ فوزره : هو ثقله ووقره ، والوقر من كل شيء : فهو الحمل ، والحمل من كل شيء : فهو الثقل . وإذا قيل لشيء : أَوزَرَه وِزرَه فإنما يراد بذلك حمَّله وِقْرَه ، وماحمل من الأثقال كلها والأمور ، فإنما يحمل منه الحاملون على الظهور ، وكلما يعمله المرء من خيره وشره فإنما يحمله على ظهره كما قال سبحانه :﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون﴾[1] .

وقال سبحانه :﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾[2] يريد سبحانه : ماحملوه من كفرهم وفجورهم ، وليس يريد بذلك حمل أحمال ، ولامايحمل على الظهور من الأثقال ، وإنما هو مثل يضرب من الأمثال ، مما كانت تضربه وتمثله العرب ، وكذلك ماذكره الله من الشرح لصدر نبيه ، ومانزل في [ذلك][3] من وحيه ، فذكره سبحانه لما ذكر من إنقاض الوزر لظهره ، وماوضع سبحانه لما ذكر من وزره ـ فإنما هو تمثيل وبيان ودليل ، فليس يريد شرح الصدر ولاماذكر من الحمل على الظهر بشرح شيء يقطعه ، ولاحمل ثقيل يضعه ، وماحمل رسول الله صلّى الله عَلَيهِ وآلِه وسلّم من وزر على ظهره ، وذلك لايكون إلا من زلل وخطيئة في أمره ، ووضع الله لذلك عنه فهو حطة لما أثقله منه ، وحط الذنب فعفوه ومغفرته ، وقد غفر الله لرسوله ذنبه كله وخطيئته ، كما قال سبحانه له صلوات الله عليه :﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ .

وتأويل ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فهو : رفعه لذكره بما أبقى في الغابرين إلى فناء الدنيا من أمره وقدره ، ومن ذلك النداء في كل صلاة باسمه ، وماجعل من الشرف به لقومه

(١) ـ الأنعام : ٣١

(٢) ـ العنكبوت : ١٣

(٣) ـ الزيادة من المجموع المخطوط .

فضلا عما منَّ به على ذريته وولده ، ومن يشركه في الأقرب من نسبه ومحتده فنحمد الله الذي رفع ذكره ، وشرف أمره .

ثم أخبر سبحانه في السورة نفسها من أخبار غيوبه خبرا مكررا ، فقال تبارك وتعالى :﴿**فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**﴾ فبشره بأن له مع عسره يسرا في دنياه ، وأن له مع ذلك يسرا لايفنى في آخرته .

ثم أمره سبحانه إذا هو فرغ من أشغاله ، ومما يقاسي به في هذه الدنيا من عسر أحواله ، فقال عزوجل:﴿**فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب**﴾ والنَّصَبُ : فهو الإجتهاد والجد والإحتفاد ، كما يقال : اللهم لك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد . فذكر أنه لما أنزل على رسوله ماأنزل في هذه السورة من آياته ، فعَبَدَ رسولُ الله حتى عاد كالشن البالي في عبادته ، شكرا لله وحمدا وتذللا وتعبدا[1].

تفسير ﴿والضحى﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والضحى والليل إذا سجى﴾

والضحى : إضحاء النهار وشدة ضوئه وظهوره ، وسجو الليل: فتراكب ظلمته وتكوره كما قال سبحانه :﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ [2] .

وتأويل :﴿**ماودعك ربك وماقلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك**

---

(١) ـ غريب القرآن ص ٣٩٦ عن ابي خالد عن زيد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى :﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ معناه : اثمك ، وقوله تعالى :﴿ورفعنا لك ظهرك﴾ قال: إذا ذكرت ذكرت معي فيقال: أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

وقوله تعالى :﴿فإن مع العسر يسرا﴾ معناه يكون الرجاء أعظم من الخوف ،وقوله تعالى :﴿فـإذا فرغـت﴾ من أمر دنياك ﴿فانصب﴾ معناه : فصل واجعل وثبتك الى الله عزوجل .

وفي مجمع البيان ١٧٧/٦ عن الباقر والصادق : ﴿فانصب﴾ الى ربك بالدعاء ، وارغب اليه في المسألة يعطك ، وفيه عن الصادق : الدعاء دبر كل صلاة .

(٢) ـ الزمر : ٥

ربك فترضى﴾ فخبر من الله لرسوله صلّى الله علَيهِ وعلى آلِـه عـن أنـه وإن لم يعطـه مايعطيه ويكثره أهل الدنيا في دنياه ، فمـا تركـه فمـن حسـن النظـر في ذلـك لـه ، لا لبغضة فقلاة . والقالي: فهو الشانئ والشانئ : فهو المبغض ، وكـل ذلـك فهـو بغـض ولكنه آثره بكرامته له في آخرته على أولاه .

وآخبره سبحانه أن سوف يعطيه مـن عطايـا الآخـرة مايسـره ويرضيـه ، ثـم ذكـره سبحانه بفضله ونعمته ، وبما مَنَّ به عليه من رحمته ، فقال تبـارك وتعـالى :**﴿ألم يجـدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأمـا اليتيـم فـلا تقهـر وأمـا السائل فلا تنهر﴾** وقد علم الناس أنه قليل مـن الأيتـام مـن يُـؤْوَى **﴿ووجـدك عـائلا فأغنى﴾** فأغناه بما لم يستغن به غيره في دنياه **﴿ووجدك ضالا فهدى﴾** فهداه بمـا مـنَّ به عليه من الهدى .

ثم نهاه تعالى عن اليتيم أن يقهـره ، وعـن السـائل أن ينهـره ، وأمـره مـن الحديـث بنعمة ربه ، بما به أمره ، أن ذَكَّرَه من اليتم والفاقة بما ذَكَّـرَه ، وقـرر بمعرفـة ذلـك بمـا قرره ، فقال تبارك وتعالى :**﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾** تأويل **﴿فحدث﴾** هو: فخبر وانشر ذلك واذكره وكثر ، فكان بمن الله لما ذُكِّرَ به ذاكـرا ، ولنعـم الله فيهـا كلهـا شاكرا [1].

---

(١) - في تفسير الغريب ص ٣٩٤ عن ابي خالد عن الإمام زيد بن علي عليهما السلام في قولـه تعـالى :﴿والليل إذا سجى﴾ معناه : مكن ، ويقال: استوى ، ويقال: إذا أقبل فغطى كل شيء .

وقوله تعالى :﴿ماودعك ربك﴾ أي ماتركك ﴿وماقلى﴾ معناه : ماأبغض .

وقوله تعالى :﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ معناه : منت من قوم ضلال .

وقوله تعالى:﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ معناه : فقير فأغنى ، وقولـه تعـالى :﴿فأمـا اليتيـم فـلا تقهـر﴾ معنـاه لاتحقـر ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ معناه : لاتزجر ،ولكن رده برحمة ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ معناه اخوانك حدثهـم بالقرآن ، ويقال: أخوانك اخوان ثقتك فهذا تأديب لأمة محمد صلّى الله علَيهِ وآلِه وسلّم على لسان نبيـه عليـه السلام .

وفي مخطوط بمجموع تفسير الأئمة جاء في الآيات المروي تفسيرها عن الإمام القاسم بن ابراهيم عليـه السـلام مالفظـه :(وسئل عن قول الله سبحانه ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فقال: هذا أمـر مـن الله لنبيه صلّى الله علَيـهِ وآلِـه وسلّم بنشر نعمته عليه ، وذكر احسانه اليه ؛ لأن الله تبارك وتعالى شاكر يحـب الشـاكرين ، ويرضـى الشـكر

تفسير ﴿والليل إذا يغشى﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وماخلق الذكر والأنثى﴾

فقال:﴿والليل﴾ وغشيانه : فهو ظهوره واتيانه . وتجلي النهار : فهو ظهور شمسه على وحشه وإنسه ، وبتجليه وظهوره يعيش أهل الأرض فيه ، ويتحركون وينتشرون ويقبلون ويدبرون ، كما قال الله سبحانه :﴿وجعل النهار نشورا﴾[1] فجعله برحمته لخلقه ضياء ونورا ، لتبتغوا فيه كما قال سبحانه :﴿من فضله﴾ ولمنته على أهله :﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [2] فكفى بما في الليل والنهار من الدلالة على الله [دليلا] [3] لقوم يتفكرون وتأويل ﴿وماخلق الذكر والأنثى﴾ فهو وماخلق به كل [4] ذكر وأنثى من الأزواج المختلفة الشّتّى ، أزواج الإنس والبهائم والأشجار ، وكلما خلقه زوجا في الأصول والثمار ، فأقسم بما خلق به جميع خليقته من قدرته وحكمته ومَنّه ورحمته .

وقد قال غيرنا : إن تأويل ﴿وماخلق﴾ هو ومن خلق ، يريدون أن القسم كان بالله جلَّ ثَنَاؤُهُ ، وليس ـ والله أعلم ـ ذلك في القسم كذلك ؛ لأن الله تبارك وتعالى أقسم بالليل والنهار فقدمهما في قسمه ، ولو كان تأويل ماخلق : هو ومن خلق لبدأ

والثناء عليه بنعمه من المؤمنين ، ويريد أن يحدث المؤمنون بعضهم بعضا بنعمه عليهم واحسانه اليهم ليكونوا بذلك ذاكرين .

وفي مجمع البيان عن الصادق ٦٧٠/٦ ﴿فحدث﴾ معناه : فحدث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك وأحسن اليك وهداك ، وفيه عن الإمام زيد عليه السلام في قوله ﴿فترضى﴾ أن من رضاء رسول الله صلّى الله عليهِ وآلِه وسلّم أن يدخل أهل بيته الجنة ، وقال الصادق :(رضاء جدي أن لايبقى في النار موحد).

(١) ـ الفرقان : ٤٧

(٢) ـ القصص : ٧٣

(٣) ـ زيادة في المجموع المخطوط .

(٤) ـ اللفظ في (أ) وما خلق به من ذكر وأنثى .

ا الله في القسم باسمه [1] لجلاله وَذَكَرَه ، وعظَّم اسمه وكَبَّرَهُ ، ولكنه انشاء ا الله كما قلنا

ثم قال سبحانه :﴿إن سعيكم لشتى﴾ فجعل عملهم متفرقا متشتتا ، لأن عمل المتفرقين من المبطلين والمحقين بر وفجور ، وصدق وزور ، فهو كله شتى متفرق ، هذا باطل في نفسه ، وهذا حق ، أما تسمع كيف يقول ا الله سبحانه في تشتته وتباينه في الدنيا والآخرة وتفاوته :﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ فإعطاؤه هو لما يجب من الحقوق عليه ، واتقاؤه فهو فيما أمر بالتقوى لله ﴿وصدق بالحسنى﴾ فهو : تصديقه بأن سيجزى .

وتأويل ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فهو : سنصيره من الكرامة والثواب الى ماسيراه عند موته وفي حشره ، وما سيعاينه في الموت والحشر من أمره .

وتأويل ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ بما يراه عند نفسه غنى من ماله وكسبه ، وبخل منه به عن ربه ﴿وكذب بالحسنى﴾ فتكذيبه بالحسنى هو تكذيبه بما وعد ا الله أهل التقوى .

وتأويل ﴿فسنيسره للعسرى﴾ هو : سنصيره من الإهانة والعقاب إلى ماسوف يرى

وتأويل ﴿ومايغني عنه ماله﴾ فهو وماينفعه في الغناء ماله ﴿إذا تردى﴾ تأويلها [2] : إذا هلك وردي بعد أن كان قد أرشد وهدي ، وماأغنى ممن أغناه من دنياه ، وملكه ا الله إياه فجعله ا الله له فهو لله قبله ، ألا تسمع كيف يقول في ذلك تعالى :﴿إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى﴾ وماكان من النيران أن يتلظى فهو أشدها لهيبا وسعيرا ، وأَنْكَرُها في الحَرِّ والتحريق مصيرا .

ثم أخبر تبارك وتعالى من يصلاها ، والإصلاء : فهو التحريق فيها فقال:﴿لايصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ كذب بالجزاء والمثوى ، وتولى عن البر والتقوى .

---

(١) ـ في (أ) لبدأ ا الله باسمه في القسم .

(٢) ـ في (ب) تأويله .

ثم أخبر سبحانه أن سيجنب هذه النار المتلظية من اتقى فقال جلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله﴾ يؤتي : يعطي ماله ﴿يتزكى﴾ تأويلها: ليطيب بها عند الله ويَزَّكَّى ﴿ومالأحد عنده من نعمة تجزى﴾ تأويله يريد يكافأ ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾ بما يعطى ويجزى إذا أعطى ماأعطى لابتغاء وجه ربه ، ومأأراد من رضائه به [1].

تفسير ﴿والشمس وضحاها﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها﴾ والشمس : هي الشمس في عينها ونفسها واستدارتها . وضحاها: فهو مايرى من علوها في السماء ، وظهورها واستنارتها .

وتأويل ﴿والقمر إذا تلاها﴾ فهو اتصاله بها وجيئته وراءها متصلا نوره بنورها ، وظهوره في الضوء بظهورها ، ومأأبين ذلك وأنوره ، وأعرف ذلك وأظهره في الليالي الغر من ليالي كل شهر ، فنوره حينئذ بنورها متصل ، ليس بين نورهما فرقة ولافصل ، وهي ليال بيض مسفرة مضيئة ، ساعاتها منيرة ، عظمت في النعمة والقدر ، فقيل عن النبي صلَّى الله علَيهِ وعلى آلِه : (إن صيامها كصيام الدهر) وهي ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة ، وخمس عشرة ، وهي ليال جعلها الله كلها مضيئة مقمرة ، ووصل الله ضوء نهارها بضوء ليلها ، فكان ذلك من عظيم النعمة فيها وجليلها ، فسبحان من وصل وفصل بين الأمور فوصل منها بين نور عظيم ونور .

﴿والنهار إذا جلاها﴾ فهو إذا أظهرها النهار وأضحاها ؛ لأنها لاتضحى أبدا

---

(١) - في تفسير الغريب ص ٣٩٣ ، عن ابي خالد عن الإمام زيد عليه السلام في قوله تعالى :﴿إن سعيكم لشتى﴾ معناه : أن عالمكم لمختلف ،وقوله تعالى: ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ معناه : بخل بما لايبقى واستغنى بغير غناء . وقوله تعالى :﴿وصدق بالحسنى﴾ معناه بالجنة ، ويقال : بلا إله إلا الله ، وبالخلق . وقوله تعالى :﴿ومايغني عنه ماله إذا تردى﴾ معناه : إذا هلك ومات ، ويقال: إذا تردى في جهنم .

بإظهار إلا فيما جعلها الله تضيء فيه من النهار ، وكذلك سبحانه دبرها في مقدارها ، وبذلك فقدرها في مسيرها ومدارها ، وفيها مايقول سبحانه :**﴿لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولااللليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾** (١) فكلهم جميعا في فلك ، وهو المدار يطلعون ويغربون ، فليل الشمس والقمر عند كل أحد فغير نهارهما ، وأنهما يدوران جميعا بالليل والنهار في مدارهما ، كما قال سبحانه فلا يمكن أن يسبق النهار ، وإن كان الفلك في ذلك كله هو المسلك والمدار ، لإن الليل لو سبق نهاره لسبقت الظلم أنواره ، فبطل العدد والزمان وتقديرهما ، وفسد البشر والحيوان وتدبيرهما ، ولكان في ذلك أيضا فساد الأشجار والثمار ؛ لأن قوام ذلك كله ونشأته بما فصل بين الليل والنهار ، فسبحان مفصل الأمور والأشياء ؛ لبقاء ماأراد بقاءه من النبات والأحياء وليعلم العالمون عدد السنين والحساب ، الذي عنه وبه يكون كل جيئة وذهاب ، أوبقاء لشيء من الأشياء جعله يبقى أويفنى مما فطره سبحانه خلقا كما قال جلَّ ثَنَاؤُهُ ، وتقدست بكل بركة أسماؤه :**﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾** (٢) .

وتأويل **﴿والنهار إذا جلاها﴾** فهو: والنهار إذا أضحاها فبانت وظهرت وتجلت بتجليه ، وبما يظهر من الضوء فيه .

وتأويل **﴿والليل إذا يغشاها﴾** فهو إذا غشي الليل الشمس وأتاها ، فوارى بظلمته نورها ، وأخفى بظهوره ظهورها ، ولم تُرَ الشمسُ ، ولم تنتشر الأنفس ، وسكن في الليل الإنس والوحش وكل طير ، فهدأ من ذلك كله فيه كل صغير أو كبير ، رحمة من الله به لذلك كله ، ومنّة من الله مَنَّ بها عليهم بفضله ، كما قال سبحانه :﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

---

(١) - يس : ٤٠

(٢) - الإسراء : ١٢

وتأويل ﴿والسماء ومابناها﴾ فالسماء : هي السماء التي نراها ﴿ومابناها﴾ فهو : وماهيأها من حكمة الله وتدبيره ورحمة الله وتقديره .

وتأويل ﴿والأرض وماطحاها﴾ فهو : والأرض ومادحاها ، ودحو الشيء : هو بسطه وتمهيده ، ونشره وتوسيعه وتمديده كما قال سبحانه :﴿والأرض مددناها﴾ وتأويله : بسطناها ومهدنا ،كما قال الله سبحانه :﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا﴾ [1] والممدود إذا أريد مده وامتهاده ضرب فيه ، وفي نواحيه لتمتد أوتاده .

وتأويل ﴿ونفس وماسواها﴾ فهو : الأنفس التي قد علمناها لكل ذي نفس من البهائم والإنس ، وهي التي إذا فارقت وزالت ماتت أجسادها وجفت ، فعادت أجسادها أمواتا هلاكا ، ولم ير لها أحد بعد ذهاب أنفسها منها حراكا ﴿وماسواها﴾ فهو وماهيأها لجعلها حية كما جعلها ، وعدلها سوية كما عدلها ، من قدرة الله وإحكامه ، ومنته عليها وإنعامه .

وتأويل ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ هو فعرفها تدبير الله لها واحكامه هيئتها وأجترائها ، فجعلها تبارك وتعالى عارفة بكل ماكانت عليه مجترئة ، أوله خائفة .

ثم أخبر سبحانه أن نفس الإنسان من بين ماذكرنا من الحيوان نفس بين الزكاء والفلاح ، والفجور والتدسية والصلاح ، فإن تَزَكّت بالتقوى أفلحت وزَكَتْ ، وإن تَدَسَّت بالفجور عند الله طلحت وهلكت ، فقال سبحانه :﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ وتأويل تزكيتها : هو تطهرتها ، وتأويل تدسيتها : فهو من تطغيتها .

ثم ذكر تبارك وتعالى من دساها من سالف الأمم في الفجور فأطغاها فقال سبحانه: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ تأويله : بعتاها وغواها ﴿إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله﴾ وتأويله : إذ قام أخزاها لشقوته وشؤمه ، وبرضاء قومه وعشيرته والأشقى فقد يكون إنسانا واحدا ، أويكون جماعة عدة ، وأي ذلك قيل به كانت المقالة في الصدق والمعنى واحد ، كما يقال: أشقى هذه قبيلة فلان ، وأشقى هذه قبيلة فلان ، فيكون

---

(١) ـ النبأ : ٦ ـ ٧

ذلك كله واحدا في الدلالة والبيان .

ويدل على أن أشقاهم ليس بواحد منهم قوله سبحانه :﴿**فقال لهم**﴾ فلو كان واحدا منهم لقال : فقال له ، وقوله :﴿**فدمدم عليهم ربهم بذنبهم**﴾ فلو كان الأشقى واحدا منهم لقال : فدمدم عليه ربه ، ولقال أيضا : بذنبه ، ولم يقل : ﴿**بذنبهم**﴾ إذ هو واحد منهم ، ولقال : عقرها ، ولم يقل :﴿**عقروها**﴾ إذا لم يكن إلا من واحد عقرها .

وقد قال غيرنا: إن عاقر الناقة كان إنسانا واحدا ليس بجماعة ، وذكروا فيما في أيديهم من الأخبار أن عاقرها يسمى بـ قُدَار ، وتكذيب ثمود فإنما كان بما وعدها صالح صلى الله عليه إن عقرت الناقة من عذاب قريب أليم ، لاتكذيبها بما لم تزل به مكذبة قديما قبل عقر الناقة من عذاب الجحيم ، إذ يزجرها صالح صلى الله عليه وينهاها عما أتت في عقر الناقة بطغواها إذ يقول لهم :﴿**ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولايخاف عقباها**﴾ فتأويل ماذكر الله من السقيا : هو ماأعطى الله من لبن الناقة وسقى .

ومما يدل على ذلك قول الله سبحانه في الأنعام وهي الآبال :﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**﴾ [١] وقوله سبحانه :﴿**ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون**﴾ [٢] والمشارب والسقيا : هي الموارد والسقيا ، والدمدمة : هي التسوية والهلكة لجمعهم المفنية .

وتأويل قوله تبارك وتعالى :﴿**فسواها**﴾ إنما يراد به أدنى ثمود كلها وأعلاها ، ومن أضعف ثمود [كلها] وأقواها .

وتأويل :﴿**فلا يخاف عقباها**﴾ فقد يمكن أن وجهها ومعناها : هو فلا يخاف أحدا ـ على الضمير ـ أن يراها بعد تدمير الله لها ، ومأأنزل من الهلكة بها ، لاتعقب عقبا

---

(١) ـ المؤمنون : ٢١
(٢) ـ يس : ٧٣

ولاتنسل عقبا من ولد ولاذرية ، ولايرجع بعاقبة مؤذية [1] وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

إلى هنا انتهى تفسير شيخ آل الرسول القاسم بن ابراهيم عليه السلام ، وعاقه عن التمام ، شواغل منعته الى أن نزل به الحمام ، رحمة الله عليه .

وكل ماتقدم من رواية ابنه محمد بن القاسم عليهما السلام .

ومن ﴿لاأقسم بهذا البلد﴾ من تفسير علامة العترة ، وقاموس الأسرة ، الإمام محمد بن القاسم بن ابراهيم عليه السلام فقال رحمة الله عليه :

---

(١) ـ غريب القرآن للإمام زيد بن علي عليهما السلام ص ٣٩٢ عن أبي خالد عن الإمام زيد عليه السلام في قوله تعالى :﴿والأرض وماطحاها﴾ معناه : بسطها وكذلك دحاها .
وقوله تعالى :﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ معناه : بين لها .
وقوله تعالى :﴿قد أفلح من زكاها﴾ معناه : من أصلحها ﴿وقد خاب من دساها﴾ معناه : أغواها ، وقوله تعالى ﴿ولايخاف عقباها﴾ معناه : لايخاف تبعة من أحد .
وفي المخطوط الجامع لتفسير الأئمة عليهم السلام ، وفي المسائل التي سأله عنها ولده مالفظه :(وسألته عن قوله الله تعالى ﴿ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ فقال: [أي القاسم بن ابراهيم] ﴿ونفس وماسواها﴾ يقول سبحانه : وماقدرها وماهيأها من تسوية التقدير وحكمة التدبير الذي لايكون إلا بالله ، ولايوجد إلا من الله ، وقد قال بعض المفسرين : وماسواها : هو ومن سواها ﴿فألهمها﴾ هو عرفها تعريفا بينا ليس مما يلتبس بكفره بنمه ، ولايعايا بشيء من المعرفة بين فجورها وتقواها إذا عرفها هيبتها واجترائها ؛ إن الهيبة اتقاء والفجور اجتراء ، فهي تعرف من الأشياء كلها ماتجتري عليه من الفجور ، وماتهاب وتخشى من جميع الأمور فهي على مالاتهاب مجترية ، ولما هابت متقية فهي ملهمة لتقواها وفجورها لمعرفة ماتهابه وتجتريء عليه من أمورها) اهـ
وفي مجمع البيان عن الباقر والصادق في قوله ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ بين لها ماتأتي وماتترك ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أي من أصلح ، و﴿من دساها﴾ أي من عصى .

[مقدمة الإمام محمد بن القاسم عليه السلام]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين ... وبعد:

فإن الله ـ بفضله ورحمته ـ جعل من عظيم ما مَنَّ به علينا وعليكم من نعمته ماهدانا وهداكم إليه ، ودلنا ودلكم عليه ، من طلب حقائق الحق ، حين ضل عن ذلك كثير من الخلق ، في تنزيل الله سبحانه وكتابه ؛ إذ لا يوصل إلى حقيقة حق إلا بأسبابه ، ولا يهتدى إلى صواب رشد إلا بمفاتيح أبوابه ، فمن فتح الله له أبواب عِلْم الكتاب عَلِمَ حقائق البر والهدى والصواب ، ومفاتيح دَرِكِ عِلْمِ ذلك بغير شك ولا ارتياب ، بما جعل الله عليه من فطرة العقول والألباب ، من معرفة الحق بما ركب فيها من الأفهام ، كما تعرف الأبصار إذا نظرت النور من الظلام ، وذلك إذا تركت العقول تميز بما ركب الله فيها من الأفهام ـ بين ما لبس الملبسون إذا ورد عليها ، وبين ما أوضح الله من حقائق الحق إذا أدته أسماعها إليها ، ولم يدخل على العقول لبس الحيرة والجهالات بما أتاه جهلة العامة من طرق الضلالات ، بطلب الهدى في مختلف ما افتروا على الله ورسوله فيه في كثير من الروايات ـ التي يحكمون بها بجهلهم على ما جعله حاكما عليها من تنزيل القرآن ، وما أنزل الله فيه من الهدى وجعل معه من نور الحق والبرهان .

[وجوب عرض الأحاديث على كتاب الله تعالى]

فزعَمت جهلة الحشوية والعامة ، وممن كذب على الله ورسوله من ضُلاَّل هذه الأمة أن الكتاب يحتاج إلى السنة ، ولا تحتاج إليه ، وهم قد رووا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ـ أنه أمرهم أن يعرضوا على كتاب الله عز وجل من الروايات كلما اختلفوا فيه ، فقالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله :(إنه ليس من نبي إلا وقد كذبت عليه أمته ، وسيكذب علي كما كذب على من كان

قبلي من الأنبياء ، فما جاءكم [عني] فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو مني وأنا قلته ، وماخالف كتاب الله فليس مني و لم أقله) [١].

فما رووا من هذا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فهو الدليل على أنه قد أمرهم وحكم عليهم ، بعرض كلما اختلفوا فيه على الكتاب ، فما وافق الكتاب وحقائقه قُبِلَ ، وصَحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وعُلِمَ أنه منه وماخالف الكتاب علم أن رسول الله لم يقله و لم يأت عنه ؛ لأن رسول الله عليه وآله السلام قد أمرنا باتباع وحي الكتاب [والإئتمام بما نزل الله فيه قال الله سبحانه لنبيه فيما أمر به من إتباع وحي كتابه :﴿**واتبع ما يوحى إليك من ربك**﴾ [٢] وقال تبارك وتعالى لنبيئه وهو يخبر عن إتباعه لكتابه ووحيه :﴿**قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ [٣] وإنما أمر الله نبيئه باتباع وحي الكتاب] [٤] لأنه قد أكمل فيه كل حق ورشد وصواب ، فعلى كتاب ربكم هداكم الله فَأَقْبِلُوا ، ومنه فاستمعوا ـ إن أحببتم ـ ترشدوا وتصيبوا وتفلحوا وتنتفعوا .

واذكروا قول العالم[٥] رضي الله عنه ، وجمع في مستقر رحمته بيننا وبينه حين يقول : الحمد لله الذي جعل الهدى فيما نزل من كتابه مكملا ، ونزل برحمته للعباد منه تبيانا كريما مفصلا ، فيه لمن استغنى به أغنى الغنى ،ولمن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى، فلا تطلبوا رحمكم الله الهدى في سواه ، فإن الله برحمته قد أكمل لكم فيه حقه وبرهانه وهداه ، فإنكم إن أقبلتم بأفهامكم عليه ، وأصغيتم بأسماع عقولكم إليه وجدتم كلما طلبتم فيه ، من جميع العلوم ، يقول الله في الكتاب سبحانه ما أوضح قوله وبيانه : ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ورحمة وهدى وبشرى للمسلمين**﴾ [٦] .

---

(١) ـ تقدم تخريجه .

(٢) ـ الأحزاب : ٢

(٣) ـ الأعراف : ٢٠٣

(٤) ـ زيادة في المجموع المخطوط .

(٥) ـ إذا أطلق العالم فالمراد به الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام ، وهذا معروف عند أئمة العترة وشيعتهم

(٦) ـ النحل : ٨٩

وقد علمتم أن العالم رضي الله عنه قد كان فسر من كتاب الله بعض ما فهمه الله منه ، وكان ما فسر رحمة الله عليه من القرآن ، بما نرجو أن يكون الله هداه له من الشرح والبرهان ، ما بين آخر الفرقان (١) إلى سورة التي ذكر الله فيها ﴿**والشمس وضحاها**﴾ ثم شغلته رضي الله عنه شواغل الأمراض والأسقام عما كان يرجو أن يعينه الله عليه من التفسير والشرح لتأويل القرآن ، فرأيت أن أتكلف إن شاء الله بعده من الاستعانة بالله وحده ، بشرح بعض ما أرجو أن يهدي الله إليه ، ويمن علينا في تفسير كتابه بالدلالة لنا على الصواب فيه .

وأنا أسأل الله بلطفه ورحمته السلامة في ذلك من الضلال [عن هدايته والعون على إصابة الحق والقول في تأويله بما يرضاه الله من الصدق] (٢).

فكان أول ما بدأت به إن شاء الله من التفسير سورة ﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾ وأسال الله التوفيق لرشد الحق بالتبصير ، فاقرءوه إن شاء الله مستمعين ، وكونوا لأحسنه متبعين ، فإن الله سبحانه يقول في الكتاب وهو يذكر من هدى من أولي الألباب :﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**﴾ (٣) بصرنا الله وإياكم الحق فيما نزل من نور الكتاب وجعلنا وجعلكم ممن هدى من أولي الألباب .

تفسير ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد**﴾ فتفسير ـ والله أعلم ـ قول الله تبارك وتعالى ، المعقول المفهوم عند من وهبه الله علما وعقلا ﴿**لا أقسم**﴾ هو : توكيد

---

(١) ـ أي آخر القرآن ، وهي السور القصار .

(٢) ـ الزيادة من المجموع المخطوط .

(٣) ـ الزمر : ١٨

للقسم ، والإقسام بالبلد التي كان فيها النبي عليه أرضى الصلاة وأفضل التسليم ، وإنما معنى لا: ألا ، وسواء قيل :لا في الأفهام ، أو ألا ، وذلك فواحد هاهنا في المعنى فكان قول الله :﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾ إنما تفسيره : كيف لا أقسم بهذا البلد تعظيما منه تبارك وتعالى ، وتفضيلا للبلد ، حين كان محلا ومنزلا لرسوله محمد وتعظيم قدر محمد بن عبد الله وكبره صلوات الله عليه وعلى آله ، ما أقسم سبحانه بالبلد الذي كان محمد عليه السلام حالا فيها .

وتفسير ﴿**وأنت حل**﴾ مفهوم عند كل من كان عالما بعربي اللسان ، لا يحتاج فيه عند أكثرهم إلى اشتغال بشرح ولا بيان ؛ لوضوحه عند علمائهم وجهالهم ، وما يدور فيهم من مفهوم اللسان بين كبارهم وأطفالهم ، وهو عند العالم منهم والجاهل: الحال بالبلد والنازل ، وسواء في لغة العرب قيل: فلان حل بالعراق ، أو نازل فيه ، أو قيل : فلان حال به وفي ساكنيه .

ثم قال تبارك وتعالى فيما كرر من القسم وثنى :﴿**ووالد وما ولد**﴾ لما في الولد والوالد من آياته ، وعجيب آثار تدبيره وقدرته ، بينما الوالد كما جعله الله واحدا إذ خلق سبحانه منه نسلا كثيرا ، وولد بأعجب الأسباب والتدبير ، وأدل الدلائل على قدرة الله القدير ، فأخرج من الوالد الواحد الفرد النسل الكثير ، ذا الألوف من العدد بنطفة مني تمنى ، باجتماع الزوجين الذكر والأنثى ، وتصريف تدبير الله لتلك النطفة إذ صارت في الرحم فيما يصرفها فيه من التصاريف ، بينما هي في الرحم نطفة إذ خلق النطفة علقة ، ثم خلق النطفة العلقة مضغة فخلق المضغة عظاما فكسا العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر ، آيات من الله بعد آيات ، ودلالة منه سبحانه لخلقه على ربوبيته وقدرته بعد دلالات ، قال الله تبارك وتعالى :﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ (١) .

---

(١) ـ المؤمنون : ١٢ ـ ١٥

[الحكمة في إقسام الله تعالى بالمخلوقات]

ولما كان الوالد وما كان منه من النسل فيهما عجب من آيات الله عجيب ، ودلالة من دلائل قدرته وحكمته يفهمهما المفكر اللبيب ، أقسم تبارك وتعالى بهما ؛ لما أظهر من حكيم تدبيره فيهما .

واعلموا رحمكم الله أن كل ما أقسم الله سبحانه من الإقسام به منهما ومن غيرهما ، من أقسامه كلها في كتابه ، فعجب والحمد لله عجيب ، وصواب عند الله لأولي الألباب مصيب ، لأن الله تبارك وتعالى أعلى من كل عليٍّ ، وأنه في الإرتفاع والعظمة فوق كل شيء ، فليس شيء في جميع الأشياء إلا والله أعظم منه وأكبر وأعلى ، فلم يكن ليكون القسم من الله سبحانه إلا بخلقه ؛ إذ ليس شيء من الأشياء من فوقه ، والله سبحانه فوق كل شيء ورب كل شيء موات وحي .

وكذلك ما أقسم بما أقسم به من آياته وخلقه وصنعه دلالة للخلق على عظمته سبحانه وعلوه وارتفاعه ، وأنه ليس من فوقه ما يقسم به ؛ لأنه الله رب كل شيء وخالقه ، ومليك كل شيء في السموات والأرض ورازقه ، ولا يقسم الله إذا أقسم إلا بما أقسم به من أسمائه ، أو بعجيب ما خلق من آياته في أرضه وسمائه ، فكلما أقسم به في اقسامه من التين والزيتون ، والفجر ، والسماء والطارق ، والشمس والقمر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، وغير ذلك مما أقسم به في كتابه من جميع أقسامه التي أقسم بها ؛ لما أحاط علمه من عجيب أمرها باطن علمه ، فحكمة من حكم الله ، يدل اقسام الله بها على أنها من عجيب آياته ، وما جعله الله دليلا لأولي الألباب على حكمته وقدرته .

ثم قال سبحانه :﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ يريد والله أعلم : في تقويم واعتدال وانتصاب وصعد ؛ لأن الله عز وجل لم يخلق في الإعتدال والإصعاد والتقويم والكبد والإنتصاب شيئا من الأبدان غير بدن الإنسان ، وفي ذلك عجب عجيب من التدبير والحكمة والبيان ، ولذلك ما يقول الله سبحانه العليم الحكيم :﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ تذكيرا من الله تبارك وتعالى لهذا الإنسان بنعمته فيما

خلقه فيه من الكبد ، الذي هو التقويم والتصعيد ، وتفضيله لخلق الإنسان على خلق جميع الأبدان ؛ ليشكر ما أنعم الله به عليه في ذلك من نعمته ، وليعرف ما عرفه فيه من عجيب حكمته .

وقد ظن غيرنا أن ما ذكر الله من خلق الإنسان في كبد : هو ما الإنسان فيه مما يلاقي في معائش دنياه من التعب والكد ، والذي ذكرنا من تفسيره أولى وأشبه وأشرح وأنور وأفهم وأوضح

ثم قال سبحانه :﴿**أيحسب أن لن يقدر عليه أحد**﴾ كأن معنى ذلك والله أعلم : فكيف يغفل عن قدرة من أنشأه فيما أنشأه فيه من الكبد ؛ تذكيرا من الله تعالى للإنسان بما هو عليه من الإغترار به ، والنسيان لنعمته وإحسانه إليه ، وغفلته عن قدرته عليه .

ثم قال :﴿**يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد**﴾ والكبد : المتراكم الكثير الوافر ، الذي بعضه على بعض ، وفي آثار بعض ، يفهم هذا فيه المفكر الناظر .

ثم قال سبحانه :﴿**ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين**﴾ تذكيرا من الله للإنسان بنعمته عليه في العينين واللسان والشفتين ، لما فيهن من القوة والمعونة على فعل البر والتقوى والإحسان ، وما جعل له من القوة والمعونة بالعينين واللسان على تقواه والوصول بذلك إلي قبول ما نزل من نوره وهداه ، وما ينال الإنسان بذلك أيضا مما أحل له من منافع دنياه ، فسبحان من خلق الإنسان وفطره ، وأنشأه وأراه من حكمته في تسوية خلقه ما أراه ، قال الله سبحانه :﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك**) [١].

ثم قال تبارك وتعالى :﴿**وهديناه النجدين**﴾ فالنجد من الأشياء : فهو الظاهر العالي الذي لا يخفى ، ولذلك ما قيل لما برز من الأرض وعلا : نجد ، إذ ذلك إذا كان المكان من البلاد بارزا مرتفعا قيل: إن تلك الأرض لنجد من الأنجاد ، دلالة على أنها ظاهرة بارزة من البلاد .

(١) ـ الإنفطار : ١٧

وما ذكر الله سبحانه من هدايته للنجدين فهما ـ والله أعلم ـ الطريقان في مصالح الدنيا والدين ، اللتان جعلهما الله ظاهرين غير خفيين ، ولذلك ما دعيا بهذا الإسم من النجدين ؛ إذ كانا قد هدى إليهما وكانا بارزين .

ثم قال سبحانه :﴿**فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة**﴾ فالعقبة ـ والله أعلم عند من يعرف اللسان العربي ويفهم ـ : فهي الشديدة من الأشياء ، ولذلك ما سمي العقب في الأبدان عقبا ولذلك ما سمى اللسان العربي الطرق التي في رؤوس الجبال عقابا، يراد أنها كانت مكروهة لشدتها صعابا ، فلما كانت هذه الأفعال التي دل الله تبارك وتعالى عليها ورضيها وأحبها ، ورغب الناس فيها ، من فك الرقبة والإطعام في اليوم ذي المسغبة لليتيم ذي المقربة ، والمسكين ذي المتربة ـ شديدا تجشمها وتكلفها على من يبخل ولما كان تكلفها على أكثر الناس مما يشتد ويثقل ؛ سماها الله تبارك وتعالى : العقبة وأخبر بما جعل لمن تكلف شدتها وثقلها من كريم الجزاء والمثوبة .

والإطعام في اليوم ذي المسغبة : فهو الإطعام في يوم الجوع ، والأزمة : فهي الجدب والضرورة والحطمة ، لأن الجوع بعينه في اللسان : هو السغب ، وبذلك قديما وحديثا كانت تسميه العرب ، فأمر الله سبحانه بالإطعام في اليوم ذي المسغبة ، ورغب فيه تبارك وتعالى أكثر الرغبة ، ودل بقوله :﴿**يتيما ذا مقربة**﴾ على أن أفضل ما يتقرب به من أطعم قربة [1] إطعام أيتام ذي الرحم والقرابة .

والمساكين الفقراء : فهو ذو المتربة ، والمتربة من المساكين : فهو ذو الحاجة الملحة الشديدة ، الذي ليس له معاش ولا بلغة ، قد أفضى إلى التراب من شدة فقره ووصل إليه من الحاجة والعري الذي هو فيه ، وإنما سمى جميع من عرف اللسان العربية متربا ؛ لأنه قد أفضى من شدة الفقر إلى التراب إفضاء متربا .

ثم أخبر الله تبارك وتعالى بقوله :﴿**ثم كان من الذين آمنوا**﴾ بعدما رغب فيما دعا إليه من إطعام ذوي المسغبة وأيتام القرابات ـــ أنه إنما يقبل فعل ما تقرب إليه

(١) ـ وفي نسخة : (أفضل ما يتقرب به من أطعم قريبه) .

بالإيمان الذي معناه ترك كبائر معاصيه .

ثم ذكر الله سبحانه الصبر على فعل ما أمر به ، وجعل الصبر من أحسن ما دل عليه في كتابه فقال :**﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾** والمرحمة : فهي التراحم بين المؤمنين ، والتعاطف بينهم بالرحمة ؛ لأن الله سبحانه رحيم يحب الرحماء ، كريم فوق كل كريم يحب الكرماء .

ثم قال تبارك وتعالى :**﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾** والميمنة : فهي اليمن والبركة ، ثم قال :**﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة﴾** والمشأمة : الشؤم الذي صاروا به إلى الهلكة ، وصارت النار به على الكافرين بكفرهم وعصيانهم مؤصدة ، والمؤصدة : المحيطة المطبقة بالأبواب المشددة ، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن نجا بتقواه من سخطه وعقابه ، وأن يبعدنا من النار المؤصدة ، وما فيها من عذابه لأهل المعصية والعدوان ، وأن يسلمنا ويسلمكم من الهوان ، وحسبنا الله ونعم المولى ونعم الوكيل ، عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم .

سورة ﴿والفجر وليال عشر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابوعبدا لله محمد بن القاسم صلوات الله عليه : تفسير ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسري﴾ فما ذكر الله سبحانه من هذه الأشياء وكرر منها في إقسامه بها ، فأبان من عظيم آيات الله لما فيها من عجائب حكمة الله ، يخفى ذلك فيها ولا يغبى ، ى من وهبه الله عقلا ولبا ، ولما فيها من عجائب الحكمة ودلائل قدرة الله العظيمة ، لها الله قسما من إقسامه لتبيه ، بأقسامه بها على ما جعل فيها من حكمة ، وأي عجيب أعجب من صلوع بياض الفجر معترضا حتى يستطير في أفق السماء كلها عرضا ، بعد سواد الليل وظلمته ، وكلال الأبصار بلونه وغشوته

، ومن هَدّأَ في الليل من الخلق عن حركته ، وسرّى بذهاب أوله ثم ذهاب وسطه وآخره وانكفاته كله يسيح في الفلك ، ويسلك فيما قدره الله له فيه من المسلك ، فقد يرى ذلك كله من شأن الليل وأمره - من نظر إليه عند تولي آخره ، ورأى الليل مقبلا من المشرق عند آخر النهار وإدباره ، فرأى أوائل ظلمة الليل مقبلة من أقاصي الفلك ، ثم رأى انبساطه فيما جعله الله من المخرج والمسلك ، حتى يعلو ويظهر ويتسع وينتشر يطبق الأرض كلها ظلامه ، ويشتد سواده وإطباقه والتئامه، ثم يسري الليل كما قال الله تبارك وتعالى :﴿**والليل إذا يسري**﴾ وكل من عقل عن الله لا يشك في سراه ، ولا يمتري ؛ لأن الليل له **أول ووسط وآخر** ، ولا يجيء آخره حتى يذهب أوله ووسطه ويدبر ، وهذا الدليل على مسير الليل وذهابه ، يبصره عيانا كل ذي عين ، ويراه في إقباله وسراه ومسيره ، وذهاب أوله وصدره ، وانكفات أعجازه وأواخره عند ظهور الفجر واعتراض نوره عجب عجيب من آيات الله وتدبيره ، لمن فهم عن الله ما جاء في تبيينه لذلك وتبصيره ، يقول الله تبارك وتعالى في بعض الأقسام بما أقسم به من آياته العظام :﴿**والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر**﴾ تنبيها من الله تبارك وتعالى لمن عقل وفكر ، على ما أظهر من حكمته لمن فهم وأبصر بما قدر من أحوال الليل والنهار وما أرى سبحانه من تدبيره لهما من الآيات العظام.

والفجر فإنه من عظيم آيات الله ، وعجب عجيب من آثار قدرة الله في تنفسه وصدوع نوره ، وما قدر الله بظهوره من عجيب حكمته وأموره ، وتحرك هذا الإنسان وجميع ما يسكن بظلمة الليل من الحيوان عند طلوع الفجر فيما يتحركون له من المعاش والشأن ، وما قدر الله سبحانه من الحكمة لذلك وفيه ، فَتَكِلُّ وتصغر عقول الناس عن معرفة كُنْهِهِ والإطلاع عليه ، ولما في الفجر من آيات تدبير الله وحكمة ما جعل الله تعالى من قسمه .

والليالي العشر التي ذكر الله تبارك وتعالى : فهي الليالي التي آخر أيامها يوم الأضحى ، فأقسم الله بها وذكرها لكي ما يعرف الناس فضلها وقدرها وما ذكر الله سبحانه من الشفع والوتر فمن الآيات عند ذوي الألباب والفكر ، والوتر : فهو الواحد الفرد ، والشفع : فالاثنان من العدد ، وإنما أقسم الله من ذلك بما أقسم به

لنبيه ، بما ذكر في كتابه ، على أن الشفع والوتر آية لذوي الألباب والفكر .

ثم قال سبحانه :﴿**هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد**﴾ يعني سبحانه هل في الإقسام بهذه الآيات من الفجر ، والليالي العشر والشفع والوتر ، والليل إذا يسري ـ مقنع في القسم لذي حجر .

وذو الحجر فتأويله ـ والله أعلم ـ عند كل من يعرف اللسان العربي ويفهم : فإنما يخرج على أنه ذو العقل والعقل فمعناه في اللسان : الحفظ ، ولذلك قيل: فلان عاقل لبيب ، يراد أنه حافظ للفهم ، وللصواب مصيب .

ومن الدلائل على أن العقل هو الحفظ بعينه في معناه وقصده وتبيينه قول جميع العرب إذا أراد حفظ البعير وتشديده بالحبال : يا فلان اعقل البعير بالعقال ، يريدون بعقله حفظه بالعقال ، وضبط الحفظ فهو العقل نفسه .

والحجر : فهو أيضا من حَجَرَ الشيءَ من الأشياء وحَفِظَهُ ، وأحاط بالشيء فلزمه مثل العقل بعينه في تفسيره وتبيينه ، وذو الحجر فهو ذو العقل ، وذو العقل : فهو ذو الحجر ، وإنما يراد بذلك ذو الحفظ واللزوم للأمر المعقول المفهوم .

ومخرج هذه الأقسام التي ذكر الله في سورة الفجر عند قوله :﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ تخويفا منه تبارك وتعالى ووعيدا لعصاة العباد ، وذلك ما ذكر فعله في النقمة لعاد ارم ذات العماد ، والعماد : جماعة العمود ، وقد جاء فيما جاء من الأخبار عن عاد أنهم كانوا يسكنون المظال التي ترفع بالعماد ، والعرب تقول لمن يسكن المظال والأخبية: ساكن العمود ، فإن يكن ما ذكر من العماد سكناهم في بيوت العمد ، فالعماد جميعها ، وذلك فيما يفهمه كل أحد .

وقد يمكن والله أعلم عند من تفكر وتفهم أن يكون ما ذكر الله من العماد عمدا كان في بعض ما كانوا فيه من البلاد ، من حجارة أو بناء أو خشب ، نصبوها وصنعوها في بعض بلادهم ، لا يقدر على مثلها غيرهم من جميع الناس ؛ لما كانوا عليه من شدة البطش ، وما زيدوا من البسطة في الخلق على كل الأجناس ، ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه :﴿**التي لم يخلق مثلها في البلاد**﴾ وهو يخبر عن هذه الآية

المذكورة من عاد .

ثم قال :﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ وثمود : فقوم صالح صلى الله عليه والوادي : فبلد في بعض نواحي الحجاز معلوم معروف ، ويقال له : وادي القرى وبلد ثمود : موضع منه يسمى الحجر ، من يأتيه ممن في تلك الأرض من الناس مساكنهم فيه تعاين وترى قد نحتوها في أجواف الجبال نحتا ، وجابوا فيها قصورا منحوتة وبيوتا .

[الأهرام وصفتها]

ثم قال سبحانه :﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ والأوتاد والله أعلم : فأبنية كان بناها فرعون ، باقية إلي اليوم بأرض مصر تسمى الأهرام ، لم ير مثلها في جميع أبنية ملوك الناس في الجاهلية والإسلام ، كأنها لإشرافها وعظمها هضاب من الجبال ، عظام الأصول مصعد إلى أعلى ، يراها في ما أخبرت من أشرف على أرض مصر عن مسيرة ليال ـ قد بنيت بالصخور الكبار العظام الرواسي ، التي لو اجتمع على مثل الحجر الواحدة منها عصبة من الناس لما حركوه ، فيما ذكر من رآها ولا أزالوه ، ترى الحجار في أعالي الأهرام فلا يدري الناظر كيف رفعوه ! وتلك الأهرام فيما أخبرني من رآها سبعة ، وهن على ما الله أعلم بقدره من الطول والعرض والسعة ، يقال: إن منها ما طوله في جو السماء أربعمائة ذراع صعدا ، ويقال: إن طول بعضها خمسمائة ذراع في الهواء مصعدا ، قدرت حجارتها ونحتت وجوهها ، ثم أطبق بعضها على بعض عند بنائها ورصفها [فليس بينها زعموا مدخل الخلال من شدة تراصفها فأسست عند ابتداء بنائها على عرض عظيم] من السعة ، فجعل عرض أساسها ما بين أذرع مذروعة ، ثم ذهب في الجو صعدا ينقص عرضها كلما رفعت شيئا حتى دقت أعاليها بعد عرض أسافلها ، وهكذا ما أخبر من صفاتها كلها .

وكان أبي رضوان الله عليه يخبرني أنه كان يسمع أن تلك الأهرام كانت قبورا للعذارى من بنات الفراعنة ، وقد قال بعض الناس : إن فيها كنوزا لهم كنزوها في

الأزمان الجاهلية ، وقد ينبغي لمن تفكر وتفهم أن يوقن بأيقن اليقين ويعلم لتفهمه [1] لقول الله عز وجل في الكتاب :﴿**وفرعون ذي الأوتاد**﴾ أن هذه الأوتاد من أعظم آثار فرعون فيما كان فيه من البلاد .

ثم قال سبحانه :﴿**الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد**﴾ فذكر تعالى هذه الأمم الماضية من عاد وثمود ، وفرعون ذي الأوتاد ، وأخبر بما كانوا عليه من الطغيان في البلاد ، وما أكثروا فيها من الفساد ، وكيف كان بطشه بهم وفيهم حين انتقم منهم ونزل العذاب عليهم قال الله سبحانه :﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد**﴾ تفسير قول الله ـ والله أعلم ـ :﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ أن الله لمرصد معد لعذاب من خالف أمره وعصاه من العبيد .

وتفسير قول الله ـ والله أعلم ـ :﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب**﴾ مفهوم ـ إن شاء الله عند من فَهَّمَهُ الله بعض تأويل الكتاب ـ أنه إنما أراد أن يفهم كيف سرعة انتقامه وعقوبته إذا أراد أن يأخذ أهل معصيته ؛ ليعقل ويفهم من تفكر ويعلم ، أن سرعة عقوبته حين يأخذ أهل معصيته ، وفي سرعة وقوعها لمن مضى كسرعة صبه السوط في وقوعه ضربة واحدة وخطفته .

وقد يمكن ـ والله أعلم ـ أن يكون ما ذكر الله من صبه لهذا السوط من العذاب على هذه الأمم التي ذكر أنه دمرها ، فيما نزل من الكتاب ، خبراً على أن هذه الأمم التي ذكرها ، وأخبر أنه أهلكها بفسادها ودمرها ، أنما أهلكها بجزء من أجزاء العذاب سماه سوطا في تنزيل الكتاب ؛ ليعلم من عقل أن ما أعد الله لهذه الأمم في الآخرة من العذاب والنقم ، التي تخلد لهم ويخلدون فيها ، فلا تنقضي ولا تنصرم ، ليست كالسوط من العذاب الذي عذبوا به في دنياهم ؛ ففنوا به في الدنيا هم وأفناه الله حين أفناهم ، فنعوذ بالله ورحمته من سخطه وعقابه ، ونسأله النجاة بالعون على طاعته من سطوة عذابه لمن خالفه وعصاه ، ولم يؤثر رضوانه وتقواه .

ثم ذكر سبحانه جهالة هذا الإنسان وما لم يزل عليه الناس إلا من عصم الله من

---

(١) ـ في بعض النسخ [عند تفهمه]

الغفلة والخطاء والنسيان بقوله :﴿**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن**﴾ وتفسير ما ذكر الله من هذا والله أعلم : أنه إذا ما ابتلى الإنسان بتوسعة رزقه وعطاياه ، وما ينال بتوسعة الرزق من النعم في دنياه ، غفل الإنسان بذلك عن ذنوبه وخطاياه ، فظن أن ما نال من رزق الله بكرامة من الله لرضاه عنه ، وأنه قد سلم عند الله ، وفيما بينه وبينه ، ويغفل عن ذنوبه وخطاياه ، ولا يفهم أنه أراد امتحانه وابتلاه ؛ ليرجع عن معصيته ، ويعمل برضوانه وطاعته ، ويشكر ما أولاه عند ذلك من نعمته .

وأما إذا ما ابتلى الله سبحانه الإنسان فقدر عليه رزقه ، وقدره عليه : أن لا يبسطه ولا يوسعة لما هو أعلم به في ذلك من صواب تدبيره ، في بسطه إذا شاء رزق الإنسان وتقديره بعد حكمته في كل ، وعلمه بما أصلح وأرشد وأصوب وأخبرُ به ، فعند ذلك ما يقنط الإنسان ويسوء ظنه ، ويرى أن الله قد سخط عليه وأهانه ، ويغفل ، غير أن أفعال الله التي تأتي من الله في الأحوال كلها ، على مالا يشك من يعقل أنها عليه من صواب عدله .

ثم قال تبارك وتعالى :﴿**كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين**﴾ يرشد ويدل على ما يحب ويرضى من إطعام المسكين ، وإكرام اليتامى لرأفته سبحانه باليتيم والمسكين ، وما أراد من عباده في إطعام المسكين ، وإكرام اليتيم من الحق المحمود الكريم ، الذي يعطي عليه من ائتمر فيه بأمره الثواب العظيم.

وفي قول أرحم الراحمين :﴿**كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين**﴾ دليل ـ والله أعلم ـ على أن ما يرى العباد من التقدير على من قدر عليه الرزق من المرزوقين انما كان لما عليه أكثر الناس من الغفلة عن إكرام اليتيم ، والحض على طعام المسكين ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**كلا بل لا**﴾ تفسير قوله والله أعلم ـ :﴿**كلا بل لا**﴾ يدل على أنهم لو أكرموا اليتيم ، وأطعموا المسكين وفعلوا في ذلك ما أمرهم به الرحمن الرحيم ، لما قدر رزقه ولوسع الرزق بينهم .

ثم قال تبارك وتعالى :﴿**وتأكلون التراث أكلا لما**﴾ والأكل اللم : فهو الأكل

السريع والجم ، الذي يشبه في سرعته وضمه ما يرى من الفم ، وعيدا منه سبحانه لمن أكل تراث اليتامى ، ونهيا عن ذلك ، وتحذيرا لمن فعله بأن أنذره عذابا أليما .

ثم قال:﴿**وتحبون المال حبا جما**﴾ والجم : الكثير المتصل الوافر الذي لا ينقطع ولا يفتر ، نهيا عن فرط الحب للدنيا والمال ؛ لما يصير إليه من أفرط في حب ذلك من الركوب للظلم ، في كثير من الأمور والأحوال .

ثم أخبر سبحانه بيوم انتقامه وعقوبته لمن خالف ما أمره به من تقواه وطاعته فصار إلي الجرأة على معصيته ، وعما يكون في يوم القيامة من عظيم آياته يقول :﴿**كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى**﴾ ودك المدكوك : فهو تكسيره وتحطيمه ، ودق بعضه ببعض وتهشيمه ، وذلك حين تدك الأرض بالجبال فتصير الجبال كالكثيب المنهال ، قال الله تعالى :﴿**وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة**﴾ .

[معنى مجيء الله وإتيانه]

وما ذكر الله من مجيئه : فهو مجيء أمره ونقمته وظهور ما يظهر يوم القيامة من عظيم آياته ، وما يكون يومئذ من عقابه لأهل معصيته ، فلما بدا من آيات الله العظام في يوم القيامة ما كان لا يعاين ولا يرى من فعله في دار الدنيا ، فرأى الخلق يومئذ من أخذ الله بانتقامه للعاصين ، وشدة زلزال بطش عقاب الله بالظالمين ، ما لم يكونوا في دار الدنيا يرون ، جاز أن يسمي الله ـ تبارك وتعالى كما يسمعون إتيان أمره وآياته عند أخذه لأهل معصيته لشدة بأسه وعقابه وما يصير إليه من أطاعه من كريم ثوابه ـ إتيانا منه ؛ إذ كان ما ظهر في ذلك كله من الآيات العظام إنما كان بقدرته وعنه وذلك مفهوم في لسان العرب عند من كان ذا لب ، قد يقولون اليوم في مفهوم اللسان بينهم ، عندما يكون من سطوات ملوكهم فيهم ، وعند حلول جنود ملوكهم بمن يعصيه : جاء القوم مالا يطيقون حين سطا جنود ملكهم بهم في الدنيا، ويقولون : جاءهم الملك والخليفة ، وإنما جاءتهم جنوده المبعوثة ، فلما كان يبدو للخلق في يوم القيامة من الزلزال والآيات العظيمة، بما يكور من الشمس والقمر ، وينتثر من النجوم

وما يبدي الله - ملك الملوك وربهم الحي القيوم - من الآيات العظام ، التي يظهرها في ذلك اليوم ، وكأن العصاة الظلمة من الآدميين عنها ، وعن الحذر بها في دار الدنيا غافلين ، وعما أنذرهم الله ورسله منها معرضين ، كان معقولا عند من فهم عن الله من ذوي العقول والأفهام - قول الله ذي الجلال والإكرام :﴿**وجاء ربك**﴾ و﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله**﴾ (1) لما جاءهم يوم القيامة أمر الله ، وبدا لهم ما لم يكن يبدو من انتقام الله ، وحكم تبارك وتعالى بينهم بالحق والفصل ، ووضعت موازين القسط التي معناها ما يكون يومئذ من العدل الذي لا يغادر معه صغيرة ولا كبيرة من الإساءة إلا أحصيت ، ولا حسنة من الحسنات تدق ولا تجل إلا أحصي ثوابها وحصرت وأحاط بالظالمين يومئذ من بأس الله ما كانوا يحذرون ، ورأوا حينئذ كل ما كانوا به ينذرون ، وحكم بين الخلق فيما كانوا يختلفون ، وبدا لهم في ذلك اليوم الأعظم ما كانوا به من جهنم يوعدون ، قال الله سبحانه :﴿**وجيء يومئذ بجهنم**﴾ والمجيء بها : فهو حضورها ، وإبداء الله لها فرأوها وسمعوا شهيقها وزفيرها ، وأبصروا تغيظها ولهيبها وسعيرها ، وأخذتهم الأغلال والسلاسل ، وأحاطت بهم الكروب والزلازل وصف الروح والملائكة صفا صفا ، وامتلأت قلوب العاصين رعبا وخوفا ، كان حضور أمر الله في ذلك كله بمجيئه جائز به ، مفهوم فيه ومعه أن يقال : جاء ربك حين جاءت البطشة الكبرى ، وبدا من الله في ذلك ما لم يكن يعاين الكفار في دار الدنيا ، وجاء يومئذ ثواب الله لأهل الطاعة والتقوى من جنات النعيم التي يخلدون فيها فلا يفنون ولا يفنى ، ولا يتوهم الخبر - في المجيء من الله سبحانه والإتيان - انتقال ولا زوال من مكان إلي مكان ، جل عن ذلك وتبارك وتعالى ؛ إذ ليس كمثله شيء ، ولم يكن له شيء مثلا ، ليس بزائل سبحانه ولا منتقل ، ولا يوصف بهبوط من علو إلى سفل ، وليس يمثل سبحانه في شيء من أموره كلها بمثل ولا ند ، ولا مثل له ولا نظير ، ولا كفؤ ولا شبيه ولا عديل ، له الأسماء الحسنى والأمثال العلى ، نعوذ بالله من سخطه ومعصيته ، ونسأله أن يؤمن روعنا يوم القيامة بعفوه ومغفرته ويسعدنا بإيثار تقواه وطاعته لنا يوم الفزع الأكبر باتباع مرضاته ، ولا

---

(١) - البقرة : ٢١٠

حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم ، عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم .

ثم قال ذو العزة والعظمة والقدرة فيما ذكر من الخبر الصادق عن يوم القيامة والحسرة :﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ وتفسير ذلك : أن الإنسان سيذكر بما فرط فيه من الطاعة والتقوى ، فيندم حيث لا ينفعه الندم ، عندما يعاين ويرى من عظيم الآيات في يوم البطشة الكبرى ، فيندم ويفكر ويتذكر وأنى له التذكر وعند ذلك ما يقول :﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ يعني في أيام دنياه ، وقيل: ما كان من وفاته تذكر أو ندامة ، على ما فاته من تقوى ا لله وطاعته ، وألا يكون قدم ذلك قبل حضور أجله وموته ليوم بعثه ونشوره وخلده ، فيصير بطاعة ا لله لو كان أطاعه واتقاه إلى الثواب الذي أعده ا لله لمن يتقيه ويطيعه ويخشاه .

قال ا لله سبحانه :﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ وتأويل ذلك : أن الإنسان فرط في الذكرى حتى انقطعت عنه أيام حياة الدنيا التي جعلها ا لله دار المهل والبلوى ، فترك الطاعة والتقوى حتى صار إلى الدار الآخرة ، التي ليست بدار مهل ولا بلوى ، وإنما هي دار ثواب وعقاب وجزاء ، يجزى فيها كما قال سبحانه تبارك وتعالى :﴿ليجزي الذين أسآؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾.

ثم قال سبحانه وهو يخبر عن شدة عذابه وانتقامه لمن عصاه وعقابه :﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾ وتأويل ذلك : أنه لا يُعَذِّبُ عذاب ا لله أحد من المُعَذِّبين ، ولا يوثق وثاقه أحد من الموثِقين ، فنعوذ با لله من سخطه ونقمته ونسأله العفو والمغفرة برحمته .

ثم قال ا لله تبارك وتعالى - وهو يخبر عن نفوس المؤمنين في يوم القيامة الذي هو يوم الدين ، وقوله عند فصله بين خلقه لحكم عدله وحقه ، فيما فصل بينهم تعالى بالعدل في مقامهم الذي جمعوا فيه لحكم الفصل ، وصار العاصون إلى مقرهم من النار ، وقيل لنفوس المتقين الأبرار الذين ألقى ا لله عليهم السكينة من روعات ذلك اليوم فلم يرتاعوا ، وأنزلت على قلوبهم الآمنة من فزع يومئذ فاطمأنوا و لم يفزعوا - :﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إذ في اطمئنانها يوم الفزع الأكبر أعجب العجب وأعظم المنة

﴿ارجعي إلي ربك راضية مرضية﴾ وتفسير رجوعها إلى ربها : هو رجوعها إليه فيما وعد من ثوابها ، قد رضي سبحانه منها بتقواها وطاعتها ، ورضيت بما صارت إليه من الثواب والنعيم في جنتها ، والنفس هاهنا المطمئنة : جميع نفوس المؤمنين الذين يكونون يوم الفزع الأكبر آمنين مطمئنين ، وسواء قيل: يا أيتها النفس المطمئنة ، أو قيل: يا أيتها النفوس ، عند من يفهم في ذلك ما أفهمه الله الملك القدوس كما سواء في الشرح والبيان قيل: يا أيها الناس ، أو يا أيها الإنسان .

ثم قال تبارك وتعالى للنفوس المطمئنة من أهل التقوى :﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ ودخولهم في عباده فهو مصيرهم في الجنة إلى مقر أوليائه ، ولحوقهم بمن عنده فيما أعد لهم من ثوابه ـ والحمد لله رب العالمين ـ ونسأل الله أن يجعلنا من أوليائه المؤمنين الذين يكونون في يوم الفزع الأكبر آمنين مطمئنين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته المتقين .

تفسير ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ والغاشية : الساعة من يوم القيامة المنتظرة الجائية التي تغشى الناس بغتة وهم عنها غافلون ، ولا يعلم وقت مجيئها وغشيانها إلا الله رب العالمين .

وحديث الغاشية فيما ذكر الله من أمرها وإتيانها وخبرها وما يكون فيها من البعث والحساب وما أخبر به سبحانه من الثواب والعقاب ، ومن حديث الغاشية ما ذكر الله في هذه السورة قال الله سبحانه وتعالى :﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة﴾ وما أخبر فيها عن الوجوه الناعمة ، والوجوه يومئذ الخاشعة : فهي الوجوه الذليلة بعصيانها الخاشعة .

والعاملة الناصبة : فهي التعبة المكروبة الدائبة ، التي قد أعملها كرب العذاب والنار وأتعبها ، فهي مشغولة مفدوحة بعذابها دائبة ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**تصلى نارا حامية**﴾.

ثم قال تعالى :﴿**تسقى من عين آنية**﴾ وتفسير الآنية : هي النار الحارة الحامية، فمن أعمل أو أشغل أو أداب أو أكرب أو أنصب ممن أنصبه وأعمله وشغله كرب العذاب والنار! وما يشرب من العين الآنية من الماء الحميم الحار !!.

ثم قال تبارك وتعالى :﴿**ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع**﴾ والضريع في لسان العرب : فهو اليابس الضارع من الشجر ، والضارع في اللسان ـ فاعلم من الأشياء ـ : فهو النحيف اليابس الذي ليس بذي لين ولا ارتواء ، تقول العرب لما يبس من شجرة خشناء تدعى (الشبرق) إذا يبست وأكلت وذهبت رطوبتها ولينها وعادت عيدانا يابسة وشوكا وذبلت : رأينا في أرض كذا وكذ ضريعا من شبرق يابسا مكدودا ، والضريع فمعناه : اليابس القاحل الخشن ، الذي ليس برطب ولا لين ، فهو لا يزيد كل بدن أكله إلا يبسا وعجفا ونحافة ، وهزا وخشنة وجفوفا ، فنعوذ با لله الرحمن الرحيم من عذاب النار وأكل الضريع والزقوم

ثم ذكر سبحانه أهل الطاعة والتقوى ، الذين صاروا بسعيهم في رضوانه إلى أرضى الرضى فقال فيهم تبارك وتعالى :﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾ والناعمة : فهي الحسنة الألوان والأسباب ذات البهجة والنضرة والبهاء والإزدهار ، التي قد رضيت ما كان من سعيها في دار الدنيا ؛ لمّا رأت ما أثابها ا لله به من النعيم في جنة الخلد والبقاء قال سبحانه وهو يذكر في هذه السورة بعض صفات أوليائه في الآخرة :﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾ .

ثم أخبر سبحانه بما نعمت فيه من الثواب والكرامة فقال :﴿**في جنة عالية**﴾ وتفسير العالية : المرتفعة السامية.

ثم قال تبارك وتعالى :﴿**لا تسمع فيها لاغية**﴾ وتأويل ما ذكر ا لله سبحانه من اللاغية : فهي الكلمة القبيحة المشينة ، يخبر سبحانه أن أولياءه لا يسمعون في الجنة

لغوا ولا كلاما ممقوتا مؤذيا ، قال الله سبحانه :﴿**لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما**﴾ [(١)].

وأما قوله سبحانه :﴿**فيها عين جارية**﴾ فالعين قد يمكن أن تكون العيون الكثيرة لأنه قال سبحانه في موضع آخر من كتابه :﴿**إن المتقين في جنات وعيون**﴾ [(٢)] وقد يدعى الجميع باسم الواحد في اللسان ، وقد قال :﴿**يا أيتها النفس المطمئنة**﴾ و﴿**يا أيها الإنسان**﴾ ثم قال تبارك وتعالى:﴿**فيها سرر مرفوعة**﴾ السرر المرفوعة : فهي المستقلة المرتفعة ، وتلك أحسن ما يكون من السرر هيئة وصنعة .

ثم قال سبحانه :﴿**وأكواب موضوعة**﴾ يعني سبحانه أنها مهيآت منتشرة موضوعة حاضرة .

ثم قال :﴿**ونمارق مصفوفة**﴾ وتأويل ما ذكر الله من النمارق المصفوفة : فهو المطابقة المعتدلة المصفوفة ، وذلك من وصفها وهيآتها أحسن ما تكون عليه من صفاتها ﴿**وزرابي مبثوثة**﴾ والزرابي المبثوثة : فهي الكثيرة المبددة ، وذلك من أحسن وضع الزرابي خاصة .

ثم قال سبحانه وهو ينبه على الفكرة في آياته والإستدلال على وحدانيته وحكمته بما خلق في أرضه وسمواته حين يقول تبارك وتعالى :﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت**﴾ فكل ما ذكر الله سبحانه من هذا كله فمن عجيب آياته وفعله ، ومن الدلائل على قدرته ووحدانيته وحكمته ، تدل كل من فكر ونظر فيه ، ورمى ببصره متأملا إليه على أن صانعه في الكبرياء والقدرة والجلال ، الله الذي لا يشبهه شيء ولا يمثل بأمثال فأي عجب أعجب ! ودليل على قدرة الله أقرب مما يرى من رفع السماء في موضعها ، وما هي عليه من استقلالها ورفعها بغير عمد ثابتة لا تزول وهي من الكبر والعظم على ما تحار فيه العقول ، مع ما فيها من الآيات من الشمس والقمر

---

(١) ـ الواقعة : ٢٥ ـ ٢٦

(٢) ـ الحجر : ٤٥

والنجوم المضيئات ، وما قدر الله من مسير الشمس والقمر من علم عدد السنين والحساب والأوقات والليالي والأيام والحر والبرد والساعات !!.

وما ذكر الله سبحانه من خلق الإبل فعجب عجيب إذا نظر فيه المفكر اللبيب ! لما جعلها الله سبحانه عليه من عظيم الخلق ، وشدة أسر الأوصال ، وما كفى الله بها الناس من حمل فادح الأثقال ، وما جعلها عليه من قوتها وشدتها من السخرة والتذلل وجعل فيها من الجمال وبلوغ الحاجة والسفر البعيد !! قال الله ذو الجلال والإكرام وهو يذكر ما جعل من النعمة في الأنعام :﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلي بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم**﴾[1] فهي كما قال سبحانه تحمل من الأثقال ، وتطيق من كبار الأحمال مالا يحمل غيرها من الدواب التي جعلها سخرة للركوب والأسفار - فسبحان الكريم الرحمن الجبار . وأي دليل أدل على ما ذكر الله سبحانه في تسخيره - مما هي عليه من الذلة ! مع عظم خلقها وشدة أسرها ومايدل عليه من غلبتها - الكبير من الدواب والحيوان ، لما هو أشد أضعافا من الإنسان ، فمن يرى الإبل وتسخيرها وأمرها إلا علم أنها لم تذل فنقوى عليها إلا بتذليل الله وتسخيرها ، فَأَمِنَ الإنسانُ من مغالبتها وقهر صياها وشدتها ، ولولا تسخير الله لها ما كان الناس لها مقرنين ، فسبحان الله وبحمده الرؤوف الرحيم .

وقد زعم بعض من الجهال ومن لا يعرف ما نزل الله به من القرآن في عربي اللسان - أن الإبل التي ذَكِرَتْ غَيْمُ السحاب ، وهذا لا يحتاج لقائله - لانكشاف جهله - إلى جواب ، والحمد لله رب العالمين كثيرا ، الذي ذلل الأنعام وسخرها تسخيرا .

وما ذكر الله سبحانه من الجبال ونصبها ، فمن دلائل آيات الله وعجائبها ، إذ الجبال في كبرها وعظمها وثقلها التي فاقت فيه جميع ما في الأرض كلها - أشد ما في الأرض علوا وانتصابا ، وأرفعه في الجو سموا وذهابا ، فمن فهم وفكر فعقل وأبصر علم أن الجبل في عظم أسرها وثقلها وقوتها في ذلك لجميع ما في الأرض كلها لم

---

(١) - النحل : ٥ - ٧

تستقل منتصبة ، و لم تثبت منذ كونت فيها راسية - إلا با لله الذي أمسكها وقُوَّته،وما أقلها وأثبتها من قدرته ، فسبحان من نصبها في جو السماء مع ما هي عليه من عظمها وثقلها ، وجعل فيها مع شدتها وصعوبتها ما جعل من فجاج سبلها التي جعلها مسالك ذللها طرقا لمن سلكها من أهلها .

وما ذكر ا لله سبحانه من سطع الأرض الذي تفسيره ما جعلها عليها من الدحو والسعة والعرض فعجب عجيب من الآيات ، ودلالة منيرة على قدرته من الدلالات .

ثم ذكر سبحانه لرسوله صلّى ا لله عليه وآله وسلم :﴿**فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر**﴾ وتفسير هذا وا لله أعلم : أن ا لله أمر رسوله صلّى ا لله عليه وآله أن يذكرهم با لله وآياته ، وبما أمر به من طاعته والإنتهاء عن معصيته ، وما وعد على الطاعة من مثوبته وبما توعد به أهل المعصية من أليم عقوبته .

وتأويل ﴿**لست عليهم بمسيطر**﴾ هو أن النبي صلّى ا لله عليه وآله لم يؤمر بتسطير حسابهم ، وأن حسابهم إلي ا لله خالقهم وربهم [1].

فأما قول ا لله تبارك وتعالى :﴿**إلا من تولى وكفر فيعذبه ا لله العذاب الأكبر**﴾ فيفهم تأويله بقوله :﴿**فذكر إنما أنت مذكر**﴾ كأن تفسير ذلك أنه إذا ذكر فسيذكر من تذكر إلا من تولى وكفر ، فأخبر ا لله أنه سيعذب من تولى وكفر العذاب الأكبر .

ثم أخبر سبحانه ﴿**إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**﴾ وتفسير الآياب : الرجوع إلى ا لله والإنقلاب ، ثم أخبر تعالى بأن عليه حسابهم ، والحساب هاهنا تأويله : المحاسبة بأعمالهم و الجزاء منه لهم بالعقاب على سيء أفعالهم ، فنسأل ا لله أن يجعلنا ممن يذكّر ما ذكر به ، وأن يمن علينا بفهم ما نزل من كتابه ، والحمد لله رب العالمين كثيرا ، وصلى ا لله على محمد وعلى آله وسلم تسليما

---

(١) - في تفسير الإمام زيد عليه السلام معنى ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أي قاهر مسلط .

تفسير سبح اسم ربك الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ فتأويل سبح وا لله أعلم تبارك وتعالى : بَعِّد اسم ربك ونزهه عما يصفه به المشركون ، وتقول به من الكذب عليه العماة الذين لا يعقلون من الإلحاد في أسمائه وصفاته ، والكفر لنعمه ، والعمى عن حجته وآياته .

ثم قال سبحانه :﴿**الذي خلق فسوى**﴾ وكذلك ا لله تبارك وتعالى خالق كل مخلوق بأحسن التعديل والتسوية ، وواضع كل ما صور في خلقه من الصور في مواضعها بأحسن التقدير والتهيئة .

ثم قال سبحانه :﴿**والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى**﴾ فا لله سبحانه الذي قدر الأشياء كلها على أحسن المقادير ، وهدى إلى كل رشد في دين أو دنيا وصواب ، ودل على كل بركة وخير ، ﴿**و**﴾ هو ﴿**الذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى**﴾ والمرعى : فهو الرعي الذي ترتعيه بهيمة الأنعام ، التي جعلها ا لله منافع لنبي آدم ، يقول ا لله ذو الجلال والإكرام :﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون**﴾(١).

وقال سبحانه وهو يذكر نعمته على البشر بما جعل في الأرض من المعائش لهم وإحسانه تعالى إليهم ، وبما كفاهم من أرزاق ما أعطاهم من بهيمة الأنعام ونحوها فقال:﴿**وجعلنا لكم فيها معائش ومن لستم له برازقين**﴾ (٢) وما ذكر سبحانه من شبه الرعي إذا خرج وبدا بما هو له شبيه من خفيف الغثاء ، والغثاء : القذا الصغار الخفاف الذي على السيل إذا جرى ، والأحوى : فهو الأصفر من أطرافه ، وكذلك

---

(١) - يس : ٧١ - ٧٣

(٢) - حجر : ٢٠

الرعي فهو يخرج إذا بدا بنبت أصفر من جوانب ورقه ، والعرب تدعو الشاة إذا كان خداها أصفرين : حوّى ، وهم على هذا في اللسان مجتمعون غير مختلفين .

ثم قال سبحانه :﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾ وتفسير سنقرئك والله أعلم : سنعلمك القرآن ونقص عليك فيه العلوم والأخبار ﴿**فلا تنسى**﴾ أي فلا تكن ناسيا ، أمرا منه سبحانه لنبيئه بأن يكون ذاكرا لا غافلا ولا متوانيا ، يقول الله سبحانه :﴿**إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى**﴾ إخبارا عن قدرته على أن ينسي إن شاء الله من خلقه ما أراد أن ينسيه ، ولا يكون ذلك إلا بأمر وعلة من العلل لحمة الله وعدله يوجب ذلك عليه ، والله كما قال سبحانه الذي يعلم جهر من جهر وسر من أسر .

ثم قال سبحانه :﴿**ونيسرك لليسرى**﴾ تبشيرا منه تبارك وتعالى لنبيه صلّى الله عليه وآله بأنه سييسره لكل يسر ويسرى [وسييسر] [١] في دينه ودنياه ، وما يرتضيه .

ثم أمره سبحانه بالتذكير للعباد بما أمره بتذكيرهم به من نعمه وآياته والمرجع إليه والمعاد فقال :﴿**فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى**﴾ يقول سبحانه : إن نفعت الذكرى فيهم لما هم عليه من غفلتهم ومعاصيهم .

ثم أخبر بمن يصير إلى التذكر الذي هو الذكر ، فأخبر أنه من خشي من خلقه واتقى ، وأن الذي يتجنب الذكرى هو من خلقه الأشقى ، فأخبر أن الأشقى الذي لا يصير إلي الذكرى هو الذي يصلى النار الكبرى ، والنار الكبرى : نار جهنم التي لا يشبهها نار من النيران في العظم ، و التي هي أبدا تلهب وتضطرم ، نسأل الله بعفوه ورحمته أن يعيذنا وإياكم عنها ، وأن يسلمنا بمنه وفضله ويسلمكم منها ، قال الله سبحانه وهو يذكر من يصلى النار الكبرى :﴿**ثم لا يموت فيها ولا يحيي**﴾ وكذلك من كان في تلك النار من الكفرة فليس بميت ولاحي ؛ لأنه من حريقها ــ نعوذ بالله منها ـ وعذابها في أخزى الخزي ﴿**لا يقضى عليهم فيموتوا**﴾ [٢] فينقطع عنه ما هو

---

(١) ـ ما بين أقوس الزيادة من ب .

(٢) ـ فاطر : ٣٦

فيه ، بل العذاب في النار والخزي والهوان دائم عليه فليست حياته فيها بحياة إذ لم يكن له فيها إلا العذاب الذي أخزاه ، يقول الله سبحانه :﴿**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾ وهذا من القول والخبر صدق مفهوم المعنى .

ثم أخبر سبحانه بأثرة من يؤثر الحياة الدنيا التي تنقضي وشيكا وتفنى ، على دار الآخرة التي ليس للحياة فيها غاية ولا انقضاء ،كل من فيها فمخلد من المطيعين والعاصين في داره ، إن كان من أهل الجنة ففي الجنة ، أومن أهل النار ففي النار، فقال تعالى :﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**﴾ يقول سبحانه : إن هذا من الخبر عن إفلاح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴿**لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**﴾ .

تفسير ﴿والسماء والطارق﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**والسماء والطارق**﴾ لما ذكر الله سبحانه من القسم سماءه فلِمَا فيها من عظيم آياته ؛ إذ هي على ما جعلها الله عليه من عجيب الصفات ، في العظم والكبر والإستقلال بغير عمد ، وما فيها من عظيم الآيات بما قدر الله فيها وبها ، من جري النجوم الجاريات ، وما جعل الله بها من الحر والبرد ، وعلم السنين والحساب والأوقات.

والطارق : فهو النجم ذو الذنب الذي يرى ليلا ، ويطرق في الحين الطويل فقد رأيتموه ، ورأيناه مرة بعد مرة وإنما قيل له : الطارق - والله أعلم - لأنه لا يرى إلا بالليل ، والعرب تسمي ما جاء من الأشياء ورئي ليلا - : آتيا وطارقا ، وهذا النجم يرى في الزمان بعد الزمان ، ليلا غربيا ومشرقا .

وإنما جعله الله قسما ؛ لعلمه بما فيه من أسرار الآيات ، يقول الله فيه سبحانه عالم

الخفيات :﴿وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾ والثاقب : فهو الذي يبين نوره ويثقب ، وفي مثل هذا من أمر النجم العجب العجيب ، وإذا قال ا لله تعالى في شيء من عجيب آياته وأمره :﴿وما أدراك .... ثم ما أدراك﴾ فليعلم من سمع أن ذلك لعظم المذكور وكبر قدره .

ويخرج القسم من ا لله سبحانه بالسماء والطارق في قوله تعالى :﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ وتفسير ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ هو : أنَّ كل نفس لما عليها حافظ يحفظ أعمالها ، ويحصي عليها ألفاظها وأقوالها .

ثم نبه ا لله سبحانه الإنسان على أن ينظر في العجيب من آياته ، وفي ما يدله على قدرة ا لله وربوبيته إذ يقول سبحانه :﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق﴾ والماء الدافق : فهو النطفة المندفقة من الإنسان عند إمنائه ، و الدافق : فهو الماء المنصب دفقة واحدة ، ودفقة المندفق ، وأي آية أعجب أو تعجب أكبر وأصوب من خلق الإنسان من الماء المهين الدافق ، فسبحان الخالق الذي خلق الإنسان من أضعف الأشياء وأوهنها ، وأقلها قوة وأمهنها ، فجعله على ما جعله عليه مخلوقا ، من الماء الميت المهين فتبارك ذو الحكمة وأحسن الخالقين ، فأنشأه من الماء المهين فإذا هو خصيم مبين حيا ناطقا مفكرا قائما قاعدا مقبلا مدبرا ، يقول ا لله سبحانه :﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾[1] .

وأما تفسير قوله سبحانه :﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ فإنه قد قيل : إن الماء الذي يخلق منه الإنسان يكون من الرجل والمرأة ، فأما ماء الرجل فيجيء ويخرج من صلبه ، وأما ماء المرأة فمنشؤه ومجيئه من ترائبها فسبحان ا لله ذي القدرة .

ثم قال تبارك وتعالى :﴿إنه على رجعه لقادر﴾ وتفسير ذلك ـ وا لله أعلم سبحانه ـ : أنه ـ إذا خلقه من الماء المهين الدافق ، ونقله في الخلق تارة بعد تارة ـ قادر على أن يرجعه بعد موته وبلائه بأقدر القدرة .

ثم أخبر متى يرجعه ويحييه وينشره ، فيجدد بدنه بعد البلاء ، وينشئه فقال :﴿يوم

---

(١) ـ يس : ٧٦

تبلى السرائر﴾ وهو : يوم القيامة الذي تبلى فيه كل سريرة ، ويكشف فيه ما كان يستر في الدنيا كل مستورة ، يقول الله سبحانه :﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ يعني سبحانه : فما للإنسان يومئذ في دفاع المعاقبة بعمله والجزاء له عن سيئ أفعاله من قوة يدفع بها ذلك عن نفسه ، ولا ناصر ينصره من قريب ولا عشير فيلجأ إلى نصرته .

ثم قال سبحانه :﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع﴾ فالرجع من السماء - والله أعلم - : دوران فلكها ذاهبا تحت الأرض ، وراجعا من فوقها - والله أعلم فيما نظن - هو : الرجع من السماء بعينه ، وذلك فمفهوم فيها عند الفكرة فيه وتبيينه ، والصدع من الأرض : فهو انفراج منها وفيها ، وقد يكون ذلك لما يتصدع عنه ، من عجيب النبات والأشجار التي يظهرها الله عليها، ويمكن أن يكون ذلك صدعا من الصدوع لا يراه الناس في بعض أطرافها ونواحيها لأمر قَدَّرُه الله من أمورها ، فذكر الله ذلك الصدع لعظيم ما فيه من الآيات وكبرها يقول الله سبحانه بعد هذا القسم ، وبعد ما دل عليه في السماء ورجعها، والأرض وصدعها من عجيب الآيات والحكم :﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾ يقول سبحانه هذا القول ، وما جاء به من الخبر الذي ذكره في هذه السورة ، وما أخبر به من وحيه في جميع السور ﴿لقول فصل وما هو بالهزل﴾ والفصل والله أعلم : - فهو الفرقان ، والبرهان الفاصل بين قوة الحق وضعف الباطل . والهزل من الأخبار : فهو الزور .

ثم قال سبحانه :﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾ وتفسير الكيد : الإرادة للأمر فهم يريدون أمرا ، ويريد الله سبحانه أمرا ، وإرادة الله النافذة الغالبة ، وهو أقدر تعالى ، وأقهر قهرا ؛ لأن إرادته الغالبة غالبة لإرادة كل مريد ، وكيده سبحانه أبدا فهو الذي يهلك معه ويتمزق كيد كل ذي كيد .

ثم قال سبحانه لنبيئه صلّى الله عليه وآله ، وهو يخبر لما يصير الكافرون بعد المهل من العقاب إليه :﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ والرويد : فهو القليل وقوله الله سبحانه :﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ أشد ما يكون من الوعيد بالعقاب وأرعبه وعيدا ، فنستغفر الله لنا ولكم من طول الحيرة في الحائرين ونسأله أن يجعلنا

بالأعمال الصالحة لوعيده حذرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل عليه توكلنا ، وهو رب العرش العظيم .

تفسير ﴿والسماء ذات البروج﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود﴾ فهذه اقسام من الله سبحانه بالسماء وبروجها ؛ لما في ذلك من عظيم الآيات وعجيبها ، واليوم الموعود : فهو يوم القيامة ، والحشر الذي وعد الله به جميع البشر ليحكم بينهم يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون ، وليجازي كل امرء من المطيعين العاصين بما كانوا يعملون .

﴿وشاهد ومشهود﴾ فيشبه ـ والله أعلم ـ أن يكون الشاهد : من يعاين ويشهد ويحضر يومئذ من البشر ما كان يوعد به ، من المجازاة على الخير والشر. والمشهود : فيمكن ـ والله أعلم ـ أن يكون ما يعاين ويرى ويشاهد من صدق الخبر في الجنة والنار ، اللتين جاءت فيهما عن الله سبحانه البشرى والنذرى فبشر الله بالجنة في الدنيا عباده المؤمنين ، وجاءت النذر والوعيد بالنار وعذابها إلى جميع الكفرة العاصين .

وقد يمكن ـ والله أعلم ـ ولا ينكر عند من ينظر ويفهم ، أن يكون المشهود : هم المشهود عليهم الذين أوصلت الأنبياء حجج الله إليهم .

ومَخْرَجُ هذا القسم ـ والله أعلم ـ عند قوله سبحانه :**﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾**.

وأما قوله تبارك وتعالى :**﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾** فقد جاء فيما جاء من الأخبار (أن أصحاب الأخدود قوم من الكفار ، كانوا عذبوا نفرا من المؤمنين ، وفتنوهم بحريق

النار ، والأخدود : فالحفر التي حفرها العصاة الكفرة ، فأوقدوا فيها النار ذات الوقود والوقود : فاللهب ، وكذلك تسمى كل نار التهبت ، والعرب فلا يسمون النار وقودا إلا عند التهابها واضطرامها ، وذلك معروف في لسان العرب عند خواصها وعوامها ، يقول ا لله سبحانه :﴿**إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**﴾ لعظيم مار كبوا من تحريق المؤمنين ، وأي أمر أعظم من أن يكون من كفر وأجرم قاعدا على أخدود من وقود النار ! يحرق فيها أولياء ا لله المؤمنين الأبرار ! فيمهلهم ا لله سبحانه في حياة الدنيا مدة يسيرة ، ويستدرجهم فيؤخرهم أياما قصيرة ثم يعاقبهم بما فعلوا بالمؤمنين أشد العقوبة في الآخرة ؛ فيدخلهم نار جهنم خالدين فيها أبدا ، ويحرقهم بحريق جهنم تحريقا دائما سرمدا بقدرته سبحانه عليهم .

ولما أعد ا لله لهم من العذاب في الآخرة الذي يخزيهم ، ويعطي ا لله المؤمنين من جزيل مثوبته ، والفوز الدائم والخلد في نعيم جنته ـ أكثر مما يتمنون يقول ا لله سبحانه :﴿**وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا با لله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض وا لله على كل شيء شهيد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**﴾ يخبر سبحانه أن الكفرة الظالمين إنما عذبوا في ا لأخدود المؤمنين ، على غير أمر من الأمور نقموا عليهم إلا إيمانهم با لله خالقهم وبارئهم يقول ا لله سبحانه :﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير**﴾ تسلية لعباده المؤمنين عما يلقون من المحن من العصاة الكافرين ، وبشرى منه سبحانه لهم بالثواب الكريم ، وما يصيرون إليه من النعيم الخالد الدائم الثابت المقيم .

ثم قال ا لله تبارك وتعالى :﴿**إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد**﴾ يخبر تبارك وتعالى أنه سيبطش البطش الشديد بأعداء عباده المؤمنين ، وأنه سينتقم لهم منهم أعظم النقمة بالعذاب الدائم الأليم .

ثم دل سبحانه على قدرته عليهم ، بأنه ا لله ربهم ومعيدهم وبارئهم ، ثم أخبر

تبارك وتعالى بأنه الغفور الودود، وكذلك ربنا وسيدنا ومولانا في عفوه عنا ، مع طول غفلتنا وتغمده إيانا ، فالغفور الذي لا يغفر مغفرته غافر ، والودود : فالمودة منه والرحمة التي لا يرحمها راحم ، وهو الله ذو العرش المجيد والمجيد في لسان العرب : الجواد الماجد ذو العطايا والإحسان والمحامد ، وكذلك الله سبحانه فالمجيد الذي لا يبلغ مجده ماجد ، وولي جميع ما بين الأرض والسماء من الخير والعطايا والمحامد ، وهو الله الفعال لما يريد كل شيء أراده ، بمقدرته عليه القدرة التي تفوت كل قدرة سبحانه لا إله إلا هو خالق الدنيا والآخرة .

ثم قال تبارك وتعالى :﴿**هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود**﴾ والجنود : الجموع الكثيرة ، خبرا منه سبحانه عمن أهلك بالمعصية من هذه الأمم العصاة الكفرة ؛ إذ كانوا في العدد أكثر كثرة وأعظم في دنياهم جِدَةً وقدرة ، ممن كان في أيام محمد رسول الله عليه السلام من أعدائه الكفرة ، فلم تدفع عنهم جنودهم ودنياهم ، حين أحل الله سبحانه عقوبته بهم فأفناهم ، يقول الله سبحانه :﴿**بل الذين كفروا في تكذيب**﴾ يعني تبارك وتعالى : من كان في أيام محمد من كفرة قريش والعرب في تكذيب . قال الله العليم الحكيم :﴿**والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد**﴾ والمجيد : فهو الممدوح الكريم المحمود ﴿**في لوح محفوظ**﴾ واللوح هاهنا : مثل من الأمثال يفهمه من يعقل إن شاء الله تعالى من أولي الألباب ، وإنما أراد الله بذلك ـ والله أعلم ـ : أن القرآن محفوظ ثابت ، كحفظ ما في اللوح من أن يزاد فيه أو ينقص منه ، ألا ترى كيف يقول تبارك وتعالى في خبره عنه :﴿**محفوظ**﴾ وما حفظه الله فهو المحفوظ الحفظ الحريز ، الممنوع من أن يلم به ضياع بمنع القوي العزيز .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيئين ، وعلى أهل بيته الطيبين وسلم تسليما.

تفسير ﴿إذا السماء انشقت﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت**﴾ فقول الله :﴿**إذا السماء انشقت**﴾ هو خبر منه تعالى عن يوم القيامة ، الذي فيه انشقت السماء وحقت .

وقوله سبحانه :﴿**وأذنت لربها وحقت**﴾ فهو : سمعت لربها وأطاعت .

وقوله :﴿**وحقت**﴾ والله أعلم عند من يسمع اللسان العربي فيفهم : إنما هو أن السماء حل بها من الله ما شقها ، فأصابها بعينها وحقها ، وكذلك قول الله أيضا في الأرض :﴿**أذنت لربها وحقت**﴾ فإنما تفسيره : حل بالأرض أمر الله فأصابها وحقها ، فحينئذ مُدَّت ودُكّت ، ومَدُّها ـ والله أعلم ـ : رفعها حين رفعت فحملت .

قال المرتضى عليه السلام :"معنى مدت : زيد فيها مثلها .

وتفسير إلقاء الأرض ـ والله أعلم ـ لما فيها : فهو إخراجها للأبدان ـ والعلم عند الله ـ لمن يبعثه من الموتى الذين صاروا بالدفن وغيره إليها ، وإسلامها عند مهدها للأشجار والنبات الذي أنبته الله عليها .

يقول الله سبحانه :﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**﴾ تفسير الكدح : ما يكسب الإنسان من الخير والشر الذي يجازى عليه ، والكدح من الأفعال عند جميع أهل اللسان والعرب : فهو ما يكون من الإنسان في الخير والشر من الإكتساب .

ومخرج الخبر من الله سبحانه في هذه السورة عن يوم انشقاق السماء ، ومد الأرض ـ عند قوله سبحانه في هذه الآية :﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسروا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا**﴾ وتفسير الحساب اليسير ـ والله أعلم ـ : فهو الغفران للمؤمنين من

ا لله الغفور ، وتفسير - وا لله أعلم - قول ا لله :﴿**من أوتي كتابه بيمينه**﴾ : فهـو فيمـا نرى - والعلم عند ا لله - مـن عنى مـن المؤمنين بما كتب ا لله عليه في دينه ﴿**أوتي كتابه**﴾ الذي هو حسابه ﴿**بيمينه**﴾ واليمين - وا لله أعلم - وتفسيرها : اليسر والتيسير ، عند من يفهم ؛ لأن ميامن الأشياء وأيمانها أيسر يسرا من الشمائل والظهور ، التي إذا جاءت الأشياء منها كانت أشد على الإنسان في التناول ، وأعسر عسرا ، فكان قول ا لله سبحانه :﴿**بيمينه**﴾ هو : مثل ضربه ا لله - وا لله أعلم - لمن اتقى في دينه يدل على أن المتقين في يوم القيامة تأتيهم كتبهم التي هي - والعلم عند ا لله - :علم ا لله بأعمالهم الذي هو محاسبتهم من اليمين ، التي معناها اليسر والبركة ، فيكون أمرهم كلهم وفعلهم في اليمين واليمين والميمنة التي ينجون بها من الهلكة.

والعاصون فتأتيهم كتبهم - وا لله أعلم - التي معناها : العلم بأعمالهم ، وحساب أفعالهم من الشمال إذ هم في ذلك اليوم وأفعالهم في الشمال ، والشؤم الذي هو: المشأمة بعصيانهم ، وضلالهم بكتابهم الذي يأتيهم من وراء الظهور منهم : فهو مايأتيهم - وا لله أعلم - وراء الظهور ، الذي هو عملهم وحسابهم ، من العسر عليهم والتعسير.

وإن يكن الكتاب بشرى للمؤمنين ، بكتاب يعطاه المؤمن يبشر فيه بالجنة والرحمة التي جعلها ا لله جزاءه ، وكتابا يعطاه العصاة الكافرون ، يبشرون فيه بما أوعدهم ا لله على كفرهم وعصيانهم من النار فذلك أيضا وجه ممكن مفهوم ، وبا لله يرجى الهدى إلى كل صواب في جميع الأمور .

ثم أخبر سبحانه عن الذين أوتوا الكتاب بأيمانهم أنهم يحاسبون حسابا يسيرا وينقلبون إلى أهليهم في الجنة مسرورين ، وأن الذين أوتوا كتبهم وراء ظهورهم فسوف يدعون ثبورا ، ويصلون سعيرا ، يعني سبحانه بالسعير : النار التي يدخلها الكافرون ، والثبور فتفسيرها : الويل عندما يعاينون من الخزي الطويل - نعوذ با لله من عذابه ومعصيته ونسأله العون على العمل بما ينجو به من طاعته .

يقول ا لله سبحانه :﴿**إنه كان في أهله مسرورا**﴾ يعني : العاصي الذي أوتي كتابه

وراء ظهره قال الله سبحانه :﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ تفسيره ـ والله أعلم في يحور [إذ] [1] الحوران في اللسان العربي : الرجوع من الراجع بالدورة هو : أن الكافر ظن أن لن يرجع إلى ربه ، وقد أحياه ونشره كما وعده من القبور ، يقول الله سبحانه :﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾ يعني تبارك وتعالى بقوله :﴿بلى﴾ : أن الإنسان سيبعث حيا بعد التمزق والبلى ، والله سبحانه فهو البصير بالإنسان وغيره من خلقه المجازي للمطيعين والعاصين من عباده بعدل حكمه وحقه .

ثم قال سبحانه :﴿فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق﴾ فأقسم بهذه الأقسام لما فيها من عجيب آيات الله العظام ﴿والليل وما وسق﴾ وتفسير وسق فيه : هو كلما كفت الليل من الخلق عند وقوعه عليه ﴿والقمر إذا اتسق﴾ فاتساق القمر : هو تمام نوره ، وما يكون من استدارته واتساقه بعد ذهاب نوره في آخر الشهر وامتحاقه .

يقول سبحانه :﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ والطبق ـ والله أعلم ـ : هو ما ينتقل فيه بالبشر ، الحالات من الحياة الدنيا التي هم فيها ، ثم ما يصيرون إليه من الذهاب والممات ، ثم ما يصيرهم الله إليه من البعث والنشور بعد البلى في القبور.

قال الله تبارك وتعالى :﴿فما هم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ ثم أخبر سبحانه بالعلة التي أهلكوا بها فتركوا الإيمان ـ : أنها ما شقوا به من التكذيب ، وقلة الإيقان ، فقال الله تبارك وتعالى :﴿بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون﴾ يقول : الله ـ سبحانه ـ أعلم بما هم له يسرون .

ثم أخبر تعالى بجزائه لهم على تكذيبهم بالمعاقبة ، وقال لنبيئه :﴿فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ يخبر سبحانه أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من العذاب الأليم ناجون ، وأن لهم أجرا غير ممنون.

---

(١) ـ زيادة في المجموع المخطوط .

تفسير ﴿ويلٌ للمطففين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**ويل للمطففين**﴾ والمطففون : هم الذين لا يوفون / وينقصون عن الوفاء فيما يعطون ، والتطفيف : النقصان عن بلوغ ما يحمله المكيال والميزان ، والإيفاء : فإعطاء المكيال ما حمل ، وهو في الوزن شبيه بالرجحان .

والمطففون كما قال الله سبحانه :﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾ يقول تبارك وتعالى : إذا أخذوا من الناس واكتالوا عليهم ، والإكتيال : هو الإكتيال منهم ــ اجتهدوا في الحمل على المكيال لما حمل فاستوفوا ، فإذا كالوهم أو وزنوهم أخسروا ما أمكنهم وطففوا أمرا من الله بالوفاء ، ونهيا لكل كائل أو وازن أن يكون مخسرا مطففا ؛ إذ لا يحب ولا يرضى إلا العدل والوفاء ، وأن يكون كل امرء من الآخذين والمعطين لصاحبه منصفا ، وقد يكون ما نهى عنه سبحانه في هذه من الإخسار في الكيل والوزن والتطفيف ــ أمرا منه تعالى بالوفاء ، في كل ما يتعامل الناس به في الكيل والوزن وغيرهما ، وتعريفا لمن طفف وأخسر في كل ما أوجب الله فيه الإنصاف ـ من كل ما سخط من ذلك ، ويكون تحذيرا للعقاب بما ذكر من الويل لهم ، الذي هو ثقيل العذاب .

ثم قال سبحانه لهم مهددا ، ومحذرا ليوم البعث والدين متوعدا :﴿**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين**﴾ فأعلمهم سبحانه أنهم لو ظنوا ظنا ـ فضلا عن أن يكونوا موقنين ، فتوهموا أنهم مبعوثون ومعاقبون بظلمهم ، ومحاسبون ـ لما بخسوا ولا أخسروا ولا طففوا إذا ظنوا ، فضلا عن أن يوقنوا أن سيبعثون ، ويقومون لرب العالمين ، ويوقفون .

ثم أخبر تبارك وتعالى خبرا صادقا ، ونَبَّأَ عن عظيم ذلك اليوم نَبَأً محققا ، وأي يوم أعظم أو أهول أو أكبر من يوم بِعْثَةِ الله لهم من القبور !!ونشر عظامهم بعد إذ كانت رفاتا ! وقد مر عليها ما مر من الدهور ! مع ما هم يعاينون في ذلك اليوم من عظائم

الآيات والأمور ، وأي يوم أعظم من يوم عقاب الله فيه لعصاة خلقه بحريق النار ! وأي يوم أجل من يوم يثاب فيه من أطاع الله! بما تقصر عنه الأوهام !من الجنة ونعيمها ، الذي أعده لأهل الطاعة الأبرار.

ثم ذكر الفجار من أهل التطفيف والإخسار ، فأخبر أن كتابهم في سجين والسجين - والله أعلم - : مشتق من السجن ، والسجن : هو الحبس والإسار في أليم العقاب والنار ، فكتابهم في ذلك ، وحكم الله بجزائهم - الذي هو ما كتبه عليهم بسيئاتهم ، فهو في سجين ، ومصيرهم فإلى عذاب مهين ، وكتابهم - والله أعلم ﴿**المرقوم**﴾ : هو ما عند الله وفي علمه ، من حفظ كل ذي ذنب صغير أو كبير - ثابت معلوم .

ثم أعلم سبحانه في هذا القصص والنسق أن الويل للمكذبين ، وهم التاركون لإيفاء الحق ، وأنهم لم يبخسوا ويطففوا إلا لشكهم وتكذيبهم بيوم الدين ، الذي فيه يجازون ، إذا أقيموا لرب العالمين وأوقفوا وأن المكذبين بيوم الدين هم هؤلاء وأمثالهم من المتعذبين الآثمين فقال :﴿**وما يكذب به إلا كل معتد أثيم وإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**﴾ استراحة من المكذبين إلى ما ليس لهم فيه راحة ، من الشك والتكذيب بيوم الدين ، وغرورا منهم لأنفسهم بالنجاة من الجزاء والعذاب الأليم وقولهم من تكذيبهم إذا تليت عليهم آيات ربهم : أساطير الأولين.

ثم أخبر سبحانه أنهم عنه يومئذ لمحجوبون ، وحجابهم : منعهم من ثوابه وعطائه لأوليائه ؛ إذ لا يثابون ، وإذ هم مجازون بالعقوبة ؛ مبعدون عن رأفته ورحمته وسعة جوده يومئذ على أوليائه ، وما تضل فيه العقول من عظيم عطائه فهم عن ذلك كله محجوبون ومنه مع كرم الله وجوده يومئذ ممنوعون ، فهذا هو الحجاب عن الله بعينه في مفهوم اللسان ، بأوضح الإيضاح وأبين البيان ؛ لما منعوا من أشرف جود الله شرفا ، وأكبره قدرا ، وأعظمه عظيما - جاز أن يقال : إنهم محجوبون ، وفي ذلك ما تكون الوجوه الناظرة من الأبرار إلى ربها وثوابه ، وصدق ما وعدهم به من وعده ناظرون ولما بشرهم به ، ونبأهم من كريم الثواب والنعيم والجزاء منتظرون .

وفي ذلك اليوم ما يقال للمكذبين حين يبكتون عند دخولهم الجحيم ، التي بها يعذبون :﴿**هذا الذي كنتم به تكذبون**﴾ قال الله سبحانه في ذكرهم ، وذكر ماكانوا عليه من إثم فجورهم :﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون**﴾ والران على قلوبهم فهو ـ والله أعلم ـ : غرقها في الذنوب الذي يلزمها ما به وفيه من الله الجزاء بالخذلان ؛ لما يجتمع عليها أو يتراكب من الدنس بران العصيان ، الذي يصديها ويسترها ويكلّها ؛ فيؤثر فيها عن الذكر والتفكر في الآخذ بحظها ، من طاعة الله خالقها بالتقوى والخير .

ثم ذكر عز وجل الأبرار الموقنين ، الذين ليسوا بذوي تطفيف ولا إخسار، فقال سبحانه :﴿**كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون**﴾ والعليون ـ والله أعلم ـ : فهم العالون في الكتاب الأعلى المكرم والكتاب هاهنا ـ والعلم عند الله ـ : فهو ما كتب الله لهم من الثواب والنعيم في جنته ، وما علا به كل محسن منهم فصار كتابه في العليين ، بما قدم من بره وإحسانه.

ثم أخبر أن كتاب الأبرار الذي هو في عليين كتاب يشهده المقربون ، والمقربون ـ والله أعلم ـ : فهم الملائكة الأطيبون ، الذين هم على كرامة للأبرار شاهدون عليهم في دار الثواب ، من أبواب الجنة داخلون .

ثم أخبر سبحانه ببعض ما فيه الأبرار من النعيم فقال:﴿**إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نظرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك**﴾ والنضرة في الوجوه : فهو الإشراق والنضارة من ألوانها ، بالسرور والبهجة والإزدهار ، بما هي فيه من نعيم الجنة .

ثم ذكر تبارك وتعالى الرحيق الذي منه يسقون ، والرحيق : فاسم من أسماء الخمر الجيد ، كانت تسميها به العرب ، فسمى الله بها الخمر التي في الجنة فأخبر عن طيب ريح الرحيق ، وأن ختام ما بريحها يجدون ، وختام ريحها عند آخر شربها كريح المسك ، إذ هو أفضل الطيب الذي يعرفون .

ثم قال في نعيم الجنة مرغبا ، وعليه محرضا ، وإليه داعيا :﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون**﴾ والتنافس : التحاسد ، ولم يحسّن الله في شيء من أمور الدنيا كلها التحاسد ، وإنما حسن سبحانه التحاسد الذي هو التنافس في نعيم الجنة ، لعظم قدرها وجلالة فضلها ، فهنالك ما يحسن التحاسد لا في هذه الدنيا الفانية ، و التنافس عليها ، والتسابق في الأعمال الصالحة الموصلة إليها .

ثم ذكر سبحانه مزاج خمر الجنة من الماء ، فذكر أنه من عين يشرب بها المقربون سماها تسنيما وهذا اسم عال من الأسماء ، جعله الله مشرفا مكرما .

ثم رجع القصص في الخبر إلى ما كان عليه أهل الكفر في الدنيا ، من الإستهزاء والتغامز بالمؤمنين ﴿**إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء الضالون**﴾ والفاكهون : الضاحكون المتعجبون المستهزئون .

ثم ذكر أنهم كانوا يقولون في أقوالهم التي هم بها أهل الإيمان مؤذون ﴿**إن هؤلاء الضالون**﴾ يقول الله سبحانه :﴿**وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين أمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون**﴾ يعني - والله أعلم - : أن الكفار لم يرسلوا حفظة على المؤمنين الأبرار .

ثم أخبر سبحانه عن اشتفاء نفوس المؤمنين ؛ إذ هم على الأرائك ينظرون إلى عقوبة الله لأعدائهم من الكافرين ، فقال تبارك وتعالى لأهل الإيمان والطاعة له والإيقان : ﴿**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**﴾ تعريفا للمؤمنين عند سرورهم ضاحكين بما أخبر الله به من المعاقبة لأعدائهم من الكافرين ، فقال لهم معرفا بنعمته عليهم في شفاء غيظهم ونفوسهم ، بمعاقبة من كان في الدنيا يغمزهم ويستخف بهم :﴿**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**﴾ مسألة تعريف من الله للمؤمنين وبشرى ، لا مسألة شك ولا امتراء أي قد ثوب الكفار إذ عذبوا بعذاب النار ، ثواب نقمة فيما كانوا يلقون الأبرار ، والحمد لله رب العالمين الذي لا يرضى بتطفيف المطففين ، ولا إخسار المخسرين ، الحكم العدل على المؤمنين والكافرين ونعوذ بالله من غضبه ، ونستجيره

من أليم عذابه ، ونستعينه على الإئتمار بأمره ، ونسأله السلامة من عصيانه وكفره ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عليه توكلنا وهو رب العرش الكريم .

تفسير ﴿إذا السماء انفطرت﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت**﴾ فانفطار السماء : انصداعها وانفتاقها وذلك فهو : توهينها وانشقاقها ، وانفطار السماء - والله أعلم - : فمن زلازل القيامة وزعازع الرجفة ، وهذه الدكة عند ما يكون في الصور من النفخة ، التي صعق بها وبما يكون من شدة هدتها من في السموات والأرض إلا من شاء الله ، وحينئذ تنتثر الكواكب وتفجر البحار ، وتبعثر القبور بجميع رميم العظام ، فهذا هو اليوم الأكبر الذي لا كالأيام . وتفجير البحور - والله أعلم - : حين ترج الأرض رجا ، والرج للأرض : هو الزعزعة والتحريك الذي تضطرب به منها الأرجاء ، فحينئذ تتفجر منها البحار ، ولا يكون لها ثبات ولا قرار وحينئذ تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت من أعمالها .

و﴿**ما قدمت**﴾ - والله أعلم - : فهو ما قدمت قبل موتها من حسناتها وصالح أفعالها ، و﴿**ما أخرت**﴾ - والعلم عند الله - : فهو توانت عنه وأخرت من طاعة ربها حتى فاتها بتقديمها بين أيديها قبل فنائها بالموت وانقلابها ؛ فخلفته وانقطعت الحياة ولا رجوع لها إليه . وما قدمته النفس فهو : ما قدمه كل امرء من خير أو شر ، قبل انقطاع حياته وهجوم الموت عليه .

ثم قال سبحانه للإنسان واعظا ومذكرا لما هو عليه من الغفلة عن ذكر ربه ؛ إذ كان به مغترا :﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين**﴾ يعني سبحانه بقوله :﴿**ما غرك بربك**﴾ أي : ما الذي غرك بربك الكريم

؟! وكذلك هو الكريم الذي جل في الكرم عن كل كريم ، والحليم الذي جاز حلمه حلم كل حليم ، ولي ما بالإنسان من جميع النعم والإحسان ، المحتمل له مع فرط الغفلة والعصيان ، وطول تماديه فيما هو عليه من السهو عن ذكره والنسيان ، وهو ربه وخالقه ومليكه ورازقه ، وهو كما قال سبحانه : الذي خلقه فسواه فعدله ، في أي صورة ما شاء ركبه ، وكما أراد هيّأه ومثّله ، فأي تعديل سبحانه عدل الإنسان مصورا مسوّيا ؟! وأي تركيب ركبه ! وتوصيل وصل أعضاءه مهيأ فوضع كل عضو من أعضائه في موضعه ! وهيأه معتدلا في موقعه .

ثم أخبر أن الناس في غفلتهم عن ذكر خالقهم وربهم وتماديهم لنسيانه فيما يرتكبون من ذنوبهم إنما أُتُوا في ذلك من تكذيبهم بيوم الدين وهو يوم الجزاء والديانة بالأعمال لجميع العالمين ، فأعلمهم سبحانه أن عليهم شهودا حافظين كراما كاتبين يعلمون ما يفعلون ، فهؤلاء الحافظون فهم الملائكة المقربون ، وما يكتبون فهو حفظهم لما يعلمون من الحسنات ، وعلمهم الذي ليس فيه نسيان لما يحصون عليهم من جميع السيئات ، إذ أحفظ الحفظ عند الإنسان هو الكتاب ، و الكتاب هو الثابت من الحفظ الذي لا يدخله وهم ولاشك ولا ارتياب ، فمن أحفظ أو أحصى أو أي شهود أعدل علينا شهادة أوأرضى ، من ملائكة الله المقربين !! وأمنائه الأطيبين الذين لا ينسون من أفعال الناس التي أمروا بحفظها شيئا صغيرا ولا كبيرا ، ولا يزيدون فيها ولا ينقصون قليلا ولا كثيرا ، هم أعدل عدلا ، وأصدق صدقا ، وأفضل فضلا من أن يتقولوا قليلا أو كثيرا باطلا ، فقد يمكن ـ والله أعلم ـ أن يكون حفظهم لأعمال البشر من الخير والشر ، وهم في محل كرامتهم من السموات لما أعطاهم الله من فضل القوى على كل الخلق في جميع الحالات ، فيعلمون بتقوية الله لهم وما أعطاهم من فضل القوة في الإدراك ما يأتي الناس به من الإساءة والإحسان ، ويحفظون حفظا هو الكتاب الذي لا يدرس ولايذوى ولا يتغير بما يكون منه من الطاعة والعصيان ؛ لأن من عقل وفهم يعلم أن الملائكة في البنية والقوة والإحتمال على خلاف ما عليه الإنسان ؛ لأن الملك روحاني لطيف قوي ، والإنسان جسماني ضعيف جسدي ، ومركب من طبائع مختلفة ، و الملك مخلوق من طبيعة واحدة لطيفة

ليس في خلقه تضاد بتركيب من الطبائع المختلفات ، ولا يشبه الإنسان في جميع الصفات ، وكذلك الملك في فضله وما ذكرنا من وصفه هذا كله فيصغر وتقل صفته عند جلال الله وخلوص وحدانيته ؛ لأن الملائكة بعضهم ببعض محيطون ، وبعضهم لبعض مدركون ، ولهم مناه وحدود فهم محدودون ، والله سبحانه ليس بذي حد ولا أجزاء ولا أركان ، ولا يحيط به تعالى ملك ولا بشر ولا جان ، وإذا كان البشر لا يدركون الملائكة بمعاينة وهم خلق مثلهم ، فالملائكة في العجز عن إدراك الله كهم ولا يدركه سبحانه أبدا مخلوق ، وإن كانت بين خلقه في قواهم وبينهم كلهم فروق فالله سبحانه محتجب عن جميع خلقه ، لا يرى في هذه الدار ، ولا في الدار الأخرى لعجز بنيتهم كلهم عن إدراكه بلا شك ولا امتراء بلا حجاب مستور من ظلام ولا نور .

ألا ترى أنا معشر بني آدم محجوبون عن المشي على الماء حجاب عجز قوة بنية لا سترة عنه ولا غطاء وكذلك حجب الإنسان لعجز بنيته عن الثبات في الجو والطيران وكذلك حجبت الجن والملائكة عن أن يخلقوا ويصوروا إذ لم يعطوا القوة على ذلك فيقدروا ، والله سبحانه لا يراه ملك ولا بشر ولا جان بوهم ولا فكرة ولا عيان ودرك أهل السماء والأرض له درك إيقان وعلم بربوبيته تبارك وتعالى وإيمان ، غير أن الملائكة لله سبحانه أيقن يقينا وأشد اتصالا وأعرف معرفة ، وأثبت إيمانا ، وأقرب إلى العلم إفهاما من جميع الناس لما يدخل على الإنسان وهن الفهم والإلتباس .

وبعد فنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفا من تفسير هذه السورة ، وإلى ما ذكر الله فيها سبحانه من نعيم أوليائه البررة قال الله تبارك وتعالى :﴿**إن الأبرار لفي نعيم**﴾ والنعيم : فهو ما هم فيه من التنعيم بالعيش اللين الناعم الكريم ﴿**وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين**﴾ والجحيم : فهي النار التي يصلونها يوم الدين ، والصلال في اللسان العربي هاهنا : فهو الكي بالنار والشواء .

ثم أخبر سبحانه عن الفريقين جميعا خبرا في التخليد لهم فيما هم فيه صادقا قاطعا فقال :﴿**وما هم عنها بغائبين**﴾ وفي قوله :﴿**وما هم عنها بغائبين**﴾ يثبت أنهم جميعا

لما هم فيه غير فاقدين ، المؤمنون غير مقطوع عنهم ما هم فيه من النعيم ، والكافرون فغير مفارقين أبدا لما هم فيه من العذاب الأليم ؛ لأنهم لو فقدوه طرفة عين كانوا عنه غائبين ، وخبر الله في أنهم [عنه] غير غائبين خبر صدق وحق ويقين ، يقول الله سبحانه على عظيم يوم الدين دالا موقفا ، ولكبر أمره معرفا :﴿**وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**﴾ وقد قلنا قبل هذا : إن الله سبحانه إذ قال لنبيئه مع ما جعل له من قوة العلم في أمره في شيء يخبره عنه : **وما أدراك ماكذا** ؟ ! فإنما يدله على كبره ، وقد لا يكتفي بذكر ما أدراك مرة واحدة حتى قال ذلك مؤكدا ،ومكررا ومرددا ثانية :﴿**ثم ما أدراك ما يوم الدين**﴾ تنبيها منه جل جلاله على فهم ذلك اليوم وماله من الكبر والعظم ؛ لأن الله العظيم الجليل الأعظم لا يستعظم إلا عظيما ، ولا يذكر بالكبر والتكبير إلا كبيرا ، ومتى ما قال تبارك وتعالى : **وما أدراك ...ثم ماأدراك** ، فهذا فهو في غاية التوكيد والإفهام لنبيه على ما ينبغي من الإكبار ليوم الدين والإعظام .

وكذلك إذا قال الله سبحانه لنبيئه عليه السلام : **وما أدراك .. ثم ما أدراك** في شيء من عجيب آياته وأمره ؛ فليعلم من سمع ذلك حيث كان من القرآن أنه لعظم المذكور وكبره وقدره .

يقول الله سبحانه وهو يخبر عن هذا اليوم الأكبر المذكور الأعظم :﴿**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾ وهذا اليوم [هو اليوم] الذي الأمر فيه والملك لله وحده لا ينفع فيه ولد والدا ، ولا والد ولدا فنستعين بالله على أخذ العدة له من طاعته ، والتزود إليه خير الزاد من تقواه وخشيته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ونستغفر الله الرحمن الرحيم .

تفسير إذا الشمس كورت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا الشمس كورت﴾ فتكويرها - وا لله أعلم - طرحها وتهويرها [(١)] والتكوير : الطرح السريع للشي إذا طرح ، فجاء لشدة طرحه متكورا بعضه على بعض إذا طرح.

﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ وانكدار النجوم - وا لله أعلم - فهو تتابعها سريعا بعضها في إثر بعض ، منتثرة إذا انحدرت ، وذلك حين تتابع يوم القيامة منحدرة وتتكور يومئذ منتثرة .

﴿وإذا الجبال سيرت﴾ وتسيير الجبال يومئذ - والعلم عند ا لله - فهو إذا حلّها ا لله فلانت وعادت كثيبا مهيلا ، ثم هباء منبثا فسارت - وا لله أعلم سبحانه الذي تولى عقد الجبال وغيرها من الأشياء كلها وهو ا لله العالم بنقضها إذا أراد ذلك وحلها .

يقول ا لله تعالى في هذه السورة للعرب وهو يخبرهم عن ذهول الناس يومئذ عما يحبون مما ينزل بهم من فادح الكرب ﴿وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت﴾ والعشار : حوامل النوق من الإبل ، وهي أنفس ما كان للعرب عندها من الأموال ، التي لم يكونوا في الدنيا لعجبهم بها يصيرون لها إلى إغفال فلعظم ما ينزل بهم ويعتريهم يومئذ من فادح الأهوال على ذلك عطلوا من العشار أنفس أموالهم ، وأعزها عليهم ، وأثرها عندهم وأحبها إليهم .

ويومئذ جمعت الوحوش وحشرت ، والحشر لها : الإجتماع منها بعضها إلى بعض إذا عاينت ما يعاين ففزعت وذعرت ، ويومئذ تسجر البحار . وتسجيرها : تحريكها بالإستعار كما يضطرم بالسجر والتحريك مضطرم النار .

﴿وإذا النفوس زوجت﴾ تزويج النفوس - وا لله أعلم -: ضمها إلى الأبدان إذا

---

(١) - في الصحاح : هار الجرف يهور هورا ، وهؤورا فهو هار ، ويقال : جرف هار ، خفضوه في موضع الرفع ، وأرادوا هائر ، وهو مقلوب من الثلاثي إلى الرباعي ، وهو بمعنى : انهار ، أي انهدم ، ويقال : اهتور الشئ هلك .

نشرت .

﴿وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ الموؤدة : الأطفال التي كان أهل الجاهلية من العرب يئدون من أولادهم ويقتلون ، فحينئذ يسألون بأي ذنب كانوا يقتلون تبكيتا لآبائهم ، وتعريفا للآباء بذنوبهم في قتلهم ، وتوقيفا لهم على ظلمهم إياهم وتعنيفا .

﴿وإذا الصحف نشرت﴾ والصحف هاهنا ـ والله أعلم ـ : إحصاء الله للذنوب ، ونشر ما حفظت الحفظة على المذنبين ، وإعلان ما كانوا يسرون منها في الغيوب حين يعاين من قبائح الذنوب كل داهية فيصير مكتومها وخباياها مكشوفا علانية .

﴿وإذا السماء كشطت﴾ وكشطها : قلعها من موضعها إذا طويت .

﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ وتسعيرها : التهابها واضطرامها إذا أججت .

﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ ازلافها : إحضارها وتقريبها إذا قربت يقول الله سبحانه : ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ ما أحضرت ــ والله أعلم ــ : هو ما تعلمه النفوس يومئذ وتذكره من الذنوب بعد نسيان ويعلم منه ما أحضرت ومالها به من الثواب أو عليها فيه من العقاب بأيقن الإيقان إذا رأت ثواب حسنه ، والعقاب في سيئه بالعيان .

ثم قال سبحانه بعد هذا القصص من خبر يوم القيامة صادقا ، وللخبر اليقين بقسمه البر محققا وبعجيب آياته مقسما ، ولما هو عجيب منها في الحكمة معظما ، وبإقسامه به على عجيب ما فيه من آياته منبها :﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ والخنس ـ والله أعلم ـ : النجوم الخمسة [1] والقمر والشمس ، فمن النجوم الجارية وجريها تحريكها في الفلك بأنفسها ، وخنوس ما خنس منها رجوعها إذا بلغت الشمس إلى الدرجات التي خلقت من ورائها ، والخنوس في لسان العرب : الرجوع إلى وراء بعد السير قدما ، والخنوس ـ والعلم عند الله ـ الذي هو الرجوع بعد الإستقامة لا يذكر به شيء من النجوم إلا هذه الخمسة من زحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة فإن

---

(١) ـ زحل ، والمشتري ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة .

هذه الأنجم الخمسة قدر الله سيرها بالجري والإقبال ، حتى إذا جرت في المنازل والبروج حتى تكون في البروج الذي يواجه برج الشمس وكادت أن تجتمع هي والشمس رجعت متحيرة في سيرها خانسة بالجري والرجوع إلى ما خلفت من ورائها ، ولكل نجم منها درج معلومة إذا بلغها وقرب من الشمس رجع عند بلوغه لها عن الشمس متحيرا خانسا راجعا إلى ما خلفه مدبرا حتى يتغيب عن الشمس في الرجوع إلى ما وراءه من البروج وهذا المغيب عن الشمس ـ والله أعلم ـ فهو : الكنوس وكلما غاب من شيء وتنحى في اللسان العربي دعي كانسا ، تقديرا قدره الله فيها من أحكم التقدير ، وتدبيرا منه في سيرها دبره لعجيب من الأمور .

وقد يمكن ـ والله أعلم ـ أيضا أن يكون من الجوار الخنس الكنس ـ النجوم التي تغيب وتطلع بحساب الأوقات والأزمان ، وعلم الحر والبرد والأمطار .

ثم قال تعالى :﴿**والليل إذا عسعس**﴾ وعسعسة الليل : إدباره وتوليه عند آخره ﴿**والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم**﴾ وتنفسه : اعتراض الفجر بالضوء عند صدوع نوره ، وإقسامه بهذه الأقسام تنبيه منه تبارك وتعالى على أنها من آياته العظام ومخرج القسم عند قوله :﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ دلالة أيضا على ما لجبريل رسوله من الشرف والرفعة والتعظيم .

ثم قال تعالى :﴿**ذي قوة عند ذي العرش مكين**﴾ فأخبر عن قوة جبريل في بنيته وفضل ماله في الأمور التي قواه عليها من قوته ، وعن مكانه منه وكرمه لديه ومكنته .

ثم قال سبحانه لذكر فضل جبريل عليه السلام مثنيا ، وبمكانه منه وكرمه لديه وقدره عنده مخبرا : ﴿**مطاع ثم أمين**﴾ يعني سبحانه أن جبريل مطاع ثَمّ ، وثَمّ يعني بها السماء فهو ثم مطاع ، والملائكة له فذو استماع ، وهو هنالك الأمين ومجاب الدعوة عند الله يعطى ما سأل عند الله فهو الذي لا يخون لأمانته وصدقه وبره ومنزلته عند الله ومكانته ، وهو المجاب المطاع في دعوته .

ثم أتبع الثناء على جبريل بالثناء على الرسول صلى الله عليه وعلى آله فقال :﴿**وما صاحبكم بمجنون**﴾ لما كان المشركون ينسبون إليه من الجنون ﴿**ولقد رآه بالأفق**

المبين﴾ يعني سبحانه رؤية النبي لهذا الرسول الكريم ، وهو جبريل ذي القدرة عند الله العظيم ، إذ رأى النبي جبريل صلى الله عليهما بالأفق من السماء المبين .

﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ يعني - والله أعلم - بمتهم عند الله في سره المغيب بادعاء باطل ولا تكذيب .

ثم قال تعالى للمشركين مكذبا فيما كانوا يرمون به النبي عليه السلام ظلما وكذبا من الآخذ لما يقول عن الشياطين ، كما كان يفعل الكهان المبطلون :﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾.

ثم قال تبارك وتعالى :﴿فأين تذهبون﴾ يعني : فأين تذهبون باهتين ، كاذبين في إتباع ظنونكم حائرين ضالين .

ثم أخبر عن هذا الوحي الصادق ، والخبر عما نبأ به من أنباء يوم الحشر،وغيره من وحيه إلى رسوله ونبيئه فقال :﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ يعني سبحانه إن هو إلا تذكرة وتذكير للمتذكرين .

ثم قال سبحانه لا إله إلا هو:﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ فدل بقوله :﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ على أنه قد أعطى القدرة و الإستطاعة والقوة من أمره بالإستقامة من المطيعين ، ولو لم يكن أعطاهم المشيئة ، ووهب لهم بكرمه منها ما وهبهم وأعطاهم من العطية لما قال :﴿لمن شاء﴾ ولكان القول : إنما هو لمن شئت منكم أن يستقيم .

ثم قال سبحانه :﴿وما تشآؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ خبرا منه تعالى عن أنهم لا يطيعون من قبل أنفسهم ؛ فيشآؤن الطاعة فيكونوا لها مختارين ، إلا أن يشاء الله جبرهم على الإستقامة ؛ فيكونوا عليها مجبورين .

والحمد لله رب العالمين وأصدق الصادقين الذي يقول الحق ويحب المحقين ، وصلى الله على جبريل الأمين ذي القوة عند ذي العرش المكين ، وعلى محمد خاتم النبيئين وأهله الطاهرين ، ونستغفر الله [خير الغافرين] ونعوذ به في هذا التفسير وغيره من سخطه وخذلانه ، ونستعينه على فهم الحق والصدق بتوفيقه وتسديده وإلهامه وحسبنا الله ونعم الوكيل وهو رب العرش العظيم .

تفسير {عبس}

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابوعبدا لله محمد بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام : قوله عز وجل

﴿**عبس وتولى**﴾ معنى عبس : فهو قطّب وجهه ، وتولى : فهو أعرض وتكبر وقد يقال : العبوس والإعراض ، والتكبر ـ القلة منه ، والكبر ـ فقد يختلفان فما قل منه فصغير ، وما كبر منه فكبير ، وقد قال كثير من هذه العامة بما في أيديهم من الرواية : إن العابس ـ المتولي المذكور في هذه الآية المتصدي والتصدي : هو الإقبال والتأني لمن استغنى بالجدة والغنى ، والمتلهي عن من جاءه يسعى ويخشى ـ فهو رسول ا لله صلّى ا لله عليه وآله وسلم ، وزعموا أن ذلك كله فعل من رسول ا لله صلّى ا لله عليه وآله فعله وذمه ا لله منه ، وذكره ا لله بالتقبيح عنه ، وأن ابن أم مكتوم العامري جاءه وجاء معه إليه من ذكر ا لله غناه ؛ فعبس وتولى عن ابن أم مكتوم الأعمى وأقبل وتصدى لمن استغنى ، وما ذكر من هذا القول فلا يجوز على ا لله ، ولا على رسوله صلّى ا لله عليه وآله وسلم ؛ لأن ا لله تبارك وتعالى في كبريائه وجلاله لم يذم رسوله بعد إرساله في شيء من فعله ؛ لأن الذم لوم والملوم مذموم ، ورسول ا لله صلّى ا لله عليه وآله حميد غير مذموم ، وكريم عند ا لله سبحانه غير مليم .

وقد يمكن أن يكون العابس ـ الذي ذكره أنه عبس [illegible] ، عن من جاءه يسعى وهو يخشى ، والذي تصدى لمن استغنى ـ غير رسول ا لله صلّى ا لله عليه وآله [illegible] أن يكون ا لله سبحانه نزّل هذا ذما له ولغيره والتذكرة فيه فقال سبحانه ﴿**عبس**﴾ لعابس سوى رسول ا لله عبس وتولى ، ممن كان مع رسول ا لله صلّى ا لله عليه وآله أو ممن سلف من الأمم وخلا ، فعبس في وجه أعمى جاء للهدى مبتغيا ، وتصدى لمن كان بالجدة مستغنيا .

وأما قوله :﴿**وما يدريك لعله يزكى**﴾ فليس فيها نفسها دليل على أن رسول ا لله صلّى ا لله عليه وآله هو المذكور في الآيات والمذموم بها ؛ لأنه قد يجوز أن يقول :

﴿**وما يدريك**﴾ له وهو يريد بها غيره معه كما قال سبحانه له ولغيره معه :﴿**وما يدريك لعل الساعة قريب**﴾ وكقوله سبحانه :﴿**القارعة ما القارعة [وما أدراك ما القارعة]**﴾ وقال سبحانه ﴿**وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية**﴾ فكان ذلك له صلّى الله عليه وآله ولغيره من أهل دينه ، وغير أهل دينه .

وإن يك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، وعلى طِلاَبِ المعنى بذلك ، فإنما كان ذلك منه لعلمه وخطره وطلبه ما هو أصلح وأعز في دين الله وأرجح من إجابة الأغنياء والأصحاء والأقوياء لا على ميل ولا حيف لقوي على مستضعف ، ولا لغني على فقير ، ولا لكبير على صغير ، و الحمد لله ولي كل نعمة وإحسان ، وبا لله نعوذ من كل حيرة وخذلان .

ومعنى ﴿**قتل الإنسان ما أكفره**﴾ أي [1] لعن الإنسان ما أقل شكره ، وكذلك كل من كفر بآيات الله ، ولم يصر فيما أمر به إلى مرضاة الله ، فمن كان كذلك أو عمل بذلك فهو من الكافرين غير الشاكرين ؛ لما أولاه ووهب له من النعم وأعطاه في مبتدى خلقه حين أنشئ من نطفة من ماء مهين وحفظ من الرحم في مستقره فأتم تقديره وحسن تصويره ، ثم يسره للسبيل الذي هو مخرجه من بطن أمه ، بعد كماله في لحمه وعظمه .

ومعنى قوله سبحانه ﴿**وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم**﴾ فقال: الفاكهة هي الكثيرة ، التي جعلها الله متاعا للناس ومأكلة ، والأب : فهو العشب والمرعى الذي جعله الله مرعى ومرتعا للأنعام ، ومَهْمَلاً للإبل ، وإنما سمي المرعى بذلك ؛ لذهابه وقلة بقائه وثباته ، ولذلك قيل فيما ذهب من الأشياء ذهابا : ذهب كذا وكذا تبابا ، فالأب : ما ذهب من النبات والبقول ، كذلك يذهب إذا صافت فلا يبقى، وما سواها من المراتع يكون في الصيف وتبقى ، فجعل الله ذلك بينها وبين الأب بيانا وفرقا .

---

(١) - من هنا إلى آخر الموجود من التفسير لهذه السورة موجود للإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في التفسير المخطوط المجموع للأئمة ص ٢٧٠ .

انتهى الموجود من تفسير هذه السورة لمحمد بن القاسم عليهما السلام وا لله أعلم

سورة {النازعات}

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والنازعات غرقا﴾ *قال أبو عبد ا لله محمد بن القاسم عليهما السلام* : النازعات فيما أرى - وا لله أعلم - فهن : السحاب المنتزعات لماء الأمطار من البحار والأنهار [١] ومما في الأرض من الندوة والبخار وهن أيضا ﴿الناشطات﴾ في نزعهن ﴿نشطا﴾ والنشط والإغراق : هو القوة في النزع والصب ﴿والسابحات﴾ هن : السحاب في الهواء ﴿سبحا﴾ كما يسبح في الماء من كان سابحا ، يمينا ويسارا وإقبالا وإدبارا .

﴿فالسابقات سبقا﴾ وهن أيضا : السابقات بالمطر والغيب برحمة ا لله وفضله ، غير مسبوقات بإمساك ا لله المطر لو أمسكه عن الأرض وأهلها .

وقد تكون **السابقات سبقا** هي : البرق ؛ لأن البرق هو أسرع شيء خفقا ، وأحثه اختطافا وسبقا .

﴿فالمدبرات أمرا﴾ والسحائب أيضا فهن : المدبرات بما جعل ا لله من الغيث فيهن للشجر والأثمار والنبات ، وفيما ذكرنا من هذا أعجب عجيب ، لكل ذي حكمه ونظر مصيب [٢].

---

(١) - في الأصل وهو النسخة (ا) ورد هذا اللفظ قبل تفسير سورة النازعات ، في آخر التفسير الموجود من عبس وليس محله هنالك ، وفي الغالب أنه حاشية ، وقد نقلناه هنا ، وهو :(ونقل المسعودي رحمه ا لله في تاريخه كتاب مروج الذهب : أنه شاهد في بعض البحار أن السحب تقل الماء من البحر ، أو نقل له ذلك وهو يقوي تفسير محمد بن القاسم عليهما السلام).

(٢) - هذا التفسير طال ما سمعنا من الكثير نفي صحة هذه الظاهرة التي خلقها ا لله سبحانه وجعلها أحد الأسباب في نزول المطر وتكونه وهو الذي أثبته العلم الحديث ، وهو موجود عند أئمتنا عليهم السلام من قبل أكثر من ألف عام مضى وهذا يدل على مدى العلم والمعرفة والتوسع في المدارك الذي وصل إليه علماء وأئمة أهل البيت عليهم السلام فعلى الذين لا يزالون ينكرون هذه الحقيقة التثبت من دعاويهم التي لا تنفد خاصة والإمام القاسم بن إبراهيم عليه

إلى هنا انتهى الموجود من تفسيره عليه السلام ، وقد سقط من عبس والنازعات شيء [منع] عن استمرار ذلك في التفسير عن أبي عبد الله عليه السلام ، فجمعنا ما أدركنا من كلامه في ذلك فإن وجد ذلك يوما ما فهذا موضعه ، والله المستعان ، ولما لم نجد ما سقط في هاتين السورتين من تفسير أبي عبدالله عليه السلام أحببت أن أنقل في تفسيرهما ماروراه هو عليه السلام عن أبيه العالم القاسم بن إبراهيم عليهما السلام فنقول وبالله التوفيق :

تفسير ﴿عبس﴾
للقاسم بن إبراهيم عليهما السلام

قال ابوعبدالله عليه السلام : سألت أبي القاسم بن إبراهيم عليهما السلام عن معنى قوله تعالى :

﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**﴾ ؟ فقال عليه السلام : هذا تأديب من الله تبارك وتعالى لرسوله أن لا يعبس في وجه الأعمى ، الذي يأتيه يطلب منه الإسترشاد والهدى والأعمى هاهنا : عمى القلب وقيل في ذلك : إن الأعمى أعمى البصر قالوا : هو ابن أم مكتوم ، أتى النبي يطلب منه الهدى فأعرض عنه ، *وليس ذلك كذلك.*

ومعنى ﴿**عبس**﴾ هو : عبس وتولى بكليته ﴿**أن جاءه الأعمى**﴾ في معنى : حين ﴿**وما يدريك لعله يزكى**﴾ هو : تعريف من الله أنه يعلم الغيب ، وأن الرسول لا يعلمه ، ومعنى ﴿**يزكى**﴾ هو : يتزكى .

﴿**أو يذكر فتنفعه الذكرى**﴾ معنى ﴿**أو يذكر**﴾ : يعرف فتنفعه المعرفة .

﴿**أما من استغنى فأنت له تصدى**﴾ هذا تأديب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم أن

السلام قد ذكر أن هذا التفسير مروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كما سيأتي إن شاء الله في تفسيره بعد هذا .

لا يجل من سمع بغناه ولو كان كافرا ، ولا يستحقر من سمع بفقره وإن كان مهتديا .

وقد يكون هو النبي صلّى الله عليه وآله وسلم نظرا لصلاح الأمة في الإقبال إلى من كان معه غنى وثقة بديانة الفقير ، واتكالا على صحته في الدين .

ومعنى ﴿**تصدى**﴾ : تقبل عليه .

﴿**وما عليك ألا يزكى**﴾ من جهة النظر ، وهذا ـ والله أعلم ـ ليس للرسول ولكنه مثل للتعريف والتأديب.

وفي البرهان للإمام أبي الفتح الديلمي عليه السلام ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**﴾ هو: ابن أم مكتوم وهو عبد الله بن زائدة من بني فهر ، وكان ضريرا أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يستقرئه وكان عنده أبو جهل بن هشام فعبس أبو جهل حين رأى الأعمى وعبس ، أي قطب وأعرض ﴿**أن جاءه الأعمى**﴾ يعني ابن أم مكتوم .انتهى

وقال الإمام الحسين بن القاسم عليهما السلام : هذا العابس بعض من كان يصحب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم من رؤساء المنافقين ، ومن ينظر بعين الجلالة وهو من الفاسقين ، فكتم الله اسمه ولم يجعله من المشهورين ، وجعل الخطاب لنبيئه صلّى الله عليه وآله وسلم والمعني سواه ، والعرب تستعمل ذلك على سبيل التعريض ، قال الشاعر :

وأريد قتلك لامحالة عنوة ولك السلامة أن تكون كذالك

وإنما عبس وتولى ﴿**أن جاءه الأعمى**﴾ ومعنى ﴿**أن جاءه**﴾ هو : إذ جاءه ، ولكن أن قامت مقام إذ

ومعنى ﴿**وما يدريك لعله يزكى**﴾ أي : ما يدريك لعله يتطهر من الذنوب .

ومعنى ﴿**أو يذكر**﴾ أي : يتذكر ويتبين في أموره ويتدبر ؛ لأنك لا تدري لعله يكون كذلك فلم تفعل ما فعلت في أموره من توليك عنه وإعراضك وأنت لا تأمن مما ذكرنا من ذلك ولكنك يا هذا المخاطب إنما تقبل على الغنى لمحبتك الحطام الذي يفنى

، ورغبتك وحبك لزهرة الدنيا ، وتدبر عن هذا لزهدك في الدلالة على الهدى . انتهى

رجعنا إلى تفسير الإمام القاسم [عليه السلام].

قال عليه السلام : ومعنى ﴿**وأما من جاءك يسعى**﴾ يبادر ﴿**وهو يخشى**﴾ يتخشع ﴿**فأنت عنه تلهى**﴾ تتشاغل .

﴿**كلا إنها تذكرة**﴾ معناه : نعم إنها تذكرة ، وكلا هاهنا بمعنى نعم ، وليست بمعنى (لا) [(١)] كغيرها ﴿**فمن شاء ذكره**﴾ معناه فمن شاء تَعَرُّفَه تفقه في معرفته على الإستطاعة التي ركبت ، وقد خص في ذلك خواص ، وشرح فيه شرح كثير يستغنى عنه .

﴿**في صحف**﴾ في كتب مبيّن ﴿**مكرمة**﴾ معظمة ﴿**مرفوعة**﴾ مصونة ﴿**مطهرة**﴾ منقاة من الدنس الذميم ، ومخصوصة بكل فضل كريم ﴿**بأيدي سفرة**﴾ الملائكة عليهم السلام ﴿**كرام**﴾ مكرمين ﴿**بررة**﴾ صادقة القول ﴿**قتل الإنسان ما أكفره**﴾ معناه : لعن الإنسان ما أشره ! والإنسان معناه : الناس ، يخص بذلك كل كافر كما قال ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾ ﴿**من أي شيء خلقه**﴾ معناه : على تقليل النطفة ، في معنى أنها لاشيء فصار منها شيء .

وقوله :﴿**من نطفة خلقه**﴾ تذكرة له ، وتوقيفا فيما من به من الحياة عليه ﴿**فقدره**﴾ معناه : فسواه وعدله ﴿**ثم السبيل يسره**﴾ معناه : الطريق الواضح سيره وعرفه ﴿**ثم أماته**﴾ حكم عليه بالموت غصبا﴿**فأقبره**﴾ دل على قبرانه في التراب ﴿**ثم إذا شاء أنشره**﴾ معناه : حتى إذا شاء بعثه ليوم نشوره ﴿**كلا لما يقض ما أمره**﴾ كلا في موضع نعم ، حتى يقضي ما أمره : أراد يحاسب على ما أمر به من الطاعة فيحاسب على ما فرط فيه ، ويجازى بالحسنة فيه على ما فعله ، وقد يخرج ذلك على معنى : لا ما قضى . معناه : ما فعل ما أمره ولكن قَصَّرَ فيه ، وهل يكون أحد إلا

---

(١) - في الأصل (وليست بمعنى نعم لا كغيرها) والمعنى غير واضح على هذا اللفظ ، فحذفنا نعم .

وهو مقصر .

رجع إلى التعريف والتذكرة ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه**﴾ إلى مأكله ﴿**إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا**﴾ معناه : أنزل الماء من السحاب ، وشق الأرض به وبالإغتصاص بشربه ﴿**فأنبتنا به حبا**﴾ حبا من الحبوب ﴿**وعنبا**﴾ من ألوان صنوف العنوب ﴿**وقضبا**﴾ من القضوب ﴿**وزيتونا**﴾ خاص زيتون الشام ؛ لما فيه من البركة يروى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ﴿**ونخلا**﴾ المثمر للتمر ، وهو هذا النخل ﴿**وحدائق**﴾ حوائط من كل الفواكه ﴿**غلبا**﴾ معناه : قوية تخرج من التراب على ثقله وتضعف نباته ، حتى تصير قوية ﴿**وفاكهة وأبا**﴾ الأب : الشجر هذا الثمام الذي ينبت في الأسناد والآكام [1] ألا ترى أنه يقول :﴿**متاعا لكم ولأنعامكم**﴾ الفاكهة لكم ، والمتاع والأب لكم لأنعامكم .

قلت : وفي هذه الآية الكريمة يقول *الهادي إلى الحق* عليه السلام : معنى ﴿**شققنا الأرض شقا**﴾ يريد: شققناها عن النبات الذي يخرج منها الحب والفواكه وغيرها وفلقناها فلقا ، و الأب : فهو الحشيش والعشب الذي تأكله الأنعام ، وينبت في الأودية والآكام ﴿**متاعا لكم ولأنعامكم**﴾ إلى انقضاء آجالها وآجالكم ، فرزقناكم فواكهها وحبا ، ورزقنا أنعامكم عظاها وأبا ، فكل ما خرج فقد سماه لأهله ، ومن يملكه رزقا فهو لمن أجاز الله له أكله وأحل له أخذه وأمره عليه بشكره فقال :﴿**كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ [2]وقال :﴿**يا أيها [الذين آمنوا]** [3] **كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾ وقال :﴿**فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون**﴾[4] فرزق ذو المن والسلطان والجبروت والبرهان كل عبد ما أحل له وأمره بأخذه ، فأما ما نهاه عن أكله وعذبه في قبضه فليس ذلك لعمرهم من رزقه ، وكيف يحوز رزقا

---

(١) ـ قال في الصحاح : الأكمة معروفة ، والجمع أكمات وأكم ،وجمع الأكم آكام ، مثل عنق وأعناق .

(٢) ـ البقرة : ٦٠

(٣) ـ البقرة : ١٧٢ ، ولفظ الأصل :(يا أيها الناس كلوا) ولا توجد آية بهذا اللفظ ، وما أثبتناه هو الصحيح .

(٤) ـ النحل : ١١٤ ، في الأصل (كلوا) بدون فاء ، ولا يوجد في القرآن مثل هذه الآية بدون فاء .

وقوتا به يعيشون وفيه يتقلبون ، وينهاهم عن أخذ ما أعطاهم وإليه ساقهم وهداهم فهذا والحمد لله ما لايغبى على من وهبه الله علما وفهما وتمييزا ولبا ، والحمد لله رب العالمين . انتهى

رجعنا إلى تفسير القاسم عليه السلام .

قوله تعالى :﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ المسمعة المصخة للأنفس من هولها ، وما يرى فيها من عظمها فتصخ لها النفوس ﴿يوم يفر المرء﴾ هو الإنسان ﴿من أخيه﴾ ﴿و﴾ من ﴿أمه﴾ معناه : والدته ﴿وأبيه﴾ الذي أولده ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وبنيه﴾ أولاده ﴿لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ يعني: لكل على قدر ما قدم وأسلف فيما غبر من الدهر ، ألا ترى ما فسره حين قال :﴿وجوه يومئذ﴾ معناه: وجوه ذلك اليوم وهو يوم القيامة ﴿مسفرة﴾ معناه : ناضرة مشرقة حسنة ، وهي وجوه المؤمنين ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ تبين لك في وجه المسفر كالضحك ولعله لا يضحك ، ويبين لك في وجه الكافر البكاء ولعله لا يبكي ، وبلى كم من باك ندامة ! وكم من ضاحك استبشارا بما بشر به من نعم الله التامة ! ومعنى ﴿مستبشرة﴾ متباشرة بما قد رأت من علامات الخير .

﴿ووجوه﴾ معناه : وجوه الكفرة ﴿يومئذ﴾ تقدم تفسيره ﴿عليها غبرة﴾ يعني : القتام يلحق وجوه الكفرة والإظلام ﴿ترهقها قترة﴾ تلحقها وتعلوها قترة ، والقترة فهي : الغبرة المقترة المهلكة الكريهة وهذا جرم ما يكون من الكسوف على الوجوه والظلمة .

ثم بين فقال :﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ الكفرة : فهم الكافرون لأنعم الله والجاحدون لربوبيته أيضا ؛ لأن الكفر كفران كفر نعمة وكفر جحدان ، وكل أولئك صائر إلى سخط في عذاب أليم ﴿الفجرة﴾ معناه : الفجرة في الدين وأهل الإطراح لحقوق رب العالمين ، والإفتتان فيما لا يحل لهم محارم خالق الخلق أجمعين ، وقد يكون الفجور الإرتكاب لأكبر الشرور ، من الفسق وأخبث الأخباث من الإتيان للذكران والإناث ، مما لم يأمر الله به ولم يسوغه في قرآنه ولم يثبته .

[تفسير سورة {النازعات}

للإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام]

وأما تفسيره عليه السلام من سورة والنازعات فقال رحمة الله عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه: ﴿**والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا**﴾ فقال عليه السلام: النازعات فيما أرى - والله أعلم -: فهن السحائب المنتزعات لماء الأمطار من البحار والأنهار، ومما في الأرض من الندوة والبخار، وكذلك صح في الروايات والأخبار.

معنى ﴿**غرقا**﴾ مغرقات لما أمطرن، وكذلك المغرق من كل شيء أيضا: الناهي فيه، تقول: أغرق في النزع، وهن ﴿**الناشطات**﴾ في نزعهن ﴿**نشطا**﴾ والنشط والإغراق: هو القوة في النزع والصب، ومما ينتزع من المنتزع صكا.

ومعنى تنشط الماء: فهو تحيده وتطلعه، ونشطا: مصدر كمصادر الكلام ﴿**والسابحات**﴾ هن: السحائب يسبحن في الهواء سَبْحاً، كما يسبح في الماء من كان سابحا يمينا ويسارا وإقبالا وإدبارا، كما أراد الله عز وجل وشاء.

﴿**سبحا**﴾ مصدر أيضا، وهن أيضا ﴿**السابقات**﴾ بالمطر والغيث برحمة الله وفضله غير مسبوقات بإمساك الله للمطر لو أمسكه عن الأرض وأهلها بعدله، وقد يكون السابقات هو: البرق؛ لأن البرق أسرع شيء خفقا، وأحثه اختطافا وسبقا والسحائب أيضا فهي ﴿**المدبرات**﴾ بما جعل الله من الغيب فيهن للشجر والثمار والنبات، وفيما ذكرنا من هذا أعجب عجيب لكل ذي حكمة ونظر مصيب.

قيل: والمعنى فيه: ﴿**المدبرات أمرا**﴾ الملائكة.

﴿**يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة**﴾ الراجفة: القيامة، سميت راجفة لهولها يقال: أنزل ببني فلان رجفة، والرادفة: مردفة بهول يتبع هؤلاء.

﴿**قلوب يومئذ**﴾ ذلك اليوم ﴿**واجفة**﴾ أراد مضطربة ﴿**أبصارها خاشعة**﴾ منكسة ﴿**يقولون أئنا لمردودون في الحافرة**﴾ أولئك الذين كانوا يقولون أراد يكذبون بالرد لهم لما في الحافرة ، هم الذين تخشع أبصارهم وتذل ، والحافرة : التي تحفر على السرائر وتظهرها ﴿**إذا كنا عظاما نخرة**﴾ تعجب منهم أنهم لا يرجعون إذا صاروا عظاما نخرة ، والنخرة : البالية الدامرة ثم قالوا:

﴿**تلك إذا كرة خاسرة**﴾ أرادوا : نطفة خاسرة ، رد الله تكذيب قولهم بقوله عز وجل :﴿**فإنما هي زجرة واحدة**﴾ تحقيقا أنها كانت مثل للزجرة ، الزجرة ــ والله أعلم ـ مثل مضروب للحياة بعد الموت كما يفزع النائم بالزجرة من الصوت .

﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾ المتعبة لمن هو فيها تقول : فلان ألحق بالساهرة ، أي لم يخبر به . انتهى الموجود من تفسيره عليه السلام .

[تفسير الأمام الحسين بن القاسم العياني لبقية سورة النازعات]

واعلم أنه لما ذكر الإمام الحسين بن القاسم العياني عليهما السلام أن تفسيره الذي وضعه في غريب القرآن مروي عن العالم نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم وأسباطه الأئمة عليهم السلام أحببت أن أتمم تفسير الباقي من هذه السورة منه فنقول وبالله نستعين : قال عليه السلام فيه :

قوله عز وجل ﴿**هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى**﴾ قال عليه السلام :﴿**هل**﴾ خبر من الله عز وجل ، ولفظه لفظ الإستفهام ومعناه التوقيف على الخبر والإفهام كأنه قال : قد أتاك خبر موسى .

ومعنى ﴿**إذ ناداه ربه**﴾ فكذلك يقول الله " ناداه ، وأنه أوجد كلاما به خاطبه وناجاه .

والواد المقدس : هو المكرم المنزه المعظم ، وهو طوى .

ثم قال :﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أي : جاوز قدره وعلا وطمى ، وخرج إلى الظلم والجهل والعمى فقال :﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ هل لك هو : ترغيب في الخير والهدى .

قال العالم (القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه) :

هل لك في الأكرومة البكر غراء لاتبلى على الدهر
هل لك في مثل مقام الأولى حموا حمى الله لدى بدر
هل لك في عزمة ذي نية أحكمها صاف من الفكر
هل لك في نهضة ذي صولة تزيده قدرا إلى قدر
هل لك في الجنة من حاجة فإنها أفضل ماذخر
هل لك في الرحمن من رغبة فأمره جار على الأمر
هل لك يامشغول من توبة قبل مجال النفس في الصدر
هل لك في رجعة ذي نية تقيك حر النار والجمر
هل لك في أمر إذا رمته أمنت هول البعث والحشر

ومعنى قوله ﴿إلى أن تزكى﴾ هو : الترغيب في التزكي والطهارة من قذر الدنيا وقبائح ما كان عليه من الكفر والردى .

ومعنى قوله :﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي : أدلك إلى ربك ، فيدخل في قلبك الخوف لسيدك .

﴿فأراه الآية الكبرى﴾ أي الدلالة العظمى ، ومعنى قوله :﴿فحشر فنادى﴾ أي جمع أصاحبه ثم نادى ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ والفاء بمنزلة ثم ، لأنهما من حروف النسق والعطف .

ومعنى قول فرعون اللعين :﴿أنا ربكم الأعلى﴾ يريد أنا سيدكم الشريف المرتفع في القدر والعلا ، والرب عند العرب : السيد قال الشاعر :

أم غاب ربك فاعترتك خصاصة فلعل ربك أن يؤوب مؤيدا

ومعنى قوله :﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ فالأخذ هو العذاب من الله عز وجل ، عذب عدوه عذاب الآخرة والدنيا .

﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ هي : الموعظة والتذكرة قال الشاعر :

في آل برمك عبرة وعجائب ومواعظ للعاقل المتزهد

ومعنى قوله عز وجل :﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها﴾ أي رفع محلها وموضعها ، والسمك : هو المحل المرتفع العالي قال الشاعر :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

معنى سمك السماء : أي رفعها ، وقال آخر :

وما إن بيتهم إن عد بيت وطال السمك وارتفع البناء

ومعنى ﴿فسواها﴾ أي عدل صورتها وهيأها .

ومعنى ﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾ فالإغطاش : هو الظلام ".

ومن غير تفسيره عليه السلام

قوله تعالى :﴿وأخرج ضحاها﴾ وضحاها : شمسها ﴿والأرض بعد ذلك﴾ بعد خلق السماء ﴿دحاها﴾ سطحها وأصلحها للسكون ، فلا يناقض قوله :﴿ثم استوى إلى السماء﴾ عقيب قوله :﴿هو الذي خلق الأرض في يومين﴾ أي : غير مدحوة قبل أن يخلق السماء ، ثم دحاها بعد أن اخلق السماء .

﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ ما ترعاه البهائم من الشجر والعشب .

عدنا إلى تفسير الإمام

قال عليه السلام : ومعنى قوله :﴿والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم﴾ هو أسكنها وأثبتها وأهدأها قال الشاعر :

ألقى مراسيه بتهلكة   ثبت رواسيها فما تجري

وفي هذا الكلام تقديم وتأخير ، والتنزيل قول الله عز وجل :﴿**أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم**﴾ فعل تمتيعا لكم ، والتأويل والمعنى : هو أخرج منها ماءها ومرعاها متاعا لكم والجبال أرساها ، ولكن لا يجوز أن يقرأ كتاب الله إلا على ما أنزل الله سبحانه وعز عن كل شأن شأنه لأنه لم يفعل ذلك إلا لأسباب من الصواب ، ولولا ذلك لبين جميع الكتاب .

ومعنى قوله عز وجل :﴿**فإذا جاءت الطامة الكبرى**﴾ يعني القيامة ، وإنما سميت طامة لعلوها ورفعتها وهولها عند وقعها ووثوبها بغتة وسرعتها ، وأصل الطم في الإرتفاع في الهواء سريعا سريعا معا معا قال الشاعر :

أتاكم طم فوق كل طم[1]   إذا العكاضى كثآفي اليم

﴿**يوم يتذكر الإنسان ما سعى**﴾ يريد : أنه يتذكر ما عمل في الدنيا ، وأصل السعي هو الجد والإجتهاد ، والإقبال والإدبار ، والتحدر والإصعاد ، قال سيد العابدين علي بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين :

فإن امرأ يسعى لدنياه جاهدا   ويذهل عن أخراه لاشك خاسر

ومعنى ﴿**وبرزت الجحيم لمن يرى**﴾ هو : أخرجت وأظهرت ، ومعنى ﴿**لمن يرى**﴾ هو : لمن يرى عز وجل ويعلم أنه يستحق العذاب .

ومعنى قوله :﴿**فأما من طغى**﴾ هو جاوز الحد في ظلم نفسه بكفر أو فسق ﴿**وآثر الحياة الدنيا**﴾ قدمها على الآخرة ﴿**فإن الجحيم هي المأوى**﴾ أي : المَنْزِل والمحل والمثوى ، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

---

(١) - في (ب) : إياكم الطم فوق كل طم   إذ العكاضى كثآفي اليم

قال الرازي : الطامة عند العرب الداهية التي لاتستطاع ، وفي اشتقاقها وجوه ، قال المبرد : أخذت فيما أحسب من قولهم طم الفرس طميما ، إذا استفرغ جهده في الجري (وهو الذي أراده هنا بالإسراع) وطم الماء : إذا ملأ النهر كله ... إلي قوله : وقال القفال : أصل الطم : الدفن والعلو ، وكل ماغلب شيئا وقهره وأخفاه فقد طمه ، ومنه الماء الطامي ، وهو الكثير الزائد ، والطاغي والعاتي سواء وهو الخارج عن أمر الله تعالى المتكبر ، فالطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ماقبلها في جنبها .

إني من الله له أرجو جنانا دائما مأواها

﴿**وأما من خاف مقام ربه**﴾ أي : موقفه الذي يقوم فيه العباد للحساب .

﴿**ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ أي : نهى نفسه عن إتباع الهوى فأما الهوى في نفسه فلا يقدر أحد على تركه ؛ لأن الهوى في ذاته إنما هو الشهوة والشهوة لا يقدر أحد على تركها وإنما يقدر على خلافها ، ويمكنه الإمتناع من طاعتها ، وهذا من الإختصار ، وهو كثير موجود في القرآن ، وهو عند أهله بيِّن غاية البيان ، فالحمد لله على ما علمنا من الفرقان ، ونسأله أن يزيدنا برحمته من البرهان .

﴿**يسألونك عن الساعة أيان مرساها**﴾ أي : متى حلولها وهجومها على البرية ونزولها ؟ وأيان في اللغة بمنزلة متى ؟ قال الشاعر :

أيان تدفع بالرماح عليهم يامال قبل منيتي وذهابي

ومعنى قوله :﴿**فيم أنت من ذكراها**﴾ يريد بذلك : التوقيف للناس على خوف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلم ، وما هو فيه من الفزع والحزن عند ذكره لها وعند ما يخطر على باله من هولها .

ومعنى ﴿**إلى ربك منتهاها**﴾ أي : عند ربك نهايتها ، ووقت هجومها ، وغاية ما يكون في آخر تلك الساعة ، ومصير الأبرار إلى سعادتها ، ومصير الفجار إلى أشقاها ونكدها ، والساعة في تلك الواقعة : التي يحكم الله فيها بين العباد ، ويصير كل إلى داره التي يستحق بعمله ، من الضلال والرشاد .

ومعنى قوله :﴿**إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها**﴾ يريد : كأنهم في ذلك اليوم لم يقيموا في الدنيا إلا عشية من عشاياها أوضحوه من ضحاها لقصر ما فات من الدنيا ، وكذلك الإنسان عند الموت والفناء كأنه لم يعمر ولم يخلق إلا في تلك الساعة التي يقبض فيها ويوثق ، ولكن هذه البرية أبت إلا العمى والتقصير ، عما أراد الله بها من إتباع الحكماء ، ومالوا إلى اللعب والجهل والردى ، وزهدوا في الحق والدين والهدى فزادهم الله تبابا وبعدا ، ولا وفقوا للخير أبدا . (انتهى والحمد لله رب العالمين وصلى على محمد وآله الطاهرين) .

[بعض ماورد في الإمام الهادي عليه السلام]

قال الإمام الأعظم المنصور بالله الحسن بن بدر الدين بن محمد بن أحمد بن يحي بن يحي سلام الله عليهم في كتابه أنوار اليقين ، وقد ذكر كلاما للهادي إلى الحق عليه السلام ما لفظه:

"مع أن يحي بن الحسين صلوات الله عليه جاءت الآثار بمدحه ، والتصريح بإمامته وحياة الدين على يديه ، كما روينا من قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلم (يكون في هذا النهج وأشار بيده إلى اليمن في آخر الزمان رجل من أهل بيتي اسمه يحي الهادي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحي الله به الحق ويميت به الباطل) إلى غير ذلك مما رويناه أولا فيه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ، حيث ذكرنا إمامته عليه السلام وقوله عندنا الحق ، وكلامه الصدق ، وهو أولى بالإتباع من غيره وأوثق ، وقد أخبر أنه مايقول إلا ما يرويه عن أجداده ، حتى يتصل بعلي أمير المؤمنين ، ثم بالنبي خير المرسلين ، ثم بالروح الأمين ، ثم برب العالمين ، وهذا إسناد لا يوجد مثله في العالمين" انتهى .

وقال فيه السيد إبراهيم بن محمد الوزير في بسامته رضوان الله عليه :

من خص بالجفر من أبناء فاطمة   وذي الفقار ومن أروى ظمى الفقر

سارت بمذهبه الركبان واشتملت   بقبره الناس مثل الحِجْرِ والحَجَـر

يتلوه تفسير الهادي إلى الحق عليه السلام كما كنا ذكرنا .

[مقدمة الإمام الهادي عليه السلام لتفسيره]

قال الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تراه عيون الناظرين ، ولا يقع عليه فكر المتفكرين ولا يستدل عليه أحد من المستدلين إلا بما دل به على نفسه ، وأوقفهم عليه سبحانه من صفته من أنه الفعال لما يريد من الأشياء ، وأنه المقتدر الفعال لما يشاء ، فدل على نفسه بما أظهر من فطرته ، وبين البراهين بذلك على ربوبيته ، فليس له حد ينال ولا مثل يضرب به له الأمثال ، دائم أحد حي فرد صمد عزيز قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم .

ونشهد أن لا إله إلا هو ، وأنه فطر السماء فبناها ، وسطح الأرض فدحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لخلقه ، ورحمة لعباده ، وأنه على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أرسله بالحق داعيا إلى الحق ، وشاهدا على الخلق ، فبلغ الرسائل الزاهرة ، وأبان الحجج الباهرة وسطع بالحق معلنا ، وجاهد المشركين معلما ، وأصلح الله في بلاده ، ونصح جاهدا لعباده ، صابرا مصطبرا جاهدا محتسبا ، حتى قبضه الله إليه وقد رضي عمله ، وتقبل سعيه وشكر فعله ، صلى الله عليه وعلى آله .

إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا إلى الأمة بكتاب ناطق ، وأمر صادق ، فيه شفاء للصدور ، وكمال الفرائض والأمور ، والهدى والتقوى ، والرجوع عن الردى والنجاة من المهالك ، والسبيل إلى أفضل المسالك ، ولا يظمأ من ورد شرائعه ولا يجوع من أكل سائغة ، ولا يصم من سمع واعظه ، ولا يعمى من أبصر سبيله ولا يضل من اتبع نوره ، ولا يغلط من استشهد ناطقه ، ولا يهلك من اتبع بيانه ولا يندم من استمسك بوثيق عروته ، ولا يفلج إلا من احتج بمحكم حججه .

نور ساطع ، وبرهان لامع ، وحق قاطع ، كتابا مفصلا ، ونورا وهدى ، قد ترجمه الرسول وأحكم فيه وثائق الأصول ، وفرع فروعه بأحسن القول ، فكان في حياته واضحا ، وكان به صلّى الله عليه وآله قائما ناصحا ، حتى صار إلى ربه وتركه من بعده في أمته ، استأمن عليه من أمته خلفاءه من بريته ، الذين اختارهم الله على علمه ، واصطفاهم له دون جميع خليقته ، عترة النبي ونسل الوصي وسلالة المصطفى الطاهر الزكي ، الطيب المرضي الذين مدحهم الله في كتابه ، وبين أبهم خيرته في قرآنه ، فقال في كتابه :**﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾**(١) ثم قال عز وجل :**﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** (٢).

ثم أمر العباد بطاعتهم فقال سبحانه :**﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**(٣) ثم أمر نبيئه صلّى الله عليه وآله بافتراض محبتهم ومودتهم على الخلق ؛ لما أراد من تثبيت ما أراد تثبيته فيهم من الحق ، فقال سبحانه لنبيئه أمرا منه له بذلك فقال :**﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾**(٤) فجعل مودتهم فرضا على الخلق من ربهم ، وحجة ودلالة منه على إمامتهم ، فجعل من كان من آل رسول الله منتضما لشروط الإمامة المعروفة التي قد ذكرناها وشرحناها ، ووضعناها

---

(١) - فاطر : ٣٢

(٢) - الأحزاب : ٣٣

(٣) - النساء : ٥٩

(٤) - الشورى : ٢٣

في أول كتاب الأحكام في الحلال والحرام إماما للأمة ، وعلما للمحجة ، ودليلا على أبواب النجاة ، وسببا إلى الجنان ، ووصلة بين العباد وبين الرحمن ، قلده علم كتابه وأمره بشرحه وبيانه ؛ ليبين بما يظهر فيه من حكمته ، ويلقيه في قلبه من معرفته ، ونطق به لسانه في تبيين حجته ، ويعتقد له بذلك في رقاب المؤمنين عهوده المؤكدات ، ويثبت في رقابهم له عقود الأمارات ، وليجعل ما يوفقه له ويكرمه به من تفهيمه إياه ، ويدله به عن علم غامض آياته المتشابهات ، ويوقفه عليه من فهم حكمه الذي قد بينه في الأمهات المحكمات ، دليلا على عقده له الإمامة على العالمين وإيجاب الطاعة له في رقاب المخلوقين .

ويكون ذلك حجة له على الخلق ، وعلامات ودليلا على ما أعطاه الله من الكرامات ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم**﴾ [(١)].

فرأينا عندما خصنا الله به وأعطانا ، وفضلنا به على أهل دهرنا وأولانا ، أن ننشر فضائل الحكمة التي أوليناها ، وأن نبين علامة الإمامة التي أعطيناها ، لنخلع الحجة من رقابنا ، ونثبتها لله على غيرنا ، بما يظهر مما أمرنا الله بإظهاره ، من شرح غامض الكتاب ، وتبيين تفسيره من كل الأسباب ، حتى نبين بذلك الحق المبين ونثبت فيه الصدق اليقين ، وننفي عنه تأويل الفاسقين ، ونميط عنه تفسير الجاهلين الذين حملوا تأويله على غير تنزيله ، وحكموا على محكمه بمتشابهه ، وردوا معاني الآيات المحكمات المبيَّنات من الآيات اللواتي هن الأمهات ، على معاني غيرهن من المتشابهات ، واستشهدوا المتشابه على المحكم ، فأهلكوا بذلك جميع الأمم ، شبهوا في تأويلهم وتفسيرهم ربهم بخلقه ، فأبطلوا ما نفاه من بعد الشبه لهم عن نفسه فمثلوه تمثيلا ، ونقلوه في الصور تنقيلا ، وجعلوه بذلك صورة مصورة محدودة عندهم غير مقدرة ، فعبدوا ما وصفوا ، ودانوا لهذه الصورة التي ذكروا ، فكانوا بالله غير عارفين ولا مقرين ولا مثبتين ، بل كانوا عنه عابدين ، وبه في كل الأمور

---

(١) ـ الأنفال : ٤٢

جاهلين ، فلما أن جهلوه لم يعبدوه ؛ لأنهم عبدوا مجعولا مقدرا ومعبودا عندهم مصورا .

والله فليس هو كذلك ؛ إذ المعبود الذي هو عندهم كذلك ، فكانت عبادتهم لغير الرحمن ، وطاعتهم لغير ذي الجلال والسلطان ، بل كانوا لله منكرين ، وبه غير مقرين .

فابتدأنا بشرح ما نريد بيانه ، من تفسير القرآن الذي نزله ذو القوة والبرهان ، من حيث أفضى إليه تفسير شيخينا رحمة الله عليهما ورضوانه ، **جدي وعمي** ، وهو من أول سورة ﴿**عم يتسآلون**﴾ وذلك أن **جدي** صلوات الله عليه بلغ من تفسيره إلى آخر ﴿**والشمس وضحاها**﴾ **ومحمد بن القاسم** عمي ، من عند ذلك إلى آخر ﴿**والنازعات**﴾ فرأينا البناء على أساسهما ، وإتمام ما قد كانا أملآه من شرح القرآن وتفسيره ، وبلوغ الغاية في شرح تأويله ، إن أخرني الله سبحانه لذلك وأمهلني وبلغني فيه أمنيتي ولم يمنعني ، من ابتدائه من أوله وتفسيره من أول حرف منه إلا التبارك بذكرهما ، والبناء على تفسيرهما ، صلة مني لهما بذلك ، وتقربا إلى الله بأن أكون كذلك ، لما لهما في ذلك من الأجر ، وما يكسبهما ذلك إن شاء الله من الفخر ، في الدنيا والآخرة والذكر ؛ لأن يشركهما الله عز وجل في صالح ما نضع من ذكر الحق ، ونبين من براهين الصدق ، التي نهدي بها المسلمين ، وننقذ بها جميع المخلوقين ، ممن يستحق من الله الهدى ، ويستوجب منه المعونة على التقوى .

فابتدأت من حيث بلغا مستعينا بالله ، متوكلا عليه ، سائلا له العون في كل أمر من هذا وغيره ، فنسأل الله أن يبلغنا في ذلك أملنا ، وأن يعظم عليه أجرنا ، وحسبي الله فنعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير .

تفسير ﴿عم يتسآلون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عليه السلام : معنى ﴿**بسم الله**﴾ وتأويلها ، أي ببسم الله يبتدأ كل شيء وهو المذكور قبل كل شيء ، ومعنى ﴿**الله**﴾ فهو : الإله الواحد ، الذي لا إله معه ومعنى ﴿**الرحمن**﴾ فهو : المتعطف على الإنسان ، العائد عليهم بالعفو والإحسان المتفضل عليهم بالبر والإمتنان ، الرازق لهم على كل حال كانوا فيه ، من هدى أو ضلال .

﴿**الرحيم**﴾ فهو البر الرفيق المنقذ لهم بالدلالة على ما فيه نجاتهم ، الدال لهم على ما فيه صلاحهم ، المحذر لهم طريق التهلكة ، المجنب لهم عن سبيل الهلكة ، السالك بهم أبواب الكرامة والرحمة ، الداعي لهم إلى ما فيه السلامة والنعمة.

قال الله سبحانه :﴿**عم يتسآلون**﴾ قال :﴿**عم**﴾ يريد عن ما ، فأذهب النون إدغاما في الميم لتقارب مخرجهما ، وكذلك تفعل العرب بما كان كذلك ، تطرح الألف التي مع الميم استخفافا لها ، والعرب تفعل ذلك بالألف تطرحها وهي تريدها وتثبتها وهي لا تريدها ، وكذلك تفعل بلا كما هي ، قال الله سبحانه في طرح الألف وهو يريدها ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾ وإنما معناه : ألا أقسم بيوم القيامة فطرحها وهو يريدها ، فخرج معنى الكلام معنى نفي ، وإنما معناه معنى إيجاب .

وكذلك قال الله سبحانه :﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾ فطرح الألف استخفافا لها وإنما معناها : ألا أقسم بهذا البلد .

وقال سبحانه في موضع آخر أخر أثبتها فيه وهو لا يريدها :﴿**وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون**﴾ [1] فخرج معنى اللفظ معنى شك ، حين يثبت الألف ، وإنما معنى

---

(١) ـ الصافات : ١٤٧

الآية وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، فأثبت الألف لغير معنى استخفافا لها ؛ لأن العرب تفعل ذلك ، وهي لغتها ، وإنما خاطبهم الله عز وجل بلغتهم .

وكذلك قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه في طرح الألف واللام معا من الموضع الذي لابد منهما فيه فيما ذكر من فدية الصيام :﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين**﴾ [1] فقال :﴿**على الذين يطيقونه**﴾ فخرج اللفظ لفظ يوجب الفدية على من أطاق الصيام ، وإنما المعنى : وعلى الذين لا يطيقون فدية طعام مساكين ، فجعل على من لا يطيق الصيام ـ من الشيخ الكبير الفاني ، والعجوز الكبيرة الفانية اللذين لا يطيقان الصيام ولا يَرْجُوَان تجديد قوة ؛ لما قد زال عنهما من القوة بدخول الهرم والذهاب ، وزوال الشدة والشباب ـ الصدقةَ على مساكين بدل كل يوم حتى ينقضي شهر الصوم ، فيكون كل واحد منهما يتصدق على ثلاثين مسكينا بدل الثلاثين يوما .

ه مقدار ما يتصدق به فهو : مُدًّا بُرٍّ على كل مسكين عن كل يوم ، أو غير البر مما يأكل أهل تلك الفدية ، فقال سبحانه :﴿**وعلى الذين يطيقونه**﴾ وإنما يريد : وعلى الذين لا يطيقونه ، فطرحها وهي أصلية في المعنى ؛ لأنها لغة العرب ، وبلغتهم خاطبهم الله سبحانه .

وكذلك أثبتها في موضع ولم يردها ، ولا أصل لها في المعنى ، وإنما جاءت ظاهرة في اللفظ ، وذلك قول الله سبحانه :﴿**لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله**﴾ [2] فقال :﴿**لئلا يعلم**﴾ فخرج معنى اللفظ معنى نفي ، وإنما معناه معنى إيجاب ، أراد الله سبحانه لأن يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله ، فأثبتها وهو لا يريدها ، فخالف اللفظ المعنى ، عند من لا يعرف تفسيرها ، ولا يقف على معانيها .

---

(١) ـ البقرة : ٢٩

(٢) ـ الحديد : ٢٩

وفي الدليل ـ على أن هذا الفعل لغة من لغات العرب ، أفصح لغاتها عندها وأثبتها في ألسنتها ـ قولُ شاعر من شعرائهم :

بيوم جدود لافضحتم أباكم   وسالمتم والخيل يدمى شكيمها

فقال : لا فضحتم أباكم ، فأثبت فيها لا ، وليس يريدها ، ولا لها معنى ، وإنما معناها : بيوم جدود فضحتم أباكم .

وقال آخر من شعراء العرب في طرحها وهو يريدها :

نزلتم منزل الأضياف منا   فعجلنا القرى أن تشتمونا

فطرح لا كما طرح اللام فخرج معنى الكلام معنى إيجاب ، وإنما معناه معنى نفي أراد لئلا تشتمونا ، وطرح لا وهو يريدها ، فعلى ذلك يخرج معنى قوله سبحانه : **﴿عم يتسآلون﴾** فطرح النون من عم لما ذكرنا من الحجة فيها أَوَّلاً ، وطرح الألف من ما لما ذكرنا من استخفاف العرب لها ، واستعمال ذلك في لغتها فبقيت **﴿عمَّ يتسآلون﴾** مشددة ، شددت لإدغام النون في الميم .

والمعنى فيها عن مايتسآلون غير أن اللغه والإعراب حذف منها الحرفين النون والألف ، يريد تبارك وتعالى بقوله :**﴿عم يتسآلون﴾** أي :عم يستخبرون ويتذاكرون ويترادون ويسألون ، توقيفا لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله على ما يفعلون ، وعلى ما فيه يترادون .

ثم قال سبحانه :﴿عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون﴾ فأخبره صلّى الله عليه وآله أن الذي كانوا عنه يتسآلون ، وفي أمره يترادون ـ هو النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ، والنبأ هاهنا الذي هم فيه يختلفون فهو : ما كان ينبئهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ويعلمهم به من بعثرة القبور ، ومن النفخ في الصور ومن حشر العباد ، وتبديل الأرض والبلاد والحساب ، والعقاب والمناقشة والثواب فكانوا في ذلك يختلفون ، ومعنى يختلفون أي : تختلف أقاويلهم في التكذيب به وتصنيف معاني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فيه ، فكانت طائفة تقول : إن إنباء رسول الله صلّى الله عليه وآله لهم بهذا القول سحر ، وطائفة تقول : إن إنباءه لهم

به شعر وظنون ، وطائفة تقول : إن ذلك كله منه كهانة وجنون ، فهذا معنى اختلافهم في النبأ والنبأ فهو الإنباء ، والإنباء : فهو الإخبار والتبيين والإعلام للعالمين بما لا يعلمون ، ولا يتوهمن أحد - ذو فهم ونظر وتمييز وبصر - أن اختلافهم فيما كان ينبئهم به صلى الله عليه وعلى آله من ذلك ، ويقصه عليهم ويقرؤه - اختلافٌ يكون بعضه إقرارا بما كان يقول : وبعضه إنكارا لهذا القول ، بل كلهم كان منكرا له مكذبا غير مقر ، وإنما معنى الإختلاف منهم - هو : اختلافهم في تصنيف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله والجحدان لما جاء به صلّى الله عليه وآله من عند الله .

﴿كلا سيعلمون﴾ معنى كلا : معنى الإنكار لقولهم الذي قالوا، وإنكار لما هم فيه من تصنيف الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ لأن كلا هي كلمة جواب رد على متكلم بغير صواب ، إنكارا لقوله ، وردا عليه في كذبه ، ودفعا لما يأتي به من جهله - تستعملها العرب في ذلك من محاورتها ، وتلفظ بها في لغاتها فقال:﴿كلا﴾ ما جآؤا بحق ، ولا تكلموا بصدق .

ثم ابتدأ الكلام من بعدها بالوعيد لهم على كذبهم ، وجحدانهم للنبأ العظيم الذي أنبأهم به رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته ، من بعثهم وحشرهم فقال :﴿سيعلمون﴾ أي : سيعلمون صدق ذلك وحقه ، ويعاينون ما ذكر من كينونة البعث والحساب ، وما أوعدوا بالنكال والعقاب .

ثم رجع سبحانه وجل عن كل شأن شأنه في إبطال قولهم ، والتكذيب لهم في جحدانهم للنبأ العظيم ، وإبطالهم الوعد والوعيد الجسيم فقال :﴿ثم كلا﴾ فكرر الجواب لهم لنفي الصدق عنهم ، وإيجاب الباطل عليهم ، والتكذيب لهم في قولهم فقال :﴿ثم كلا﴾ أي : باطل ما أتوا به وزور ومحال ذلك وفجور .

ثم رجع إلى الوعيد فقال :﴿سيعلمون﴾ غب فعلهم ، ويجدون ما أوجبنا من الوعيد عليهم ، في تكذيبهم وشكهم ودفعهم ما ذكرنا لهم ، من نشرهم و[illegible]رحناه على لسان نبينا ، من الأنباء العظيمة ، وا[illegible]سباب الجليلة ، التي لابد من وقوعها

وكينونتها ووضوحها ، من عجائب أفعالنا في خلقنا ، عند نفخنا في صورهم وإخراجنا لهم من أجداثهم ، وإيصالنا لهم ما حكمنا به لهم وعليهم ، من كريم الثواب ، وأليم شديد العقاب .

ثم قال سبحانه :﴿**ألم نجعل الأرض مهادا**﴾والمهاد : فهو القرار الممهد ، والممهد: فهو المسوى المجرد الذي يضطجع الناس عليه ويأوون فيه ، وينشأون عليه ، من ذلك ما تقول العرب لمضطجع الصبي وموضعه ومأواه : مهد الصبي ، وهو شيء يسوّى له من الخشب يغذّى فيه ، ويجعل عليه يكفته ويؤويه ، ويشده ويقويه ويستريح إليه فجعل عز وجل الأرض للخلق مهادا يأوون إليها ، ويسكنون فيها فلما أن كانت الأرض لهم مأوى ومكفتا ، يمهدون فيها ويسكنون عليها ، سميت مهادا إذ كانت لهم مأوى ، كما سمي موضع الصبي مهادا ؛ إذ كان له مضجعا ومأوى .

ثم قال :﴿**والجبال أوتادا**﴾ فأخبر عز وجل أن الجبال أوتادا للأرض ، تمنعها من المَيَدَان بهم ، وتوقفها عن التزعزع بمن فيها منهم ، كما قال سبحانه :﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾[1] يقول: أن تزول أو تزعزع بهم ، فشبه سبحانه الجبال في الأرض للزومها لها ، ومنعها بها من المَيَدَان بأهلها ـ بالأوتاد اللازمة لأطناب البيوت ، المقيمة لها على الثبوت ، اللازمة المانعة لها عن الزوال ، فجعل سبحانه ما جعل من الجبال للأرض أوتادا .

ثم قال سبحانه :﴿**وخلقناكم أزواجا**﴾ فأخبر بعجيب صنعه ، وما أظهر من فطرته ، وما أرى الخلق من محكم تقديره ، في خلق المخلوقين أزواجا .

والأزواج : فهي الذكر والأنثى ، الذي يكون منهما نسل الآدميين ، وبتناسلهما تكون كثرة المخلوقين .

ثم قال :﴿**وجعلنا نومكم سباتا**﴾ والنوم فهو الرقاد ، والرقاد : فهو خروج الروح من البدن ، وبقاء النفس التي منها النَّفَس في مقرها من البدن ، وهو شيء جعله الله وركبه في الإنسان ، مِنّة منه سبحانه عليه ، وإحسانا منه سبحانه إليه ؛ لما

---

(١) ـ النحل : ١٥

في النوم من راحة البدن ، وإراحة الجوارح كلها ، وإزاحة النفس في كل وجه ومعنى .

من تلك الراحة راحة البدن من تعبه وإقباله وإدباره ، وراحة العين من النظر والإصعاد والتصويب ، وراحة الرجلين من المشي ، وراحة الأذنين من السمع والإستماع ، وراحة اللسان من القال والقيل ، وراحة النفوس من الهموم والغموم وراحة الخائف من وجل خوفه ، وللمرعوب من رعب فزعه ، وكل ما شرحنا من هذا القول ومثله ففي النوم راحة من ألمه ، وفرج من فادح عمله ؛ لأن النوم يزيل ذلك كله [ويعرف] (١) بزولان الروح من البدن ، وزوال العقل الذي به يميز ذلك كله ، ويعرف به ألمه ، فإذا زال صار الإنسان بزواله في الغفلة عن ذلك [كله] كالميت المفارق لأرضه .

وفيما ذكرنا من خير النوم وفضله ، وجزيل مواهب الله فيه ومَنِّه ، وما يزول عن كل أحد به من فادح همه ـ ما يقول الله تبارك وتعالى :**﴿إذ يغشيكم النعاس أمَنَةً منه﴾** (٢) يقول : تطمينا لقلوبكم ، وترويحا به عنكم ، إذ بوقوعه يزول عنكم معرفة ما أنتم فيه من الروع والهول ، فتبارك الله العزيز ذو الطول .

السبات : فهو الإطراق والخفات ، والهدوء والسكون في الحالات .

ثم قال :﴿وجعلنا الليل لباسا﴾ يقول : غاشيا لكم ،ملبسا لكم(٣) ما يلبسكم من ظلامه ، ويقع عليكم عند هجومه من ادلهمامه ، فسماه الله لباسا ؛ إذ كان يلبس الأرض ظلمته ، ويغلبها اسوداده ، فيستر منها القريب الداني ، ويواري معها بظلمته المختفي المتواري ، فلما أن ستر بظلامه ما ستر ، وألبس الأرض ما حجب الناظر به عن النظر ، وستر عنه ما يكشفه النور من الخبر قيل : لباس ملبس وكذلك تقول

---

(١) ـ الزيادة من المجموع المخطوط .

(٢) ـ الأنفال : ١١

(٣) ـ في نسخة (ملبسا عليكم) وما اثبتاه من النسخة (آ) .

العرب : أرخى الليل ستره ، وضرب الليل بسجفه ، وألبس الليل الأرض ثوبه تريد ألبسها من ظلمته ماكان سترا [لها] وحجابا دونها ، فسمي بذلك الليل لباسا .

ثم قال :﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ يريد سبحانه متعيشا للناس ، ومكتسبا يكتسبون فيه المعاش ، ويطلبون فيه المراش [1] فلما كانت المعائش من الصناعات وغيرها مما يكتسب به المعائش لا تكون إلا في النهار ، قال الله سبحانه :﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ إذ جعله للمعائش سببا ووقتا ومطلبا .

ثم قال سبحانه :﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ يعني بالسبع الشداد : السموات المبنيات ، وهن الطرائق المركبات المجعولات ، فذكر سبحانه ما جعل من السماوات التي جعلهن دليلا عليه وآيات ، ولما فيهن وفي من يسكنهن من الدلالات المنيرات على الجاعل لهن ، المقدر لتركيبهن ، الممسك بلا عمد لهن .

ثم قال :﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ والسراج الوهاج : فهو ما جعل الله من الشمس والقمر النيرين ، السراجين الوهاجين ، وما جعل من النجوم الوهاجة المتوقدة ، فأضاء ما بين المهاد ، وبين السبع الشداد من الهواء المدلهم المتكاثف المظلم بمنور السراج الوهاج ، الذي جعله في الليل والنهار سراجا .

والسراج : فهو المضيء المنور ، الذي يسرج بضوئه وينير ؛ لأن معنى السراج : فهو المضيء المنير ، تقول العرب : أسرج السراج ، تريد نَوِّرْه وأضئه ، واجعل فيه نورا ساطعا حتى يكون بتنويره سراجا وهاجا ، والوهاج : فهو المتوقد الملتهب .

ثم قال :﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا﴾ والمعصرات : فهن السحاب المثقلات العاصرات لما فيهن من الماء ، وعصرهن للماء حبسهن وحملهن له وإمساكهن إياه ، فسمين لحبسهن لما فيهن من الماء وإمساكهن له معصرات ، ومن ذلك ما سميت العصر عصرا ؛ لما يعصر بها ويحبس عن الظهر الذي قبلها ، فسميت عصرا للإمساك عنها ، والتعصير بها ، والعصر : فهو الحبس ، ومن ذلك ما تقول

---

(١) ـ في المجموع المخطوط (ومكتسبا يكسبون فيه المعائش ويطلبون فيه المرائش) .

العرب في كلامها وأمثالها لحابس الشيء إذا حبسه عنها : كم تحبسه وتعصره ! وتقول : أكثرت عصر هذا الشيء ، أي : تريد حبسه وإمساكه .

وقد قيل : إن معنى ﴿**المعصرات**﴾ هو : العاصرات لما فيهن من الماء ، حتى يخرج من خللهن ، وشبه ذلك بعصر الإنسان للشيء وغمزه حتى يخرج ما فيه من مائه والقول الأول أحسن القولين عندي وأصوبهما ، وأولاهما بالحق وأشبههما .

وقوله :﴿**أنزلنا**﴾ أهبطنا ﴿**من المعصرات ماء ثجاجا**﴾ ومعنى ﴿**ثجاجا**﴾ أي كثيرا جرارا ، قوي السيلان كثير الهطلان ، يثج في الأرض ثجا ، ومعنى يثج ثجا : أي يدفع دفعا كثيرا إتيانه معا وتدافع سيوله جميعا ، يعضد بعضه بعضا ، ويقوي كل آخر منه أولا ، فهو لتلاحقه وكثرته يثج ثجا ، ويتدافع تدافعا ، ويتحامل على ما لقيه من الأرض تحاملا يقلع بتحامله وثجه كل ما نبت من الأشجار في مجراه ، أو اعترض له في وجهه .

ثم قال سبحانه :﴿**لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا**﴾ فأخبر سبحانه أنه أنزل هذا الماء ليخرج به ما ذكر

ومعنى نخرج به : هو نبنت به ، ونجعل منه وببركته ، والحب : فهو كل حب يؤكل أو ينتفع به مما يتولد في أشجار الأرض بالماء ، كائنا ما كان من الأشياء .

﴿**ونباتا**﴾ فهو ما كان غير الحب من أوراق الأشجار المختلفات من أفنان الحشيش النابتات ، وغير ذلك من زاهرات الأرض المورقات .

﴿**وجنات ألفافا**﴾ الجنات : الحدائق الملتفات المشتبكة فيها الأشجار المثمرات من الفواكه كلها المأكولات الملتذ بأكلها ، المتنعم بطعمها وغير ذلك من الأشجار الملتذ برائحتهن ، المتفكه بشمهن من الرياحين وغيرها من الأشجار المنورة ، المختلفة بنوارها ، التي تجري من تحتها المياه ، قد فجرت فيها أنهارها تفجيرا ، وأبهجت سبلها سبلا سبلا ، وأعد فيها مما أتخذ من مجالس دورها ، ومنتزهات قصورها فاختلفت هذه الجنان لأهلها ، وتزينت لهم بما فيها ، فإذا كانت كذلك ، وكان السبب فيها على ذلك ، فقد انتظمها اسم الجنان ، وفي ذلك ما يقول الرحمن

الرحيم: **﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾** [١] فسمى ما كان على ما ذكرنا من الأرض جنانا وإنما سمى ما كان من الأرض كذلك جنانا ؛ لما فيها من الملك والنعيم ، والسرور والخير الكريم ، فشبهت في الإسم بالجنان التي ذكر الله في الآخرة ، التي فيها النعيم الذي هو النعيم حقا ، المقيم أبدا ، فاشتبها في الإسمين ، وتفاوتا و لله الحمد في المعنيين ، في الحالين والصفتين .

وكيف لا تتفاوت !! وكل ما في الآخرة فدائم أبدا ، لا يعدم صيفا ولا شتاء ولايكون له أمد يبلغه ولاانتهاء ، نعيمها دائم مقيم ، وملكها سرمد كريم ، وما في الدنيا فيزول مع زوال الأزمنة ، ولا يدوم منه شيء أبدا ، ما أكل من لذيذ مأكلها إلا عدم في غير هذا الوقت من الزمان ، فيتقلب مع تقلب الأزمنة ، فلا يوجد منها ثمرة صيف في شتاء ، ولا يوجد ثمرة الشتاء في الصيف أبدا .

هذا مع تصرم ذلك كله وانقضائه ، وخروج أهله منه بالموت وفنائه ، وترك ما جمعوا لذلك لغيرهم ، وما تكالبوا عليه لورثتهم .

وكلما ذكره الله سبحانه من قوله : **﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾** إلى قوله : **﴿وجنات ألفافا﴾** فإنما أراد الله تبارك وتعالى بذكر ما ذكر من هذا ، احتجاجا على المكذبين بالنباء العظيم ، بما جعل من ذلك كله وركب فيه من الدلائل الدالة عليه سبحانه ، والشاهدات على تصديق النباء العظيم ، الذي هم في تصنيف الكذب به مختلفون ، فأخبر جل وعلا جلاله عن أن يحويه قول أو يناله - أن في أقل مما رأوه من جعله ، وعاينوا من أثر خلقه دليل على عظيم قدرته ، وصدق وعده ووعيده ، وأن الذي عاينوا من أثر صنعه ، في هذه الأشياء ، أعظم في بيان القدرة ، ومضي الإرادة من نشر الموتى ، وما نبأهم به

---

(١) - الدخان ٢٥ - ٢٨

رسول الله صلّى الله عليه وآله ، من الأشياء التي ذكرها في يوم المعاد ، وأنذر بها ورغب ورهب جميع العباد .

ثم قال سبحانه :﴿**إن يوم الفصل كان ميقاتا**﴾ ويوم الفصل : فهو يوم الجزاء والقطع بين العباد ، والقضاء بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ، وبه من النبأ يكذبون فسمى الله سبحانه ذلك اليوم : يوم الفصل ؛ ليفصل الأمور ، وتفصيلها : فهو قطع ريبها ، وبيان أمرها ، وثبوت صحتها عند من كان جاحدا لها .

ومعنى قوله :﴿**ميقاتا**﴾ أي موعدا وعائدا وغاية ومدى ، وإليه يوعدون ، وفيه يثابون ويعاقبون ، والميقات فهو : الوقت الذي إليه يؤخر الخلق فيما يوعدون ، وإليه يجتمعون ، وفيه يحصلون ، وإليه يجرون .

وقوله :﴿**يوم ينفخ في الصور**﴾ يريد بقوله :﴿**يوم ينفخ** ﴾ أي : أن هذا الميقات واليوم ، الذي فيه الميعاد ـ هو يوم ينفخ في الصور ، والصور : فهي صور الآدميين .

فذكر سبحانه أنه يُنْفَخَ فيها بعد فنائها وبلائها ـ روحُ الحياة بعد الفناء والبلى فتعود من بعد ذلك صورا أحياء ، معتدلة الخلق والبناء ، كما كانت عليه من الخلق أولا .

ومعنى ﴿**ينفخ**﴾ هو : يجعل فيها الحياة ، ومعنى يجعل فيها الحياة : فهو ترد إليها الأرواح في الأجساد المبتدأة .

ألا تسمع كيف يقول سبحانه فيما أمر به الملائكة عليهم السلام ، من السجود له عند إظهار ما يظهر من قدرته في خلق آدم صلى الله عليه حين قال ـ :﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾[1] قال : نفخت فيه من روحي يقول : جعلت فيه وركبت وسويت ، وخلقت فيه روحا به تمامه ، وبكينونته فيه قوامه ، ثم نسبه إليه ؛ لأنه خلقه وفعله كما قال :﴿**[قل] يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**﴾[2]

---

(١) ـ ص : ٧٢

(٢) ـ الزمر : ٥٣

فنسبهم إليه ؛ إذ هم فطرته وخلقه ، وفعله وأمره [١] وكذلك قال الله سبحانه في مريم عليها السلام :﴿**ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**﴾ [٢] يريد : جعلنا في الرحم ما جعلنا من خلقنا ، وخلقنا فيه من غير ذكر ما خلقنا من عبدنا الذي جعلناه آية لعبادنا ، ثم نفخنا في ذلك الخلق روحا ، ونفخنا : فهو ركبنا وجعلنا ، وأدخلنا وثبتنا فيه روحا ، به كمال ذلك الخلق المخلوق وقوام ذلك العبد المجعول .

ثم قال سبحانه :﴿**فتأتون أفواجا**﴾ والأفواج : فهي الجماعات الكثيرات الآتيات معا معا ، زمرا زمرا ، يقول: تأتون إلى الميقات الذي وقت لكم والموضع المحشر الذي جعل لكم محشرا وموضعا للحساب وموقفا.

ثم قال :﴿**وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا**﴾ يخبر سبحانه عن تقطع السماء وتفتحها ، وتقلعها وتمزقها ، حتى تكون بعد جودة الإنحباك قطعا ، وبعد الإستواء أبوابا مفتحة ومزقا ، حتى تكون كالمهل السائل بعد العظم والتجسيم الهائل .

ومعنى قوله :﴿**وسيرت الجبال فكانت سرابا**﴾ وتسييرها : فهو نسفها وإذهابها والنسف : فهو القلع والإهلاك والإزالة عما هناك ، حتى تعود أمكنتها قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، والقاع الصفصف : فهو الموضع الأملس المرت [٣] الخالي من كل شيء ، الذي لا يستتر منه جانب عن جانب ، ولايتوارى فيه صاحب عن صاحب ، والعوج : فهو المتفاوت في الإرتفاع والإنخفاض والأمت: فهو الإختلاف .

ثم قال سبحانه :﴿**إن جهنم كانت مرصادا**﴾ والمرصاد : فهو المرصد ، فأراد بقوله : ﴿**مرصادا**﴾ أي أنهم يرصدون لجهنم ، وأنها لهم مرصدا ، أي مكانا

---

(١) - في نخ (إذ هم فطرته وخلقه وبدعته وأمره) .

(٢) - التحريم : ١٢

(٣) - المرت : مفازة لانبات فيها ، ويقال : أرض مرت ، ومكان مرت : قفر لانبات فيه . المعجم الوسيط

وموضعا لا معدل لهم عنه ، ولا منحرف لهم منه ، ولا مصرف ولا مراغ ، ولا ملاذ سواها ولا مساغ غيرها ، وفي ذلك ما تقول العرب : مرصد فلان مكان كذا وكذا تريد مكانه الذي يرصد فيه .

ومعنى يرصد : هو ينتظر فيه حتى يأتيه ويصير إليه فيصادفه فيه راصده ، ويجده فيه طالبه ، وهو المكان الذي لا مراغ له عنه ، ولا يوجد إلا فيه ، فأراد سبحانه بقوله :﴿**كانت مرصادا**﴾ أي كانت مكانا وموئلا لابد للطاغين منه ، ولا منصرف لهم عنه .

ألا تسمع كيف بين سبحانه بقوله :﴿**للطاغين مآبا**﴾ أي للعاتين الجبارين المكذبين معادا وموئلا ومكانا ومقرا يأوون فيه ، ويصيرون إليه ، والأوب : فهو الرجوع ، والمآب : فهو المكان الذي يصار فيه ، ويرجع إليه .

﴿**لابثين فيها أحقابا**﴾ فاللابث : هو المقيم ، ومعنى ﴿**لابثين**﴾ فهو مقيمون الأحقاب : فهو الدهور الدائمة ، وقد قيل : إن واحد الأحقاب حقب ، وإن الحقب ثمانون سنة ، فإن يكن ذلك كذلك فهي أحقاب متوالية ، متواترة متصلة ، لا آخر لها ولا انقطاع ، ولا فراغ لمدتها ولا فناء ؛ لأن الله سبحانه ذكرها أحقابا ، ولم يذكر لها غاية ولا مدى ، فدل بذلك على أنها أبدا دائما سرمدا .

ثم قال سبحانه :﴿**لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا**﴾ يريد لا يجدون فيها فسحة ولا راحة تبرد عنهم كربهم ، ولا تنفس عنهم ألمهم ، ولا تكشف عنهم حرارتهم ولم يرد هاهنا بقوله :﴿**بردا**﴾ وقع البرد وحسه ، وإنما أراد بالبرد تهوين الأمر ؛ لأن العرب تقول : برد عني غمي كذا وكذا ، وبرد عني ألم علتي كذا وكذا ، يريدون هون عني وسهل علي ، وفرج كربي كذا وكذا ، لا أنها تريد بقولها أنه أصاب القائل لذلك بردا أبرد جلده ، فهذا معنى ما ذكر الله سبحانه ، من البرد الذي لا يذوقه أهل جهنم ، يريد أمرا يسهل عليهم عذابهم ، ويفرج عنهم كربهم ، من أمر يطفي عنهم حر جهنم ، وأمر يهون عليهم عظيم الألم .

والشراب الذي لا يذوقونه : فهو الشراب البارد الهنئ الطيب المريء ، فذكر ا لله سبحانه أنهم لا يذوقون من ذلك الصنف شيئا ؛ لأنه صنف كرامة من ا لله لمن سقاه إياه ونعمه ، وأن شرابهم هو الحميم الذي ذكر ا لله ، أنه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى :﴿**إلا حميما وغساقا**﴾ فالحميم : فهو الماء المحمى المسخن الذي قد منع الأيدي عن مسه لشدة حَمْوِه وحَرِّه ، والغَسَّاق : فهو الذي قد غلى حتى رمى بحبه ، وتطاير نضحه من جوانب إنائه ، فهو يتطاير من الإناء لشدة الغليان .

﴿**جزاء وفاقا**﴾ يقول : جزاء وفقا مثلا بمثل ، بالسوأة سوأة ، وبالمعصية نقمة وبالمخالفة عذابا ، فهذا معنى الوفاق ، أي : أنكم عذبتم بفعلكم ، ونكلتم بجرمكم ولم تظلموا في شيء من أموركم ، وكان ذلك منا جزاء ، فعلا على فعلكم،ومجازاة على صنعكم ، فأذقناكم من عذابنا ما جعلناه في حكمنا به جزاء ، لمن عَنَدَ عنا فكان منا حقا حقا ، ولم نسأله ولم نعذبه تجاهلا ولا ظلما ، ولا ابتداء ولاغشما بل كان جزاء بعد الإعذار والإنذار ، والإحتجاج والإمهال .

﴿**إنهم كانوا لا يرجون حسابا**﴾ يقول سبحانه : لا يأملون محاسبة على فعلهم ولا يتوهمون بمجازاة على صنعهم ، ولا يوقنون بما أخبرناهم به من شرهم ، ولا يصدقون بشيء مما أنبأنا به من الوعد والوعيد .

ومعنى ﴿**يرجون**﴾ يأملون في مخرج الكلم هاهنا : هو لا يخافون ويتقون ويخشون ﴿**حسابا**﴾ أي : محاسبة منا على ما قدموا ، ومجازاة على ما صنعوا .

ثم قال سبحانه :﴿**وكذبوا بآياتنا كذابا**﴾ يقول جل جلاله : وكذبوا بما رأوا وأبصروا من الآيات الدالات علينا ، وجحدوا بما بينت لهم حجتنا ــ المركبة في صدورهم ، من العقول المجعولة فيهم ـ من دلائل الحق وبراهين الصدق ، في ما يرون من الآيات من عجائب الصنع في الأرضين والسموات ، وغيرهن مما جعل ا لله من المجعولات ، وفطر سبحانه من بدائع المفطورات ، اللواتي يشهدن لخالقهن ، ويدللن على فاطرهن ، وينطقن بربوبيته بنواطق ما فيهن ، من أثر صنعه ، الذي لا يجهله

منصف ، ولا يدفعه إلا مكابر مخالف ، فذكر الله سبحانه أنهم كذبوا بذلك بعد بيانه ، ودفعوه بعد صحته في عقولهم ، وثباته في صدورهم بأبين البيان ، وأوضح البرهان .

وقوله :﴿**كذابا**﴾ فمعناها : تكذيبا وملادة ، وتعطيلا ومناكرة وكفرا .

ثم قال :﴿**وكل شيء أحصيناه كتابا**﴾ ومعنى أحصيناه : فهو علمناه وحفظناه ومعنى ﴿**كتابا**﴾ أي محفوظا مثبتا معلوما مبينا .

وإنما ضرب الله لهم بما ذكر من الكتاب مثلا ؛ إذ كان أبين ما عندهم بيانا واضحا ، وأثبته ما كان في الكتاب مكتوبا ، وفي الصحف المعروفة موقعا ، فذلك عندهم أبين ما يعرفون ، وأصَحَّ ما يعلمون ، وأحصى ما يحصون ، فمثل الله عز وجل بما يكون حفظُه لما يكون منهم ، وأحصاؤُه إياه عليهم ـ بما هو أفضل الأشياء عندهم وأبينه بيانا ، وأثبته صحة مما يكتب في الكتب ، ويوقع فيها .

ثم قال سبحانه :﴿**فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا**﴾ يقول سبحانه : فذوقوا مانزل بكم على فعلكم ، وما نزل بكم من الجزاء الوفاق على كفركم .

وقوله :﴿**فلن نزيدكم إلا عذابا**﴾ يقول : لن تروا فرجا ولا رخاء ، ولن تزدادوا بالمكث الطويل في جهنم إلا عذابا وبلاء ؛ لأن عذابهم دائم سرمد ، وخلودهم في النار دائم أبدا ، ومن كان كذلك لم يزدد بالمكث في جهنم إلا عذابا .

ثم قال جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله :﴿**إن للمتقين مفازا**﴾ والمفاز : فهو موضع الفوز ، والفوز : فهو النعيم والخير والسرور ، وقرة العين من المآكل والمشارب ، والمناظر والمناكح والمطالب .

ثم فسر سبحانه ذلك المفاز فقال :﴿**حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا**﴾ والحدائق : واحدتها حديقة ، والحديقة : فهي الحظيرة المجتمع فيها جميع الثمار المأكولات الطيبات ، والمياه المشروبات .

﴿وأعنابا﴾ فهي : الأعناب المعروفة ، التي يغني اسمها عن تفسيرها ؛ لمعرفة الناس بها . والكواعب : فهن النساء النواهد ، والناهد : فهي التي قد برز ثديها ، وتبين للناظرين في صدرها ، الذي لم ينكسر ولم يمل ، فتلك تسمى كاعبا وناهدا والأتراب: هو الأمثال المشبهات في القد و الجسم والصورة والخلق .

﴿وكأسا دهاقا﴾ والكاس : فهو ضرب من الأقداح ، يشرب فيها الماء ، وغير الماء من العسل واللبن ، تكون الكأس من الفضة والذهب ، ويكون في الآخرة من ذلك ، ومن غيره من الجواهر والياقوت الأحمر ، والدر الأبيض ، والزمرد الأخضر ودهاقا : فمعناه مملوأ مترعا فأعد الله ذلك كله للمؤمنين .

ثم قال :﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا﴾ واللغو: فهو الباطل والمحال والأذى والطرح والمقال ، وما يغم المؤمنين سماعه ، ويكرهون استماعه ﴿ولا كذابا﴾ والكذب : فهو الخلف للمواعيد ، والكذب في الأقاويل ، فأخبر أنهم لا يجدون في تلك الدار خلفا لما وعدوا ، ولا كذابا لما أملوا ورجوا ، وأنهم سيجدون ما وعدوا ويعاينون في دار الخلد ما أملوا ، وأن آمالهم ورجاءهم وظنونهم غير كاذبة ، ولا باطلة ، وأنها لهم على أفضل ما ظنوا ، أكمل ما رجوا ، وأوفر ما طلبوا ، لم يكذب الله لهم ظنا ، ولم يخلف لهم أملا ، هذا معنى ﴿كذابا﴾.

ألا تسمع كيف يقول القائل : ظننت ظنا فكذبني ظني ، يريد أملت أملا فأخلفني أملي .

﴿جزاء من ربك عطاء حسابا﴾ يقول تبارك وتعالى : إن ذلك منه كله جزاء للمؤمنين على أفعالهم ، وعطاء منه على أعمالهم المرضية له ، المتبعة أمره ﴿عطاء﴾ ومعنى عطاء فهو هبة وجزاء ﴿حسابا﴾ يقول : عطاء كثيرا إن حسب كثر حسابه ، وإن عد لم يحط بعدده ، كثيرا جسيما جزيلا عظيما .

ثم قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا﴾ ومعنى ﴿رب السموات﴾ : هو مالكها وقاهرها وصاحبها ومقدرها ، وكذلك الأرض وما بينهما . ومعنى ﴿وما بينهما﴾ فهو :

ماعلى وجه الأرض من الإنس وغيرهم من الأشياء ، وما فوق ذلك من الجن والإنس والسحاب والنجوم في الهواء ، فهو مالكهما ومدبرهما ، ومالك ما بينهما وسيدهما ومليكهما ﴿**الرحمن**﴾ فهو : الرحمن صاحب الرحمة والسلطان ، والعظمة والبرهان ، وهو اسم من أسامي العزيز الجبار ﴿**لا يملكون منه خطابا**﴾ أي لا ينالون عنده مخاطبة ولا بهتانا ، ولا مكابرة ولاجحدانا و﴿**منه**﴾ فمعناها : عنده فقامت من مقام عند ، وهذه حروف الصفات يخلف بعضها بعضا ، ويجزي بعضها عن بعض من ذلك قول الله سبحانه فيما حكى عن فرعون اللعين :﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ [١] والجذع لا يصلب فيه ، وإنما يصلب عليه ، أراد لأصلبنكم على جذوع النخل ، فقامت في مقام على ، وكذلك قامت من مقام عند ، في قوله ﴿**لا يملكون منه خطابا**﴾ فأخبر عز وجل أنهم لا يملكون عنده قبول عذر معذرة ولا ينفعهم جحدان ، ولا يجوز عنده إلا الحق في ذلك اليوم ، وهو :﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا**﴾ وقيامهم فهو : وقفهم فهم بين يدي ربهم ، وانتظارهم لأمر خالقهم و﴿**صفا**﴾ فهو : صفوفا و﴿**الروح**﴾ فهو :جبريل صلى الله عليه و﴿**الملائكة**﴾ القيام صفا في ذلك اليوم فهم : الشهود والكتبة ، والحفظة على الآدميين ما كان من أفعالهم في دنياهم ، وهم الذين قال الله سبحانه :﴿**عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ [٢] ومن الملائكة الوقوف ملائكة موكلون بإيصال المثابين إلى الثواب الكريم ، وإيصال المعاقبين إلى عذاب الجحيم ، وكذلك سائر الملائكة ، كل منهم واقف ينتظر أمر ربه ، معظما لما يرى من فعله .

﴿**لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن**﴾ يقول : لا ينطقون من هيبته،ولا يتكلمون من إجلاله وتوقيره سبحانه ، وتقديسه ﴿**إلا من أذن له الرحمن**﴾ منهم والإذن هاهنا: هو الأمر من الله له بالكلام بما يأمرهم من توقيف العباد على أفعالهم ومحاسبتهم على أعمالهم ﴿**وقال صوابا**﴾ معناها قال : حقا من توقيف الحفظة

---

(١) ـ طه : ٧

(٢) ـ ق : ١٧ ـ ١٨

للآدميين ، على ما كان من فعلهم ، وتعريفهم ما تقدم من خطاياهم ، التي أحصوها عليهم في دنياهم ، فوقفوا من ذلك على الصواب ، والصواب هاهنا : فهو الحق في جميع الأسباب ، من قول كان أو عمل .

ثم قال سبحانه :﴿**ذلك اليوم الحق**﴾ يريد : أي ذلك يوم حق ، معنى يوم حق : أي أنه يوم آت حق ، كفلق الصبح ، لا خلف في إتيانه ، ولا بطلان لما ذكر منه فإتيانه حق ، وكينونته حق ، وكل ما يفعل فيه فحق ، لا ظلم فيه ولا حيف .

﴿**فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا**﴾ يقول سبحانه : فمن شاء من الخلق اتخذ ـ في دار دنياه ، وقبل فنائه وانقضائه إلى ربه ـ سبيلا ، أي يجده غدا عنده ، من العمل بطاعته والإتباع لمرضاته .

ومعنى ﴿**اتخذ إلى ربه مآبا**﴾ هو جعل بينه وبينه وصلة لا تنقطع ، وسبيلا يوصله إلى جناته ، ويوجب له ما وعد المطيعين من ثوابه ، حتى يدخر له بطاعته ، واتباع مرضاته ـ فوزا يؤوب إليه . ويؤوب : ينقلب فيه وإليه ، ومعنى ﴿**مآبا**﴾ هو : موئلا ومرجعا يجده عند رجوعه إلى ربه ، وسببا عند الله يصادفه ، عند مآبه إلى دار آخرته ، يسره المنقلب إليه ، وينفعه المآب فيه .

ثم قال سبحانه :﴿**إنا أنذرناكم عذابا قريبا**﴾ يريد : دانيا قد أزف حينه ، وقرب وقته ، ومعنى ﴿**أنذرناكم**﴾ هو : حذرناكم ، وتقدمنا إليكم ، وأعذرنا في قطع الحجة بيننا وبينكم ، قبل مصيركم إلى العذاب ، بتماديكم في المعاصي المهلكات والمآثم الموبقات .

ثم أخبر بوقت ذلك العذاب فقال :﴿**يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**﴾ فأخبر سبحانه أن ذلك العذاب يكون في هذا اليوم ، الذي ينظر فيه المرء ما قدمت يداه ﴿**ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**﴾ وهو : يوم الحشر والحساب ، ومواقعة العقاب والعذاب ، ومعنى ﴿**ينظر**﴾ فهو : يجد ما قدمت يداه ، معنى وجوده لما قدمت يداه : هو وجوده لجزاء فعله ، ومواقعته ومعاينته لصدق ما وعد وأوعد على فعله ، مما اكتسبته يداه في حياته ، وقبل وفاته .

ومعنى قول الكافر :﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ فهو : تحسر منه وتندم ، وفرق وهلع وشدة وجزع ، مما يعاين مما أعد الله له من العذاب الأليم ، وما يُسْتَحَبُ إليه من الجحيم ، وما يصب فوق رأسه من الحميم ؛ جزاء على كفره ، وعذابا على صده عن طاعة ربه في حياته ، فيقول عند معاينته ما يعاين من البلاء : يا ليتني لم أرد حيا ولم أبعث في هذا اليوم بشرا سويا ، وكنت في القبر كما كنت ثاويا ميتا ، وباليا فانيا ، ورميما رفاتا ترابا ، فيتمنى أنه بقي ترابا رميما ، ولم يلق ما لقي من جزاء فعله الرديء ، وعمله السيئ ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾[1].

فنعوذ بالله من البلاء ، ونسأله الرحمة والهدى ، والمعونة على أمور الآخرة والأولى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الجليل .

تفسير والمرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه :﴿والمرسلات عرفا﴾ فالمرسلات : فهن السحائب المنشآت ﴿عرفا﴾ يقول : متصلات معا يتبع بعضها بعضا ، ولا يفاوت شيء منها شيئا .

﴿فالعاصفات عصفا﴾ فهن الرياح الهابات الشديدات الهبوب ، المزعزعات لما هبن عليه ، الحاملات ما قوين عليه ﴿عصفا﴾ فالعصف : هو الشدة منهن ، وإنما قيل : عاصفة لعصفها للأشياء ، وعصفها للأشياء : فهو زعزعتها لها وحملها ورفعها ووضعَها لما ترفع من الأشياء وتضع ، وإجالتها لما تحمل مما تمر عليه ، وتقع فيه .

﴿والناشرات نشرا﴾ فهن السحائب الممطرات ، اللواتي ينشرن رحمةَ الرحيم في كل الجهات ، وحيث ما شاء من البقاع المحتاجات إلى ما ينتشر فيهن وعليهن من

(١) ـ الكهف : ٤٩

الرحمة ، ويقع فيهن بوقوع الغيث من البركة ، فتنشر رحمة الله حيث شاء ، وتنيلها من أمرت بإنالته من المربوبين ، فتغيث بذلك من شاء الله من المغاثين .

﴿فالفارقات فرقا﴾ فهن : الملائكة المقربون ، الذين يفرقون بين الحق و الباطل بما تتنزل به ، من التبيين والحجج من عند الواحد المنان ، في الوحي والقرآن .

﴿فالملقيات ذكرا﴾ فهن : الملائكة الملقون ، بما يلقون إلى الأنبياء والمرسلين ، من وحي رب العالمين ، و﴿وذكرا﴾ فمعناه : وحيا وأمرا وقصصا وخبرا ، وإعذارا وإنذارا ، ألا ترى كيف بين ذلك سبحانه فقال :

﴿عذرا أو نذرا﴾ والعذر : فهو الإعذار في الشيء ، بالتقدمة إلى أهله في العذر من وقوعه ، وأخذ الأهبة قبل نزوله ﴿أو نذرا﴾ فالنذير : هو الرسول المخبر بالأمر قبل وقوعه ، المعلم المنذر به ، فأخبر الله سبحانه أن الملائكة تلقي الذكر والإعذار وتكون بذلك إلى الأمة نذرا ، منذرين لهم من بطش رب العالمين .

ثم قال سبحانه جوابا لقسمه ،الذي أقسم به فيما أقسم به من المرسلات والعاصفات ، والناشرات ، والفارقات ، والملقيات :﴿إنما توعدون لواقع﴾ يقول عز وجل : إن كل ما يذكر لكم وتوعدونه ، من ثواب أو عقاب ـ لواقع حقا ونازل بكم قريبا صدقا ، وإنما أقسم الله بما أقسم به من هذه الأشياء ؛ لعظيم ما فيها من براهينه وجليل صنعه وتدبيره ، فنبه الله جل جلاله بالإقسام بها على عظيم الدلائل ، التي فيها الدلالات على جاعلها ، المبينة بأثر الصنع صنع صانعها .

ثم دل على وقت وقوع ما يوعدون فقال :﴿فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت﴾ أراد : أن ذلك الوعد كائن ، عند كينونة ما ذكر من هذه الأشياء .

ومعنى ﴿طمست﴾ فهو : أذهبت ، وأفنيت ، وقلعت ، ومحقت وأبيدت ففنيت ومحيت فذهبت .

ومعنى ﴿فرجت﴾ فهي : فتحت ، وقطعت ، ومزقت فانفرجت .

ومعنى ﴿نسفت﴾ الجبال : فهو تمزيقها ، وافناؤها ، وإبادتها ، وإبلاؤها ، وقلعها من مواضعها حتى تخلو مواضعها منها وتضمحل ، فيفنى ما كان يُرى من تجسمها وعظيم خلقها .

ثم قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :﴿**وإذا الرسل أقتت لأي يوم أجلت**﴾ يريد بأقتت : أنها قد جعل لها وقت إليه تبلغ ، وإياه تنتظر ، وفيه تبعث وتنشر ، ثم بين فقال :﴿**لأي يوم أجلت**﴾ تعظيما منه لذلك اليوم ، وإخبارا بجليل ما فيه من عظيم الأمور ، وشدائد النوازل بأهل الوعيد ، وكريم المآب وعظيم الثواب لأهل الوعد ، وهذه الكلمة كلمة تقولها العرب إذا أخبرت عن يوم تنتظره ، جليل الأمر هائل الخطر ، قالت : يوم كذا وكذا ، تقول : أي يوم كان حرب كذا وكذا ؟! وكذلك : أي يوم يوم الموت ؟! يريد بقوله : أي يوم ! أي :ما أشد ذلك اليوم وأهوله وأفدحه لأهله وأعظمه ، ومعنى ﴿**أجلت**﴾ فهو : وعدت ، وجعل لحشرها ولقائها لربها ـ أَجَلٌ تنتظره ، ومُدَّةٌ تقطعها بالإنتظار لبلوغ غايتها ، فعند بلوغ غايتها يكون ذلك اليوم ، الذي يكون فيه بعثها وحضورها ، وتَنَجُّزِ موعد ربها بنصرها من كربها ، وخائف أمرها ، وثواب من أطاعها ، وصدقها فيما جاءت به عن ربها .

ألا تسمع كيف يقول ، فيما بين من ذلك اليوم ، الذي أجلت [إليه] الرسل حين يقول :﴿**ليوم الفصل**﴾ ثم قال :﴿**وما أدراك ما يوم الفصل**﴾ والفصل : فهو القطع بين العباد ، فيما كانوا فيه يختلفون ، وإيصال الوعد والوعيد إلى أهلهما وانقطاع ما كان الخلق ينتظرون من أمرهما .

وقوله :﴿**وما أدراك**﴾ يريد ما أعلمك بأمر ذلك اليوم وهوله ، وعظيم ما يكون فيه من أموره ، لا علم لك منه إلا بما أعلمناك ، ولا تدري شيء إلا بما أدريناك .

ثم قال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ يريد : الويل ، والعويل ، والبلاء ، واللعنة والشقاء يومئذ ـ على المكذبين ، ويومئذ : فهو يوم الفصل ، ويوم الفصل : فهو اليوم الذي أجلت إليه الرسل .

ثم قال سبحانه توقيفا للمكذبين على جحدانهم ، ومكابرتهم لما قد ثبت من الحق في قلوبهم :﴿**ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين**﴾ يقول : ألم تعلموا أهلاك من هلك من الأولين ، ويأتيكم نبأه عن الصادقين ، فإذا صح عندكم عمن صح أنه أهلكهم فلن يقولوا : إن لهم مهلكا غيرنا ، ولا أحدا سوانا ، فكما أخذنا الأولين بذنوبهم ، فكذلك نحن قادرون على أن نأخذ الآخرين منكم ومن غيركم بتكذيبهم وفسقهم ، وجحدانهم للحق الذي جاء من ربهم .

ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله فعله في المجرمين ، وفي كل من تمرد برب العالمين فقال :﴿**كذلك نفعل بالمجرمين**﴾ ذكر الوعيد للمكذبين ، والإخبار عما يلقونه من الويل في ذلك اليوم .

والويل : هو البلاء الوبيل ، والعذاب الطويل ، فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين**﴾ والمهين : فهو القليل اليسير ، الذليل الضعيف الحقير ﴿**فجعلناه في قرار مكين**﴾ والقرار المكين : فهو موضع قرار الماء من الرحم ، وسمي قرارا لقرار ما فيه ، وقراره : فهو ثبوته فيه ، ولزومه له ، و﴿**مكين**﴾ فهو متمكن ثابت حصين محصن ﴿**إلى قدر معلوم**﴾ يريد : إلى وقت معلوم ، والمعلوم : فهو المفهوم عند الله ، والمفهوم عند الله فهو : الأجل الذي أجله في المقام في الرحم، من قليل من الأشهر أو كثير .

﴿**فقدرنا فنعم القادرون**﴾ يريد بقوله :﴿**فقدرنا**﴾ يقول : فقدرنا على جعل النطفة في القرار المكين ، وإنشائها في الرحم ، إلى وقت خروجها المعلوم ﴿**فنعم القادرون**﴾ معنى ﴿**نِعْمَ**﴾ : تعظيم القدرة ، وإخبار عن جليل النعمة ، وهذه كلمة تقولها العرب إذا مدحت شيئا وأثنت عليه ، قالت : نعم الرجل ، ونعم الفرس ، نعم الشيء ، تريد بذلك : ما أكمله ! وأبين فضله ! وأظهر خيره ! فأخبر الله جل جلاله أنه أفضل بقوله :﴿**نعم القادرون**﴾ أي أننا أفضل القادرين ، وأعظمهم قدرة .

ثم ذكر الوعيد للمكذبين فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا**﴾ فقال :﴿**ألم نجعل**

الأرض كفاتا﴾ توقيفا لهم على أثر صنعه ، وتقريرا لهم على ما يقرون به من فعله ومعنى ﴿**كفاتا﴾** أي : ضامة جامعة لكم ، إخبارا بما فيها من منازلها ، وبيوتها ودورها التي تكتفتون فيها وتأوون ، وتغلقونها عليكم ، تضمكم ، وتجمعكم. وتكفتكم : أي تجمعكم أحياء وأمواتا ، وكفتها لهم أمواتا : فهو ضمها لأبدانهم في حفرها ، التي هي قبورهم ، فكانت الأرض لهم كافتة في حياتهم وبعد وفاتهم وكفتها لهم : فهو ما ذكرنا من جمعها ، وضمها إياهم .

والرواسي الشامخات : فهي الجبال الطامحات المرتفعات .

ومعنى ﴿**رواسي**﴾ فهي: الثابتات ، أي : الراسخات عروقها ، الثابتة أصولها .

﴿**وأسقيناكم ماء فراتا**﴾ فمعناها : أنزلنا عليكم ، وأوجدناكم ماء فراتا والفرات : فهو العذب الطيب الذي لاملوحة فيه ، فكلما ذكر الله عز وجل من فعله بهم ، وما جعل لهم بما امتن به عليهم ، من هذه الأشياء المذكورات ، والأمور المبينات فإنما أراد بذلك سبحانه توقيفهم على ما يعرفون أنه من فعله ، ويقرون به أنه من صنعه ، فيقول تبارك وتعالى : كيف تنكرون بعض ما ذكرناه لكم من قدرتنا على بعثكم ونشركم !! وقد ترون فعلنا فيكم ، وأثر قدرتنا فيما أظهرناه ، وجعلناه لكم ! ليس هذا منكم إلا كفرا وإنكارا ، أي مضادة للحق واستكبارا .

ثم قال :﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ببعض أمرنا ، وبما قد رأوا أعظم منه في قدرتنا

ثم قال سبحانه :**﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾** فهذا أمرٌ أمر به المكذبين الفاسقين الكافرين ، الجاحدين ، في يوم الدين بالإنطلاق ، إلى ما كانوا به يكذبون من جهنم وأغلالها ، وعذابها وسعيرها .

﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ فأخبرهم أنه لا يرون فيها ظلا إلا مالا يغني من اللهب ، ولا يستر ، من العذاب فقال سبحانه: **﴿ظل ذي ثلاث شعب﴾** فمثل لهم ذلك بكل شيء فيه ثلاث شعب ، فالشمس تدخل من كل شعبة ، ولا يصفو له ظل ، ولا يوجد فيه راحة ولاكِنٌّ ، فضرب الله لهم هذا الظل مثلا بعذاب جهنم ، يريد أنكم لا تجدون في جهنم راحة من

العذاب ، كما لا يجد طالب الظل في الموضع الذي فيه ثلاث شعب ، والشعب : فهي الفرج ، والثلم ، والمواضع المكشوفة ، فهو لا يجد فيه فرجا من الشمس ، ولا يقدر فيها على ما يحب من الظل ؛ لأن الشمس من حيث ما دارت دخلت عليه من فرجه ، ووصلت إليه من ثلمه ، كذلك أصحاب جهنم ـ نعوذ با لله منها ومن عذابها ومن عمل يقرب إليها ـ حيث ما دار منها ، أو طمع بفرج فيه من جوانبها وجد فيه العذاب له مضاعفا ، ولم يجد في ناحية منه من عذابها فرجا .

﴿**لا ظليل**﴾ يقول : لا مانع لكم من حرها ، ﴿**ولا يغني**﴾ لكم ﴿**من اللهب**﴾ يقول : لا يمنع من وصول لهبها إليكم ، ولا يستر عنكم شيئا من العذاب المكتوب عليكم .

ثم أخذ سبحانه في وصف جهنم وشررها ، وعظيم ما جعل ا لله عليه من فطرتها فقال :﴿**إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر**﴾ والقصر : فهو الدار المبنية الكبيرة المرتفعة ، والجمالات الصفر : فهي الجبال الصغار ، المنفردة من الجبال التي تكون في قيعان الأرض ، تسميها العرب : الظراب ، واحدها : ظرب ، وأهل اليمن يسمونها جمالات ، فشبه ا لله سبحانه شرر جهنم التي تطير منها عند استعارها بأهلها بالقصور ، والجبال الململمات .

ثم ذكر الوعيد بالمكذبين بوعده ووعيده فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ .

ثم أخبر بما يكون منهم في يوم الدين ، من ترك المكابرة لليقين ، والمجاحدة بآيات رب العالمين فقال :﴿**هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ يقول : لاينطقون منطقا ينفعهم ، ولا يتكلمون بكلام يقبل منهم ، ومعنى ﴿**يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ أي : لا يؤذن لهم في التوبة فيتوبون ، والرجعة والأوبة إلى الحق فيؤوبون ويرجعون .

ثم أخبر سبحانه أن ذلك اليوم لا يجوز فيه توبة ، ولا يقبل من ظالم معذرة ؛ لأنه يوم جزاء على ما تقدم من الأفعال ، وليس بأوان عبادة ولا عمل فيعملون .

ثم كرر الوعيد للمكذبين بقول رب العالمين فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ .

ثم أخبرهم بوقوع اليوم الذي كانوا به يكذبون فقال :**﴿هذا يوم الفصل﴾** ويوم الفصل : فهو يوم القطع بينهم بالحق ، وهو يوم القيامة والحشر **﴿جمعناكم والأولين﴾** يقول : جمعناكم في هذا اليوم والأولين ، والأولون : فهم الذي كانوا قبل عصر النبي صلّى الله عليه وعلى آله من الأمم ، فسمى الله تبارك وتعالى من كان قبل محمد صلّى الله عليه وآله أولين ، وسمى الله ـ من كان في عصر محمد صلى الله عليه وعلى آله ، ثم إلى آخر الدين ـ آخرين .

ثم قال سبحانه :**﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾** يقول : فإن كان لكم علي سلطان أو مقدرة ، أو كنتم تستطيعون تغيير شيء من فعلي بكم ، أو دفع عظيم من عظيم صنعي فيكم ، فادفعوه لتضادوني بذلك ، وإن كنتم تطيقون إدخال ضرر علي فأدخلوه ، بمكيدة تكيدونها ، أو بمجاهرة تجاهرون بها ، وإنما أراد الله سبحانه بهذا القول توقيف أعدائه على ضعفهم ، وشدة تكبرهم ، وقلة منفعة شركائهم لهم وأوليائهم الذين كانوا يطيعون من دون الله لهم ، فقررهم على الإستسلام ،وأوقفهم على صدق ما جاء به محمد عليه السلام .

ثم قال :**﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾** فأخبر أن الويل والعذاب الطويل عليهم وعلى نظرائهم من المكذبين من الأولين والآخرين .

ثم ذكر سبحانه وجل عن كل شأن شأنه أمر المؤمنين المتقين فقال :**﴿إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون﴾** والظلال : فهو الظلال الممدود ، الذي قال الله سبحانه :**﴿وظل ممدود وماء مسكوب﴾** [1] وهي ظلال الأشجار والقصور وما ظللهم الله به من غير ذلك من الأمور ، والعيون : فهي المياه الجارية الكثيرة المتفجرة والفواكه : فهي ما يعرف من الفواكه الطيبات ، من ثمار الأشجار المثمرات وصنوف الأثمار المتصنفات المتشابهات ، من الطيبات وغير المتشابهات التي تشتهيها أنفسهم ، وتدعوهم إليها شهواتهم ، فهي موجودة غير مقطوعة مبذولة غير ممنوعة

(١) ـ الواقعة : ٣١

عطاء من الله غير مجذوذ ، على صالح أفعالهم وما قدموا في حياتهم من مرضيات أعمالهم ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :

﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**﴾ يقول سبحانه تنعموا بالمآكل الطيبة المشارب اللذيذة ﴿**هنيئا**﴾ أي جزاء بفعلكم ، فمعنى هنيئا : فهو مريا طيبا ، لا آفة فيه ولا داء ، ولا تخافون منه شيئا من الأذى ، كما كنتم تخافون في مآكل الدنيا فهذا معنى قول الله :﴿**هنيئا**﴾ .

ثم قال :﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾ يخبر أن هذا فعله وحكمه في المحسنين والمحسنون : فمعناها المحسنون إلى أنفسهم بما عملوا من الطاعات ، التي استوجبوا بها الثواب والإحسان ، من الواحد ذي الجلال والسلطان ، فكانوا بذلك محسنين إلى أنفسهم ، مطيعين لربهم ، فاستوجبوا بطاعة الرحمن ما صاروا إليه من الفوز والنعيم والخير الكريم ، والثواب العام المقيم .

ثم كرر ذم المكذبين احتجاجا عليهم ، وتوقيفا على جهلهم وتعنتهم ، وقطعا بذلك لحجتهم فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون**﴾ يقول سبحانه : تمتعوا في دنياكم بأكلكم وتافه لذاتكم ، فإن ذلك قليل منقطع لايتصل بنعيم الآخرة ، ولا تذوقون بعد خروجكم من الدنيا نعمة فاخرة ؛ لأنكم مجرمون ، والمجرم لا آخرة له ، كما تكون الآخرة مع الدنيا للمؤمنين ، وكما تتصل كرامة الدنيا بكرامة الآخرة للمتقين .

ثم كرر ذم المكذبين فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ ، **ثم ذكر** ما كانوا فيه في الدنيا من كفرهم ، وترك قبول ما يؤمرون به من طاعة ربهم ، فقال :﴿**وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**﴾ يريد باركعوا : اخشعوا لله واخضعوا ، ولا تتجبروا ، ولا تتكبروا ، وأدوا فرضه عليكم . فأراد عز وجل بالركوع هاهنا ـ والله أعلم ـ التذلل لله والخضوع ، والإقرار بأمره والخشوع ، والقبول لما به يأمرهم ، والإنتهاء عما عنه ينهاهم ، وكذلك قال في أصحاب موسى عليه السلام :﴿**ادخلوا الباب سجدا**﴾ يقول سبحانه : خشعا خضعا ذاكرين الله مقدسين ، شاكرين على نعمه

ذاكرين له بصنائعه ، عارفين بقدرته وجلاله ، مقرين بأن النصر الذي رأيتموه من قبله ، وإنكم لم تدخلوا إن دخلتم إلا بتقويته ، إن أطعتم فقواكم ، فلو كانوا فعلوا ما أمروا به ، وقالوا ما دُلُّوا عليه من قول الحطة ؛ لكانوا قد نصروا نصرا عزيزا وحطت عنهم لذلك الذنوب المتقدمة ، ووجبت لهم الكرامة المتأخرة ، ولكن خالفوا وأبوا وعتوا ، فذاقوا وبال أمرهم إذ عصوا ، فذلك معنى ما ذكر الله سبحانه في آخر والمرسلات من الركوع .

وهو عندي على معنى ما أمر الله به قوم موسى عليه السلام من السجود ، أراد بهما كلتيهما ـ والله أعلم وأحكم ـ التذلل لله، والخشوع له ، والمعرفة به والخضوع .

ثم كرر ذم المكذبين تنبيها في الدنيا لهم واحتجاجا بذلك عليهم فقال :﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ .

ثم قال :﴿**فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾ أي بأي قرآن أو أمر أو نهي بعد هذا القرآن المبين الساطع نوره الظاهر برهانه يؤمنون ، ومعنى ﴿**يؤمنون**﴾ فهو يصدقون ويقرون ، فأخبرهم سبحانه بما قال من ذلك أنه لا حديث يعدل هذا الحديث والحديث : فهو القرآن ، والنور وما جاء به من فرائض الدين في كل الأمور .

تفسير ﴿هل أتى على الإنسان﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى :﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**﴾ فمعنى ﴿**هل أتى**﴾ **أي** قد أتى ، ومعنى ﴿**حين**﴾ فهو الكثير الطويل من الدهر ﴿**لم يكن شيئا مذكورا**﴾ يقول : لم يكن شيئا يذكر في هذا الدهر الذي غبر ، حتى خلقناه من بعد طول الدهور ، وكوناه ، والمعنيُّ بذلك فهو جميع الناس ، الذين خلقوا من بعد أن لم يكونوا ، فأراد الله تبارك وتعالى بذكر ذلك ـ الأخبارَ لهم بأنه قد كون أولهم من بعد العدم إذ لاشيء من الأشياء ، ثم صور آخرهم فيما قدر من الماء المهين ، فكل كان ووجد وخلق وقدر بعد العدم الطويل .

ثم قال :﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة**﴾ ومعنى ﴿**إنا**﴾ هو : نحن ، ومعنى ﴿**خلقنا**﴾ هو : أوجدنا ، وصورنا ، وجعلنا ، وقدرنا الإنسان من نطفة ، والنطفة : فهو المني ، و المني : الماء الذي يخرج من الرجل عند جماعه فيقع في الرحم ، ويخلقه الله ما يشاء من الذكر والأنثى .

﴿**أمشاج نبتليه**﴾ والأمشاج : فهي الأوصال الموصلة ، والأعضاء المفصلة والقطع المتلائمة المضموم بعضها إلى بعض ، و المعلق كل شيء منها في شيء ؛ تدبيرا من الرحمن في تأليف ما ألف من الإنسان ، قوله :﴿**نبتليه**﴾ أي : نختبره ، ونمتحنه بما يرى من أثر تأليفنا وتقديرنا لخلقه ، لننظر كيف يكون شكره على ذلك ، لمن فطره وجعله كذلك .

﴿**فجعلناه سميعا بصيرا**﴾ يقول : خلقناه ذا سمع يسمع به ، وذا بصر يبصر به ليكون أعظم في النعمة ، وأكثر في الإبتلاء وأثبت للحجة .

﴿إنا هديناه السبيل﴾ معنى هديناه : أي إنا عرفناه وبصرناه وبينا له ، والسبيل : فهو سبيل الله الذي هدى إليه عباده ، وسبيل الله فهو دين الله ومراده من خلقه الذي أراده أن يعبدوه به .

﴿إما شاكرا وإما كفورا﴾ يقول : فلا بد أن يكون شاكرا لذلك من جَعْلِنا ، أو كافرا لما أوليناه في ذلك من نعمنا ، والشاكر : فهو العارف بفضل ما أولى ، الذاكر له بلسانه وقلبه ، والكفور : فهو المعرض عن حمد من أولاه الجميل ، الذي ليس بشاكر لذلك ولا ذاكر .

ثم أخبر سبحانه بما أعد لمن كفر نعمه فقال :﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا﴾ والسلاسل : فهي سلاسل من حديد يقرنون فيها ، منها السلسلة التي قال الله تبارك وتعالى :﴿[ثم] في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ (١) والأغلال : فهي الأغلال المفهومة من الحديد في الدنيا ، التي يغل بها المغلولون وهي: عمد حديد تربط في الأيدي إلى الرقاب ، طول كل عمود شرا أو أقل : كذلك يغل الله أعداءه في النار ؛ ليكون ذلك أنكى في العذاب ، وأضيق للصدور وأشد للبلاء . والسعير : فهو لهب النار , واستعارها : فهو توقدها وتلهبها .

ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأبرار الشاكرين فقال :﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾ والأبرار فهم : الذين برأوا أنفسهم بالصيانة لها عن النار ، أو إخراجها من العقاب وإدخالها في النعيم والثواب ، فصاروا بذلك من فعلهم أتقياء وسموا به بررة أولياء ، والكاس التي يشربون منها : فهي المشارب ، والآنية التي يشربون بها ما يشرب من أنواع الأشربة والماء .

ومعنى ﴿كان مزاجها كافورا﴾ فهو إخبار من الله أن طعم ما يشرب من تلك المياه يوجد كالمخلوط بالكافور ، وهو أطيب ما يكون طعما ورائحة .

ثم قال :﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾ والعين من الماء : السائح على وجه الأرض ، الكثير الجاري . ومعنى ﴿يشرب بها﴾ أي : يشرب

(١) ـ الحاقة : ٣٢

منها ﴿يفجرونها تفجيرا﴾ أي يصرفونها حيث ما شآؤا ، ويسيلونها أين ما أحبوا تسييلا .

﴿يوفون بالنذر﴾ فمعنى يوفون : يتمون ، ويوفون ويؤدون ما عليهم من ذلك والنذر : فمعناه الواجب من كل شيء ، وكل ما وجب على الإنسان من شيء فهو نذر عليه ، من ذلك أن يوجب على نفسه لله شيئا وينذره ، ومعنى ينذره : أي يوجبه على نفسه من صيام أو صلاة ، أو عتق أو صدقة ، أوفي شيء من أفعال البر ،ومن النذر أداء واجب الزكاة ، ومن النذر الصيام والصلاة ، وغيرهما من الفرائض الواجبات ، وكل ما أوجب الله على العباد من فرائضه ، أو أوجبوه على أنفسهم له فهو نذر عليهم ؛ لأن العرب تسمي كل واجب نذرا ، وتدعوه بذلك ، من ذلك ماتقول العرب لمن تثق به وتعدله في تقدير جراحها : نَذْرَ جراح فلان ، تريد أوجب فيه ـ من الدية والغرم والواجب ـ ما يجب في مثلها ، وتقول : نَذْرُ هذا الجرح كذا وكذا ، تريد الواجب فيه . فمدح الله سبحانه كل موف بنذره ، ومؤديا للواجب عليه في كل أمره .

و﴿يخافون﴾ فهو يتقون ويحاذرون ﴿يوما كان شره﴾ فهو يوم القيامة ، وشره : فهو بلاؤه وعذابه وحسراته وشقاؤه ﴿مستطيرا﴾ أي ظاهرا عاليا مكشوفا مبينا .

﴿ويطعمون الطعام﴾ فإطعامهم : إعطاؤه والجود به والبذل ، والطعام : فهو المعيشة من كل ما جعله الله غذاء للبشر وعيشا وقواما ﴿على حبه﴾ يقول : على الحاجة إليه والرغبة فيه في ساعة العسرة والضيق والشدة ﴿مسكينا﴾ فهو الفقير المحتاج إلى الطعام ﴿ويتيما﴾ فهو الطفل الذي لا والد له ، الذي قد ثكل والديه أو أحدهما ، وعدم حسن نظرهما وقيامهما وعنايتهما وكفايتهما ﴿وأسيرا﴾ والأسير: كل مأسور قد أوثق أسره ، واشتد بالأسر عليه حاله وأمره ، ممن لا يقدر على ماله وأهله ، من الأسارى الذي أسرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من الكفرة الفاجرين ، وكذلك من أسرته الأئمة الهادون من متأول فاجر ، أو جاحد كافر فواجب على من أسر أسيرا من الفاسقين والكافرين ـ إن لم يكن له مال، ولا سبيل إلى سعة حال بوجه من الوجوه ـ أن ينفق عليه من بيت مال المسلمين بالمعروف وإن

كان له مال ، أو كان في قرب أهله ، ومن يبلغه منافعه وجب عليه أن يأمره بالإستنفاق من ماله ، ولم ينبغ لنا أن ننفق عليه أموال المسلمين إذا كان بالإنفاق على نفسه من الواجدين ، وفقراء المسلمين أولى بتلك الفضلة ، وبتلك التوسعة فهذا يجب النظر فيه وتمييزه على الإمام ، ومن أطعم غير هؤلاء الثلاثة من سائر أهل الإسلام فهو مأجور أيضا على ذلك محمود .

وقد ذكر أن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعال فأثنى الله سبحانه عليهم هم ***الخمسة محمد صلى الله عليه وآله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رحمة الله عليهم*** فعلوا ذلك في وقت عسرة وضيق شديد ، وحاجة إلى المعاش ، فأثنى الله سبحانه كذلك عليهم [1] وذكر ما سيأتي ذكره ، مما أعد الله لهم من الثواب ،

---

(١) - تخريج الحديث في سبب نزول الآيات وأنها في أهل الكساء الخمسة : أخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥٨/١ برقم ٢٣ والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ٣٠٩/٢ رقم ١٠٦١ ط ١ ، والحافظ فرات الكوفي في تفسيره ص ١٩٩ ط ١ .

كما أخرجه محمد بن سليمان في المناقب ١٧٧/١ رقم ٩٧ عن زيد بن أرقم .

وأخرجه أيضا محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١٧٧/١ والحسكاني بأسانيد كثيرة ٢٩٩/٢ - ٣١٠ ط ١ والثعلبي في تفسير (سورة هل أتى) بسندين ، والخوارزمي عنه في مناقب أمير المؤمنين فصل ١٧ ص ١٨٨ ط الغري ، وابن البطريق في الحديث (٥٧٠) فصل ٣٦ من كتاب العمدة ص ٨٦ ، وفي كتاب خصائص الوحي المبين ص ١٠٠ ط ١ عن الثعلبي ، كما رواه الصدوق في أماليه حديث (١١) بجلس (٤٤) من أماليه ص ٢١٢ عن ابن عباس .

وأخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١٨٤/١ رقم (١٠٤) بأسانيد عن ابن عباس ومجاهد .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا تنتهي أسانيدها إلى أمير المؤمنين وابن عباس وزيد بن أرقم وأبي رافع والأصبغ بن نباته والباقر والصادق ومجاهد وطاووس .

وهو في تفسير الحافظ الحسين بن الحكم الحبري رقم ٦٩ ص ٧٦ عن ابن عباس قال محققه السيد محمد رضا الحسيني : وللحديث شواهد كثيرة منها :

١- عن الأصبغ بن نباته في حديث طويل أخرجه الكنجي في كفاية الطالب ص ٣٤٥ ، وقال : قلت هكذا رواه الحافظ ابوعبدالله الحميدي في فوائده ، وما رويناه إلا من هذا الوجه ، ورواه الحاكم ابوعبدالله في مناقب فاطمة عليها السلام ، ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا في سبب نزول (هل أتى) .

٢- وعن طاووس ، روي ليث عنه في مناقب ابن المغازلي ص ٢٧٢ حديث ٣٢٠ .

٣- وعن ابن عباس رواية أبي صالح في المنت الحديث ٦٩ ، والقسم بن يحي في تذكرة الخواص ص ٣٢٢ عن البغوي والثعلبي . ٤- ورواية عطاء عن ابن عباس في أسباب الواحدي ص ٣٣١ ، وذخائر العقبى ص ١٠٢ وانظر سمط النجوم ٢/ ٤٧٤ .

وكان في قولهم في ذلك لمن أطعموه فشكرهم الله ما ذكر الله من قولهم :﴿**إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾ معنى ﴿**نطعمكم لوجه الله**﴾ هو نطعمكم لله تقربا إليه ﴿**لا نريد منكم جزاء**﴾ أي لا نريد منكم عطاء على ذلك ﴿**ولا شكورا**﴾ أي :لا حمدا ولا ثناء ولا شكورا ، إنا إنما فعلنا ذلك لأنفسنا ولم نفعله لكم .

﴿**إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا**﴾ معنى ﴿**إنا**﴾ أي : نحن ﴿**نخاف**﴾ أي: نتقي ﴿**يوما عبوسا**﴾ والعبوس : فهو الشديد المعبس لوجوه الناس لشدته والقمطرير : فهو المتضاعف الشدة ، الصعب الأمر الذي ليس بعد شدته شدة المتراكبة شدته شيأ فوق شيء .

فأخبر الله سبحانه أنه قد وقاهم شر ما يخافون من ذلك اليوم فقال :﴿**فوقاهم الله شر ذلك اليوم**﴾ ومعنى ﴿**فوقاهم**﴾ فهو صرف عنهم هوله ، وكفاهم شره والشر : فهو بلاؤه وعذابه ، و﴿**ذلك اليوم**﴾ فهو يوم الفصل والحشر ﴿**ولقاهم**﴾ أي أعطاهم وأناهم ﴿**نظرة**﴾ ومعنى إعطائه إياهم لها فهو إلقاؤها عليهم ، وجعلها في وجوههم ، والنضرة فهي : البهجة وحسن الحال في الرؤية ، وظهور النعمة ﴿**وسرورا**﴾ فهو بالبشارة التي يلقيها إليهم ، والسرور الذي ينعم به سبحانه عليهم حتى يتمكن السرور بذلك في صدورهم ، كما يمكن النظرة في وجوههم ، بما يأمنون من عقابه ، وما يرجون من ثوابه .

﴿**وجزاهم بما صبروا**﴾ يقول سبحانه : أعطاهم ثوابا على صبرهم على محن ربهم وما نالهم فيه من البلاء من أعدائه ﴿**جنة وحريرا**﴾ والجنة في مساكن الآخرة التي أعدها الله للمتقين ، فيها لذة أنفسهم ، وشهوات قلوبهم ، وحريرا : فهو الحرير الملبوس المعروف ، غير أن لحرير الآخرة فضلا .

---

٥ ـ ورواية مجاهد عن ابن عباس في الينابيع (ب ٢ ص ١٠٨) عن الحمويني ، وفي العمدة (ف ٣٦ ص ١٨١ ١٨٢) عن الثعلبي في كتابه البلغة ، وفي تذكرة الخواص ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣وفي أسد الغابة ٥ /٥٣٠ ـ ٥٣١ .

٦ـ ومرسلا عن ابن عباس في الينابيع (ب ٥٦ ص ٢٥١) وسعد السعود ص ١٤١ ـ ١٤٢ عن الكشاف والدر المنثور ٦/ ٢٩٩ عن ابن مردويه ، وانظر مناقب الخوارزمي في فصل ١٧ ص ١٨٨ .

قلت : والحديث مشهور انظر تاريخ ابن عساكر وموسوعة أطراف الحديث النبوي وغيرها .

﴿**متكئين فيها على الأرائك**﴾ والإتكاء فهو: ضرب من الإضطجاع ، وهو ماكان من الإتكاء على جانب ، والإتكاء فهو : الميلان يمينا ويسارا ، ومعنى ﴿**فيها**﴾ فهو : في الجنة التي ذكر الله على الأرائك . والأرائك : فهي الأرائك المعروفة التي تضرب في صدور البيوت ، يرقد فيها ويتكأ عليها ، ويرخى جوانبها على ما فيها من أهلها ، وتدال جوانبها وأغشيتها ، وهي تكون كلها من الحرير .

ومعنى ﴿**على الأرائك**﴾ فهو في الأرائك غير أنها حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، وهي الثمانية والأربعون حرفا ، قال الله سبحانه فيما حكى عن فرعون اللعين :﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ [1] فأراد على جذوع النخل ، فأقام في مقام على ، وكذلك قال هاهنا :﴿**على الأرائك**﴾ فأقام على مقام في قال الشاعر :

شربن بماء البحر ثم ترفعت   لدى لجج خضر لهن نئيج

فقال : ترفعت لدى لجج ، يريد على لجج ، فأقام لدى مقام على ؛ لأنها من حروف الصفات ، وكذلك تقول العرب : رضي الله عليك ، يريد رضي الله عنك وأكثر من يستعمل ذلك فأهل اليمن ، وقد قال غيرنا : إن الأرائك هي الأسرة وليس بمعروف في اللغة ولله الحمد .

ثم قال سبحانه :﴿**لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**﴾ يعني سبحانه في الجنة ومعنى ﴿**لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**﴾ أي لا يجدون فيها وهج شمس ، ولا حرها . والزمهرير : فهو البرد الشديد الذي ينتفض منه الإنسان ، وتضطرب منه أعضاؤه لشدته ، وألمه ومداخلته لجميع لُمَّة بدنه ، فأخبر تبارك وتعالى أنهم لا يجدون في الجنة حرا مؤذيا ، ولا بردا مؤلما ، وأن هواها ألذ هواء ، وحال أهلها أحسن حال دائم نعمته ، سرمد سروره .

ثم قال عز وجل :﴿**ودانية عليهم ظلالها**﴾ فدنو الظلال عليهم : فهو غشيانها لهم ، وإظلالها عليهم وقربها منهم ، ولا أحسب ــ والله أعلم ــ أن الله عنى بهذا الظلال في هذا الموضع إلا ظلال الأشجار ، الدانية الثمار المتهدلة ﴿**وذللت قطوفها**

(١) ـ طه : ٧١

تذليلا﴾ والقطوف : فهي الثمار التي تقطف ، ومعنى تقطف : أي تقطع للأكل وتجذ والتذليل : فهو الإرخاء والإدناء حتى تدنو وتدلى وتقرب من آخذها ، وتمكن لآكلها ، فذلك معنى تذللها ، ومعنى **﴿تذليلا﴾** أي أدنيت إدناء وقربت تقريبا .

﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ والطوفان بها : هو الدوران بها عليهم والعرض لها ، والآنية : فهي آنية المشارب والمطاعم ، يطاف عليهم بما فيها من الأطعمة والأشربة ، يعرض عليهم أكلها وشربها في كل ساعة وأوان ، كرامة لهم من الله الواحد المنان ، وهي الصحاف والأخونة [1] والجفان ، وغير ذلك مما يكون فيه الطعام . والأكواب : فهي الكيزان ، والأقداح ذوات الحسن والهيئة والأرجل من فضة ، و الفضة فهي : هذه الفضة المعروفة البيضاء المخلصة .

﴿كانت قواريرا قواريرا﴾ يريد ـ والله أعلم ـ التمثيل لها في ذكره القوارير بصفاء القوارير التي يرى جميع ما فيها ، فذكر أن هذه الآنية **﴿من فضة﴾** صافية منيرة رقيقة ومضيئة ، يرى ما فيها كما يرى ما في القوارير من ورائها . **﴿قدروها تقديرا﴾** يريد سبحانه : أنهم يقدرون أوقات الطوفان بها على الآكلين والشاربين تقديرا حسنا ، فيأتونهم بها على أوقات حاجتهم إليها ، ويكون ذلك من هؤلاء المقدرين من الخدم والطوافين بها عليهم تقديرا حسنا ومعرفة بقدر الأوقات التي يحتاج أهل الجنة إلى تقريب هذه الآنية التي فيها المأكل والمشارب ، فهذا أحسن ما علمناه من التأويل في **﴿قدروها تقديرا﴾** .

﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾ والكأس التي يسقونها : هي الشراب الذي في الكأس ، غير أن العرب تدعو ما كان في الكأس كأسا ، تقول : اسقني كأسا وقدحا واحدا ، تريد اسقني ملأه ماء فأراد الله عز وجل أنهم يسقون في الكأس ما يكون مزاجه زنجبيلا ، ومعنى ذلك : أنه توجد فيه رائحة الزنجبيل وطعمه ، فهذا معنى مزاجها .

---

(١) ـ الخُوَان : مايؤكل عليه جمعه أخْوِنَة ، وخون ، وأخاوين . المعجم الوسيط

﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ العين فيها فهي : الماء السائل الكثير الجاري النابع من الأرض ﴿فيها﴾ يعني الجنة ﴿تسمى﴾ أي تدعى ﴿سلسبيلا﴾ وهو اسم لتلك العين ، ومعناه : العذب الطيب السلس الخروج ، السلس المدخل ، المريء الغذاء والزنجبيل : فهو عود طيب المطعم ، يتداوى به في كثير من الأشياء ، ويكسب آكله المرى ، ويخفف عنه ثقل الغذاء .

﴿ويطوف عليهم﴾ أي تدور الخدم عليهم ﴿ولدان مخلدون﴾ والولدان فهم الوصفاء ﴿مخلدون﴾ فهم المعمرون الذين لا يموتون ولا يفقدهم من جعلوا له ؛ لأن أهل الآخرة لا يموتون بعد مصيرهم إليها ، فمدحهم الله عز وجل بالخلود ، وهو أفضل ما أعطي العاملون .

﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ يقول : إذا أبصرتهم شبهتهم باللؤلؤ المنثور في صفاء ألوانهم ، وحسن أبشارهم ، ومعنى منثور : فهو المتفرق والمتبدد ، وإنما عنى الله سبحانه من اللؤلؤ كباره ودره وحسانه .

﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما﴾ يقول : إذا عاينت ما ثم وأبصرته رأيت النعيم العظيم ، والنعيم : فهو كثرة الخير من الأطعمات ، والأشربات ، والآلات والأبيات ومعنى ﴿ثَمَّ﴾ يريد : هناك ﴿وملكا كبيرا﴾ والملك : فهو ما أعطاهم الله ثم وجعل لهم في تلك الدار ، من آنيات الذهب والفضة ، والثياب الكثيرة من كل لون والخدم وقصور الدر والياقوت والذهب والفضة ، وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين ، من منكح ، أو مطعم ، أو مشرب ، أو لباس ، أو ركوب ، أو غير ذلك من الثمار والأشجار والعيون والأنهار ، ثم مع ذلك أن كل ما هم فيه دائم أبد الأبد لا يدخله تغيير ولا فناء ، فهذا الملك غير الملك في الدنيا ، ومعنى ﴿كبيرا﴾ فهو: عظيم كثير ممدود غزير .

﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ والسندس والإستبرق : فهو من الحرير والديباج ، غير أن السندس أخضر والإستبرق أحمر - والله أعلم وأحكم - .

﴿**وحلوا أساور من فضة**﴾ يعني هؤلاء الولدان ، الذين هم خدم أهل الجنة فذكر لباسهم وحليتهم . والفضة : فهي الفضة المعروفة البيضاء النقية

ثم رجع إلى صفة سادتهم من أهل الجنان فقال :﴿**وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء**﴾ يريد مكافأة لكم على عملكم ، وعطاء على سعيكم ﴿**وكان سعيكم مشكورا**﴾ فالسعي : هو العمل ، والمشكور : هو المقبول ، فأراد الله سبحانه بقوله :﴿**سعيكم مشكورا**﴾ أي : عملكم عندنا مقبولا .

﴿:**إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**﴾ معنى ﴿**إنا**﴾ يريد أي : نحن . إخبار عن فعله ، ومعناه دلالة عليه سبحانه ﴿**نزلنا**﴾ معناها أنزلنا ، وأوردنا ﴿**عليك القرآن تنزيلا**﴾ أي شيئا شيئا حقا حقا .

﴿**فاصبر لحكم ربك**﴾ يريد : فاصبر على ما حكم به ربك ، من معاشرتهم ومنافستهم ، والإعذار والإنذار إليهم ﴿**ولا تطع منهم آثما أو كفورا**﴾ يريد:لا تطع من كان آثما كافرا بربه ، والآثم : فهو كل من يفعل ما يأثم فيه ، والآثم : فهو العنود عن الحق ، والكفور : فهو الكافر بربه الراكب لكبائر معاصي خالقه .

والطاعة التي نهى الله رسوله عنها في هذا الموضع فهو : الإتقاء والمخافة لوعيدهم فقال سبحانه : لا تخف شيئا من وعيدهم وإبراقهم وإرعادهم عليك ، فتقف بذلك عن شيء مما يكرهون ، من إقامة حدود دينك والإعلان بها .

[سبب نزول الآية]

وقد ذكر أن معنى هذه الآية : نزلت في أبي جهل بن هشام لعنه الله ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله كان يغدو كل يوم فيصلي عند الكعبة فقال أبو جهل : والله لئن لم يدع محمد هذا الذي هو عليه من الصلوات بين أيدينا لأرضخن رأسه بصخرة إذا سجد ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فأنزل الله عليه ما يثبته به فقال :﴿**لا تطع منهم**﴾ أي : لا تهب وعيدهم فتترك ما فيه غمهم فيكون ذلك شبه الطاعة ، فلم يبال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله بوعيده وغدا لصلاته كما كان يفعل ، فأخذ أبو جهل صخرا كبيرا ، ثم أتى به من وراء

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يمشي ، حتى إذا قاربه رمى بالحجر من يده في الأرض ، ورجع هاربا مخلوعا[1] فقيل له في ذلك ؟ فقال : إني لما دنوت منه حَمَلَ عليَّ جَمَل لم أر أكبر منه من الجمال ، ولا أعظم رقبة ، ولا أكبر أنيابا فاتحا فاه يريد أن يأكلني فرميت بالحجر وهربت منه ، وتا الله لو وقفت لازدردني .

ثم **أمره** سبحانه بالمضي على ما كان عليه ، من ذكر ربه في صلاته على رؤوسهم صاغرين داخرين فقال :**﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾** والذكر لاسم ربه : فهو ذكره ، وهو القرآن **﴿بكرة وأصيلا﴾** فالبكرة : أول الغداة ، وهي صلاة الفجر ، وأصيلا : فهو العشي ، وهي صلاة الظهر والعصر .

﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾ فهو صلاة المغرب والعتمة ، فأمره سبحانه بالسجود في هذه الأوقات ، وهي أوقات الصلاة ، وأمره بالتسبيح ليلا طويلا ، والطويل : هاهنا الذي أمره به فهو من حين يدخل في الصلاة حتى يفرغ منها .

فهذا فرض التسبيح الذي ذكر الله سبحانه ، وقد يدخل في ذلك كل ما كان من التسبيح في غير الصلاة ، والتقرب بذلك إلى الله؛ فكان أمره له بالتسبيح في الصلاة فرضا ، وما كان في غير الصلاة والتقرب بذلك إلى الله ـ فكان أمره له بالتسبيح في الصلاة فرضا ، وما كان في غير الصلاة فهو نافلة ، ووسيلة إلى الله، وخير وفضيلة .

ثم قال :**﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾** وهؤلاء : فهم الذي كانوا على عصر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من أهل الشرك والكفر والمضارة له ، يحبون ويؤثرون ويختارون العاجلة ، والعاجلة فهي : الدنيا الأولة **﴿ويذرون وراءهم﴾** سبحانه: يتركون ما وراءهم ويرفضون ، ومعنى يقول **﴿وراءهم﴾** فهو : قدامهم غير أن وراء وقدام من حروف الصفات ، وقد تقدم ذكر حروف الصفات أن بعضها يخلف بعضا في مكانه ، وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذلك :

أليس ورائي إن تراخت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

---

(١) ـ أي فزعا .

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكـع

﴿يوما ثقيلا﴾ فهو : يوم القيامة ، والثقيل : فهو الشديد الهائل العظيم الفادح لأهله .

ثم قال سبحانه احتجاجا عليهم ، بما أنعم الله عليهم فقال :﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ فقال :﴿خلقناهم﴾ أي :جعلناهم وفطرناهم ﴿وشددنا﴾ أي: قوينا ﴿أسرهم﴾ والأسر : فهو الخلق وتركيب المفاصل ، وتثبيت الأعضاء ، فيقول: شددنا ذلك كله ، ومكناه وثبتناه وفصلناه (١).

﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ ومعنى ﴿شئنا﴾ : أردنا ، أي إذا شئنا أهلكناهم وأبدناهم ، وأنشأنا خلقا غيرهم مثلهم ﴿تبديلا﴾ فهو : جعلناه جعلا وآتينا بمثله بدلا منهم ، اقتدارا وإنفاذ إرادة ، هذا معنى تبديلا ، تأكيد لما ذكر من تبديل المبدل ، وإحداث ما يحدث ، بدلا من الذاهب ، وهي كلمة للعرب تؤكد بها المعنى الذي تريده وتذكره ، تقول العرب : كلمناه تكليما،توكيدا للكلام ، وتقول: ضربناه ضربا ، تؤكد بها الضرب ، وأخرجناه إخراجا ، تؤكد الإخراج بقولها : إخراجا ، وكذلك أدخلناه إدخالا ، تؤكد الإدخال بقولها : إدخالا ، وتقول : بدلناه تبديلا ، تؤكد معنى التبديل بقولها : تبديلا .

﴿إن هذه تذكرة﴾ فمعنى هذه : هي الأقاويل والمعاني ، والإحتجاج عليكم بما كان منا في خلقكم وتركيبكم ؛ تذكرة لكم ، ومعنى تذكرة أي : تنبيها لكم وحجة عليكم ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ يريد بقوله :﴿من شاء﴾ أي : من أراد ، ومعنى ﴿اتخذ﴾ فهو: فَعَلَ ، وقَدَّمَ ، وجَعَلَ ، ومعنى ﴿إلى ربه﴾ هو : إلى

---

(١) - وفي مجموع تفسير الأئمة المخطوط ص ٣٨٥ قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في جوابه على مسائل في التفسير ما لفظه :"وسألت عن قول الله سبحانه :﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ فهذا إخبار من الله سبحانه أنه خلق خلقه بلا عون من أحد في ذلك له ، وأنه هو المتفرد بخلقهم وإيجادهم ، وشد أسرهم : فهو تقوية أسرهم ، وأسرهم : فهو نباتهم وعقدهم ، وتركيبهم على ما جعلهم عليه وقدرهم .

ومعنى قوله ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ المعنى فيه : إذا شئنا أهلكناهم وأبدناهم وأنشأنا خلقا غيرهم مثلهم ﴿تبديلا﴾ فهو جعلناه جعلا ، وآتينا بمثلهم بدلا منهم اقتدارا ونفاذ إرادة ، فهذا معنى تبديلا تأكيد لما ذكر من تبديل المبدل ، وإحداث ما يجب بدلا من الذاهب ، وهي كلمة للعرب تؤكد بها المعنى الذي تريده وتذكره ، تقول العرب : كلمناه تكليما تؤكد الكلام ، وتقول : ضربناه ضربا .. الخ

عند ربه ، ومعنى اتخاذ العبد عند ربه هو : تقديمه للعمل الصالح ، الذي يجد ثوابه عند ربه في يوم حشره ، ومعنى ﴿سبيلا﴾ أي : وصلة ومعنى صالحا : يجد عند الله ثوابه .

﴿وما تشآؤن إلا أن يشاء الله﴾ يقول سبحانه : وما تقدرون على اتخاذ السبيل إلى الله ، إلا أن يجعل فيكم استطاعة وقوة على ذلك ، وعقولا تميزون بها بين رضاء الله وسخطه ، فتتبعون الرضاء ، وتدعون السخط ، فلولا أن الله أراد أن يجعل فيكم تلك الإستطاعة التي تنالون بها التمييز ، وتصلون بها إلى العمل ، ما قدرتم على ذلك أبدا ، غير [أن] الله سبحانه أراد أن يجعل استطاعة ذلك فيكم ، وتركيبها ، فجعل فيكم استطاعة تنالون بها الخير والشر ، وأمركم ونهاكم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ [1].

﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ فمعنى ﴿كان﴾ أي لم يزل ، ومعنى ﴿عليما﴾ فهو الذي لا يخفى عليه شيء ، العالم بكل شيء كان أو لم يكن مما سيكون ، فقد علم من كان من قبل أن يكون ، وعلم ما سيكون أنه سيكون من قبل أن يكون ، ومعنى ﴿حكيما﴾ أي : متقنا لفطرته وجعله وخلقه ، الذي لا يتغير ما أثبت ولايثبت ما غير الجاعل ما لا يصلحُ غيُره ، الحسن التدبير ، الجيد التقدير ، الذي لا تفاوت في خلقه ولا فساد في تدبيره .

ثم قال سبحانه ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ والرحمة : هي الثواب ، والذي شاء أن يدخلهم في رحمته فهم أهل طاعته دون أهل معصيته ، ألا تسمع كيف ميز بينهم وبين الظالمين فقال :﴿والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ فجعل الرحمة للمطيعين والعذاب الأليم للظالمين ، والظالمون : فهم الظالمون لأنفسهم بإدخالها في عذاب ربهم

قوله :﴿أعد﴾ أي : هيأ وجعل ، والأليم : فهو الشديد المؤلم الموجع ، المبالغ ممن داناه ، والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما .

---

(١) ـ الأنفال : ٤٢

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله عز وجل :﴿لا اقسم بيوم القيامة﴾ معناها : ألا أقسم بيوم القيامة فطرح الألف وهو يريدها فخرج معنى نفي ، وإنما معناه معنى إيجاب قسم ، وقد تقدم شرحنا لطرح الألف وإثباتها في تفسير أول ﴿عم يتسآلون﴾ .

معنى ﴿أقسم﴾ أي أحلف وأذكر ، يوم القيامة : فهو يوم الحشر للعالمين، والمناقشة للمربوبين ، وإنما سمي قيامة لما يقوم فيه من الأمر العظيم الهائل الجسيم ، ومعنى يقوم فهو : يقع فيه ، أي يكون فيه .

﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ فهو أيضا قسم طرحت منه الألف ، كأن معناها أوّلاً : أقسم بالنفس اللوامة ، والنفس اللوامة : فهو نفوس الثقلين ، اللوامة : فهي النادمة المتحسرة التي تلوم صاحبها ، وذلك أنه ليس من مؤمن ولا كافر إلا وسيلوم نفسه في يوم القيامة ، فأما نفس المؤمن فتلومه أن لا يكون ازداد إيمانا وعملا ؛ إذ رأت ما جعل لها على إيمانها من الجزاء والنعيم والفوز الكريم ، والملك العظيم ، وأما نفس الكافر فتلومه على ما قدم من المعاصي والردى ، عند معاينتها لما نزل بها من العذاب الأليم ، والبلاء .

وإنما أقسم الله سبحانه بيوم القيامة لما فيه من عجيب الأمور ، والفصل والقضاء بالحق والإستواء ، ولما فيه من عظيم الثواب لأهله ، وجليل العقاب لمستحقه ، وأنه يوم عظيم الأمر ، جليل الخطر لما فيه من العدل والحق والفصل بين جميع الخلق، فأراد سبحانه بالقسم به التنبيه على جليل ما فيه من آياته وأخبر به من صفاته .

وكذلك أقسم باللوامة تنبيها على جليل ما قدر النفس عليه وفطرها من الفطرة فيه فجعلها بتقديره ساكنة في معامد الإنسان ومقاتله ، يجري منها نفسه وتثبت بها حياته

ويكون بها طرأة جسمه ، ولين مفاصله واستقامة جوارحه ، فنبه ا لله عز وجل على هذا العجيب ، من فعله العظيم ، من صنعه في النفس بما أقسم به منها ، وإنما يقسم ا لله تبارك وتعالى من الأشياء بكل أمر فيه تدبير ، أو أثر صنع حسن أو تقدير ، يكون ظاهر الشهادة بالحكمة لجاعله ، قاطعا بالقدرة لفاعله ، يقسم ا لله به تنبيها لعباده على التفكر - والتذكر لما فيه من أثر صنعه ، والشواهد له سبحانه بربوبيته .

وقد قال بعض من يتعاطى التفسير : إن معنى قسم ا لله بهذه الأشياء هو : قسم بجاعلها . يزعمون أنه سبحانه أراد لا أقسم برب يوم القيامة ، وكذلك لا أقسم برب النفس اللوامة ، وهذا عندنا **ليس بشيء** ، وليس يقول بهذا القول من الخلق إلا أعمى جاهل لما يريد ا لله بقسمه لما يقسم به من الأشياء .

ثم قال سبحانه :﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**﴾ يقول : أيظن الإنسان أي يتوهم أنا لن نجمع عظامه ، معنى ﴿**نجمع عظامه**﴾ أي : نردها بعد تمزقها وبلائها ونحييها بعد ذهابها وفنائها ، والإنسان هاهنا : فهو جميع الناس الذين شكوا في ذلك من فعل ا لله ، وأنكروه من قول ا لله ، ممن عَنَدَ عن دين ا لله ، ولم يؤمن برسول ا لله من الجاهلية الجهلاء من قريش ، ومن شاركهم من العرب وغيرهم .

ثم قال سبحانه :﴿**بلى قادرين على أن نسوي بنانه**﴾ يقول : بلى نحن على خلاف ما قالوا ، ونحن قادرون على تسوية بنانه ، والبنان : فهو الخلق والأسر والتأليف في الأعضاء والجعل ، و﴿**نسوي**﴾ فهو : نجعل ونحيي ، ونرد إلى القوة كل ما قد بلي من عظم أو لحم ، حتى نرد بنانه إلى الاستواء بعد ما كان عليه من الخراب والفناء .

ثم قال :﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾ الإنسان : هو الناس ، والإرادة منهم : هي المشيئة ﴿**ليفجر**﴾ أي : ليعصي ربه ويتبع شهوة نفسه ، ويسعى في لذة قلبه ومعنى ﴿**أمامه**﴾ فهو : مابقي من عمره وحياته ، يريد أن الفاسق يريد أن يجعل باقي حياته كلها فجورا وفسقا ، وعصيانا لله سبحانه وعتيا .

﴿**يسأل أيان يوم القيامة**﴾ معنى ﴿**أيان**﴾ أي : متى يوم القيامة ؟ فأخبر سبحانه

بأول أشراط يوم القيامة فقال : ﴿**فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر**﴾ فأخبر أن القيامة إذا كانت هذه الشروط وعوينت ، فهو يوم القيامة، ومعنى ﴿**برق البصر**﴾ فهو شخص وحار لما يرى من هول ذلك اليوم ﴿**وخسف القمر**﴾ فهو سقط وذهب وانحل وانقضى ، ومعنى ﴿**جمع الشمس والقمر**﴾ فهو جمعا في نفاذ الإرادة فيهما وإمضاء المشيئة في فنائهما وانقضائهما ، فيقول : جُمِعَتَا جميعاً في حكم الذهاب والفناء ، وزوالهما عن مراتبهما ، وجمعا في المنع لهما عن الجولان والدوران في أفلاكهما ، وصارا ممنوعين مما كانا عليه ، منقولين مما كانا فيه مجتمعين في الفناء وفي التقطع والإنقضاء ، فقد انتضمهما ذلك جميعا ، ونزل بهما أمر الله معا فهذا معنى ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ .

﴿**يقول الإنسان يومئذ أين المفر**﴾ يريد : أين المذهب عندما يرى من البلاء ووقوع الوعيد عليه والجزاء ، والإنسان الذي يقول ما ذكر الله من قول الإنسان فهم أهل الكبائر والعصيان .

﴿**كلا لا وزر**﴾ يريد بكلا إنكارا عليه لطمعه في المفر ، ومعناها : لا يكون وزر والوزر : فهو الملجأ والمفر .

﴿**إلى ربك يومئذ المستقر**﴾ معنى ﴿**المستقر**﴾ فهو : المصير والمقر .

﴿**ينبأ الإنسان**﴾ أي : يعلم الإنسان ويخبر ويوقف على فعله ، ويذكر بما كان قد قدم وأخر ، الإنسان : فهو الناس كلهم ﴿**يومئذ**﴾ فهو يوم القيامة ﴿**بما قدم وأخر**﴾ فمعنى ﴿**قدم**﴾ أي ما سلف منه من العمل ، ومعنى ﴿**أخر**﴾ فهو : أخر النظر في عاقبته يقول : قدم عملا فعمله ، وأخر عن نفسه النظر والمخافة في عاقبته ، ومعنى ﴿**أخر**﴾ فهو : ترك ورفض الفكرة والخوف لمثل ما وقع فيه في يوم الدين ، من العذاب المهين على جزاء فعله المقدم ، هذا معنى قدم وأخر ، ولا يخرج أبدا على غير هذا المعنى ؛ لأن كل عمل عمله الإنسان قبل وفاته - فهو متقدم لوفاته وللقاء ربه ولا يجوز أن يقال لشيء فعله في حياته من فعله الماضي وصنعه الذي وجب عليه الوعيد به : إنه متأخر ولا إنه أخره ، كيف يكون مؤخرا بعد وفاته ، وقد وجب عليه

الوعيد بفعله ، وليس الذي ترك وأخر إلا ما ذكرنا ، من ترك المخافة للوعيد والفكرة فيه ، والنظر في عاقبته ، و ترك الإستعداد له .

ثم قال سبحانه :﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ يريد بل هو على نفسه حجه وشاهد عليها بما كان من فعلها ، وكذلك قوله سبحانه :﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ [1]يقول سبحانه : هو عالم في حياته بما يكون منه ، وهو أعلم الخلق بما هو عليه من ضميره وعلانيته ، فهو أبصر وأعلم بما هو عليه في حياته لربه ، وهو في الآخرة شاهد على نفسه بفعله في حياته حجة لنا عليها ، وقائل بالحق يوم الدين فيها .

﴿**ولو ألقى معاذيره**﴾ والإلقاء : هو الكلام والطرح للإعتذار ، والمعاذير : فهي الكلام الذي لا يثبت ولا يصح لقائله صدق ، فيقول سبحانه : هو عارف بنفسه عالم بغامض أمره ، وسر ضميره .

﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ يقول : لا تَذْكُرَنَّ منه شيئا حتى تفهمه ولا تعجل بإلقاء شيء منه إلى الناس حتى تحكمه ، وتثبت تنزيله [2]ومعناه في قلبك فتذكره من بعد ذلك ؛ فإنك إن عجلت بذكر تنزيل قبل فهم تأويل لم تأمن أن تسأل عن التأويل فلا تعلم ما أردنا به ، فاثبت وَتَأَنَّ حتى نعلمكه المعنيين كليهما ، فإنك لا تعلم الغيب ولا تعلم إلا ما علمناك ، ولا تفهم إلا ما فهمناك .

ثم قال سبحانه :﴿**إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾ يريد : جمع سوره في قلبه ، وتمكين القرآن كله في صدره ، والإيحاء به كله إليه ، وتنزيله شيئا شيئا عليه ، حتى يكمل القرآن كله في صدره مجتمعا وتضمه جوانحه بالحفظ له كله معا ، حتى يكون بحفظه وتأويله فَهِماً ، وبتنزيله ومعانيه عالماً ، فقد جمع الله ذلك كله وثبت به سبحانه فؤاده ، ومن الجمع جمع كل آية إلى سورتها ، حتى تكمل السورة على حقيقتها ، فتجتمع الآيات كلها إلى مواضعها ، وذلك أن القرآن نزل

---

(١) ـ يس : ٦٥

(٢) ـ في نسخة (حتى تحكمه وتثبت تنزيله) .

عليه صلى الله عليه وعلى آله خمسا خمسا ، فذكر الله سبحانه أنه سيجمعه له ومعنى جمعه : فهو تأليفه ، فذكر سبحانه أن عليه تأليف الآيات بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة سورة سورة ، فهذا معنى ﴿جمعه﴾ . ﴿وقرآنه﴾ فمعنى قرآنه : تنزيله إليك ، وتلاوته لديك ، وقراءة جبريل له عليك حرفا حرفا ، وتحفيظك إياه شيئا شيئا فهذا معنى ﴿قرآنه﴾ .

﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ يقول : إذا قرأه عليك جبريل يحفظك إياه فاتبع قراءة جبريل وتعليمه إياك ، ومعنى اتبع أي : اتبعه فيه ، وقل كما يقول ، واقرأ كما يقرأ وخذ ما يعطيك ، وتعلم ما يعلمك من القرآن الذي أمرناه بتعليمك إياه .

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ يقول سبحانه : إن علينا تبيين ما نزلناه إليك حرفا حرفا وتفسير ما فرضنا عليك فيه شيئا شيئا ، فاحفظ تنزيل ما أوحينا إليك تحفظا جيدا فإذا حفظت التنزيل علمناك التأويل ، وفهمناك تبيان ما فيه من الأمر الجليل ، فأراد الله سبحانه تثبيت قلبه بتعليمه القرآن شيئا فشيئا ، فعلمه التنزيل شيئا فشيئا ، وعلمه التأويل شيئا فشيئا ، فأراد سبحانه بقوله :﴿إن علينا بيانه﴾ أي الإخبار له بأن عليه بيان كل شيء أنزله عليه من حرام وحلال ، وتبيينه حتى يعلم بعد حفظ التنزيل وعلمه غوامض علم التأويل كله ، فلا يضل عنه منه حرف واحد صغير ، ولا يذهب منه قليل ولا كثير .

ثم قال سبحانه :﴿كلا بل تحبون العاجلة﴾ فأخبر أن من لا دين له من الخلق يحبون العاجلة ، والعاجلة : ما تعجل له ودنى وحضر وقرب من كل الأشياء ﴿وتذرون الآخرة﴾ معنى ﴿تذرون الآخرة﴾ هو : تتركون العمل لها ، وترفضون العمل الذي تنالون به خيرها ، فلما أن رفضوا العمل الذي ينالون به الآخرة كانوا للآخرة تاركين ، وللعاجلة التي عملوا لها مؤثرين ، والعاجلة : فهي الدنيا الفانية ، والآخرة : فهي المتأخرة الباقية .

﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ فيومئذ : هو يوم القيامة ، والناضرة : هي المسرورة البهجة المطمئنة الفرحة التي عليها لقلة الخوف النضرة ﴿إلى ربها ناظرة﴾

يريد : إلى ما يكون منه ناظرة ، ولثوابه ووعده منتظرة ، ومعنى ناظرة : أي راجية ولثوابه منتظرة ، كذلك تقول العرب : ما أنظر إلا إلى الله وإليك ، وليست تريد بذلك النظر بالعين إليه ، وإنما تريد فضله وعطاءه ، وكذلك يقول القائل من العرب لمن يطلب رفده وبره : عيني مفتوحة إليك ، وأنا ناظر إليك ، ليس يريد أن يفتح عينيه لينظر بها إلى جسمه ، فإنما تريد أن عيني مفتوحة إلى ما أرجو النظر إليه من عطائك ومواهبك وفعالك .

﴿**ووجوه يومئذ باسرة**﴾ فهو وجوه الكفار ، ومعنى ﴿**باسرة**﴾ أي : باسرة لأنفسها عن رحمة الله بما كان من عصيانها لله ، فلما أن عصت الله تلك الوجوه والأبدان ـ بسرت أنفسها عما أعده الله من الثواب والإحسان ، لمن أطاعه من جميع الإنسان ، فسماها باسرة ، إذ كانت قد بسرت أنفسها عن رحمة الله وثوابه في الآخرة ، بما قدمته من معصيته في العاجلة ، ومعنى بسرت أي : منعت ودفعت وحرمت .

﴿**تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾ ومعنى الظن هاهنا : اليقين ، يقول : توقن أنه سيفعل بها فاقرة ، ويفعل : أي يعمل بها ويصنع ، و الفاقرة : هي الداهية النازلة القاتلة المهلكة ، وإنما سميت فاقرة ؛ لأنها تفقر الظهر ، وتفقير الظهر قطعه ، تقول العرب : فقر ظهره ، أي دقه وقطعه وحفره ونقبه من ذلك ما تقول العرب : أفقروا في الشيء فقرا أي احفروا فيه حفرا ، ومن ذلك ما سمي عدم الدينار والدرهم فقرا ، لأن عدمهما يثقب القلب ويفقر الظهر ، فلما أن كان يعمل ذلك بصاحبه قيل: نزل به الفقر ، أي : نزل به ما يثقل به الحال في كل الأمر .

﴿**كلا إذا بلغت التراقي**﴾ فالبالغة للتراقي : هي النفس عند خروجها من الجسم وبلوغها تراقي صاحبها ، والتراقي : فهما ترقوتا الإنسان المعروفتان ، وهما العظمان اللذان تحت اللحيين إلى أسفل الرقبة وفوق الصدر ، يريد بقوله :﴿**كلا**﴾ أي : لاترجع النفس موضعها بعد بلوغ التراقي أبدا .

﴿**وقيل من راق**﴾ أراد بذلك الدليل على جهل الخلق بأمر الله ، وقلة علمهم

بانقضاء أجل صاحبهم ، فهم يطلبون له من يرقيه ، ويتوهمون أن بـه داء غـير المـوت الذي يفنيه فهم يقولون : من يرقي والراقي : هو الذي يعوذ ويرقي .

ثم قال :﴿وظن أنه الفراق﴾ يريد بقوله :﴿ظـن﴾ أي أيقـن صـاحب النفـس الـتي بلغت التراقي أن الذي هو به الموت ، الذي يفرق بينه وبين حياته ، وهو موقن بالموت لما قد رأى وعاين ووجد ، وأهله وإخوانه لا يوقنون بما أيقن ، فهم يطلبون لـه الرقـاء والدواء ، وقد عاين الداهية الدهياء ، وأيقن بالفراق والفناء .

﴿والتفت الساق بالساق﴾ والتفاف الساق بالساق : فهو صفهما لخـروج الـروح منهما فإحداهما على الأخرى ساقطة ، إن وضعت فوقهـا لم تنقلـع عنهـا أبـدا إلا أن تقلع ، ولم تماز منها إلا أن تنزع ، إن تركت فوقها لم تزل ملتفة أبدا بها ، وإن نزعت عنها لم ترجع إليها إلا أن يردها غير صاحبها .

﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ فهذا اليوم الذي قال الله :﴿يومئذ﴾ فليـس هـو بـاليوم الذي قال الله سبحانه :﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ هذا اليوم هو يوم وفاة الخلق ، وعنـد معاينتهم لنزول الحق ، ومواقعة ما وعدهم الواحد الخلاق من الموت الـلاف للسـاق بالساق ، فهذا اليوم الذي ذكر الله فيه أن فيـه إليـه المسـاق ، وذلـك اليوم فهـو يـوم البعث والحق ﴿المساق﴾ يقول : المضي بـه والتصيير لـه إليـه سـبحانه ، ومعنـى ﴿إلى ربك﴾ أي : إلى الموضع الذي جعله الله مَقَرّاً لـلأرواح إلى يـوم مماتهـا ، ويـوم ممـات الأرواح : فهو ممات الملائكة والجن ، وهو يوم القيامة عند النفخة الأولة ، التي ذكـر الله أنه يصعق بها مـن في السـموات ومـن في الأرض ، ومعنـى يصعـق : فهـو يمـوت ويذهب ، ومعنى هذه النفخة الأولة التي ذكـر الله فقـال :﴿ونفـخ في الصـور﴾ فهـو صور الخلق وأبدانهم ، ومعنى نفخ فيها : فهو وقع فيها وواقعها من أمر الله ما أفناهـا وحل بها من قضائه ما أزالها وأمضاها ، فعند وقوع هذه النفخـة تمـوت أرواح الخلـق والجن والملائكة ، ثم ينفخ فيها النفخة الثانيـة بالحيـاة كمـا قـال الله :﴿ثـم نفـخ فيـه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ يقول عز وجل نفخ في الصور بالحياة مرة أخرى كمـا نفخ فيه بالموت أولا ، ومعنى نفخ جعل كما قال الله سبحانه :﴿فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ يقول : جعلت فيه الـروح ، فنفـخ الله تبـارك و تعـالى في

الصور هو الحياة كنفخته في صورة آدم بالحياة ، وجعل الروح فيهم كما جعله في صورة أبيهم .

﴿فلا صدق ولا صلى﴾ فطرح الألف ، وهذا موضعها وهو يريدها ، وقد تقدم شرح هذا المعنى منا في غير هذا المكان ، يريد بهذا اللفظ سبحانه : فلو كان في حياته من المصدقين ، بما جاء من رب العالمين على لسان النبي الأمين ، وكان من المصلين لكان بذلك عند الله من الفائزين ، ولكن لم يكن كذلك ، فكان من الهالكين .

ثم قال سبحانه :﴿ولكن كذب وتولى﴾ معنى ﴿ولكن﴾ هو : بل ، يقول : بل كذب وتولى ، أي كذب بالحق أي جحد ، ولم يقر ولم يصدق ﴿وتولى﴾ يقول : التوى عن الحق وانصرف عن الصدق .

﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ يقول : رجع من عند الرسول صلى الله عليه وعلى آله إلى أهله مكذبا يتمطى ، والتمطي : شيء يفعله الزاهد فيما يلقى إليه ويؤمر به ويتلى عليه ، وهو أمر يدل من فاعله على الإنكسار عما يتلى عليه ، والملالة لما يؤمر به ، فإذا مل وضجر من ذلك العمل كائنا ما كان داخله الزهد فيه والضجر منه يتمطى لما يداخله من الملالة له ، والتمطي : فهو مد اليدين والتلوي ، والتلفت بالمنكبين والتثني ، ولا يقع هذا إلا بالمال لما هو فيه من الضجر منه ، فأخبر الله سبحانه عن المعرضين عن الله وعن رسوله ، الزاهدين فيما يتلى عليهم من كتابه أنهم بضجرهم وملالتهم وكراهتهم لما يلقي صلى الله عليه وعلى آله في آذانهم ينقلبون إلى أهلهم يتمطون ، من استثقال ما سمعوا منه من تلاوته كتاب الله، وبغضهم له فدل تمطيهم على ضجرهم وملالتهم ، وكراهيتهم لذلك من فعله .

ثم قال سبحانه :﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ يقول : كيد لك يا ضَجِرًا تتمطى ، ويا زاهداً في الهدى كيد لك ، ومعنى ﴿أولى﴾ : هو كيد لك ، ومعنى كيد لك : أي كاد أخذ ربك أن ينزل بك عند فعلك ، وكادت نقمته أن تحل بك عند تعنتك ، وكادت بطشة ربك أن تنالك عند تمطيك ، وحين إدبارك عن الحق وتوليك وكذلك تقول العرب إذا رمت أغراضها فقاربت سهامها الغرض قالت : كادت به

أي قاربته وقصدته ودانته و لم تصبه بعد ، وكذلك إذا طعن الفارس شيئا فداناه و لم تصبه قالت العرب : كادت به أي قاربه وداناه .

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ يقول سبحانه : يتوهم الإنسان ، ومعنى ﴿يترك﴾ أي يخلى ﴿سدى﴾ أي مهملا ، والمهمل : فهو الذي لا يرعى ولا يحفظ منه مقبل ولا مدبر ولا مذهب ولا بابا ، ولا يحصى عليه شيء من الأشياء من ذلك ما تقول العرب لمن ضيع أبله وخلاها ، أو غنمه أو دابته : خلى فلان دابته في الأرض هملا ، أي خلاها بلا راع ولا حافظ ، ولا متعاهد ولا عارف لأمرها ، فهذا معنى الهمل ، والسدى فمعناه : هملا .

﴿ألم يك نطفة من مني تمنى﴾ يقول : أليس قد كان نطفة في ظهر أبيه ، والمني : فهو الماء الذي ينزل من الظهر عند الجماع ، ومعنى تمنى : فهو تخرج وتلقى ، وكل شيء أمني فقد أخرج وأظهر وألقي .

﴿ثم كان علقة﴾ يخبر سبحانه أنه صار في الرحم بعد أن كان نطفة علقة. والعلقة: فهي الشيء الجامد من الدم ، فأخبر الله سبحانه أن النطفة البيضاء تنقلب بقدرته في الرحم علقة حمراء ، ثم تنقلب العلقة الحمراء مضغة ، ثم يخلقها الله سبحانه ما يشاء ويسوي منها ما أحب .

ثم قال سبحانه من بعد أن ذكر العلقة :﴿فخلق فسوى﴾ يريد عز وجل خلق العلقة مضغة ، ثم خلق المضغة عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، ثم قال من بعدُ: خَلَقَ الله فيه ما شاء ، من خلق الذكر أو خلق الأنثى ، فهذا معنى قوله :﴿فخلق فسوى﴾ يقول : خلق شيئا بعد شيء حتى سواه من هذا الماء ، ما شاء من ذكر أو أنثى .

ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ يعني بقوله: ﴿جعل﴾ أي خلق ، فصور ، وفطر فقدر ، ومعنى ﴿منه﴾ أي من ذلك المني الذي أمناه الزوجان وهما الصنفان اللذان يتزاوجان ، وهو الذكر والأنثى ، فأراد سبحانه بذكر ما ذكر من فعله في الآدميين ، وتنقيل خلق المخلوقين أن يعلمهم أنه لم يفعل ذلك بهم لأن يخلقهم سدى ، وإنما فعل ذلك بهم لأعظم ما يكون من المعنى وهو ما

أراد بهم من الإمتحان والإختبار والإبتلاء بالعمل في دار الدنيا ، والإيجـاب عليهـم في يوم الدين لما أوجب من الجزاء ، فأعلمهم أن من كانت هذه إرادته من خلقه فقد بعد منه أن يجعلهم سدى ، وبانت له بذلك الفعل القدرة فيهم ، وفي غيرهم على ما يشاء.

ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى :﴿**أليس ذلـك بقـادر علـى أن يحيـي الموتـى**﴾ معنى ﴿**أليس ذلك**﴾ هو أما ذلك ، فيقول : أما الذي فعل ما فعل ودبـر مـن تقليـب تدبير خلقكم ما دبر ، حتى صار من الماء بتدبيره وقدرته إنسانا قويا ثابتا ﴿**بقادر على أن يحيي الموتى**﴾ معنى ﴿**قادر**﴾ : أي مستطيع لذلك قوي عليه نافذ أمره فيه .

ومعنى ﴿**يحيي الموتى**﴾ هو : يردهم بعد الممات أحيـاء ، فأخـبر سـبحانه بذلـك أن إحياءه لرميمهـم ، ورد رميمهـم أجسـاما ، كابتدائـه لخلـق أجسـامهم أولا مـن المـاء فأخبرهم أن من أبتدأ شيئا من لاشيء ، أي جعل شيئا من غير شيء فهـو علـى إزالتـه قادر ، وأنه على رده إلى الهيئة الأولى التي قد فرغ من خلقها ، وأحكم تدبيرها ـ أقـدر منه على ابتدائها ، وأهون عليه في جعلها كما قال سبحانه :﴿**وهو الذي يبدؤ الخلـق ثم يعيده وهو أهون عليه**﴾[1] فضرب عز وجل ذلك لهم مثلا كما مثلنا نحن به أيضـا وليس قوله :﴿**أهون عليه**﴾ ولا هو على ردها أقـدر ـ يقتضي أن لـه سـبحانه حـالاً تفاوت حالاً ، ولا أن شيئاً يمتنع عليه جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله ، بـل كـل ما شاء أن يكون كان على ما يشاء ذو الجلال والإكرام والسلطان ، ولا يعجزه شيء ولا يفوته شيء ، ولا يؤده حفظهما شيء وهو السميع العليم .

---

(١) - الروم : ٧٢

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل :﴿يا أيها المدثر﴾ المنادى هاهنا والمناجى : محمد صلى الله عليه وعلى آله ، والمناجاة فهي : النداء ، والمدثر : فهو الملتحف والإلتحاف : فهو طرح الثياب على الإنسان عند اضطجاعه .

﴿قم فأنذر﴾ فالمأمور بالقيام : فهو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ومعنى أنذر : أي بلغ وأخبر ، وتقدم إليهم ، وأد الحجة التي أمرت بأدائها .

[سبب النزول]

وسبب تدثر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أن الوليد بن المغيرة المخزومي لعنه الله ـ جمع قريشا إلى دار الندوة ، ثم قال : يا معشر قريش إن هذا الإنسان قد أدعى ما ادعى ، والعرب تفد عليكم وتأتي بلدكم فلا يزال السائل يسأل عنه بعضكم فيقول شيئا ، ويسأل آخر فيقول له شيئا آخر ، فاشتوروا وأجمعوا له أمركم وكلمتكم حتى يكون قولكم فيه قولا واحدا فما تقولون إنه ؟ فقال بعضهم : مجنون فعبس في وجهه ، ثم قال : ليس هذا بقول ، وليس هو وأبيكم بمجنون ، فقال بعضهم : شاعر ، فقطب في وجهه أيضا ، وقال ليس هذا بشاعر ، قد سمعنا الشعر وقلناه فليس هذا على مجراه ، فقالوا : كاهن . قال : ولا بكاهن ، ليس يغبى على العرب الكاهن ، فقال بعضهم : ساحر . فقال لهم : وما الساحر ؟ وما يعمل ؟ فقالوا: يفعل فعلا يفرق به بين المرء وزوجه ، ويحبب المبغض ، ويبغض الحبيب.فقال: هذا إذا قد والله يفعل محمد ذلك ، فأجمعوا كلمتكم على أنه ساحر ، فخرجت قريش من دار الندوة فلم يلق أحد منهم رسول الله عليه السلام إلا قال : يا ساحر ، فاشتد ذلك عليه صلى الله عليه وعلى آله فخرج حتى أتى منزله فطرح نفسه ، وتدثر بلحافه من شدة الغم وما نزل به لقولهم من الهم ، فأنزل الله تبارك وتعالى :﴿يا أيها المدثر

قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ .

معنى ﴿ربك﴾ أي إلهك وخالقك ومالكك الذي لا خالق لك غيره ، ولا مالك لك سواه ، ومعنى ﴿كبر﴾ فهو عظم بالطاعة ، وأجلَّ وقدس ، وقل ما هو أهله ،وما هو يستحقه سبحانه يستأهله . ﴿وثيابك﴾ فهي : هذه الثياب الملبوسة المعروفة باسمها المفهومة بذكرها ، ومعنى تطهيرها : فهو غسلها من رجس المشركين ، ولمسهم ومداناتهم .

﴿والرجز فاهجر﴾ والرجز : هو كل نجس معلوم من وثن أو صنم ، أو شيء محرم مفهوم ، ومما كانوا يستجيزون ويأتون ويفعلون ، من أكل الميتة وغيرها ، التي هي في التحريم مثلها ، ومعنى اهجر : أي اعتزل ولا تقرب ولا تتبع .

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ معناه : لا تمن بشيء تفعله ، ولا بجميل تصنعه إلى أحد من العالمين لا من المسلمين ولا من المشركين ، ومعنى ﴿تستكثر﴾ فهو : تكثر قول ذلك وذكره وتعزيفهم به ؛ وقوله هذا فأدب من الله لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله وهداية منه له إلى أعظم الأمور وأجسمها ، وأشرفها في الأحدوثة وأفخرها من ترك المن لما يولي ، والإعراض عن ذكر ما يعطي .

ثم قال سبحانه :﴿ولربك فاصبر﴾ يقول : فاصبر على ما تلقى في الله من البلاء ، وتقاسي من الكفرة من الأذى فاصبر عليهم واجعل صبرك لله في مقاساتك منهم بحكمه واعترافا له سبحانه بأمره .

﴿فإذا نقر في الناقور﴾ فالناقور : فهو علامة من الله يجعلها في يوم الدين ، تكون ظاهرة في موضع حشر العالمين ، تظهر علامتها وتسطع عالية آياتها ، يستدل الخلق أجمعون بها على الموضع الذي يقصدون من موضع الحشر الذي إليه يساقون ، فيكون قصدهم إلى تلك العلامة التي جعلت لهم .

وقد يمكن أن تكون هذه العلامة التي سماها الله الناقور ـ نورا يسطع في ذلك الموضع ويلمع ، فيكون ذلك علامة لموضع الجمع .

ويمكن أن تكون تلك العلامة أصواتا من دعاة من الملائكة يدعون الناس إلى ذلك

المكان فينتقر الناس موضع الحشر بذلك الدعاء فيقصدونه معا .

ويمكن أن يكون علامة بالتهليل والتكبير والتقديس لله والتوقير ، يسمعه الخلق أجمعون فيؤمونه كلهم أكتعون .

فأما قول ـ من يقول : إن الناقور بوق أو شبه البوق ، وينفخ فيه ليجتمع الناس كلهم إليه . ـ فليس ذلك عندنا بشيء تصححه عقولنا ، وليس الناقور ـــ والله أعلم وأحكم ـ إلا علامة عظيمة يجعلها الله العلي الأعظم في ذلك اليوم ، ولن تكون هذه العلامة إلا بأمر عظيم من صنف مما ذكرنا ، من بعض ما شرحنا من النور الساطع العظيم اللامع ، أو الصوت بالدعاء والتكبير والتهليل والتحميد والتقديس والتمجيد الذي يسمعه كل سامع .

ثم ذكر سبحانه ذلك اليوم الذي ينقر فيه الناقور ، ومعنى ينقر فهو: ينتقر ، ومعنى ينتقر : فهو يستدل عليه ويخبر ، ألا تسمع كيف تقول العرب لمن استدل على شيء وعرفه ، ووقع عليه وعلمه ـ: انتقر فلان كذا وكذا ، أي عرفه واهتدى إليه ، ووقع بالفطنة منه عليه فقال سبحانه :

﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ ومعنى ذلك فهو [كذلك] [(١)] ومعنى يومئذ فهو اليوم الذي يكون فيه الناقور ، ومعنى ﴿يوم عسير﴾ فالعسير : هو الشديد الذي لا فرج[(٢)] فيه ولا راحة لديه .

﴿على الكافرين غير يسير﴾ والكافرون : هم الكافرون بنعم الله المكذبون. ومعنى كفرهم لنعم الله فهو قلة شكرهم لله على ما أعطاهم من بعثة البشير النذير إليهم وهم أهل المعاصي لله ، من المشركين الذين دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم ، من الثقلين ، ومعنى ﴿غير يسير﴾ فمعنى ﴿غير﴾ هو : ليس . ومعنى ﴿يسير﴾ أي : ليس بسهل ولا صغير ، فأخبر سبحانه أن ذلك اليوم يوم شديد عسير على أعدائه ، ليس بسهل ولا صغير .

---

(١) ـ في الأصل وهو نسخة (أ) :(ومعنى ذلك فهو : فذلك) .

(٢) ـ في نسخة : هو الشديد الذي لا فرح فيه ، بالحاء المهملة .

ثم قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا﴾ معنى ﴿ذرني﴾ أي : دعني واجْتَزِ بي ، واعلم أني في ذلك كاف مغن ، ومعنى ﴿ومن خلقت﴾ أي : أوجدت وفطرت ﴿وحيدا﴾ فهو : فردا فريدا ، وقد قيل : إنه اسم للوليد بن المغيرة ، وكان يعرف به ، فقال الله سبحانه لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله : ذرني وهذا الذي اجترأ علي فكذب بي فسأذيقه على ذلك أشد عذابي .

ثم أخبر سبحانه بما جعل له من المال الممدود ، والممدود : فهو الكثير الواسع وما جعل له من البنين ، والبنون : فهم الذكران المعروفون ، و﴿شهودا﴾ فمعنى شهودا : أي حاضرين معه شاهدين غير مفارقين لجماعته ، بل هم شهود معه والشهود: فهم الحضور الذين لم تَنْأَ بهم دارٌ ، ولا تبعد منهم الأخبار ، فهم سكانٌ معه في الدار .

﴿ومهدت له تمهيدا﴾ فمعنى ﴿مهدت﴾ هو : وطئت وجعلت له بالنعمة التي أعطيته إياها ، مهدا يمهد عليها ، ويتقلب بفضلي عليه فيها ، ومعنى ﴿تمهيدا﴾ فهو : عطاء منا له جزيلا .

ثم قال سبحانه :﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ يقول : أيطمع بعدما أعطيته أن أزيده على ما أوليته ، وهو مقيم على كفر نعمتي ، معتصم بالشرك بي .

﴿كلا إنه كان لآياتنا عنيدا﴾ يريد بكلا أي : إني لا أفعل ذلك أبدا ، ولا أزيده في النعيم شيئا ﴿إنه كان﴾ معنى ﴿إنه كان﴾ معناها : أنه لم يزل لآياتنا عنيدا، يقول: لأحكامنا وما يظهر من غائب آياتنا وبواهر دلائلنا ﴿عنيدا﴾ والعنيد : فهو المعاند والمعاند : فهو المضاد المكابر المعارض بباطله من حق خالقه .

ثم أوعده على ذلك بما ذكر من العذاب فقال سبحانه :﴿سأرهقه صعودا﴾ ومعنى ﴿سأرهقه﴾ أي : سأوقع به ، وأنزل وأحل به وأجعل ، ومعنى ﴿صعودا﴾ أي : أمرا شديدا ، وعذابا ومهلكا متعبا ، فشبه سبحانه ما ينزل به ـ من العذاب الشديد لشدته وهول ما أعد له من نقمته ـ بالصعود ؛ لأن أشق ما يعرف الإنسان في مسالكه

ومذاهبه وطرقه ما كان مصعدا فيه ، من الجبال الشامخة التي تكون الطرق فيها متعلقة مرتفعة ، فذلك أشد مسالك الناس ، وأصعب ما يسلكونه من سبلهم ، فأخبر الله أن عذاب هذا الذي يدعى بالوحيد مع عذاب غيره كالصعود مع السهل ، وأن عذابه له فضل في النار على كل عذاب ، كما للصعود في الشدة والتعب على السهل

ثم قال :﴿**إنه فكر وقدر**﴾ يريد بـ ﴿**فكر**﴾ : أي تفكر .﴿**وقدر**﴾ فهو : لما كان من فكرته فيما يجعل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من الكذب.﴿**وقدر**﴾ فهو : ما كان يقدر عليه ويهيئ له ، ويحتال به عليه ، ويسوي ، حتى جعل عليه ماجعل من الأمر ، ولطخه بما لطخه به من ذكر السحر ، الذي قد برأه الله وطهره ورفعه عنه سبحانه وكبره .

ثم قال :﴿**فقتل كيف قدر**﴾ ومعنى ﴿**قتل**﴾ : فهو لعن ، ثم قال :﴿**كيف قدر**﴾ يريد على ما قَدَّرَ . ﴿**وقدر**﴾ : فهو ما ذكرنا من تفكيره وتقديره .

ثم كرر اللعن فقال :﴿**ثم قتل كيف قدر**﴾ يريد : لعن على ما كان قدر .

ثم قال سبحانه مخبرا بما كان من فعله في دار الندوة ، وعبوسه في وجوه من كان يقول : مجنون وشاعر وكاهن ، وبسوره لهم فقال :﴿**ثم عبس وبسر**﴾ يريد بعبس أي قطب بين عينيه ، وأنكر قول من قال بالجنون عليه ﴿**وبسر**﴾ فمعناه : دفعه وأقصاه عن القول بما قال به عليه ، ورماه من قوله : ليس هو بشاعر ولا مجنون ولكنه ساحر ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من ذلك ، وقد نزهه الله أن يكون كذلك . ثم قال :﴿**ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر**﴾ معنى ﴿**أدبر**﴾ أي : تولى عن الحق ، وتعلق بالكذب والفسق ، ومعنى ﴿**استكبر**﴾ أي : تجبر وتكبر .

ثم قال لعنه الله :﴿**إن هذا إلا سحر يؤثر**﴾ أي : يتلى ويذكر ، يقول : ما يأتي به محمد صلى الله عليه وعلى آله ويذكره إلا سحر ، رواه وتعلمه ﴿**إن هذا إلا قول البشر**﴾ ما هذا الذي مع محمد من قول الله ، وما هو إلا قول البشر ، والبشر : فهم الناس .

ثم قال سبحانه :﴿سأصليه سقر﴾ فمعنى قوله : ﴿سأصليه﴾ يريد : سأدنيه منها وأولجه فيها حتى يصلى بدنه حرها ، ويقع به حريقها وأكلها ، ويباشره بحمومها وحرها ، فلا يكون له فيها ستر يستره ، ولا حجاب يحجزه ، وسقر : فهي بعيدة القعر العظيمة الأمر ، البعيدة المهوى ، الكثيري الأذى والبلاء ، وهو اسم من أسماء جهنم ألا تسمع كيف يقول سبحانه :

﴿وما أدراك ما سقر﴾ يقول سبحانه: وما أعلمك ما سقر ؟وكيف هي؟وماأمرها؟ وما هي على حقيقة العلم ؟ .

ثم بين سبحانه بعض صفاتها ، وما هي عليه من حالاتها فقال :﴿لا تبقي ولاتذر﴾ معنى ﴿لا تبقي﴾ أي لا تبقي في عذاب من صار إليها ، ولا تنكيل من ولج فيها ، ﴿ولا تذر﴾ معناه : لا تذر أحدا من أهل الوعيد إلا ضمته وصيرته فيها وأحرقته ، وحققت وعيد الله له فأهلكته .

﴿لواحة للبشر﴾ واللواحة : فهي المحرقة المُغَيِّرَةُ التي قد غيرت أبدانهم ببلائها وغيرت خلقهم بإحراقها ، ولوحتهم بعذابها ، وقوله :﴿للبشر﴾ فهم من كان فيها من الفاسقين ، وصار إليها من الفاجرين .

ثم ذكر سبحانه خزنتها وعددهم ، ووصف بعض حالهم وأمرهم ، فقال سبحانه :﴿عليها تسعة عشر﴾ فقد يمكن - والله أعلم - من أن يكون هؤلاء التسعة العشر هم الخزنة المأمورن بحفظها ، وحفظ من فيها ، الآمرون والناهون في أمرها .

ويمكن أن يكون تسعة عشر ألفا ، أو تسعة عشر صنفا من الملائكة المقربين المؤتمرين بأمر الله المكرمين ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ فأخبر سبحانه أن هذه التسعة عشر ملائكة ، وأن خزنتها من الملائكة المؤتمنين البررة المكرمين .

ثم قال سبحانه :﴿وما جعلنا عدتهم﴾ يعني عددهم ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾ والفتنة هاهنا فهي الإختبار والبلوى بما يكون منهم من الجحدان في ذلك ، والإفتراء لأنهم كانوا بما آتاهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله من خبر النار وأهلها وخزنتها

مكذبين ، وبه صلى الله عليه وعلى آله في ذلك كله غير مصدقين ، وكانوا يجحدون أمرها ، ويكذبون خبرها ، فلما جحدوا أمرها كانوا أشد جحدا لخزانها وعددهم وأشد ملادة فيما ذكر الله عز وجل من أمرهم .

ثم قال سبحانه :﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ والذين أوتوا الكتاب هاهنا فهم الذين أسلموا من أهل الكتاب ، والكتاب : فهو التوراة ، فأخبر أن من آمن بالله من أهل الكتاب وصدق برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وآمن بآياته فهو مستيقن بذلك ، والإستيقان منهم : فهو تحقيق العلم والإقرار بما جاء من ذكر الخزنة وعددهم ، ومعنى يستيقنوا : فهو يؤمنوا ويوقنوا ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ معنى يزداد : فهو ازديادهم في الإيمان بتصديقهم لما ذكر الله من عدد خزان النار هم ، فلما أن كانوا بكل ما ذكر الله وأخبر مصدقين وبما قال غير مكذبين ـ كانوا في كل ما صدقوا به من أمر حادث من الله في الإيمان مزدادين ، بتصديقهم بخبر الله ، وإقرارهم ومعرفتهم بصدقه وإيقانهم ، فهذا معنى ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ .

ثم رجع في ذكر مؤمني أهل الكتاب ومؤمني العرب فقال :﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ يقول سبحانه : إنا إنما ذكرنا من عدة أهل النار التي شرحنا لكم ليستيقن مؤمنوا أهل الكتاب من الإسرائيليين ومؤمنوا العرب أنه الحق فيكون ذلك فضيلة لهم من ربهم ، وجزاء على ما كان من إيقانهم ، مما ذكر الله في الكتاب المبين ، من عدة خزان النار من الملائكة المقربين.

﴿ولا يرتاب﴾ يقول : لا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في صدق قولنا ، وكينونة وعدنا ووعيدنا .

ثم ذكر قول المنافقين في ذلك الذين في قلوبهم مرض من دينهم ، والمرض : فهو الشك والإرتياب ، وقلة الإخلاص لرب الأرباب ، وكذلك حكى عز وجل في القول عن الكافرين فقال سبحانه :﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ ، معنى قولهم :﴿ما﴾ أي لهو الذي ، لأن الذي يقوم مقام ما ، وما

يقوم مقام الذي (١) فأرادوا - عليهم لعنة الله - بقولهم هذا أن الذي أراد الله بذكر ماذكر من عدة هذه الخزنة ، وما شرع من أمرهم مثل مضروب ، وأنه ليس بحق كائن ، ولا أمر مجعول باين ، يقول : إن الله تبارك وتعالى إن كان حقا ما يقول محمد من أنه أوحي إليه بذلك وحيا، ونزله عليك من عنده تنزيلا فهو مثل وليس بحق واقع.

ثم قال سبحانه :﴿**كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ يريد بقوله :﴿**كذلك**﴾ أي بذلك ، ومعنى بذلك أي بذلك القول منهم الذي قالوا ـ استوجبوا من الله الإضلال ، والإضلال فهو الخذلان ، فلما أن قالوا ما قالوا ـ من الباطل والمحال والكذب في كل قول أو فعال ، على ذي الجلال والطول ـ استوجبوا منه الخذلان فخذلهم .

[معنى الإضلال من الله والهداية]

وقوله تبارك وتعالى :﴿**يضل من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ فمعنى يشاء : هو يريد والذي شاء الله أن يضله : فهو من عَنَدَ عن دينه ، وطعن على رسوله .

والذي شاء أن يهديه فهو من آمن به ، وصدق رسله بما جاؤا به عنه ، ومن عنده سبحانه وبحمده .

ثم رجع سبحانه إلى ذكر خزنة النار صلوات الله عليهم فقال :﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ يريد : ما يفهم عددهم وهم الملائكة ، وهم جند الله - إلا ربهم الذي خلقهم من خزنة النار ، ومن غيرهم من الملائكة المقربين صلوات الله عليهم أجمعين .

ثم قال سبحانه :﴿**وما هي إلا ذكرى للبشر**﴾ يريد : سقر . يقول : ماذكرنا الذي ذكرنا منها إلا تذكرة للبشر ، والبشر : فهم الخلق ، ومعنى تذكرة : فهو تنبيها وتحذيرا وإهابة وتخويفا ، ثم قال :﴿**كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر**﴾

---

(١) - أراد الإمام الهادي عليه السلام أن ما موصول ، وأن التقدير عنده هو :يقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون : الذي أراده الله بهذا هو المثل .كما صرح به على معنى الإخبار منهم لا على معنى الإستفهام .. والنحويون يقولون : إن ذا قد تكون اسم موصول في لغة طي ، إذا سبقها استفهام بما أومن ، فعلى هذا يكون معنى الآية : ما الذي أراده الله بهذا مثلا ؟ على الإستفهام .

فأقسم سبحانه بالقمر ، والليل في ادباره .

وأما إقسام الله سبحانه بإدبار الليل فهو لما فيه من عجيب تدبيره ، من تجلي ظلامه وتصوب نجومه ولطائف عظمته في ذلك من أثر صنعه ما يطول شرحها ويكثر لو ذكرناه ذكرها ، ومعنى ﴿أدبر﴾ فهو : تولى ، وتوليه : فهو ذهاب أكثره ، ودنو انفجار فجره ، وكذلك أقسم الله بالصبح إذا أسفر ، والصبح : فهو الصباح .

وقوله: ﴿أسفر﴾ فهو : أضاء وانتشر ، وفي سطوع الصبح ، وفجره غاية الدليل على صانعه وربه لما فيه من ظهور ضوئه في حِنْدِسِ [1] الليل وظلمته ، حتى ينكشف منه مدلهم [2] الظلام ويزيل عن الأرض منه ما كان عليها من الإدلهمام ، فوقع القسم من الله ـ جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله ـ على تحقيق ما أنكروا من سقر وخزانها ، وعجيب ما ذكر الله سبحانه من أخبارها فقال :

﴿إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر﴾ يقول سبحانه : إنها لإحدى عظائم ما فعلنا وجليل ما أحدثنا ، مما جعلناه عبرة وتبيانا ، ونعمة وترغيبا ونكالا وترهيبا . و﴿الكبر﴾ : فهي الأمور الكبار التي جعلها الله سبحانه وفطرها ، ولعمري ما من شيء أكبر هولا ، ولا أعظم أمرا ولا أشد على الخلق خطرا من سقر ، التي لا تبقي ولا تذر .

معنى ﴿نذيرا للبشر﴾ يقول منبها ومخوفا ، وقوله :﴿للبشر﴾ والبشر : فهم الناس أجمعون .

ثم قال سبحانه :﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ يريد بقوله :﴿لمن شاء منكم﴾ أي لمن أراد منكم ، ومعنى ﴿يتقدم﴾ أي : أن يتقدم في أهبة أمره والتخلص من عذاب ربه ، والتنحي من هذه التي هي إحدى الكبر ، التي هي بلا شك سقر ﴿أو يتأخر﴾ يقول : يتأخر عن العمل بما ينجيه منها ، ويسوف التوبة التي هي سبب النجاة

---

(١) ـ في المعجم الوسيط : الحِنْدِسُ : الظلمة ، والليل الشديد الظلمة ، وأسودُ حندسٌ : شديد السواد ، والجمع : حنادس ، والحنادس : ثلاث ليال في آخر الشهر .

(٢) ـ ادلهم الظلام : كثف ، والليل : اشتد ظلامه فهو مدلهم ، والرجل : كبر وشاخ .

من عذابها ، حتى يأتيه أجله ، فينقضي عمله ، فيكون بتأخره عن التوبة من الهالكين كما كان من تقدم بالتوبة والعمل الصالح من الناجين .

ثم قال سبحانه :﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ فأخبر عز وجل أن المتقدم والمتأخر مأخوذ بعمله مجازى بفعله ، وأن كل نفس رهينة بكسبها ، وكسبها : فهو عملها وبما قدمته في حياتها من برها ورشدها أو غيها وفسقها وكفرها . قوله : ﴿**رهينة**﴾ فمعنى رهينة أي مأخوذة مرتهنة ، ومعنى مرتهنة أي : محبوسة محاسبة .

﴿**إلا أصحاب اليمين**﴾ فذكر سبحانه أن كل مسيء وظالم عاص متعد مأخوذ بفعله معاقب على صنعه ، ثم ميز بينهم وبين غيرهم من أهل الإيمان فقال :﴿**إلا أصحاب اليمين**﴾ فذكر أن أصحاب اليمين ناجون ، ومن عذاب الله سالمون. وأصحاب اليمين : فهم أصحاب الدين والمعرفة واليقين ، ومعنى اليمين : فهو اليمن والبركة في التقديس من الله ، والنعمة ، لا أن ثم يمينا وشمالا .

ثم قال :﴿**في جنات يتسآلون عن المجرمين**﴾ فالجنات فهي : ما ذكرنا من مواضع النعمات والسرور والغبطة ، والملك والحبور ﴿**يتسآلون عن المجرمين**﴾ فأخبر أن المتقين أصحاب اليمين والخير ، إذا صاروا إلى دار النعيم ، ومحل المؤمنين تسآلوا فيما بينهم عما كانوا يعرفونه من المجرمين ، وتساؤلهم فهو : تذاكرهم لهم ، ولما كان في الدنيا من تجبرهم وكفرهم ، إيقانا منهم بما صاروا إليه من عذاب النار ، وانقلبوا إليه من سوء الدار .

ثم رجع سبحانه فذكر مساءلة خزان النار لأهل النار ، وتقريعهم لهم لما كان من فسقهم وكفرهم وإعراضهم عن ذكر ربهم فقال :﴿**ما سلككم في سقر**﴾ حكى قول الخزنة من الملائكة البررة ، للفاسقين المعذبين ، ومعنى ﴿**ما سلككم في سقر**﴾ أي : ما أولجكم وأدخلكم في سقر ، وهذا من الملائكة صلوات الله عليهم تقريع لأهل النار وتبكيت للفجرة الكفار ؛ لا أنهم جهلوا ما الذي سلكهم فيها وصيرهم من حكم الله إليها ، وكيف يجهلون ذلك ، وهم بحكم الله عارفون ، وبعدله واثقون ، وبما سلك عباده في جهنم عالمون .

ثم ذكر سبحانه ما يكون من جواب أهل النار لهم فيما عنه سألوهم فقال :﴿**قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين**﴾ أي : ندفع الزكاة ، فأقروا على أنفسهم بأنهم لم يكونوا يؤدون فرض الصلاة الواجبة ، وأنهم لم يكونوا يطعمون المسكين ومعنى ﴿**نطعم المسكين**﴾ أي : ندفع فرض الزكاة الواجبة التي جعلها الله للعالمين نجاة ، ثم قالوا :

﴿**وكنا نخوض مع الخائضين**﴾ ومعنى ﴿**وكنا**﴾ فهو : أي لم نزل ، ومعنى ﴿**نخوض**﴾ فهو : ندخل فيما دخلوا فيه ، ولم نزل على ما كانوا عليه ، والخائضون : فهم العاصون الداخلون في معاصي الله ، الخائضون فيما لا يرضى الله ، من قول أو فعل .

﴿**وكنا نكذب بيوم الدين**﴾ فأقروا بما كانوا فيه في الدنيا من التكذيب بيوم الدين ومعنى ﴿**نكذب**﴾ فهو : نبطل ونجحد ولا نصدق ﴿**بيوم الدين**﴾ والدين : فهو الجزاء على ما كان من أفعالهم ، تقول العرب : فلان يدان بفعله ، أي يجزى بفعله وكذلك روي أنه مكتوب في التوراة "يا ابن آدم كما تدين تدان " أي كما تعطى تعطى ، ويوم الدين : فهو وقت الدين ، وهو اليوم الذي يجازى فيه العالمون ، ويحشر فيه المربوبون .

﴿**حتى أتانا اليقين**﴾ واليقين هاهنا : فهو الموت الذي وعدوا به ، ومعنى ﴿**أتانا**﴾ فهو واقعنا ونزل بنا .

ثم قال سبحانه :﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ يقول جل جلاله : إنهم لو شفع فيهم لم تكن الشفاعة تنفعهم ﴿**شفاعة الشافعين**﴾ وإنما هذا تمثيل من الله وإعلام لعباده بكفرهم وعظيم جرمهم ، وذلك أن الشفاعة تنفع في موضع الأمر اليسير ، ولا تنفع في الموضع الذي فيه حكم من الله عليهم بالعقوبة ، لا أن أحدا من الأنبياء المرسلين ، ولا الملائكة المقربين صلوات الله عليهم يشفع لأحد من أهل الوعيد، حاش لله أن يكونوا كذلك ، أو يفعلوا شيئا من ذلك .

ثم قال سبحانه :﴿**فما لهم عن التذكرة معرضين**﴾ [يريد سبحانه : فما لهم كانوا

في الدنيا عن التذكرة معرضين] ومعنى ﴿ماهم﴾ فهو : ما بالهم ، ومعنى ما بالهم : فهو أيّ شيء كانوا عن التذكرة معرضين ، والتذكرة : فهي ما ذكر الله لهم وقص عليهم ، وأخبرهم به على لسان نبيئه عليه السلام مما يعاينونه في الحشر ويوم النشر مما كانوا به مكذبين ، وعنه للعبهم معرضين ، ومعرضون : فهم صادون تاركون .

ثم شبههم سبحانه بإعراضهم ونفرهم عن الحق الذي كان يتلى عليهم بالحمر المستنفرة فقال :﴿كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ والحمر : فهي هذه الحمر المعروفة ، والمستنفرة : فهي الفزعة المرعوبة ، ومعنى فرت : فهو هربت ، ومعنى قسورة : فهو الأسد ، فذكر الله سبحانه أن فرارهم عن الحق ، ونفورهم عن الصدق كنفور هذه الحمير من الأسد .

ثم قال سبحانه :﴿بل يريد كل امرء منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ ومعنى ﴿بل﴾ فهو قد ، و﴿يريد﴾ فهو يحب ﴿كل امرء﴾ فالمرء : هو الرجل ، يقول سبحانه ، يريد كل رجل منهم ﴿أن يؤتى صحفا منشرة﴾ ويؤتى : فهو ينزل عليه ويعطى ، والصحف : فهي الكتب المنشرة ، والكتب المنشرة : فهي المثبتة المبينة ، التي تنشر وتقرأ ويعرف ما فيها ويتلى ، فأخبر سبحانه أن جميع الفاسقين المكذبين إنما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حسدا منهم له على ما آتاه ربه ، فكلهم يطلب ويتمنى أن يكون نبيا مرسلا ، وليس ذلك لهم ولا كرامة ، بل لله الأمر والقدرة والعظمة والعزة يعطي من يشاء نعمته ، ويؤتيه كرامته ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :

﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ يريد بكلا : ليس تخافون ، فأخبر سبحانه أنهم لم يكونوا يخافون في الدنيا معادا ولا آخرة ، والآخرة هاهنا : فهو عذابها ونكالها .

ثم قال :﴿كلا إنه تذكرة﴾ يقول : ليس هو بباطل ، ولكنه حق تذكرة ، فالتذكرة هي التنبية والتبصرة .

ثم قال : ﴿فمن شاء ذكره﴾ يريد ﴿من شاء﴾ أي من أراد ، ومعنى ﴿ذكره﴾ يقول : تَذَكَّرَهُ فخافه ، وخشِيَهُ فَحَذِرَهُ .

﴿**وما تذكرون إلا أن يشاء الله**﴾ يقول سبحانه : إنكم لم تكونوا تقدرون على التذكرة ، والتفكرة والتمييز بين الحق والباطل لو أن الله لم يشأ أن يجعل فيكم استطاعة تنالون بها الفكرة والتمييز ، وعقولا تصلون بها إلى التذكرة ، ولكنه شاء ذلك لكم فركّبه وجعله بمنه فيكم .

﴿**هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾ معنى ﴿**أهل**﴾ أي : هو صاحب التقوى . ومعنى صاحب التقوى : فهو وليها والحقيق بها والمستحق لها ، والتقوى : فهي المخافة من الخلق والإتقاء ، و﴿**المغفرة**﴾ فهي : العيادة منه ، والرحمة على عباده بالعفو بعد الغضب ، وذلك ربنا الرحمن أهل البر والتقوى والمغفرة والإحسان .

تفسير المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وجل عن كل شأن شأنه ﴿**يا أيها المزمل**﴾ والمزمل : فهو الملتحف بلحافه المتدثر في مضجعه ، والمزمل معناها ومعنى المدثر سواء ، وهذا أمر من الله سبحانه لنبيئه صلى الله عليه وآله ، وهو الذي كان مزملا .

ثم قال سبحانه :﴿**قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه**﴾ ومعنى ﴿**قم الليل**﴾ أي : قم لصلواتك المفروضة عليك في الليل ، ومعنى ﴿**إلا قليلا**﴾ فهو دليل على وقت الصلاة ، يقول سبحانه : صَلِّ - إن كنت في أمر يعوقك عن صلاة العتمة إلى أن تدخل في الثلث الآخر - صلاة فرضك ، فإن ذلك وقت لها مع ما يكون من شاغل شغلك الذي يعوقك عن صلواتك .

ثم قال :﴿**نصفه أو انقص منه قليلا**﴾ يقول : أو دون النصف في أول الليل ، ثم قال :﴿**أو زد عليه**﴾ يقول : أو زد على النصف إن لم يمكنك أن تصلي قبل انتصاف الليل فصلها بعد انتصافه ، وهذا فرحمة من الله سبحانه لعباده ، ورخصة لمن شغله شاغل لا يجد منه بدا ولا مخلصا ولا مندفعا ، فأخبر سبحانه أن آخر الليل ، وبعد نصفه ، وقبل نصفه - وقت لما افترض من صلاة أوله ، إذا كان المؤخر لها عن أول

الليل أخرها لعذر بين صحيح من مرض فادح ، أو عرض شاغل ، أو خوف ، أو هرب أو مصافة عدو ، ولا يقدر على الصلاة مع مقارنته وخشية فتكه وغائلته، فأخبر سبحانه أن هذه الأوقات من الليل كلها وقت لصلاة الليل المفروضة فيه . وسيأتي ذكر من رخص له في ذلك في آخر هذه السورة أن شاء الله .

ثم قال :﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ يقول : تبينه تبيينا .

﴿**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**﴾ معنى ﴿**إنا**﴾ فهو نحن ، ومعنى ﴿**نلقي عليك**﴾ أي : نصير إليك ونفرض عليك ، ومعنى ﴿**قولا ثقيلا**﴾ هو : وحيا ثقيلا ، والوحي: فهو القرآن ، ومعنى ﴿**ثقيلا**﴾ أي : ثقيل الحكم ، ومعنى ثقيل الحكم : أي صعب المفترض ، وكيف لا يكون فرضه صعبا ! وحكمه على من حكم به مستصعبا !وفيه ترك الشهوات ، ومفارقة اللذات ، والصبر على النازلات ! مع ما فيه من ثقل الصلاة والصيام على أهله ، ومشقة الحج على قاصده ، ومفارقة كفرة الأجداد والآباء الجاهلية الجهلاء ، وغير ذلك من مثقلات الأشياء ، المحكوم بهن في هذا القول ، الذي نزله الواحد ذو الطول ، على خاتم النبيئين صلى الله عليه وعلى آله .

ثم أمره سبحانه أن يفرض ذلك كله على جميع المخلوقين ، ثم أخبره أن أداء فريضة الليل في أوله فهي أول أوقاته ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا**﴾ ومعنى ﴿**أشد وطأ وأقوم قيلا**﴾ فهو : أشد تمكنا لك عند ربك وأجرا ، ومعنى ﴿**أقوم قيلا**﴾ فهي : أعدل طريقا ، وأفضل فضلا ، فخصه سبحانه على إقامة فرض صلاة الليل في أول وقتها ، وجعل له العذر بما ذكر من سائر الأوقات التي فسرنا إن عاقه أمر لم يجد عنه مدفعا ، كما شرحنا .

ثم قال سبحانه :﴿**إن لك في النهار سبحا طويلا**﴾ يريد بذلك سبحانه بقوله : ﴿**سبحا طويلا**﴾ أي : فراغا كبيرا ، ووقتا يصلح لما تريد أن تشتغل به عن فرض صلاة ليلك في أوله ، حتى لا تؤخرها إلى آخره ، فنهاه صلى الله عليه وعلى آله بذلك عن تخليف صلاة العتمة إلى آخر الليل ، لشغل من أشغاله ، أو أمر من حوائجه التي يمكنه أن يفعلهن في النهار ، ولا يشتغل بهن عن الصلاة في أول الليل ، فلم يجعل

له عذرا في تأخير العشاء ، والعتمة عن ناشئة الليل ، وهي أوله بشيء من أشغال الدنيا وأجاز له ذلك إذا كان مريضا ، أو مصافا للعدو أو مسافرا ، أو غير واجد للماء وجعل سبحانه لما نزل به شيء من ذلك ما ذكر وحدد ، من تبعيض الليل وقسمه وتمييزه وقتا فوجب على المؤمنين أن يميزوا بين الحالين ، ويقفوا على كلتا المنزلتين فيعملوا بهما في أوقاتهما ، ولا يجعلوا الحالتين حالة واحدة سواء ، فإن الله سبحانه قد ميزهما ، ودل عليهما أهل علمه وفهمهما أهل المعرفة **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾** .

ثم أمره بذكر ربه فقال :**﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾** ومعنى **﴿واذكر اسم ربك﴾** فهو: اذكر ربك ، ومعنى اذكر ربك : فهو قدس وكبر وعظم ، ومعنى **﴿تبتل﴾** فهو : تفرغ له ، وانقطع إليه ، واستسلم بِكُلِّيَتِكَ في يديه ، وتفرغ لعبادته ونفاذ أمره ، وفي ذلك ما تقول العرب : فلان متبتل لله ، تريد : متفرغ لعبادة الله (١) لا يشرك في خدمته مع الله أحدا ، لا نفسا ولا والدا ولا ولدا **﴿تبتيلا﴾** فمعناها انقطع إليه يا محمد بكليتك انقطاعا باتاً ثابتاً .

﴿رب المشرق والمغرب﴾ فهو : مالك المشرق ومدبره ، ومالك المغرب ومقدره ومصرف آياته ومغيره **﴿لا إله إلا هو﴾** يخبر سبحانه أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه وأنه الواحد الذي ليس كمثله شيء ، وأنه الخالق لكل شيء ، وأن كل شيء مما يعبد من دونه العابدون فباطل لا ثبات له ، وأنه المعبود لا غيره **﴿فاتخذه وكيلا﴾** يقول : اجعله كافيا ؛ لأن الوكيل في لسان العرب هو الكافي ، فقال سبحانه : اجعل ربك لك كافيا ، واتكل عليه معينا وعاضدا .

﴿واصبر على ما يقولون﴾ معنى **﴿اصبر﴾** هو احتمل ولا تجزع ، واثبت عند الأذى ، ولا تهلع ﴿على ما يقولون ﴾معناها على ما يفترون ويكذبون ، ويقذفون ويصنعون .

﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ يقول : اعتزلهم اعتزالا حسنا ، أي لا تقل كما يقولون

---

(١) ـ في الأصل : (تريد : أي متفرغ لعبادة الله) وقد حذفنا (أي) لأنها زيادة ، وكأنها نسختان

ولا تفحش كما يفحشون ، واعتزلهم وما يعبدون ، فامض لما أنت فيه من حكم ربك وأعرض عن الجاهلين .

ثم قال سبحانه :﴿**وذرني والمكذبين**﴾ ومعنى ﴿ذرني﴾ أي دعني وإياهم ، وخلني وعقوبتهم ، وأفردني والإنتقام من المكذبين ، والمكذبون : فهم المعطلون الكافرون المنكرون لكل ما جاء من رب العالمين .

﴿**أولي النعمة**﴾ فمعنى ﴿أولي﴾ أي هم أصحاب النعمة ، والنعمة فهي الملك والراحة والكفاية والتفكه ، يقول : هي النعمة التي أظهرتها عليهم وجعلتها حجة لي فيهم .

ثم قال :﴿**ومهلهم قليلا**﴾ يقول سبحانه : أنظرهم قليلا ، حتى ثبتت لك الحجة عليهم بما أريتك من الحجج البواهر فيهم ، وأريتهم من آياتي ، ثم من بعد ذلك آذن لك في السيف المسلول ، وأويدك من عبادي بأهل المعرفة والطول ، فتضع على المكذبين سيفك بأمرنا ، وتقتل من خالفك بتأييد ذكرنا ، وكذلك فعل سبحانه به وبهم في عاجل الدنيا .

ثم أخبر عز وجل بما أعد لهم من بعد ذلك في الآخرة التي تبقى فقال :﴿**إن لدينا أنكالا وجحيما**﴾ ومعنى ﴿لدينا﴾ فهو عندنا ، ومعنى ﴿أنكالا﴾ فهو التنكيل بالأغلال والعذاب الوبيل ، ﴿وجحيما﴾ فهي النار ، ومعنى جحيم : فهي المجحمة لمن قاربها ، ومعنى مجحمة : فهي الغالبة المهلكة من ذلك ما تقول العرب : أحجم فلان من فلان ، أي هرب منه ، وعجز عنه ، وتقول العرب : أحجم فلانا إذا غلبه وقهره فسمى الله سبحانه النار جحيما ، يلقى أهلها منها من الإحجام لهم ، والأمر العظيم النازل بهم .

﴿**وطعاما ذا غصة**﴾ فهو الزقوم ، الذي ذكر الله أمره ، والغصة : فهي الواقفة في الحلق ، يقول : لا ينزل ولا يخرج بل يُغَصُّ به صاحبُه ، ويقفُ في حلق آكلِه ، وهو أشد ما يكون على الآكلين إذا وقف طعامهم في حلوقهم فلا ينحدر مستسفلا نازلا ولا يرتفع صعدا خارجا ، بل يكون غصة في الحلق ثابتة ، وبلية فيه نابتة ﴿**وعذابا**

أليما﴾ يقول : عذابا شديدا ، دائما عتيدا .

ثم قال سبحانه :**﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾** وذلك اليوم فهو : يوم القيامة فأخبر سبحانه أن هذا الطعام والعذاب يكون بأهله في يوم ترجف الأرض والجبال وذلك اليوم فهو : يوم القيامة ، وحين الحسرة والندامة ، ورجوف الأرض والجبال فهو : زعزعتها وحركتها ، لما يريد الله سبحانه من إهلاكهما وإذهابهما .

﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ يقول : صارت الجبال بعد ما هي عليه من انعقادها ، وييس صخرها وحجارتها ـ كثيبا مهيلا ، والكثيب فهو الرمل ، والمهيل : فهو المنهال الذي لا يمسك بعضه بعضا ، فذكر سبحانه أن الجبال تصير بعد ما هي عليه منهالا رملا ، ثم تصير من بعد ذلك كالعهن المنفوش ، فناء وذهابا .

ثم احتج على هؤلاء المكذبين أصحاب القصة والعذاب الأليم بما أرسل إليهم من الرسل المكرمين فقال:**﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾** يريد سبحانه : أنا أرسلنا إليكم رسولا لتؤمنوا به وتتبعوه ، فكفرتم ولم تسلموا ، فكان شاهدا عليكم بفعله ، قائلا بالحق غدا عليكم بحجته .

ثم أخبر أنه صلى الله عليه وعلى آله في التبليغ إليهم والأداء كموسى صلى الله عليه الذي هم به مقرون ، أنه كان رسولا إلى فرعون فأخبره أن سبيله عليه السلام كسبيل موسى عليه السلام في فرعون ، أنه ينزل بهم من العذاب على العصيان لمحمد صلى الله عليه وآله ما نزل بفرعون في عصيانه لموسى عليه السلام ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه : **﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا﴾** يقول : عذبناه عذابا وبيلا ، والوبيل : فهو الشديد الثقيل .

ثم قال سبحانه :**﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا﴾** يقول سبحانه : **﴿فكيف تتقون﴾** أي : كيف تعتذرون وتخافون وتتقون ربكم غدا في هذا اليوم الذي يشيب فيه الولدان ، فهو يوم القيامة **﴿إن كفرتم﴾** اليوم في دنياكم التي هي دار عمل وبلاء ، والآخرة دار ثواب وجزاء ، يريد سبحانه بهذا القول أن من كفر في هذه الدنيا لم يكن ليؤمن في الآخرة ولا يجد إلى ذلك سبيلا ، فدلهم جل

جلاله عن أن يحويه قول أو يناله على أن العمل في الدنيا دون الآخرة ، وأن الآخرة دار الجزاء دون الدنيا فإنه لا عمل إلا في الدنيا ، وأنه من كفر في الدنيا لم يؤمن ويتق في الآخرة ، وهو اليوم الذي يجعل الولدان شيبا .

ومعنى ﴿**يجعل الولدان شيبا**﴾ لما ينزل بهم من هوله وعظيم ما يعاينون من أمره فتشيب رؤوسهم من فزعه ، وتشتمط من مدلهمات عجائبه .

﴿**السماء منفطر به**﴾ يقول سبحانه : إن السماء تنفطر فيه فقامت ﴿**به**﴾ مقام فيه ؛ لأنها من حروف الصفات ، وبعضها يخلف بعضا ، فأراد سبحانه أن السماء منفطر في ذلك اليوم الذي جعل الولدان شيبا ، وهو يوم القيامة ، وانفطارها فهو : ذهابها وتقطعها وانقضاؤها ، وقوله ﴿**منفطر به**﴾ فهي : لغة لبعض العرب تطرح الهاء من المؤنث ، فخرج الإسم مذكرا تدعو كل مؤنث مذكرا ، وهي في طي خاصة ، ثم لغيرهم عامة ، ألا تسمع كيف يقول :﴿**كان وعده مفعولا**﴾ يريد أن كل وعد وعد الله أو وعيد كفلق الصبح ، وكائن غير مخلف من انفطار السماء وعذاب المعذبين .

ثم قال :﴿**إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾ يريد : أن هذه الأقاويل التي نقولها ، والوعد والوعيد الذي نشرحه هو تذكرة للعالمين ، وتنبيه لجميع المخلوقين ﴿**فمن شاء**﴾ قبل ذلك وخافه فـ ﴿**اتخذ إلى ربه**﴾ قبل وقوعه ، أي قبل وقوع ذلك اليوم ﴿**سبيلا**﴾ والسبيل : فهي الوسيلة والطريق بما يكون منه من طاعة لربه ، في أيام حياته ، وقبل مواقعة وفاته .

ثم رجع سبحانه إلى ذكر أوقات الصلاة المذكورة التي ذكرها في أول السورة فقال :﴿**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معكَ**﴾ فأخبر سبحانه أنه يعلم أوقات قيامه عند وقت ضرورته ، وعندما يكون منه ومن المؤمنين من الأمور التي تمنعهم من أداء الفرض في أول الليل من ذلك ما ذكر عنه صلّى الله عليه وآله من صلاة العشاء والعتمة بمكة ، وقد غربت الشمس بسرف من بر الظهران ، وذلك لما فيه من شغل السفر ، ومعنى ﴿**طائفة**﴾ فهي :جماعة ﴿**ممن معك**﴾وقوله :﴿**طائفة**﴾ فهي : تدل على ما قلنا به من أوقات الصلاة لأهل العلات

لأنه قال :﴿**طائفة**﴾ و لم يقل كل من معك ، فدل على أن من كان ذا مرض أوخوف أو ذا سفر ، أو حرب ـ معذور في تأخير صلاة أول الليل إلى بعضه .

ثم قال :﴿**والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم**﴾ يريد ﴿**تحصوه**﴾ تثبتوا على وقت واحد ، وتحيطوا به دون سائر الأوقات ، فعلم سبحانه أنهم كلهم لن يقدروا على أداء الفرض في وقت واحد ، مع ما فيهم من العلات التي ذكرنا ووصفنا ، فمنهم عليل ومنهم مسافر ، ومنهم خائف ، ومنهم آمن ، فالآمن يصلي في أول الليل ، وطالب الماء يصلي إذا وجد الماء في أي أجزاء الليل وحده وخائف يصلي عند انقضاء خوفه في نصف الليل أو آخره ، ومريض يؤدي ما فرض الله عليه في وقت افاقته في آخر ليله ، وفي نصفه أوفي أوله أوفي ثلثه ، فهذا معنى قوله:﴿**أن لن تحصوه**﴾ يقول سبحانه : علم أنكم كلكم لن تقدروا على إحصاء وقت واحد والثبوت عليه ، لما فيكم من هذه الأسباب العارضة لكم فيه .

ثم قال سبحانه :﴿**فتاب عليكم**﴾ يقول : هون عليكم ورخص لكم و لم يجعل في ذلك عليكم حرجا ، و لم يلجئكم فيه إلى شدة من الملجأ فيكلفكم فوق طاقتكم في أن يجعل الوقت واحدا لصلاتكم فيكون في ذلك شدة واستقصاء ، على من كان في حالة واحدة مما ذكرنا من الشدة والبلاء .

ثم أمرهم سبحانه أن يقرأوا في صلاتهم ما تيسر من القرآن ، من قليل أو كثير على قدر طاقتهم ، وتصرف أحوالهم ، فجعل قليل القرآن مجزيا ، لمن كان لصلاته مؤديا و لم يشدد عليهم في شيء من أمورهم ، و لم يحرجهم في حدود دينه ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه فيما ذكرنا من حالات المصلين وألوان عللهم حين يقول سبحانه : ﴿**علم أن سيكون منكم مرضى**﴾ فذكر ما ذكرنا من المرضى ، ثم قال :﴿**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**﴾ فذكر الذين شرحنا من المسافرين والضاربين في ارض الله المتوجهين ، ثم قال :﴿**وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾ فذكر الذين ذكرناهم ، ووصف بالقتال الذين وصفناهم بالمصافة لعدو الرحمن والمحاربة لمن حارب الدين والقرآن ، فدل بذلك على أنه سبحانه لم يحمل أهل هذه الصفات على وقت واحد ، و لم يضيق عليهم في ذلك الواحد الماجد لما علم م.

عجزهم مع ما هم فيه من شغلهم عن مثابرتهم عن وقت واحد ، دون غيره من أوقات الليل الموقتات اللواتي في هذه السورة مذكورات موصوفات .

وإنما موضع ذكر ما ذكر الله من قوله :﴿**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾ مقدم غير أنه أخره إلى هاهنا ، وموضعه في أول السورة ، معناه : ﴿**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**﴾ .. ﴿**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾ فهاهنا موضع ذكر الأحرف ؛ لأنه سبحانه جعل ما جعل من الرخصة في هذه الأوقات لصلاة فريضة الليل من العشاء والعتمة ، فسمى هذه الأوقات من الليل لمن كان من المرضى والمسافر والمجاهدين ، وكذلك من لم يجد ماء إلى بعض هذه الأوقات ، وكذلك المغمى عليه والخائف والمشغول بأمر عظيم من أمر الله يخشى من تركه بعض الفساد على الإسلام ، ويرجو تنفيذه وأثرته نجاحا في صلاح الإسلام ، ولا ينبغي لصحيح سوي سالم مما ذكرنا أن يخلف صلاة العشاء والعتمة عن ناشئة الليل التي ذكر الله فضلها وجعلها وقتا لصلاة أهل السلامة من هذه الأشياء .

ثم رجع إلى ذكر التيسير عليهم وترك التعسير في شيء من فروضهم فقال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :﴿**فاقرأوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ فأمرهم بأن يقرأوا ما تيسر من القرآن لهم ، وأن يقيموا ما افترض من صلاتهم عليهم. ومعنى ﴿**أقيموا الصلاة**﴾ فهو : أقيموا حدودها وأوقاتها ، وأتموا ركوعها وسجودها وما أمر الله سبحانه فيها من قراءة القرآن ، وذكر الرحمن من تسبيح وتكبير وتهليل وتوقير ، فمن أدى هذه الشروط في الصلوات فقد أقام ما أمر الله به من حدودها المفروضات ، ومعنى ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ فهو : أدوا الزكاة ، وادفعوها إلى أهلها وسلموها ، ومعنى الزكاة : فهو ما جعل الله من أداء عفو أموالهم ، فسمى الله ذلك وإخراجه منهم تزكية وتطهرة لهم ، فجعل من أدى ذلك زاكيا ، وسماه لماله مزكيا وإنما سمي ذلك زكاة ؛ لأنه يزكي الأبدان ، وتزكية الأبدان : فهو تطهرتها من الغلول

والعصيان ، وما نهى الله من حبسها جميع كل إنسان ، فكان تسليمها لله طاعة وكانت طاعة الله في ذلك تزكية لمن فعله ، وتطهرة .

ثم قال سبحانه :﴿**وأقرضوا الله قرضا حسنا**﴾ ومعنى قوله:﴿**وأقرضوا الله**﴾ فهو: أسلفوا الله ، أي : افعلوا لله ما تثابون عليه ، وتعطون من الثواب الجزيل فيه وإنما سماه الله قرضا وسلفا ؛ لما أن كان سبحانه لمن فعل ذلك مجازيا ، فجاز أن يسميه سلفا وقرضا ؛ إذ كان منه الجزاء لفاعله حكما وفرضا ، فشبهه بالسلف الذي لابد من قضائه ، وتسليم مثله إلى صاحبه وإعطائه ، فعلى هذا جاز أن يسمى ماتقرب به إليه سلفا ؛ إذ كان بالمجازاة لهم عليه مرصدا ومضاعفا ، وكان حكمه بالمكافأة لهم في ذلك ماضيا .

ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**﴾ يقول سبحانه : ما تعطوا وتخرجوا وتنفقوا في سبيل الله وتسلفوا تجدوا عند الله ثوابه والمكافأة عليه ، والمجازاة منه سبحانه فيه ، ألا ترى كيف يقول سبحانه : ﴿**لأنفسكم**﴾ فأخبر عز وجل أن جزاء ذلك أن لا يكون لغيرهم ، وأن منفعة ما ينفقون في أمر الله لا يكون إلا لهم ، وأنهم سيجدون ثواب ذلك وأجره عند الله موفرا لهم . والخير الذي قال الله :﴿**هو خيرا وأعظم أجرا**﴾ يعني بقوله :﴿**هوخيرا**﴾ أي تقدمته لأنفسكم إلى الله خير من إمساكه عن الإنفاق في طاعة الله﴿**وأعظم أجرا**﴾ يقول: أحسن ثوابا في عاقبته لكم وأجزل حظا فيما ترجون من عائدته عليكم

ثم قال سبحانه :﴿**واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾ فأمر الخلق بالإستغفار لله ومعنى ﴿**استغفروا**﴾ فهو توبوا وارجعوا ، وهو أمر من الله الغفار بإخلاص التوبة إلى ذي الجلال والإكرام بالقول والعمل ، لا بالقول دون العمل ، فبين لهم سبحانه أن الإستغفار لا يكون بالقول المقول دون العمل المعمول ، وأنه بالعمل والقول ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ يقول : إن الله تواب على من تاب ، غفور لمن أناب ، رحيم لمن راجع وأجاب ثم رجع ، وعن المعاصي لله سبحانه نزع ، وأمْرَه سبحانه في كل حال اتّبع كما قال سبحانه :﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾

تفسير {سورة قل أوحي}

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى قول الله تبارك وتعالى : ﴿**قل أوحي إلي**﴾ معنى ﴿**قل**﴾ أي : خَبِّر واذكر ﴿**أوحي إلي**﴾ أي : انزل علي وأخبرت ﴿**أنه استمع**﴾ أي : حضر واستمع قولي وقراءتي ﴿**نفر من الجن**﴾ فهي : جماعة من الجن ، والجن : فهم الشياطين ﴿**فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا**﴾ معنى ﴿**فقالوا**﴾ أي : ذكروا وأخبروا ، ومعنى ﴿**إنا**﴾ هو : إخبار عما كانوا معهم ، ومعنى ﴿**سمعنا**﴾ أي : وقع في آذاننا كلام وسمعناه ﴿**قرآنا**﴾ فهو : كتاب الله الذي سمعت الجن من رسول الله ﴿**عجبا**﴾ أي : جيدا محكما بَيِّن الهدى .

﴿**يهدي إلي الرشد**﴾ يقول : يدل بها على الرشد ويوضحه ويبينه ويشرحه ﴿**فآمنا به**﴾ يقول : صدقنا به أنه من عند ربنا ، وأن الذي جاء به نبيئا ﴿**ولن نشرك بربنا أحدا**﴾ يريدون : فلن نشرك ، أي : لا نكفر بربنا ، ولا نشركه معه في طاعته ولا العمل إلا له خالصا ، ومعنى أحد : أي يقول خلقا صغيرا ولا كبيرا .

﴿**وأنه تعالى جد ربنا**﴾ فمعنى ﴿**تعالى**﴾ هو : تقدس وعلا وعظم عن مشابهة شيء من الأشياء ، ومعنى ﴿**جد ربنا**﴾ أي : أمر ربنا وفعله ، يقول : تعالى أمره وعظم شأنه ، ومعنى ﴿**ربنا**﴾ هو : مالكنا وخالقنا .

﴿**ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**﴾ فهو : إقرار من الجن بتوحيد الله سبحانه ، وشهادة منهم أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ومعنى ﴿**اتخذ**﴾ فهو : جعل وأعد ، ومعنى ﴿**صاحبة**﴾ فهي : الزوجة التي يسكن الزوج إليها ، وينتفع في كل الحالات بها والولد : فهو الذي يخرج من الأب ومن الزوجة معا .

فأخبر الله سبحانه عن مؤمني الجن بما شهدوا به من شهادة الحق ، وما قالوا به في

الله من قول الصدق ، ومن أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وكيف يتخذ جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله ، وتعالى عن قول المبطلين شأنه ـ صاحبة أو ولدا ، وإنما يحتاج إلى الصاحبة المجعول المؤلف ، المتولد الذي كان من الصاحبة و الوالد ، فأما من لم يكن من صاحبة ولا والد فلن يكون له صاحبة ولا ولد ، بل هو الواحد الدائم الأحد الفرد القدوس ، القديم الصمد الذي لا يشبهه أحد ، ولا يغيره الأبد ، فذلك الله الواحد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد .

[سبب النزول]

وهذا القول كان من الجن لما أن سمعوا رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله يقرأ القرآن في صلاة الصبح يوما من الأيام ، وذلك أن الله سبحانه صرف إليه نفرا من الجن استمعوا ما يتلو ؛ فيؤدوه إلى جميع الجن ليكون ذلك دعوة منه لهم ، واحتجاجا منه عليهم ، وذلك قوله سبحانه :﴿**وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن**﴾ (١) فأتوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فلما أن سمعوا ما يتلو من كتاب الله ، قالوا ما ذكر الله من هذا القول ، والإيمان به والتصديق له ، والإقرار برسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ فقبلوا ذلك بأحسن قبول يكون من القابلين ، ثم تولوا إلى قومهم منذرين .

ثم كان من إقرارهم على سفهائهم الجاحدين به بحجج نبيئهم بالكفران والشطط والعصيان ، وذلك قولهم :﴿**وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا**﴾ .

ومعنى ﴿**كان يقول**﴾ أي : لم يزل يقول ﴿**سفيهنا**﴾ فهو : كافرنا ﴿**على الله شططا**﴾ فهو : كذبا وزورا وباطلا وأمرا جسيما جليلا ؛ لأن الشطط في كل معنى هو : الأمر الصعب العظيم .

﴿**وأنا ظنا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا**﴾ ومعنى ﴿**ظننا**﴾ : أيقنا . ومعنى ﴿**أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا**﴾ أي : أن شرار الإنس والجن يقولون على الله الكذب ، ولن هاهنا حشو وتزيين للكلام .

---

(١) ـ الأحقاف : ٢٩

﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾ فهذا إخبار من الله عز وجل عمن كان من الإنس يعوذون بالجن ، ومعنى ﴿**يعوذون**﴾ فهو: يلوذون ويستجيرون ﴿**فزادوهم رهقا**﴾ أي : فزادوهم أثما وبلاء ، ولم ينفعوهم في شيء من الأشياء التي طلبوا منفعتهم فيها ، ليزدادوا بفعلهم رهقا ، والرهق : فهو ما ذكرنا من الإثم عند الله والضرر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا نزلوا واديا ، أو فضاء من الأرض ، في مجمعة أو سفر ، قالوا عند وقت نزولهم وحطهم لرحالهم : إنا نعوذ بكبراء أهل هذا الوادي ، وسكانه من الجن ، من شر شرارهم فكانوا كذلك فيعوذون بالجن ، ويتركون التعوذ بالله ، فأخبر الله سبحانه أن ذلك يزيدهم إثما وبلاء وجرما ، ولا يرون به منفعة ولا رخاء [١].

ومعنى ﴿**فزادوهم رهقا**﴾ أي زادوهم بتعوذهم إثما وبلاء .

﴿**وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**﴾ معنى ﴿**وأنهم ظنوا**﴾ فهم: سفهاء الجن كانوا يظنون كما يظن أهل الجاهلية من الإنس ﴿**أن لن يبعث الله أحدا**﴾ أي : أن لن يبعث الله رسولا إليهم ، فكانوا في الإنكار للرسل هم وسفهة الإنس سواء ، حتى جاءهم من الله البيان ، ووضح لهم الحق بأوضح البرهان . ومعنى ﴿**يبعث**﴾ فهو : يرسل رسولا يحتج بحجته ، ويدعو الثقلين إلى طاعته .

﴿**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**﴾ فمعنى ﴿**لمسنا السماء**﴾ أي : حسسناها واستخبرنا خبرها ، وجاورناها ؛ لنعلم خبر أمرها ما هذا الذي حدث فيها ؟ ﴿**فوجدناها**﴾ أي : وجدنا من أمرها وخبرها أنها ﴿**ملئت حرسا**﴾ ومعنى ﴿**ملئت**﴾ أي : جعل فيها كلها حتى أحصيت ، والحرس : فهم الملائكة صلوات الله عليهم ، الذين يحرسون مقاعد السماء وأقطارها من مردة الجن وشياطينهم ؛ لكي لا يأخذوا شيئا من أخبارها ، ومعنى ﴿**شديدا**﴾ فهو : قويا حافظا ﴿**شهبا**﴾ فمعناها : نجوما متوقدة ، جعلت لهم رجوما ، وإنما سميت شهبا لتوقدها وتلهبها ، فشبهت بالنار في توقدها ، وهذه النجوم فلم يكن يرمى بها من قبل مبعث

---

(١) - في الأصل : ولا يرون به منفعة ولا رخاء ، ويمكن أن يكون اللفظ (ولا يرون به منفعة ولا رجاء) .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، فلما بعث رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وتنبأ ونزل عليه من الله الوحي ـ حرست السماء ممن كان يقعد من مردة الشياطين في مقاعدها ، وتسمع أخبار ملائكتها فتنزل به إلى إخوانهم من كهنة الأرض ، فأراد الله تبارك وتعالى أن يبطل أخبار الكهنة ؛ حتى لا يعلم أحد من أهل الأرض شيئا من أخبار السماء ، فمنع سبحانه الشياطين من استراق السمع بهذه الشهب التي تقذفهم الملائكة بها ، التي حرسها سبحانه عليهم وأمرها بهم ، كرامة منه لنبئه صلّى الله عليه وعلى آله ، وحياطة لوحيه ؛ لئلا ينزل إلى الأرض من علم السماء شيء إلا على لسان نبيئه صلى الله عليه وعلى آله ، وقد كانت الشياطين تسترق من أخبار الملائكة وتخابرها بينها بما يأتيها من الله ربها من أمره لها بما يكون من سقي البلاد وغيره من أخبار ما يأمر الله به ملائكته تتخابر به الملائكة بينها في السماء الدنيا ، فتسترقه مردة الشياطين ، وتنزل به إلى كهنة الأرض ، فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله نبيئه صلى الله عليه وعلى آله فحجبت الشياطين عما كانت عليه بهذه النجوم ، التي تقذفها بها عند طلبها ما كانت عليه من استماعها ، ألا تسمع كيف قالت الجن عند ذلك :**﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾** فأخبر أنها كانت تقعد من السماء مقاعد ، والمقاعد : فهي المواضع التي يصعد فيها من يقعد فيها للإستماع ، ثم قال :**﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾** يريد: فمن يقعد الآن للإستماع يجد له شهابا رصدا ، يقول : يجد له نجما منها **﴿رصدا﴾** أي : مستعدا ، فيقذف به عندما يكون من مداناته .

ثم قالوا عندما عاينوا من تلك الشهب المستعدة لهم ، الراصدة لمن طمع بالإستماع بعد مبعث محمد صلى الله عليه وعلى آله منهم ؛ فقالوا :**﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾** يقولون : لا ندري أهذا الذي حدث من أمر الله ألشرٌ يريد أن يجعله في الأرض يهلك به أهلها ؟ أم لرشدٍ ينزله فيها فيتفضل به على سكانها ؟ والشر : فهو العذاب والبلاء . والرشد : فهو الخير والرحمة والهدى .

ولعمري لقد جعل الله عز وجل بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم في الأرض كل هدى ، وكل خير ورخاء .

ثم رجع الخبر إلى قول النفر الذين صرفوا من الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فاستمعوا منه ، وذهبوا إلى قومهم منذرين ، فحكى قولهم وهو قوله :﴿**وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا**﴾ فأخبروا أن منهم الصالحين[1] والصالحون : فهم المؤمنون ، وأن منهم دون ذلك يقول دون المؤمنين ، ومن كان دون المؤمنين فهو من الكافرين .

ثم أخبر سبحانه عن أنفسهم أنهم في الاختلاف طرائق قددا ، والطرائق : فهي الألوان المختلفة ، والأشياء التي هي غير مؤتلفة ، فأخبروا أنهم مختلفون في المعرفة بالله والطاعة له ، فمنهم : المؤمن التقي ، ومنهم : المنافق الردي ، ومنهم : الكافر الغوي . وقددا فمعناها : بددا ، ومعنى بددا : أي شعوبا فرقا .

﴿**وأنا ظننا أن لن نعجز الله**﴾ فمعنى ﴿**ظننا**﴾ أي أيقنا ﴿**أن لن نعجز**﴾ ثبتت هاهنا لن ، ولم تثبت في قوله :﴿**أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا**﴾ أرادوا أنهم موقنون أنهم لن يعجزوا الله في الأرض إن استتروا بها وكانوا تحتها ، وفي أكنافها ، وأنهم لن يعجزوه هربا إن ذهبوا في الأرض هاربين ، ومن مخافته طائرين فأقروا بقولهم ما قالوا من ذلك بقدرة الله عليهم ، وأنه لا مهرب منه إلا إليه ، وأنه لن يعجز الله أحد ممن في الأرض ، ولا ممن في السماء ، لا من مقيم ولا ممن ذهب على وجهه هربا .

ثم أخبر بما كان منهم من القبول للهدى فقال :﴿**وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به**﴾ والهدى الذي أخبروا أنهم سمعوه : فهو كتاب الله الذي قبلوه ، ومعنى ﴿**آمنا به**﴾ فهو : صدقنا به ﴿**فمن يؤمن بربه**﴾ يقول : يصدق بقول ربه ووعده ووعيده فقد آمن به حق إيمانه .

﴿**فلا يخاف بخسا ولا رهقا**﴾ يقول : لا يخاف مع إيمانه بخسا ، والبخس : فهو نقصان الثواب ، ونقص ما جعل الله للمحسنين على إحسانهم ، وقوله :﴿**ولا**

---

(١) - في الأصل (فأخبروا أن منهم الصالحون) ولكونها اسم ان فهو منصوب على ما أثبتناه ، ويحتمل أن الأصل صحيح ، وأنه أراد حكاية مافي الآية .

رهقا﴾ يريد : ولا يخاف من الله إرهاقا بعذاب ، ولا حكما عليه بإثم ، في شيء من الأسباب .

ثم قال :**﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾** فأخبر مؤمنوا الجن أن منهم المسلمون في دينهم ، ومنهم القاسطون في فعلهم ، فأما المسلمون : فهم المستسلمون لأمر الله القابلون له . وأما القاسطون فمعناها : العادلون بالله غيره ، والعادلون فمعناها : العابدون معه سواه ، والمطيعون غيره ، والعاصون له ، ومن العادلين المشبهون له ، ومن العادلين المجورون له الذين عدلوا بغيره ، ومعنى عدلوه : أي شبهوه ومثله بخلقه.

ثم أخبر مؤمنوا الجن بما أخبرهم الله تصديقا لوعده ووعيده فقال :**﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾** يريد : أي فعلوا صوابا وقبلوا هدى .

﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ يقول : صاروا بفعلهم وقودا لجهنم وحطبا لها ، أي تحرقهم وتوقد بهم ، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه :**﴿نارا وقودها الناس والحجارة﴾**(١) .

ثم انقضى قول مؤمني الجن ، ورجع القول والخبر إلى الله ذي القدرة والطول ، ثم قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :**﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾** يعني بالاستقامة بني آدم ، يقول سبحانه : لو استقاموا على الطاعة لنا والطريقة : هي الأمر الذي افترضه الله عليهم ، والطريق التي عليها أوقفهم من طاعته وعبادته **﴿لأسقيناهم﴾** يقول : أنزلنا عليهم من السماء **﴿ماء غدقا﴾** والغدق : فهو الكثير.

ثم قال :**﴿لنفتنهم فيه﴾** وبه فننظر شكرهم لنا عليه ، أو كفرهم لنعمنا فيه ، فأخبر أنهم لو كانوا على الحق ولزموه لرأوا من نعم الله ما لن يحصون ، وأنزل عليهم من الماء ما يحيي به بلادهم ، وتكثر به ثمارهم ، ويزيد في أموالهم ، ويوسع عليهم نعمهم ويشبع بطونهم ، كما قال سبحانه في غير هذه السورة :**﴿ولو أن أهل القرى آمنوا**

---

(١) ـ التحريم : ٦

واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [(١)] فأخبر سبحانه أنه ليس بين عباده وبين كراماته إلا ما هم عليه من معاصيه ، والأثرة لما لا يرضيه .

ثم قال :﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**﴾ ومعنى ﴿**يعرض**﴾ عن ذكر ربه : هو يترك ذكر ربه ، ومعنى ذكر ربه فهو خوف ربه وطاعته ﴿**نسلكه عذابا**﴾ أي ندخله فيه ، وكذلك تقول العرب اسلك موضع كذا وكذا أي أدخل فيه وأمضه ، وتقول : اسلك الخيط في الإبرة ، أي : أدخل الخيط في الإبرة .

وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالى لموسى :﴿**اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**﴾[(٢)] يريد : أدخلها جيبك ثم أخرجها ، ومعنى ﴿**صعدا**﴾ فهو : التعب الشديد ، فشبه الله سبحانه هذا العذاب مع غيره من العذاب بالصعد مع السهل على من سلكهما ، والصعد فهو : التصعيد في الجبل الشامخ الصعب المنتصب .

ثم قال سبحانه :﴿**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**﴾ فأخبر عز وجل أن بيوت الله ومساجده لله تبنى ، وعلى طاعته تبتدأ . ثم نهاهم أن يدعو فيها غيره ومعنى ﴿**تدعو**﴾ فهو : تذكر وتعبد ، فأمره الله بتوحيده وإخلاص العبادة له ، وأمره له صلّى الله عليه وآله فهو أمر لجميع الأمة ، أمرهم الله أن يكونوا له في العبادة كذلك ، وأن لا يفعلوا كما يفعل أهل الكفر والمهالك ، من اليهود والنصارى الذين يشركون مع الله غيره عند اجتماعهم في كنائسهم وبيعهم وأعيادهم وعبادتهم بزعمهم ـ لعنهم الله ـ لربهم ، ويدخلون في تلك الكنائس والبيع عبادة غير الله وذكرهم المسيح والعزير ، وغير ذلك مما يأتون به ، ويذكرونه في مواضعهم هذه من كفرهم .

ثم ذكر ما يكون من الكفرة الفاسقين المحاربين لله ولرسوله عليه السلام ، المعاندين عند قيام رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد الله يدعو الله ويوحده ، وينفي

---

(١) ـ الأعراف : ٩٦

(٢) ـ القصص : ٣٢

عنه كل ظلم وينزهه ، من الإجماع عليه بالقبيح من فعلهم ، وما كادوه به من كيدهم حتى صرف الله ذلك عنه ، وسلمه برحمته صلّى الله عليه وآله منه ، فقال عز وجل مخبرا بمنته على عبده فقال :﴿**وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾ يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لما قام يدعو الله ويوحده ـ كاد مشركوا قريش أن يكونوا عليه لبدا ، ومعنى ﴿**كادوا**﴾ فهو : أرادوا وهموا ، ولم يفعلوا إذ لم يقدروا ، و﴿**يكونون عليه لبدا**﴾ أي : فهم يغشونه جميعا معا حتى يقعوا بأنفسهم عليه ، ويبلغوا ما أملوا فيه من الهلكة ، التي صرف الله سبحانه عن نبيئه تلفها ، ومنعهم بعزته بلوغها ، وذلك من قريش وغيرهم ممن تبعهم كفرا بالله وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فأرادوا أن يرموه بأنفسهم معا ؛ لأن يجتثوه من الأرض اجتثاثا ؛ فيستأصلوا شأفته صلى الله عليه وعلى آله استئصالا غضبا عليه في طاعة الله ، ومشاقة وكفرا منهم بالله .

وقد قال غيرنا : إن الذين كادوا يكونون عليه لبدا ـ هم مؤمنوا الجن الذين استمعوا القرآن فكادوا يغشونه ، ويطؤونه محبة منهم له *وليس ذلك يصح في البيان* وليس هم إلا من ذكرنا من مشركي الإنسان ، ألا تسمع كيف قال لهم إنكارا منه لفعلهم الذي كادوا أن يكون منهم :﴿**قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**﴾ فدل هذا من قوله على أنه جواب واحتجاج على كل منكر عليه في فعله ، زارٍ عليه في دعاء ربه ، فاحتج عليهم بما تسمع ، وليس هذا جواب يصلح أن يكون لمن صدقه وآمن به واتبعه ، وهذا فلا يغبى عند قراءة الآية على ذي معرفة وعقل وتبصرة وتمييز بين الأمور ، ووقوف على الخير والشرور .

وقوله :﴿**أدعو ربي**﴾ أي : أسأله وأخلص الديانة له ، وقوله :﴿**ولا أشرك به أحدا**﴾ يريد : لا أشرك به في دعائي وتعبدي له أحدا ﴿**ألا**﴾ معناها : لا أقدر لكم أيها المنكرون عليَّ في عبادة ربي ﴿**ضرا ولا رشدا**﴾ يقول : لو كنت أملك لكم ضرا لضررتكم ، ولكن الضار المرشد الذي هو ربكم وربي ، ثم قال :﴿**قل إني لن يجيرني**

من الله أحد﴾ يقول : لو عَنَدْتُ عن دينه وأطعت غيره لم أجد من دونه من يجيرني منه ، فكيف أعدل عنه كما عدلتم ؟ ! إذاً لهلكت كما هلكتم **﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾** يقول : إذا لم أكن أجد من دونه ملجأ ولا مفرا ولا ملتحدا ألتحد فيه . ومعنى **﴿ملتحدا﴾** فهو : موضعا ومستندا ومكانا يلجأ إليه من عَنَدَ .

من ذلك ما تقول العرب : الحد اللحد للميت . أي اجعل له موضعا يلجأ إليه وينحجز عن متراكم التراب فيه ، أي ينحاز عن التراب إليه ويهرب منه فيه ، ويتحجر به عنه ، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه :**﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾**[(١)] فقال:**﴿يلحدون إليه﴾** يريد : يسندون إليه ، ويزعمون أن محمدا مسند إليه متعلم منه ، ملتجيء إليه في أمره .

ثم قال سبحانه :**﴿إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾** يريد : سبحانه أنك لا تجد ملتحدا ولا ملجأ من الله ، ولا مخلصا يخلصك من عذابه **﴿إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾** يريد بقوله :**﴿بلاغا﴾** إلا تبليغك عن الله رسالاته ، وصبرا على أمره ، ومضيا على طاعته واصطبارا على حكمه ، فإن هذه الأشياء هي البلاغ من الله إذا فعلته فهو المجير لك من عذاب الله ، والملتحد : الذي يلتحد إليه ويلجأ من أمر الله ، وينجى من عذابه ولن ينجيك غير طاعة الله من عذابه .

ألا تسمع كيف يقول سبحانه :**﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾** فأخبر سبحانه أن من يعص الله ورسوله فإن الله قد جعل مأواه جهنم ، ومعنى **﴿له نار جهنم﴾** أي أنها له قرار ومنزل ، ومعنى **﴿خالدين فيها أبدا﴾** أي فهم مقيمون فيها أبدا ، ومعنى **﴿أبدا﴾** فهو دائم سرمد لا غاية له ولا أمد

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ يقول : حتى إذا عاينوا وأبصروا ما كانوا يوعدون من الوعيد الذي كانوا به يكذبون وهو العقاب والحساب الذي به يجزون .

ثم قال :**﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾** يقول سبحانه : **﴿فسيعلمون﴾** أي : فسيرون ويبصرون ويوقنون ويعرفون **﴿من أضعف ناصرا﴾**

---

(١) ـ النحل : ١٠٣

أهم أم محمد صلى الله عليه وعلى آله ؛ لأن ناصرهم الشيطان ، وناصر محمد الرحمن فهذا تقريع من الله لهم ، وتبكيت بضعفهم ، وضعف ناصرهم ، وإعلام منه أنهم لما يعبدوا من ينفعهم ويطيعوا[1] من يضرهم إن أراد ضررهم ، وأنهم إنما يعبدون من هو أضعف منهم ممن عبدوه من دون ربهم ﴿**وأقل عددا**﴾ يقول : أقل عاضدا له ، وقائما معه ، وكارها لما كره ، وساخطا لما سخط ، أمحمد صلى الله عليه وعلى آله أقل مواليا أم أنتم ؟ ومحمد صلى الله عليه وآله فالموالون له الملائكة المقربون ، وجميع المؤمنين من الثقلين .

وقد يحتمل أن يكون معنى الآية مثلا ضربه الله لهم ، يخبرهم فيه أنه تبارك وتعالى أقوى على نصر أوليائه منهم على نصر أوليائهم ، وقوله :﴿**أقل عددا**﴾ يريد أقل جندا وأولياء وطاعة وخدما ، وأنفذ أمرا في كل ما أراد وشاء تبارك وتعالى .

ثم قال سبحانه :﴿**قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا**﴾ فأمره سبحانه أن يقول لهم : إنه لا يدري متى يوم القيامة ، ولا كم بقي من الدهر إليها ولا متى يكون ذلك اليوم الذي يوعدون فيه ما يوعدون ، من العذاب الأليم ، والخلود في الهوان المقيم ، أراد بذلك إعلامهم أن العلم لله وعنده ، وأنه لا يعرف أمد ذلك اليوم ولا وقته ، ومعنى قوله :﴿**إن أدري**﴾ أي أعلم . ومعنى ﴿**أقريب**﴾ أي : أدَانٍ ما توعدون ﴿**أم يجعل له ربي أمدا**﴾ يقول : أم يُطَوِّلُ ربي أمدَه ، ويُبَعِّدَ كينونَتَه ومجيئَهُ ، عِلْمُ ذلك كله عند الله لا يعلمه سواه .ومعنى ﴿**أمدا**﴾ فهو : طولا وإنساء وتأخيرا ، إلى أي الأوقات شاء .

﴿**عالم الغيب**﴾ والغيب : هو ما غاب واستتر واستجن فلم يظهر ﴿**فلا يظهر على غيبه أحدا**﴾ يقول : لا يطلع على ما عنده من العلم أحدا ﴿**إلا من ارتضى من رسول**﴾ يقول : إلا من اختار لوعده وغيبه وتبليغ رسالاته ، فإنه يطلع ذلك الذي يختاره على ما يشاء من علم غيبه ، وما يعلمه من أسباب خلقه .

---

(١) - في الأصل النسخة (أ) وأنهم لما يعبدون من ينفعهم ، ويطيعون من يضرهم) ولما كانت لما من الجوازم كقوله تعالى :﴿كلا لما يقض ما أمره﴾ حذفنا نون الرفع .والمعنى أنهم إلى الآن لم يعبدوا الله ويطيعوه .

﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ يقول سبحانه : يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظون أمره ، وهم الذين قال الله سبحانه :﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ (1) فليس رسول مرسل ، ولا عامل يعمل - إلا وعن يمينه وعن يساره من يحفظ عليه من بين يديه ومن خلفه ما عمل ، ويحصي عليه ما فعل ، وكذلك أخبر الله سبحانه أنه يجعل من بين يدي من ارتضى من خلقه حفظة يحفظون عليه ويشهدون له بالفلاح والنجاح ، والأداء والنصيحة . ومعنى ﴿رصدا﴾ أي : فهم يحفظون حفظا ، وينتظرون ما يكون من فعله ، ويترقبون ما يأتي منه من التبليغ والصبر والإجتهاد ، ليشهدوا له بذلك في يوم المعاد .

وقد يمكن ويكون - والله أعلم وأحكم - أن يكون معنى قوله :﴿يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ فهو : جعل من الله مع من ارتضى ، من التوفيق والتسديد والمعونة والتأييد - ما يحفظه الله به من الزلل والخطأ ، وغير ذلك من الأعداء ؛ فيكون شبَّه ما جعل معهم من التوفيق والتسديد بالراصد لمن يرصد من حفظة العبيد ، بل يكون ذلك من الله حفظا هو أحوط من الراصد المتحفظ ، وضرب لهم هذا مثلا بينا ليعلموا ما حفظ الله لمن اختار من خلقه وتنبأ .

﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ يقول سبحانه : ليكون منهم في التبليغ أمر وصبر وحزم وفعل ، يعلم الله أنهم قد فعلوا وصبروا عليه وصمموا فيه ، من تبليغ رسالات ربهم إلى خلقه ، فيقع علمه بأنهم قد فعلوا ، ويكون فعلهم نافذا بما أمروا فهذا معنى ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾.

﴿وأحاط بما لديهم﴾ فأخبار منه سبحانه أنه محيط بما لديهم ، ومعنى أحاط فهو : علم وأحصى ، ومعنى ﴿لديهم﴾ فهو : عندهم ﴿وأحصى كل شيء﴾ فمعنى أحصى هو : أحاط وحفظ كل شيء يكون من الأشياء التي لايؤوده حفظها .

ومعنى ﴿عددا﴾ فهو : أحصى لكل شيء ، وأحاط به على وجهه حتى يكون كل شيء مثبتا عنده حرفا حرفا ، كما ثبت العدد في يد العاد تثبيتا ، ويعقده بيده

---

(1) - ق : ١٧

واحدا واحدا ، فأخبر سبحانه أنه محيط بما عند رسله عالم به ، وعند غير رسله ، وأنه مُحْصٍ لكل شيء يدركه من الأشياء ، فإحاطته بها كما يكون إحاطة من حسب شيئا لما يحسبه ويبينه ، ويعقده في يده ويعرفه ، فمثل لهم سبحانه حفظه بعدد الأشياء ومعانيها بما يعرفون من حفظ ما عُقِدَ باليد وحُسِبَ ؛ لأن أحفظ ما يحفظون ، وأبين ما به يعرفون حساب كل شيء ومبلغه ـ هو بالعدد والإحصاء ، والحساب والإستقصاء .

تفسير «سورة نوح»

[الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطيبين وسلم تسليما قال يحي بن الحسين :] (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تبارك وتعالى ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾ أي : نحن أرسلنا نوحا ، وهو إخبار من الله عز وجل بأنه أرسل نوحا ﴿إلى قومه﴾ وقومه : فهم عشيرته وأهل بلده .

﴿أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ معنى ﴿أن أنذر قومك﴾ فهو: إخبار من الله أيضا عما أمر به نبيئه صلى الله عليه وآله من إنذار قومه ، والإنذار : فهو التحذير والإخبار والتخويف بوعيد الله والإنذار ﴿من قبل أن يأتيهم﴾ يقول : أنذرهم وقوع العذاب قبل إتيانه لهم وهجومه عليهم ، فأخبرهم أنهم إن تابوا صرف عنهم وإن أقاموا على المعاصي واقعهم ، والأليم : فهو الشديد الذي نزل بهم من الغرق وشدة العذاب والرهق .

﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ فهذا قول نوح صلى الله عليه لقومه ، فأخبر الله سبحانه بتبليغ نوح عليه السلام ما أمر به من الرسالة من الإعذار إليهم ، والإنذار

---

(١) ـ في المخطوط (بمجموع تفسير الأئمة﴾ الجزء الثالث من تفسير القرآن عن الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار وسلم . وكذلك يوجد بالمخطوط ما أثبتناه بين قوسي الزيادة .

والنذير : فهو المبلغ المحذر لأمر قبل أن يقع ، فكان نوح صلى الله عليه نذيرا من الله لقومه ، محذرا لهم ما واقع من كان قبلهم من القرون الماضين ، من عذاب الله المهين وقوله :﴿**مبين**﴾ فهو : المظهر لأمره المنير القول ، المبين لهم حقيقة ما أنذرهم الصادق في قوله:﴿**أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون**﴾ معنى ﴿**أن اعبدوا الله**﴾ أي : جئتكم نذيرا مبينا لأن تعبدوا الله ، فطرح اللام فبقيت أن اعبدوا الله ، والعرب تستعمل ذلك تقول : جئنا أن ترفدنا ، تريد لأن ترفدنا ، تطرح اللام وهي تريدها ، فخرج الكلام كأنه خبر وهو إيجاب .

ومعنى ﴿**اعبدوا الله**﴾ هو : أطيعوا الله ، وأقيموا ما افترض عليكم من فروضه وأمركم به من أموره ﴿**واتقوه**﴾ معناها : خافوه ولا تعصوه ، وصدقوا وعيده ولا تكذبوه ﴿**وأطيعون**﴾ يقول : وأطيعوني يغفر لكم ، فطرح الياء ، فقامت الياء التي في ﴿**يغفر**﴾ مقامها ، ومعنى أطيعوني : فهو اقبلوا قولي واستنصحوا أمري ولاتستغشوني وتعصوني فيما آمركم من طاعة ربي ؛ فتمادوا في معاصيه ، والفعل بما لا يرضيه ؛ فَتُهْلَكُوا بذلك وتُدَمَّرُوا .

ثم قال صلى الله عليه :﴿**يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى**﴾ يقول : إن أطعتموني فاتبعتم رضا الله ، وتركتم معصيته ـ غفر لكم بذلك من ذنوبكم ، ومعنى قوله :﴿**من ذنوبكم**﴾ هو : يغفر لكم من ذنوبكم ما كان مهلكا من كبائرها ، ومحققا عليكم الوعيد منها ﴿**ويؤخركم**﴾ يقول : يدفع عنكم العذاب الذي نزل بكم عند معاصيكم ، حتى تبلغوا الأجل الذي سماه لكم ، وجعله سبحانه غاية على السلام لحياتكم ؛ لأن الله تبارك وتعالى جعل للعباد أجلا على الطاعة ، ثم هو سبحانه المتولي في ذلك للعقوبة ، فإن شاء عاجلهم بالعقوبة فقطع آجالهم بالمعصية التي كانت منهم ، فلم يبلغوا ما أجلَ الله لهم من الأجل على الطاعة ؛ إذ لم يكن منهم الطاعة ، فنزل بهم العقاب فقطع مدتهم عما وقت من الآجال على الطاعة ـ لهم وقوله :﴿**مسمى**﴾ فمعناه : أي معروف مجعول ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**﴾ معنى قوله :﴿**إن أجل الله**﴾ يريد صلى الله عليه : أن عقوبة الله التي تقطع آجالكم إذا نزلت بكم لا تؤخر عنكم إلى الغاية التي جعلت لكم على الطاعة

﴿**لو كنتم تعلمون**﴾ يقول : لو كنتم تعقلون وتفهمون ذلك ، وتدرونه على حقيقة المعرفة ، فأخبرهم بذلك أن الأجل عند الله أجَلٌ أجَّلَه لهم على التوبة والإنابة ، ولزوم الطاعة ، فأخبرهم أنهم إن كانوا كذلك استوفوه ، وإن عَنَدُوا عن الطاعة وارتكبوا المعصية نزل بهم العذاب القاطع لهم عن بلوغ ذلك الأجل المؤجل لهم ، الذي ذكرنا على الطاعة منهم ، وهذا الأمر - الذي ذكرنا أنه ينزل من الله تبارك وتعالى بأعدائه ؛ فيهلكهم عند نسيانهم له وإيسافهم وإقدامهم على معاصيه واقترابهم من العذاب المهلك المستأصل - فهو قول نوح صلى الله عليه :﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**﴾ أراد صلى الله عليه : أن عقوبته التي تقطع آجالكم إذا حقت عليكم بفعلكم لم تؤخر عنكم ، ولم يُرِدْ أجل السلامة الذي جعله أمدا لمن سلم من عقوبته ؛ وهذا من فعل الله سبحانه ، وقتله بعذابه لمن قتل من أعدائه المستحقين لعقوبته ، كقتل بعض الناس بعضا ، فكان الله عز وجل بما أنزل على الفاسقين من العقوبة والتهلكة - قاطعا لآجالهم التي أجلها على السلامة بالطاعة له ، وكان من قتل من الناس إنسانا قاطعا لأجله بفعله عن بلوغ الأجل الذي جعله الله على السلامة لأن الله تبارك وتعالى قد جعل في الخلق استطاعة ، يقدرون بها على المعصية والطاعة وينالون بها قتل المقتولين ، وغير ذلك من ظلم المظلومين والإحسان إلى من أحبوا الإحسان إليه﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيَّ عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾

ثم أخبر سبحانه بقول نوح عليه السلام من بعد الإعذار والإنذار إلى قومه ، وما كان من الصد منهم عن تذكيره ، وقلة الإلتفات إلى شيء مما جاء به من ربه فقال : ﴿**[قال] إني دعوت قومي ليلا ونهارا**﴾ ومعنى ﴿**إني دعوت قومي**﴾ هو أني ناديت قومي إلى ربي ، ودعوتهم إلى طاعة خالقي ﴿**ليلا ونهارا**﴾ يقول : دعوتهم في الليل والنهار إليك ﴿**فلم يزدهم دعائي إلا فرارا**﴾ يقول : لم يزدادوا بدعائي ربي وإنذاري ودعائي واحتجاجي عليهم ﴿**إلا فرارا**﴾ يقول : إعراضا وصدودا واجتراء علي واستهزاء بي .

ثم قال صلى الله عليه :﴿**وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا**﴾ يريد بقوله :﴿**وإني كلما**

دعوتهم﴾ ليعملوا عملا صالحا تغفر لهم به ذنوبهم، وتتجاوز عن سيئاتهم **﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾** يقول: سدوها بأصابعهم فأدخلوها في آذانهم لكيلا يسمعوا قولي ودعائي؛ إعراضا منهم عنك، وكفرا منهم سبحانك بك، وبغضا لما أدعوهم إليه، واستثقالا لما أناديهم به **﴿واستغشوا ثيابهم﴾** يريد: غطوا رؤوسهم بثيابهم وولوا مدبرين وهذا فعال يفعله كل من استثقل شيئا وكرهه، ولم يحب أن يسمعه ولا يعاينه، فكانوا يغطون رؤوسهم ووجوههم لئلا يعرفهم، فيدعوهم إلى ما كان يدعوهم إليه، ويحضهم من طاعة الله على ما كان يحضهم عليه **﴿وأصروا﴾** يريد أضمروا المعصية وأقاموا على التكذيب، والإصرار على الشيء: فهو الإقامة عليه **﴿واستكبروا استكبارا﴾** معناها: تجبروا تجبرا، وخالفوا وعتوا تكبرا.

﴿ثم إني دعوتهم جهارا﴾ يريد صلى الله عليه: دعوتهم مباينة مكاشفة وناديتهم بالدعوة مناداة ظاهرة، لا أسترها على أحد منهم، ولا أخفيها عنهم فهذا معنى **﴿جهارا﴾**.

﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا﴾ يريد بقوله: **﴿أعلنت لهم﴾** أي: أخبرتهم بما ينزل عليهم من العذاب إن عصوا، أو داموا على ما هم عليه وعتوا **﴿وأسررت لهم﴾** يريد: كلمتهم في السر بذلك والعلانية؛ لأن الإسرار هو الإخفاء فيقول: أخفيت دعائي وإعذاري وإنذاري، وأعلنت به، وأتيت من تأكيد الحجة عليهم في ذلك على كل معنى، وأتيت من إكمال الحجة عليهم على الأقصى.

ثم ابتدأ بعدما أخبر به من اجتهاده في الدعاء لهم سرا وعلانية - الخبر عن قوله لهم بقوله: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾** معنى **﴿فقلت﴾** فهو: أمرت ومعنى **﴿استغفروا﴾** أي: توبوا وارجعوا، يقول: أمرتهم بالتوبة إلى ربهم والرجوع إلى خالقهم **﴿إنه كان غفارا﴾** يقول: إنه كان للتائبين غفارا، وغفارا: فهو غفور والغفور: فهو العافي عما تقدم، تقول العرب: غفرت لك ذنبك، أي صفحت عنه وتركته ولم أعاقبك عليه، ولم آخذك بالجزاء فيه.

﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ يريد صلى الله عليه بقوله: **﴿يرسل السماء**

عليكم﴾ أي : انكم إن تبتم ورجعتم إلى ا لله سبحانه وأخلصتم أرسل السماء عليكم مدرارا ، وإرسال السماء : فهو إرسال ما فيها من المطر لا إرسالها في نفسها . والسماء هاهنا : فهي السحاب الذي يكون في المطر لا السماء الخضراء التي هي السماء العليا ، والعرب تسمي السحاب سماء تقول : كانت على بلد كذا وكذا سماء حسنة ، تريد سحابا حسنا ، فقال سبحانه : **﴿يرسل السماء﴾** فأراد بقوله : **﴿السماء﴾** أي يرسل ماء السماء ، كما قال سبحانه :**﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾** (١) فقال : القرية و العير ، وإنما أراد أهل القرية وأهل العير ولا القرية بعينها ، ولا العير ، وكذلك تقول العرب فيما كان مثل ذلك : سألت القريب كلها فلم يطلبني أحد ، يريد القائل بذلك : سألت أهل القرية كلهم .

وفي ذلك ما يقول ا لله سبحانه :**﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾**(٢) [فقال : **﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾** والعجل لا تشربه القلوب ، وإنما أراد أشربوا في قلوبهم حب العجل] فطرح حب ، وأقام العجل مقامه ، والعرب تفعل هذا بالشيء الذي من جنس الشيء المنسوب إليه المعروف الكائن منه وفيه ، وفي ذلك ما قال شاعر من العرب :

ألا إنني أسقيت أسود حالكا ألا بجلي من ذا الشراب ألا بجل

يريد سقيت سم أسود حالكا ، والأسود : فهو الحية فقال : سقيت أسود، وليس الأسود يسقاه الناس ، وإنما يسقون سمه ، فأقام الأسود مقام السم ؛ لأنه منه واليه يعرف به ، ويستدل به عليه ، ومعنى قوله :**﴿مدرارا﴾ أي** كثيرا دارّا ، والدارُّ : فهو المتتابع المتوالي الذي لا ينقطع بعضه من بعض .

﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ فمعنى يمددكم أي يعطيكم ويزيدكم ويقويكم والأموال : فهي ما كان من الذهب والفضة ، والحرث والأشجار والأنهار ، وكل شيء يجلب به المال ، والبنون : فهم الذكران من الأولاد .

---

(١) - يوسف : ٨٢.
(٢) - البقرة : ٩٣.

﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ معنى يجعل : فهو يرزق ويفعل .

والجنات : فهي البساتين ذوات الأنهار ، والأشجار والثمار ، والأنهار : فهي المياه الجارية المتفجرة الكثيرة الحاملة الغزيرة .

﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ ومعنى **﴿ترجون﴾** فهو تفعلون ، ومعنى تفعلون فهو : تصنعون ، ومعنى **﴿وقارا﴾** فهو : إعزازا وإكبارا وإجلالا وإعظاما ، يريد عليه السلام مالكم لا توقرون الله وتجلونه وتقدسونه وتنزهونه عما تقولون فيه ، وتنسبون من الكذب إليه .

﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ والأطوار : فهي الحالات المختلفة ، والأصناف المفترقة والشعوب المؤتلفة ، وغير المؤتلفة ، في الألوان والألسنة والخلق والهيئة .

وقد يمكن أن تكون الأطوار هي : تنقيل الله لمن يخلقه في الرحم من حال إلى حال من النطفة إلى العلقة ، ومن العلقة إلى المضغة ، ومن المضغة إلى العظام ، ثم من حال إلى حال حتى يكمل ما أراد من خلقه ، ويظهر ما شاء من فطرته ، والمعنى الأول فأحسنهما عندي وكلاهما فيجوز ولا يمتنع في المعنى .

ثم احتج عليهم صلى الله عليه بما فيه الشواهد لله على قدرته ، و تصديق ما بعث به نبيه عليه السلام من وعيده ووعده **﴿ألم تر كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾** يقول : ألم تبصروا وتعاينوا أثر قدرته فيما خلق من سمواته السبع الطباق ، فتستدلوا بذلك على أنه الله الواحد الخلاق ، و الطباق : فهي الطبقات طبقة فوق طبقة مجعولة فوقها مركبة ، بين كل سماء وسماء ما شاء الله سبحانه من البعد والهواء .

وقوله : **﴿وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾** فمعنى : **﴿جعل القمر﴾** أي : خلقه وصوره ، وجعله فيهن نورا وقدره ، فلما كان القمر في بعضهن وهي السماء الدنيا ـ جاز أن يقال : **﴿فيهن﴾** إذ كان في بعضهن ، وكذلك يقول القائل من العرب : نزلت في العراق وإنما نزل في بعضه ولم ينزل في كله ، ويقول : خضت البحر وإنما خاض طرفه وبعضه ، فقال : خضت البحر ولم يخض منه إلا اليسير ، وقد بقي منه الكثير ، وكذلك يقول القائل : رميت في عسكرهم بسهم

وإنما رمى في جانب منه ، ولم يرم في كله ، فعلى هذا المعنى يخرج قول الله سبحانه :﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ وإنما هو في واحدة .

معنى قوله :﴿وجعل الشمس سراجا﴾ والسراج : فهو النور المتوقد الذي يضيء به ما بين السماء والأرض ، فلما أن أضاء بالشمس ما بينهما ، كانت كما قال الله : ﴿سراجا﴾ فيهما .

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ فمعنى ﴿أنبتكم﴾ فهو : خلقكم ، والمخلوق من الأرض فهو أبو الخلق آدم عليه السلام ، فلما أن كان خلقه من التراب وابتداؤه وجعله واقتضاؤه ـ جاز أن يقول لمن كان منه : أنبتكم من التراب ؛ إذ أصلهم منه كان ، وعنه بقدرة الله بان .

و﴿نباتا﴾ فهو خلقا من التراب وتصويرا ، وجعله منه وتقديرا .

﴿ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ فمعنى ﴿يعيدكم﴾ أي : يردكم فيها من بعد موتكم ، ومعنى ﴿يخرجكم إخراجا﴾ فهو : يحييكم بعد الموت ، ويخرجكم من الأرض بعد الفناء والبلى ، والمصير إلى الرفات في الثرى ، في يوم الدين وحشر العالمين ﴿إخراجا﴾ فهو : خروجا حقا ، وقولا صدقا ، لا يخامره باطل ولا محال ، ولا فساد في قول ولا فعال .

﴿والله جعل لكم الأرض بساطا﴾ فمعنى ﴿جعل﴾ أي : فعل وسوى وبسط ودحا ، و﴿بساطا﴾ فهو : فراشا مبسوطا ، يرقد عليه ويوافى في كل الحالات إليه فشبه الأرض في انبساطها للخلق بالبساط المبسوط لهم ، الذي يجلسون عليه إذ كانت لهم مضجعا ومفترشا ، ومأوى ومبسطا . ألا تسمع كيف يقول سبحانه :

﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ يقول سبحانه : جعلناها لكم بساطا منبسطا طويلا عريضا ذا بعد ومدى ﴿لتسلكوا منها﴾ لتسيروا فيها ﴿سبلا فجاجا﴾ والسبل : فهي الطرق ، وفجاجا : فهو جوانبا وشعابا ؛ لأن الفج هو الشعب العظيم من الأرض والجانب الواسع الذي يكون بين الجبال ، فسمى ذلك فجاجا .

﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا﴾ معنى

﴿عصوني﴾ أي : خالفوني ولم يطيعوني ، وجنبوا عن أمري واستخفوا بدعوتي ﴿واتبعوا﴾ فهو : أطاعوا وأحبوا وأرادوا ﴿من لم يزده ماله وولده إلا خسارا﴾ يقول: لم يزده ما رزقته من المال والولد ﴿إلا خسارا﴾ أي : إلا كفرانا وعصيانا حتى خسر بماله وولده ما ربح المؤمن بهما ، من الشكر لربه سبحانه عليهما ، فصار لنعم الله خاسرا إذ كان له في ذلك غير شاكر ، وبما أعطاه سبحانه منه غير ذاكر .

﴿ومكروا مكرا كبارا﴾ يعني نوح صلى الله عليه قومه ، ومعنى ﴿مكروا﴾ فهو تخبثوا وتحيلوا عليَّ ، وأداروا دوائر السوء فيَّ و﴿كبارا﴾ فهو مكرا كبيرا عظيما كثيرا والمكر : فهو ما ذكرنا من البغي والخدائع .

﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا﴾ وهذا قول من قوم نوح صلى الله عليه حين دعاهم إلى الله ، وأمرهم بترك ما يعبدون من دون الله ، فقالوا: ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ وهو قول من بعض لبعض ، وآلهتهم : فهي الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله ، ومعنى﴿لا تذرن﴾ فهو : لا تتركنَّ ولا تخلنَّ ، ولا تفارقوا ولا تدعن .

﴿ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾ فهؤلاء كلها أصنام [1]كانت تعبد من دون الله ، فأما سواع ويغوث ويعوق ونسرا فكانت باليمن وأما ود فكان بدومة الجندل ، وأما سواع فكان بجوف همدان ، وأما يعوق فكان بخيوان ، وأما يغوث فكان في حمير ، وأما نسر فكان في مراد مذحج ، وكان قوم نوح يجلونها ويعظمونها وإن لم تكن عندهم ، فتعلقوا بعبادتها وتآمروا بأن لا يخلوا عنها ولا يتركوها ، وأن يثبتوا عليها ، ويخالفوا نوحا صلى الله عليه وما يدعو إليه ، ثم قال عليه السلام :﴿وقد أضلوا كثيرا﴾ ومعنى ﴿وقد أضلوا كثيرا﴾ يخرج على معنيين : فأما أحدهما : فعلى مجاز الكلام فيكون عنى صلى الله عليه الأصنام فجاز أن يقال : أضلوا لما أن كان الضلال عن غيرها بأسبابها جاز أن يقال : أضلوا .

والمعنى الآخر : أن يكون عنى بالإضلال من يدعو إلى عبادة الأصنام من الناس من

---

(١) - في نسخة :(فهؤلاء الأصنام كلها أصنام كانت تعبد) ..

قومهم وغيرهم ، وهذا عندي أشبه بالمعنيين وأحسنهما .

﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا﴾ فهي : دعوة من نوح عليه السلام على الظالمين أن لا يزيدهم الله إلا ضلالا ، والضلال : فهو الخذلان فسأل الله سبحانه نوح صلى الله عليه أن يزيد من عصاه خذلانا وشقاء ، حتى يكون ذلك مستوجبا للعذاب والبلاء .

ثم أخبر الله سبحانه بما نزل عليهم من العذاب الذي حل بهم فأغرق كل من كان منهم فقال :﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ فمعنى ﴿مما خطيئاتهم﴾ فهو : بخطيئاتهم أغرقوا ومعنى من معنى الباء ، أراد بخطيئاتهم أغرقوا ، فأقام من مقام الباء ؛ لأنها من حروف الصفات يخلف بعضها بعضا ، وقد تقدم شرحنا في ذلك ، وذهبت النون من لأنها أدغمت في الميم فبقي مما خطيئاتهم ، وما هاهنا فهي صلة ، المعنى فيها: من خطيئاتهم ، ومعنى من خطيئاتهم : فهو بخطيئاتهم ، فقامت من مقام الباء أراد بخطيئاتهم أغرقوا ؛ فأدخلوا نارا من بعد الإغراق ، و﴿خطيئاتهم﴾ فهي : ذنوبهم وعصيانهم لربهم الذي به هلكوا ، وبسببه أغرقوا .

﴿فأدخلوا نارا﴾ أي : صيروا إلى النار ، وجعلت لهم موضعا وقرارا ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ يقول : لم يكن لهم مدافع لله عنهم ، ولا ناصر منه لهم يدفع عنهم ما نزل بهم من عذابه ، ولا يحجز عنهم ما حكم به من إغراقهم ، على ماكان من عصيانهم وأنصارا ، والأنصار : فهم المدافعون عنهم من الأعوان .

﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ فهذا دعاء من نوح صلى الله عليه على الكافرين ، ومعنى ﴿لا تذر﴾ أي : لا تترك ولا تدع ، ومعنى ﴿على الأرض﴾ فهو : في الأرض ، والكافرون : فهم العاصون الفجرة المكذبون ﴿ديارا﴾ فهو : أحد يدور ؛ لأن ديارا مشتقة من يدور ، ومعنى يدور : فهو يجول في الأرض ويجوب ، وسواء قيل : ديارا ، أو دوارا ؛ لأن العرب تقيم الياء مقام الواو والواو مقام الياء في كلامها وأشعارها .

قوله :﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ هذا قول من نوح عليه السلام يقول : إنك يا رب إن تذرهم ولا تأخذهم يضلوا عبادك الذين

يقدرون عليهم ، وينالون إضلالهم ، ومعنى ﴿يضلوا﴾ أي : يهلكوا ويغووا ويفسدوا ويكفروا من قدروا عليه ، من جهلة العباد حتى يفسدوا بذلك البلاد ، ﴿ولا يلدوا﴾ يقول : لا يخرج من أصلابهم إلا ولد يتبعهم في كفرهم ، ويساعفهم في تكذيبهم ويتبعهم في دينهم ، فيكون بفعله ذلك فاجرا كفارا فاسقا غادرا .

ثم دعا صلى الله عليه لنفسه ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات فقال :﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ومعنى ﴿دخل بيتي﴾ فهو : دخل إِلَيَّ ، ودخل في ديني مؤمنا مصححا ، فكان بذلك مني ومن أهل ملتي ، ألا تسمع كيف يقول ﴿مؤمنا﴾ يريد أي : دخل إِلَيَّ بقلب مؤمن ونية صادقة ، والمؤمنون : فهم المطيعون الذين قد أمنوا أنفسهم بطاعة ربهم من وقوع عذابه عليهم ، وكذلك معنى المؤمنات .

ثم قال صلى الله عليه تكريرا للدعاء على الفاسقين ، وتقربا بذلك إلى رب العالمين فقال :﴿ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ والظالمون : فمعناها الذين ظلموا أنفسهم بإدخالها في معاصي ربهم حتى استوجبوا منه بذلك الفعل ما استوجبوا من العقاب ومن ظلمهم لأنفسهم وظلمهم لعباد ربهم ، وغير ذلك من سائر أفعالهم المحرمة في دين الله عليهم ، قوله :﴿إلا تبارا﴾ فمعنى التبار : فهو البوار ، ومعنى البوار : فهو الذهاب والفناء والنقصان في كل الأسباب .

تفسير ﴿سأل سائل﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله عز وجل : ﴿سال سائل﴾ فمعنى ﴿سال سائل﴾ فهو : إخبار من الله بما سأل من العذاب ، ومعنى يسيل : فهو يأتي وينهال ويكر في كل الأحوال ، والسائل هاهنا : فهو الآتي من أمر الله وحكمه بالعذاب على أعدائه ، يريد بسال سائل ، أي أتى آت نازل من عذاب الله الواقع بالكافرين (١) ومعنى ﴿[بعذاب] واقع للكافرين﴾ فهو واقع بالكافرين ، فقامت اللام مقام الباء ؛ لأنهما من حروف الصفات (٢) وحروف الصفات يخلف بعضها بعضا .

﴿ليس له دافع﴾ يريد : ليس لهذا العذاب النازل بالكافرين دافع ، ومعنى ﴿دافع﴾ أي : مانع ولاحا جز له عنهم ، ولاصا رف عن الوقوع .

ثم أخبر سبحانه أنه من الله فقال :﴿من الله ذي المعارج﴾ يريد : أن هذا العذاب الواقع بالكافرين فهو من الله ذي المعارج ، والمعارج : فهي المصاعد ، والمصاعد : فهي المسالك ، والمسالك : هي الطرق التي تسلكها الملائكة من السماء إلى الأرض ومن السموات بعضهن إلى بعض .

---

(١) ـ قرأ أهل المدينة وأهل الشام وابن عامر :(سال سائل) بغير همز في سال ، قال في التبيان ، وهو يحتمل أحد أمرين : أحدهما ـ أن يكون من السيل ، تقول : سال يسيل سيلا فهو سائل ، وسايل ... وأجمعوا على همزة (سائل) لأنه ولو كان من سال بغير همز ، فالياء تبدل همزة إذا وقعت بعد الإلف مثل البائع والسائر من باع وسار (والإمام الهادي عليه السلام فسر على هذه القرآءة) .

والثاني : أن يكون سال بمعنى سأل بالهمزة ، لأنها لغة يقولون : سلت أسال ، وهما يتسالان قال الشاعر :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت و لم تصب.

فهي لغة أخرى ، وليست مخففة من الهمزة . الباقون : بالهمز من السؤال الذي هو الطلب . (التبيان ١٠/١١٣).

(٢) ـ في حاشية المجموع المخطوط (وقيل ـ والله أعلم ـ : إن الباء بمعنى عن ، وأن المراد بسأل سائل عن عذاب واقع وحروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، والله أعلم .

﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ومعنى ﴿تعرج﴾ فهو : تسلك وتمضي وتذهب وتأتي ، والملائكة فهم : ملائكة الله المطهرون ، والروح : فهو جبريل الأمين عليه صلوات رب العالمين ، ومعنى ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ يقول : الملائكة تعرج في يوم واحد وتسير وتقطع بقدرة الله ، ما لو كان غيرها من الناس لم تسر ما سارته الملائكة في يوم واحد في خمسين ألف سنة ، فأخبر سبحانه بعظيم قدرته في ذلك ، وجليل فعله فيما جعل من سرعة سير الملائكة ، وقطعها بعروجها لما تقطع من معارجها ، وتقضيه في سيرها في مسالكها ؛ دلالة منه بذلك لخلقه عليه ، ودعاء منه لهم بما أظهر في ذلك إليه .

ثم قال سبحانه لنبيئه صلّى الله عليه وآله :﴿فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ معنى ﴿اصبر﴾ أي : انتظر ولا تجزع واحتمل ﴿صبرا جميلا﴾ يقول : احتمالا جميلا ، ومعنى جميلا : أي دائما وثيقا جيدا لا يدخله إفك ولا هلع ولا خور ولا جزع ﴿إنهم يرونه بعيدا﴾ معنى ﴿يرونه بعيدا﴾ أي : يرونه باطلا ولا يوقنون به إيقانا ، فلما لم يوقنوا به ولم يؤمنوا جاز أن يقول ﴿يرونه بعيدا﴾ لأن كل ما لم يوقن به الموقن فقد يراه بعيدا ، وذلك أن العرب تقول لما لم يصح عندها ، وكان غير آت ولا ممكن في عقولها : هذا أمر بعيد منا ، من ذلك ما تقول العرب : زعم فلان أنه يقتل فلانا ، وهذا أمر بعيد منه . تريد أن هذا شيء لا يقدر عليه ولا يكون منه أبدا إليه ، فعلى هذا المعنى يخرج قول الله تبارك وتعالى :﴿إنهم يرونه بعيدا﴾ يقول سبحانه : يرون ما يعدهم من وقوع هذا العذاب بهم محالا ، لا يصح في عقولهم عندهم ، ولا يقع أبدا بهم ﴿ونراه قريبا﴾ يقول عز وجل : نعلم أنه حق آت والعرب تسمي كلما أيقنت بمجيئه قريبا ـ تقول : ما أقرب الموت ! وتقول : ما أقرب فرج الله ! إيقانا بمجيئه ، فقرنته بإيقانها بكينونته ، وتقول العرب : ما أقرب الليل ! فقرنته حين علمت أنه آت لا محالة .

ثم ذكر سبحانه الوقت الذي يكون فيه العذاب للكافرين ، وتنكيل أهل الوعيد من المكذبين فقال :﴿يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما﴾ فأخبر سبحانه أنه إذا كان ما ذكر من أمر السماء والجبال ، كان وقوع

العذاب بالكافرين ، ومعنى ﴿تكون السماء كالمهل﴾ فهي : تذوب بعد تجسمها وتنحل بعد عظمها ، حتى تعود إلى ما كانت عليه أولا ، من الدخان الذي خلقت منه في الإبتداء ، فشبهها سبحانه عند كينونتها دخانا بالمهل الجاري ، والمهل : فهو صفو القطران ، فأخبر سبحانه أنها تكون في الفناء والذهاب والإنحلال كالمهل ، حذو المثال بالمثال ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ فشبهها أيضا بانحلالها وذهابها وتمزقها بالعهن ، والعهن : فهو ضرب من خالص الصوف ، فأخبر سبحانه أنها تعود من بعد تجسمها ويبسها وصلابتها وثباتها ، كالعهن إذا نفش فاضمحل ، ولم يستتر بعد نفشه ما يكون خلفه ولا فوقه ولا تحته لضعف أمره بعد نفشه ، فأخبر أن الجبال ـ بعدماهي عليه اليوم من كثافتها وصلابتها وجليل أمرها ـ تعود إلى الكينونة كالعهن المنفوش .

﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ يقول : لا يسأل نسيب نسيبا ، ومعنى ﴿لا يسأل﴾ فهو يستخبر ولا يكلم ، ولا يقبل عليه ولا يسلم .

﴿يبصرونهم﴾ معناها : يرونهم ويعرفونهم حتى يعرف القريب قريبه ، والنسيب نسيبه ÷ فيشغله هول ما هو فيه من أمره غير مسائلة قريبه ، والسلام على حميمه .

﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ﴾ معنى ﴿يود﴾ فهو يحب ويتمنى ويريد ويشاء ﴿المجرم﴾ فهو المسيء الظالم ﴿لو يفتدي﴾ يقول : لو يفدي نفسه ، معنى يفديها : أن يجعل بدلها في العذاب ، ويفديها بمن ذكر الله وسمى من أقربائها ﴿من عذاب يومئذ﴾ يريد : من عذاب يوم الدين ، ويومئذ : فهو يوم القيامة .

﴿ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه﴾ يقول سبحانه : يود لو أنه أمكنه أن يفدي نفسه من عذاب يوم الدين بهؤلاء المذكورين ، وبنيه : فهم ولده الذكور ﴿وصاحبته﴾ فهي : زوجته الحبيبة إليه ، التي كان يحبها ويفديها في الدنيا بنفسه ، ويحامي دونها بماله ومهجته ﴿وأخيه﴾ فهو : ابن أمه وأبيه ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾ فهي : والدته ورابته التي تربيه ، وتطعمه وتسقيه لبنها في صغره ، حتى فصلته عن ثديها عند كبره ﴿وتؤويه﴾ فمعناها : تحضنه وتربيه ﴿ومن في الأرض جميعا﴾ يقول : أهل الأرض كلهم لو كانوا له وفي يده عبيدا

وخولا وأقرباء ونسبا ﴿ثم ينجيه﴾ يقول : يود أنه فدى بكل ما ذكرنا وجميع ما فسرناه نفسه من العذاب المهين ، ونجا وجعله مكانه في يوم الدين فداء يفدي بهم نفسه ووقاء يقي بهم من العذاب بدنه ﴿ثم ينجيه﴾ يقول : ثم يقبل منه الله ذلك ويخليه ، فأخبر الله سبحانه أن المجرم ود أنه نجا وسلم وافتدى بكل ما ذكر الله وسمى.

ثم قال سبحانه ﴿كلا إنها لظى نزاعة للشوى﴾ معنى ﴿كلا﴾ فهو : نفي أن يكون تقبل من المجرم فداء ، أو يكون له يوم القيامة من العذاب نجا ، يقول : لا نجاة له ولو افتدى ، وقوله :﴿لظى﴾ فهي : جهنم ، وإنما سميت لظى لتلظيها ، والتلظي : فهو التلهب والتقلب ، وأكل ما يقع فيها بأسرع سرعة ﴿نزاعة للشوى﴾ يقول : أكالة للشوى محرقة له ولغيره من بدن صاحبه ، والشواء : فهو الجلد ، وقد قيل : غير الجلد ، وأحسن ما سمعناه فيه أنه الجلد .

﴿تدعو من أدبر وتولى﴾ يريد بتدعو : أي تأخذ من أدبر عن الله سبحانه ، وإنما مثل الله أخذها بالدعاء منها لمن نأخذ ؛ لأن كل من حاز شيئا فقد استدعاه إليه ومن استدعى شيئا إليه فقد دعاه وآواه ، وصار منه وإليه ، فقال :﴿تدعو من أدبر وتولى﴾ تؤويه وتحرقه وتخزيه ، والمدبر : فهو المدبر عن الله ، وعن حقه المتعلق بما هو فيه من باطله وفسقه ﴿وتولى﴾ فهو عدل عن الحق وأبى .

﴿وجمع فأوعى﴾ يقول : جمع الذنوب فأوعاها ، ومعنى أوعاها : فهو جمعها كلها فأحصاها .

﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ الإنسان : فهو الناس كلهم ﴿خلق هلوعا﴾ يقول : طبع وفطر على الضعف والهلع ، وضعف البنية والجزع مما يعظم عليه ويشد أمره لديه

﴿إذا مسه الشر جزوعا﴾ فالشر : هو كل أمر يشتد عليه من النوازل النازلات والأمور الفادحات ، والمصائب الحالّات ، و﴿جزوعا﴾ فهو : فزعا هلوعا ، يقول : إذا أصابه ذلك جزع منه وضعف ؛ لضعف بنيته عنه .

﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾ يعني ﴿مسه﴾ فهو : أصابه وواقعه ، و﴿الخير﴾ فهو: الرخاء والنعمة والسور والغبطة ، و﴿منوعا﴾ يقول : فهو مانع لخيره بخيل بما عنده

قليل الإنفاق في مرضاة ربه ، في ما يقرب من خالقه .

ثم استثنى سبحانه من الناس الذين نسب إليهم هذا الخير ، أهل الإيمان والتقوى والدين والهدى فقال :﴿**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ إلى قوله :﴿**في جنات مكرمون**﴾ معنى ﴿**على صلاتهم دائمون**﴾ فهو : لصلاتهم لازمون لا يتركون منها شيئا ، ولا يفرطون في المثابرة عليها واللزوم لها .

﴿**والذين في أموالهم حق معلوم**﴾ يقول : يؤدون من أموالهم الحق الذي جعله الله من الزكاة عليهم ، المعلوم فهو المعروف بكيله ووزنه ﴿**للسائل والمحروم**﴾ والسائل : هو الطالب المواجه بالطلب والسؤال ، والمحروم : فهو المتعفف اللازم لمنزله الذي يتوهم الناس أنه مستغن لتعففه وقلة طلبه ؛ فيحرمونه لذلك ما يعطون غيره ممن يمد يده للسؤال ويطلب .

﴿**والذين يصدقون بيوم الدين**﴾ فيوم الدين : هو يوم القيامة ، فهو الجزاء بما تقدم من أعمال العباد ، و﴿يصدقون﴾ معناها : يوقنون به ويؤمنون .

﴿**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**﴾ هو : خائفون وجلون ﴿**إن عذاب ربهم غير مأمون**﴾ ومعنى ﴿**مأمون**﴾ فهو : غير مندفع ولا منصرف عن أهله بل هو يقينا مواقع لهم ، لا يطمعون في انصرافه عنهم ، ولا يشكون في هجومه عليهم .

﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ والفروج : فهي المذاكير التي جعلها الله سبحانه لهم لينالوا بها لذة الجماع ، فأخبر سبحانه عز وجل أنهم لها حافظون وحفظهم لها : فهو ألا يجعلوها إلا في المواضع التي أحلها الله لهم من النساء .

ألا تسمع كيف يقول عز وجل :﴿**إلا على أزواجهم**﴾ يقول سبحانه : إلا على نسائهم ﴿**أو ما ملكت إيمانهم**﴾ فملك اليمين : فهو السراري من الإماء ﴿**فإنهم غير ملومين**﴾ يقول : غير معاقبين في مداناة النساء وملك الإماء ؛ لأن الله تبارك وتعالى قد أطلق لهم ذلك فيما تسمع من القرآن .

ثم قال سبحانه :﴿**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾ يقول : من ابتغاء لفرجه موضعا غير نسائه ، أو ملك يمينه من إمائه فهم عادون ، والعادون : فهم

المعتدون لما جعل الله لهم إلى ما حرم عليهم .

﴿والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون﴾ والأمانات : فهو صنوف .

فمنها : أمانة الله عندهم فيما استرعاهم من حقه ، وقلدهم من فرضه .

ومنها : ما استأمنهم الله عليه من أداء ما جعل في قلوب العلماء من علمه إلى من هو دونهم من خلقه .

ومنها: ما استأمنهم عليه من أمواله التي قسمها بين من سمى في كتابه ، فواجب على من استؤمن على شيء من أموال الله أن يؤديه إلى غاية الأمانة ، ويوفره على غاية الوفارة .

ومنها : ما يستأمن الناس عليه بعضهم بعضا ، من ودائعهم وأموالهم ، فيجب عليهم في ذلك دفعها إلى أربابها ، وتسليمها إلى أصحابها ، ومن ذلك أمانة السر الذي يسره المؤمن إلى المؤمن ، فواجب عليه أن يحفظ عليه سره ولا يفشي عنه إلى غيره .

وقوله :**﴿وعهدهم راعون﴾** وعهودهم فهي : ما أخذ الله على الخلق من الميثاق والعهد بالتصديق بأنبيائه وكتبه ، وما أخذ عليهم من العهود في القيام مع أوليائه والنصر لمن نصره ، وما أخذ عليهم من العهود في التعاون على البر والتقوى ، وترك التعاون على الإثم والعدوان ، الذي أنزل إليهم علمهما في القرآن ، حين قال سبحانه: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** ومعنى **﴿راعون﴾** فهو : حافظون مؤدون .

﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ والشهادة : فهو كل حق علمه إنسان ، من حق يجب لله على الخلق التكلم به والقول ، أو حق لمسلم يعلمه مسلم من شهادة أشهده عليها ، أو أمور احتاج إلى أن نطق له بالحق فيها ، ومعنى **﴿قائمون﴾** فهم: ثابتون على الشهادة التي يعلمونها ، لا يزولون عنها ولا يكتمونها ، ولا ينقصون منها ولا يزيدون فيها .

﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ ومعنى **﴿يحافظون﴾** فهم : عليها يداومون

ويحفظون أوقاتها التي جعلها الله لها ، فهم على ذلك يحافظون ، وله غير تاركين ولا في شيء منه مفرطين .

ثم أخبر سبحانه بما أعد لمن كان على هذه الحالات ، وكان من أهل هذه الصفات فقال :﴿**أولئك في جنات مكرمون**﴾ والجنات : فهي الجنان المذكورات عند الله سبحانه ، المعدودات لأهل الطاعات ، و﴿مكرمون﴾ فمعناه : مكَرَّمُون ، ومعنى ﴿مكرمون﴾ فهو : مقربون مدنون معظمون مثابون منعمون .

ثم أخبر سبحانه بحال الكافرين ، وما هم عليه من الإعراض عن الله ورسوله فقال :﴿**فما للذين كفروا قبلك مهطعين**﴾ يريد بقوله :﴿**فمال**﴾ أي : فما بال . ﴿**قبلك**﴾ : عندك ﴿**مهطعين**﴾ والمهطع : فهو المطأطيء الرأس ، يقول : ما بالهم عندك مطأطئين رؤوسهم لا ينظرون إليك , ولا يستمعون منك ، ولا يقبلون بوجوههم عليك .

﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾ يريد : عن يمينك ، وعن شمالك ﴿**عزين**﴾ أي: جماعات قليلات ، عن يمينك جماعات ، وعن يسارك جماعات ، كُلٌّ مُهْطِعٌ برأسه معرض بوجهه لا يستمع إليك ، ولا يقبل عليك .

ثم قال سبحانه :﴿**أيطمع كل امرء منهم أن يدخل جنة نعيم**﴾ يريد بقوله : ﴿**أيطمع**﴾ أي : أيرجو ويأمل ؟! ﴿**كل امرء منهم**﴾ والمرء : فهو الإنسان ﴿**أن يدخل جنة نعيم**﴾ وجنة النعيم : فهي جنة الفردوس ، يقول سبحانه : إعراضهم عن الحق ، واستغناؤهم عن الصدق اعراض من قد أمن العذاب ، وأيقن بالثواب ، وصح عنده أنه يدخل جنة نعيم ، فهو واثق بذلك ، طامع أن يكون كذلك ، فهو معرض عما يدعى إليه ؛ لإيقانه بما يصير من الخير إليه .

ثم قال سبحانه :﴿**كلا**﴾ يريد بكلا أي : لا يدخلونها أبدا ، ولا يرونها بأعيانهم أصلا إلا أن يتوبوا وينيبوا ، ويصدقوك ويطيعوك فيؤمنوا .

ثم أخبر سبحانه بما خلقهم منه ؛ احتجاجا منه بذلك عليهم ؛ وتقريرا منه على الحق به لهم فقال :﴿**إنا خلقناهم مما يعلمون**﴾ يريد بقوله :﴿**مما يعلمون**﴾ أي : من

الطين الذين خلقنا منه آدم عليه السلام ، ومن الماء المهين الذي خلقنا منه بني آدم أجمعين .

ثم أقسم سبحانه بنفسه إنه لقادر على أن يبدل خيرا منهم فقال عز وجل :**﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾** قوله :**﴿فلا أقسم﴾** يريد : أفلا أقسم ، فطرح الألف وهو يريدها ، ورب المشارق : فهو الله رب العالمين ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم والمشارق : فهو مشارق الفلك المحيط بالأرض ، وكذلك المغارب : فهي مغارب الفلك المحيط بالأرض **﴿إنا لقادرون﴾** يقول : إنا لمقتدرون مستطيعون على أن نذهب هؤلاء الذين يكذبون ، ونأتي بخلق خيرا منهم يصدقون بقولنا ، ويؤمنون بغيبنا ، فهذا معنى قوله :**﴿نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾** يخبر سبحانه أنه لا يسبق ، ومعنى يسبق : فهو يفات ، وعنه يهرب حتى يسبق بهربه الهارب الذي يهرب ، فأخبر سبحانه أنه ليس منه مهرب ، ولا للخلق كلهم عنه مذهب ، وأنهم كلهم في قبضته فأخبر سبحانه أن أحدا لن يسبقه يريد يسبقه أي يفوته ، ويذهب عنه حتى يعجزه فلا يناله أمره ، ولا يدركه حكمه ، وحاش لله أن يكون كذلك ، أو على شيء من ذلك بل خلقه كلهم في يده ، لا يفوته منهم فائت ، ولا يسبقه منهم سابق ، وهو سبحانه لكلهم مدرك لاحق .

ثم قال سبحانه لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله :**﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾** معنى **﴿ذرهم﴾** أي : دعهم وأمهلهم ، ومعنى **﴿يخوضوا﴾** فهو : يكذبوا ويتحيروا ويترددوا في الضلال بما يصفون من الخوض مع الجهال **﴿ويلعبوا﴾** أي : فهو ليغتروا ويلهوا ، فشبه الله تبارك وتعالى ما هم فيه من الباطل الذي لا أصل له باللعب الذي لا ثبات له ، واللعب : فهو ما لم يكن على حقيقة ، ولم يأت منه شيء على وثيقة **﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾** فهو يوم القيامة الذي فيه يجازون، ألا تسمع كيف بينه سبحانه وجل عن كل شأن شأنه فقال:

﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ والأجداث : فهي القبور **﴿سراعا﴾** فهو:

سراعا مبتدرين غير مبطين ولا متلبثين ﴿**كأنهم إلى نصب يوفضون**﴾ والنصب : فهو شيء من الشعر تقوله العرب ، تطرب فيه أصواتها ، وترفع به كلامها ، وتمد حروفه ويطرب قوله ، فإذا سمع السامع من قائله أقبل نحوه يستمعه موفضا ، و الموفض : فهو المسرع ، فضرب الله سرعة خروجهم من قبورهم ، ونشرهم إلى موضع حشرهم عند وقت نفخ الله في صورهم ـ بما يعرفون من سرعة الموفضين إلى النصب إذا سمعوه من ناصبه ، واستطرفوه من قائله .

﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ معنى ﴿**خاشعة**﴾ أي : منكسرة غير مسرورة ولا منفتحة قد خشعت أبصارهم لهول ما رأت عيونهم ، وخشوع البصر : فهو شيء ينزل بالبصر عند انحلال القوى ، وضعف النفس ، وذهاب القوة ، والإيقان بالبلية ، فأخبر الله سبحانه أن أبصارهم لإيقانهم بالعذاب منكسرة ، خاشعة هالكة دامرة .

﴿**ترهقهم ذلة**﴾ معنى ﴿**ترهقهم**﴾ فهو : تغشاهم ، والذلة : فهي الخزي والمذلة والمذلة : فهي تغشى وترهق من أيقن بالنكال من الخلق .

ثم قال سبحانه :﴿**ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**﴾ فأخبر ـ جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله ـ : أن هذه الأشياء من خروجهم من الأجداث ، وخشوع أبصارهم ووقوع الذلة عليهم ـ تكون في اليوم الذي كانوا يوعدون ، وهو يوم القيامة الذي كانوا به يكذبون ، و لم يكونوا بشيء مما يذكر لهم فيه يصدقون .

تفسير «سورة الحاقة»

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تبارك وتعالى ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ معنى الحاقة : فهي النازلة العظيمة التي تحق بأهلها ، وتصيبهم وتواقعهم ولا تخطئهم ؛ لأن العرب تقول للشيء إذا أصابه السهم : حقه ، وأصاب حاق وسطه ، تريد : لم يخطئه ولم يعدل عنه ، بل أصاب الذي طلب وقصد منه ، معنى قوله :﴿ما الحاقة﴾ فهو : تعظيم منه سبحانه لها وإخبار بجليل ما يحق بأهلها .

﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ يقول : ما أعلمك ما هذه الحاقة ؟ يريد أنك لا تعلم منها إلا ما أعلمناك ، ولا تطلع من شدتها إلا على ما أطلعناك ؛ لأن الله سبحانه تبارك وتعالى لا يقول لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله في شيء : ما أدراك ما هو ؟ إلا وهو أعظم ما يكون من الداهية ، وأشد ما يكون من النازلة الصائبة .

﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ فأخبر سبحانه بتكذيب ثمود وعاد بالقارعة والقارعة : فهي النازلة التي تقرع الشيء وتصيبه ، وتنزل به وتهلكه ، وثمود وعاد فهما : قبيلتان من أولاد أولاد نوح صلى الله عليه عتتا وطغتا ، وكذبتا بما أنذرتا به من القارعة ، التي قرعتهما ، وحلت بهما عند تماديهما ، فأهلكتهما .

ثم أخبر سبحانه بما أهلكهما به على عصيانهما ؛ فقال عز وجل :﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ معنى الطاغية : فهو ما كان من طغيانهم بعصيان ربهم ، وقيل: إن معنى الطاغية التي أهلكوا بها : هي الصيحة التي أخذتهم فأهلكتهم ، ومعنى طاغية عليهم : فهو مهلكة لهم غالبة على أنفسهم ، وهذا فأحسن المعنيين ، وأصوبهما عندي ـ والله أعلم وأحكم .

﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ فأخبر سبحانه بما أهلكت به عاد كما

أخبر بما أهلكت به ثمود فقال عز وجل :﴿**بريح صرصر عاتية**﴾ والصرصر : فهي الشديدة المدمدمة المدمرة لما أتت عليهم المخربة ، والعاتية : فهي الغالبة الهائلة التي لا تذر شيئا إلا أتت عليه . وعتت فمعناه : صعبت واشتدت به وغلبت ، فلم يستر منها ستر ، ولم يَكِنّ منها - أي من شرها - كِنٌّ ، فهي تذهب بما أتت عليه ، وتهلك ماارتمت فيه .

﴿**سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما**﴾ فمعنى ﴿**سخرها**﴾ أي : هو جعلها وأذن لها وسلطها وأنزلها ، ومعنى ﴿**سبع ليال وثمانية أيام**﴾ يخبر عز وجل أنه بعثها عليهم باكرا ، فأقامت عليهم ثمانية أيام إلى آخر اليوم الثامن ، فكان لهذه الثمانية الأيام سبع ليال ، ليلة اليوم الثاني ، وليلة اليوم الثالث ، وليلة اليوم الرابع ، وليلة اليوم الخامس ، وليلة اليوم السادس ، وليلة اليوم السابع ، وليلة اليوم الثامن ، فكان ذلك سبع ليال ، وثماينة أيام ؛ لأنها واقعتهم في أول نهار اليوم الأول ، وفرغت منهم في آخر نهار اليوم الثامن ، فكان ذلك سبع ليال وثماينة أيام .

ثم قال ذو الجلال والإكرام :﴿حسوما﴾ فمعناها : دائمة متوالية ، لا راحة فيها ولا فترة لساعة منها ، وما كان كذلك في الدوام والإستواء ، وقلة الغفلة والونى سمي حسوما من الليالي والأيام .

﴿**فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية**﴾ فأخبر سبحانه بحالهم وصفاتهم بعد ما نزل بهم من إهلاكه لهم ما نزل فمثلهم في ذلك الحال بأعجاز نخل خاوية ، وأعجاز النخل الخاوية : فهي أسافلها وما غلظ منها ، ومعنى ﴿**خاوية**﴾ فهي : خاوية من الحياة ، أي ليس فيها شيء من الحياة ، فمثلهم بأعجاز النخل الميتة الخاوية ؛ لأن النخل إذا ماتت وخويت كانت أضعف ما يكون من الأشياء وأوهاه وأسمجه في الصورة وأرداه ، فمثل سبحانه أجسامهم المهلكة الملقاة بأعجاز النخل الخاوية .

ثم قال سبحانه :﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾ يريد بقوله :﴿**هل ترى لهم**﴾ أي : هل تحس منهم ، فقامت لهم مقام منه ؛ لأنهما من حروف الصفات ، ومعنى ﴿**من**

باقية﴾ فهو : من أحد صغير أو كبير ، إخبارا منه بذهاب الكل ودماره وانقضائه واستئصاله ، حتى لم يبق منهم باق ، ولم ينج منهم من عذاب الله ناج .

﴿وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة﴾ ومعنى **﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾** فهو: أتى وفعل واجترأ هو ، ومن كان قبله من المؤتفكات .

﴿والمؤتفكات﴾ فهي : الأمم الكاذبات على الله ، المجتريات الآفكات ، وإنما سميت مؤتفكات لما أتت به من الإفك ، والإفك : فهو العجز عن لحوق الحق والتمادي في طرق الفسق ، فسمي من كان كذلك مؤتفكات ؛ مما كان منها من الكذب والإفك على الله في الحالات **﴿بالخاطئة﴾** فهي : الأفاعيل المخطئة العاصية والخاطئة التي جاء بها فرعون ومن قبله .

﴿والمؤتفكات﴾ فهي : الأمم المخطئات للصواب المذنبة ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه : **﴿فعصوا رسول ربهم﴾** فأخبر أن الخطيئات التي أتوا بها هي معصية ربهم في معصية رسوله عليه السلام ، وما كان منهم من التكذيب برسالاته **﴿فأخذهم أخذة رابية﴾** يقول : أخذهم على معصيتهم لرسوله واجترائهم على التكذيب بآياته ومعنى **﴿أخذهم﴾** فهو : أنزل بهم نقمته ، وأحل بهم عذابه ، ومعنى **﴿أخذة﴾** فهو: بطشة ، ومعنى بطشه : فهو إخبار عما نالهم من عذابه ، وأنزل بهم من العذاب الذي لا راد له ، ومعنى **﴿رابية﴾** فهي : شديدة مبالغة بينة .

ثم أخبر سبحانه بما كان منه من النعمة في حملهم في الفلك الجارية فقال : **﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾** ومعنى **﴿إنا﴾** : إخبار عن فعله بهم ، ومعناها : نحن ومعنى **﴿لما﴾** : فهو إذ **﴿طغى الماء﴾** فمعنى طغى : فهو علا وكثر ، وأتى وطمى والماء : فهو الماء المعروف الذي يستغني بمعرفة الخلق له عن شرحه وتفسيره وذكره وتأويله .

معنى **﴿حملناكم﴾** أي : دللناكم على الركوب وهديناكم إلى عملها ، حتى عرفتم ما جهلتم من بنائها ، واستدللتم بدلالتنا على تقديرها فقدرتموها بقدرتنا ، وثبتموها بإرادتنا ، فصارت فلكا حاملة لكم ، سفنا في الماء جارية بكم ، فهذا معنى **﴿حملناكم**

في الجارية﴾ والجارية : فهي السفن المسمرة المؤلفة المبينة المقدرة ، التي تجري في البحار بأهلها ، وتطفو بقدرة الله على الماء بما فيها ، فلما كان [الله] سبحانه الهادي لخلقه إلى ذلك جاز أن يقول :**﴿حملناكم﴾** .

﴿لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾ معنى **﴿لنجعلها لكم﴾** هو : لنصيرها لكم تذكرة ، ومعنى **﴿تذكرة﴾** فهو : ذكر لكم وحجة عليكم ، لتعلموا أنا أولياء نعمتها ، والمنعمون عليكم بها ؛ لتذكروا نعمتنا فيها ؛ فتشكروا وتتفكروا فيما هديناكم إليه من أمرها ، فتؤمنوا ، ومعنى **﴿وتعيها أذن واعية﴾** فهو : تفهمها وتعلمها ، وتوقن بها ، وتعرفها ، وهذه التي قال الله سبحانه :**﴿تعيها أذن﴾** فهي التذكرة والحجة ، والأذن الواعية : فهي الأذن المؤمنة المصدقة بكتب ربها ورسله وآياته ونذره ، المستدلة بظاهر آيات الله وصنعه ، وما أظهر في تدبير العالم من قدرته على عجائب ما حجب من علمه ، وأرسل به على ألسنة رسله ، من ذكر الحشر والحساب ، وما أخبر به سبحانه من الثواب والعقاب ، الذي يكذب به المكذبون وينكره الكفرة المنكرون .

ثم أخبر سبحانه باليوم الذي يميز فيه العالمون ، ويحشر فيه المبطلون فقال تبارك وتعالى :**﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾** فمعنى **﴿نفخ في الصور﴾** أي : فهو جعل فيها ، ورد ما يكون به حياتها من أرواحها ، التي يردها الله عند بعثها في أبدانها **﴿نفخة﴾** فمعناها : ردت الأرواح إلى الأبدان **﴿نفخة واحدة ﴾**أي : ردة واحدة ، أي : سريعة واجزة ، فترجع الأرواح بقدرة الله إلى الأبدان التي كانت أولا فيها **﴿وحملت الأرض والجبال﴾** فمعنى حملهما فهو : أخذهما ، ومعنى أخذهما : فهو نفاذ أمر الله فيهما ، وإنفاذ إرادته في دكهما ودكهما فهو : إذهابهما ، ومواقعة الفناء بهما ، وزوال أمرهما ، وانحلال تجسمهما وردهما إلى ما كانتا عليه أولا من قبل خلقهما .

قوله **﴿دكة واحدة﴾** فهو إخبار من الله عز وجل عن سرعة مضي إرادة الله فيهما ونفاذ مشيئته في إذهابهما ، وإنما معنى قوله :**﴿واحدة﴾** فهو : إخبار منه سبحانه عن نفاذ قدرته ، وسرعة كينونة مراده ، فمثل سرعة انقضاء ذلك كله بضرب الإنسان

بالشيء الذي يكون في يده على الأرض [ضربة] واحدة ، ودكه بالشيء الذي يدكه دكة واحدة ، فأخبر سبحانه أن إذهابه للأرضين والسموات ، ونفخة في جميع صور الآدميين ، ورده لأرواحهم في أبدانهم في السرعة مثل ضربة الضارب بالشيء الذي يكون في يده على الأرض ضربة واحدة ، ليس معها لبث ، ولا ضربة ثانية .

وذلك اليوم الذي يكون فيه ما ذكر الله ، فهو يوم الحشر والحساب ، وملاقاة الثواب والعقاب ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**فيومئذ وقعت الواقعة**﴾ ومعنى ﴿**يومئذ**﴾ فهو : يوم يكون ما ذكرنا من النفخ في الصور ، ودك الأرض والجبال ومعنى ﴿**وقعت**﴾ فهو : نزلت وحلت ، وكانت وأتت ، فالواقعة : هي الساعة الواقعة بالناس ، والساعة : فهي القيامة التي يواقع الخلق أمرها ، ويلقى كلهم فيها عمله ، ويقع به جزاء فعله ، وبوقوع الجزاء فيها وقع اسم الواقعة عليها .

﴿**وانشقت السماء**﴾ فمعنى انشقاقها : فهو انفطارها ، وانفطارها : فهو تقطعها لما يريد الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم من فواتها وتبديلها .

﴿**فهي يومئذ واهية**﴾ والوهية : فهي المتمزقة المتقطعة ، التي قد صارت أبوابها فرجا ، كما قال الله سبحانه :﴿**وفتحت السماء فكانت أبوابا**﴾(١) .

﴿**والملك على أرجائها**﴾ فمعنى ﴿**الملك**﴾ فهو : الملائكة ، فخرج اللفظ كأنه لملك واحد ، وهو لجميع الملائكة كما قال الله سبحانه :﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾ (٢) فخرج الإسم كأنه لواحد ، وهو لجميع الناس ، وأرجاؤها : فهو نواحيها وأطرافها وجوانبها ، يريد سبحانه أن الملائكة عند تقطع السماء يكونون واقفين على أرجائها ، منتظرين لأمر الله فيها وفي غيرها .

[معنى العرش وحمل الملائكة له]

﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ معنى ﴿**يحمل عرش ربك**﴾ هو يقوم به ويأمر فيه وينهى بنهي الله تبارك وتعالى ، والعرش : فهو الملك ، و الملك : فهو جميع

---

(١) ـ النبأ : ١٩

(٢) ـ الإنفطار : ٦

ما خلق ا لله وبرأ في الآخرة والدنيا ، ومعنى ﴿**فوقهم**﴾ فهو : منهم ، فقد خَلَفَت فَوْقُ مِنْ ؛ لأنها من حروف الصفات ، يخلف بعضها بعضا ، ومعنى ﴿**يومئذ**﴾ فهو: يوم القيامة عند وقوع الواقعة ، وانشقاق السماء ، وكينونة الحساب والجزاء ، ومعنى ﴿**ثمانية**﴾ فقد يمكن ـ وا لله أعلم ـ : أن يكونوا ثمانية آلاف ، أو ثمانية أصناف من الملائكة المقربين ، ينفذون أمر رب العالمين في ذلك اليوم ، الذي تحمل الملائكة عرشه فيه ، وتكون قائمة به فيه وعليه ، فأراد ا لله سبحانه بقوله :﴿**يحمل عرش ربك**﴾ إخبارا منه أن له سبحانه ثمانية أصناف من الملائكة ، أو آلاف يحملون في ذلك اليوم عرشه ، وعرشه : فهو ملكه ، وحملهم لملكه في ذلك اليوم العظيم : فهو قيامهم فيه بأمر الرحمن الرحيم ، وإنفاذهم لحكمه ، ومجازاتهم بأمره لخلقه ، وإيصال أهل الثواب إلى الثواب ، وعتل أهل العقاب ، وإنفاذهم لحكمه إلى العقاب ، ومحاسبة المحاسبين وتوقيف الموقوفين على ما كان من أعمالهم في مبتدأ ما كان من حياتهم فهذا من أفعال الثمانية ، وشبهه وما يكون من غير ذلك ومثله، فهو حمل منهم لملكه الذي هو عرشه ، فهذا معنى حملها له لا غيره ، وقد تقول العرب في ذلك ، وما كان من الحال كذلك لوزير الملك العظيم الشأن ذي القوة والمقدرة والأعوان : حمل وزير فلان عنه الأمر ، تريد كفاه إياه ، وقام به ، وأنفذ فيه كل أمره ، واحتذى فيه كله مراده وحذوه ، وتقول العرب : لا تحمل على نفسك مالا تطيق ، تريد بذلك أي لا تعمل بما لا تطيق ، لا أنه شيء يحمله على ظهره ، ولا وزر يقله على متنه ، وكذلك تقول العرب : حَمَّل فلان رعيته مالا يطيقون ، ليس تريد بذلك أنه وضع على ظهورهم حملا منه يعجزون ، وإنما تريد كلفهم وأمرهم بأمر لا يطيقونه ، وألزمهم شيئا لا يستطيعونه ، وفي ذلك ما يقول شاعر من العرب :

حُمِّلْتَ أمراً جليلاً فاضطلعت به   وقُمْتَ فيه بأمْرِ ا لله يا رجلُ

فقال : حملت : يريد كلفت يا رجل ، ولم يرد حملت على ظهرك ثقلا يثقلك ولا وزرا يفدحك ، وإنما أراد كلفت أمرا جسيما فاضطلعت به ، أي قمت به ، وقويت

عليه ، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه :﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة﴾(١) فقال تعالى : ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي : ليحملوا ثقل الوزر ، وثقل الوزر : فهو الإثم ويتقلدون وزرهم ، ووزر غيرهم بالأمر الذي يأتونه ، من معاصي ربهم ، وما هم يتقلبون فيه من الجرأة على خالقهم ، ولم يرد أنه وزر محمول ، ولاشيء ثقيل يوضع على الظهر معمول ، فعلى هذا ومثله وما كان من اللغة على شكله يخرج حمل الملائكة لعرش ربهم ، لا على ما يقول أهل الجهل بربهم من أنه عرش تحمله الملائكة مدبر معمول مربع ، فوق أكتافها محمول ، وأن الله سبحانه فوق العرش تعالى عن ذلك الواحد العلي الكريم وتقدس أن يكون كذلك العزيز العظيم .

ثم قال سبحانه :﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ معنى ﴿يومئذ﴾ فهو: يوم قيام الملائكة بعرش ربها ، وما يكون فيه من قبضها بأمره وبسطها ﴿يعرضون﴾ فمعناها : يبرزون ويحاسبون ، وتعرض عليكم أعمالكم وتبين لكم أفعالكم ، وتوقفون عليها ، وتعاينون ما يجب عليكم ولكم فيها ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ يقول : لا يخفى من أعمالكم شيء ، ولا يغيب منكم في ذلك اليوم أحد ، ومعنى قوله :﴿خافية﴾ يقول : فهي مستترة وغائبة ، فيقول : إنه لا يخفى من أعمالكم صغير ولا كبير ، وإن ما كان يخفى من صغير وكبير ظاهر عليكم في ذلك اليوم كبيرا كان أو صغيرا .

﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ فالكتاب : فهو الحساب ، وما أحصاه عليه ملكاه من جميع الأسباب ، فقوله :﴿أوتي﴾ فهو وُقِفَ وبُيِّنَ له أمرُه ، وأُظهِرَ عليه فيه سره حتى يعلمه علما حقا ، ويعلم أنه لم يحص عليه كاتباه إلا صدقا ، ومعنى ﴿بيمينه﴾ فهو : اليمن والبركة ، وما تلقى به الملائكة أهل الدين والتطهرة ، من البشارة من ربهم ، والتبشير والتطمين لهم عند توقيفهم ومحاسبتهم ، فهذا معنى قوله :﴿بيمينه﴾ وكذلك قال ذو العزة والجلال في أصحاب الميمنة حين يقول :﴿وأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة﴾(٢) فأراد بقوله ﴿الميمنة﴾ باليمن والبركة ، والفضل والمغفرة ، لا أن ثم ميمنة قصدها الله ولا ميسرة .

---

(١) ـ النحل : ٢٥

(٢) ـ الواقعة : ٨

﴿فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ ومعنى يقول : أي هو قول من المؤمن المحاسب عند تبشير الملائكة بالرحمة والرضى من الله والمغفرة ، فيقول عند ذلك لمن يحاسبه من الملائكة :﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ ومعنى ﴿هاؤم﴾ فهي : هاكم ، ومعنى هاكم : فهو حض على أن يقرأوا ، وهي تخرج على معنى هلموا اقرأوا كتابيه ، ومعنى ﴿اقرأوا كتابيه﴾ فهو : فسروا حسابيه ، واشرحوا عمليه ، وبينوا فعليه ، استبشارا منه بجزاء عمله ، وثقة منه بعدل ربه .

﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ فمعنى ﴿ظننت﴾ أي : أيقنت في الدنيا أني ملاق حسابيه في هذا اليوم ، فأخذت له أهبته ، وعملت له عمله في دار الدنيا فلقيت السرور في الآخرة التي تبقى ، ومعنى ﴿ملاق﴾ فهو : معاين مواقع مدان ﴿حسابيه﴾ فهو : مناقشتي على فعلي ومحاسبتي على ما تقدم مني صغيرا قدمته ، أو كبيرا عظيما فعلته .

ثم أخبر سبحانه بمكان من كان كذلك ممن أخذ أهبته لذلك ؛ فعمل على حذر من أمره ، وتيقظ في دار دنياه لنفسه فقال في من كان كذلك من المؤمنين المستعدين في الدنيا لمحاسبة يوم الدين :﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية﴾ معنى قوله :﴿فهو﴾ يريد أي : من أوتي كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية ، والعيشة : فهي المعيشة ، والمعيشة : فهي الحياة الرضية ، والحياة الرضية : فهي الحياة الهنية وهي المعيشة الرضية ﴿في جنة عالية﴾ والجنة : فهي دار الثواب ، والعالية : فهي العظيمة الأمر ، الرفيعة القدر ، الجليلة الخطر ﴿قطوفها دانية﴾ فالقطوف : فهي الثمار من فواكه الأشجار التي جعلها الله سبحانه معيشة للمؤمنين ، ومتفكها للمثابين ، ومعنى ﴿دانية﴾ فهي : قريبة من المتناول لها ، متهيئة على أحسن حالاتها .

﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ هذا أمر من الله سبحانه لهم بأكل ما رزقهم ، وشرب ما سقاهم ؛ إباحة منه لهم ما تفضل به عليهم ﴿هنيئا﴾ فمعناها : سليما من كل آفة ، لا أذى فيه ولا مخافة في أكله على آكله ، لا تخالف طباع آكله ، ولا تخالف إرادة متناوله ﴿بما أسلفتم﴾ يقول : هو جزاء لكم على ماقدمتم من العمل في الدنيا ، فاستوجبتم هذا أجرا لكم في الآخرة التي تبقى ، والأيام

الخالية : فهي الأيام الفانية ، أيام الدنيا التي انقضت وفنيت فمضت .

ثم رجع سبحانه إلى صفة أهل الشمال فقال :﴿**وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه**﴾ فمعنى ﴿**أوتي كتابه**﴾ فهو :حوسب ووقف على ما أحصى عليه من فعله ، وعرف من عمله ، ومعنى ﴿**بشماله**﴾ فهو : مثل من الله عز وجل مثله لعباده ، ضربه لهم بالشمال العسر والشدة في كل حال. يقول سبحانه : حوسب حسابا شديدا ، ووقف توقيف عنيفا ﴿**فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه**﴾ هذا قول من استحق الوعيد من ربه عند معاينة جزاء فعله وسعيه ، فحينئذ يقول :﴿**يا ليتني لم أوت كتابيه**﴾ ومعنى ﴿**يا ليتني**﴾ هو : وددت أني لم أوت كتابيه ومعنى ﴿**أوت كتابيه**﴾ فهو : ألقى سيئ عملي ، وأعرف ما أحصي علي من فعل ﴿**ولم أدر ما حسابيه**﴾ يقول : يا ليتني كنت ميتا على حالتي ، وباليا في الأرض فانيا لا أدري ما الحساب ، ولا أرى ما كنت أوعده من العقاب ، وأكون ترابا في القبر ولم أعاين ما عاينت من شدة الأمر ، ألا ترى كيف يقول :

﴿**يا ليتها كانت القاضية**﴾ والقاضية التي تمناها الفاسق في ذلك اليوم ، فهي القاضية التي عرف في الدنيا عند موته ، فقضت عليه فأماتته ، وإلى القبر صيرته فيتمنى أن قاضية الموت تنزل به في يوم الدين ، فتريحه من العذاب المهين ، فيكون في الآخرة التي تبقى ميتا فانيا كما كان في الدنيا . ثم قال : خزي وردي ، وقد أخزي لعمري إذ غوي .

﴿**ما أغنى عني ماليه**﴾ يقول : لم يغن عني ما كنت أجمع من المال ، ومعنى ﴿**أغني عني**﴾ : فهو يدفع عني شيئا مما نالني ، فأقر في يوم الدين بأن الذي كان فيه في الدنيا غرور وتزيين ، وأنه اليوم قد صار إلى الحق اليقين .

﴿**هلك عني سلطانيه**﴾ يقول : ضل عني تجبري في الدنيا وتسلطني ، ومعنى ضل عني : أي ذهب فلم ينفعني ، وبقيت اليوم خاليا فردا وحدي ، ومن سلطان الحجة فردا ، يقول : ضلت حجتي إذ لم تكن لي حجة ولا قول يقبل مني في الآخرة ، وقد روي وقيل : إن ذلك أبو جهل بن هشام لعنه الله .

ثم أخبر سبحانه بما يكون من أمره لحملة عرشه فيه ، وفي إيصال الوعيد إليه فقال : **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾** معنى **﴿خذوه﴾** : فهو أمر من الله للزبانية بأخذه ، والأخذ له فهو البطش به والقبض عليه ، **﴿فغلوه﴾** معناها : أوثقوا يده إلى رقبته **﴿ثم الجحيم صلوه﴾** فالجحيم : هي النار ، و**﴿صلوه﴾** فمعناها : اصلوه ، ومعنى اصلوه : فهو حرقوه وأنضجوه وعذبوه وأحرقوه **﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾** والسلسلة : فهي سلسلة من حديد **﴿ذرعها﴾** يعني طولها **﴿سبعون ذراعا﴾** فهو الذراع المعروف بالطول الموصوف **﴿فاسلكوه﴾** معناها : في السلسلة فاجعلوه ، ومعنى جعله في السلسلة : فهو معنى جعل السلسلة في رقبته ، وقد قيل: إنها تنفذ من ظهورهم إلى صدورهم حتى ينظموا فيها نظما ، وقد قيل بغير ذلك ، وأصح ذلك عندنا جعلها في أعناقهم ؛ لأن الله سبحانه قد ذكر ذلك فقال :**﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾** [1] .

قوله :**﴿إنه كان لا يؤمن با لله العظيم﴾** يقول: إنه كان لا يصدق بأمر الله ولا يقر بوحدانية الله ، ولا يتعبد لله بما أمره **﴿العظيم﴾** فهو : الجليل النافذ الإرادة ، ماضي المشيئة ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقوله :**﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾** يقول : لا يأمر بإطعام المستطعمين من المساكين بل كان ينهى عن ذلك جميع المطعمين ، وقد يخرج معنى ذلك على أنه لم يكن يحض على أداء الزكاة التي جعلها الله عونا للمساكين ، وتقوية على إقامة الدين فلم يكن يؤديها ولا يحض - لعنه الله - عليها .

ثم قال سبحانه :**﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾** يريد أنه ليس له في يوم الدين حميم ومعناها : أي عندنا في دار آخرتنا حميم ، والحميم : فهو ما كان يغتر به من البنين والعصبة والأقربين ، فأخبر الله سبحانه أنه كان انقطع عنه في ذلك اليوم الذي كان يغتر به في الدنيا من عشائره وأقربيه ، وأهل طاعته وبنيه ، ففارقه أصحابه وأعوانه

---

(١) - غافر : ٧١

وضل عنه في ذلك اليوم سلطانه .

﴿ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون﴾ فأخبر أنه لا طعام له في ذلك اليوم ولا معيشة ولا حياة ﴿إلا من غسلين﴾ والطعام : فهو المأكول ، والغسلين : فهو صنف من طعام أهل النار يدعى الغسلين ، وهو شيء يزيد آكله بلاء وجوعا وشقاء ، لا يهنأ آكله ، ولا ينتفع صاحبه ، جعله الله عذابا لأهل معصيته ، ألا تسمع كيف يقول :﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ فأخبر سبحانه أن أهل الخطاء على أنفسهم بالمعصية لربهم يأكلون الغسلين ، ويعذبون بأكله في يوم الدين .

ثم أقسم سبحانه عن صدق قول رسوله صلى الله عليه وعلى آله ، بما جاء به من الرسالة عن ربه ، فقال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :﴿فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم﴾ معنى ﴿فلا﴾ هو: أفلا أقسم ، ومعنى ﴿بما تبصرون﴾ يريد : بما تبصرون من الأشياء مما فيه أثر قدرتنا ، وعجائب تدبيرنا من لطيف صنعنا ، الشاهد بالربوبية لنا ، الناطق بصدق رسولنا ، من الآيات الباهرات التي جاء بها النيرات ، اللواتي هن دلالات وعلامات على أنه من المرسلين ، بما جاء به من الأمر المبين ﴿ومالا تبصرون﴾ يقول : وبما لا ترون مما قد علمناه ، فأقسمنا به وذكرناه ، من عجائب خلقنا ، ودلائل فطرتنا في الجن والملائكة ، وغير ذلك من الأشياء المغيبة التي لا ترونها بأعينكم ، ولا تفهمونها لعجزكم ، وقلة استطاعتكم واستدراك ما غاب عنكم ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يقول : إن هذا الذي ذكره لكم رسولنا مما بعثناه به ، وأيدناه بذكره ، والإعذار فيه والإنذار ـــ لأحق ما يكون من القصص والأخبار ، من ذكر الحاقة والواقعة ، وتشقق السماء إذ هي واهية ، ووقوف الملك على أرجائها عند وقت تغييرنا لها وتبديلها ، وظهور خافيات صدوركم حين تعرضون على ربكم ، واستبشار من أوتي كتابه بيمينه ، وحلوله فيما وعدناه من جنتنا ، وتمني من أوتي كتابه بشماله عند وقت معاينته لما كان يوعد به في حياته القاضية المفنية ، و الجائحة المهلكة ، وإقراره بقلة إغناء ماله عنه ، وهلاك سلطانه منه وما ذكر صلى الله عليه وآله لهم مما أمر بذكره ، ووصفه لما أمر بوصفه ، وشرحه لما أمر بشرحه ، من الجحيم وإصلائها لأهلها ، والسلسلة وذرعها ، وغل أهلها في يوم

الدين بها ، وما أمر بذكره فذكره ، والتحذير له فحذره ، من أكل الغسلين ، الذي جعل طعاما للخاطئين ، فأقسم ـ سبحانه وجل عن كل شأن شأنه ـ إن القول كله من قول رسوله لأحق من بعثه به إلى خلقه ، وأمره بشرحه لجميع بريته ، وإنه لقول رسول كريم ، وما هو كما يقولون ، ولا كما يذكرون في كذبهم ، وما يسطرون فيزعمون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله شاعر ، ومرة كاهن ، ومرة ساحر، ومرة مجنون ، فأخبر سبحانه أنه لقول رسول كريم ، وهو صادق عليم .

ثم أقسم ما هذا القول ﴿**وما هو بقول شاعر**﴾ قال سبحانه :﴿**قليلا ما تؤمنون**﴾ يريد : أن إيمانكم وتصديقكم بالحق الذي جاء به رسولنا من عندنا على ما ترون من البراهين التي لا تكون إلا منا ـ قليل لكفركم وعنادكم ، وتكذيبكم وحسدكم .

ثم رد على القسم بالواو فقال :﴿**ولا بقول كاهن**﴾ فنفى سبحانه أن يكون هذا القول قول الكاهن ، ثم قال :﴿**قليلا ما تذكرون**﴾ فأخبر أن تذكرهم قليل ، ومعنى ﴿**تذكرون**﴾ فهو : تتدبرون الأمور ، وتتفكرون فيها ، فأعلمهم سبحانه أن تذكرهم وتدبرهم قليل ، وأنهم لو تذكروا أو تدبروا وتفهموا وأنصفوا لعلموا أن هذا قول رسول كريم ، وأنه ليس بقول شاعر ولا كاهن رجيم .

ثم اخبر تبارك وتعالى أن كلما أتى به صلى الله عليه وعلى آله من ذلك ، فهو من الله حقا ، وقولا صدقا ، فقال سبحانه :﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾ فأخبر أن محمدا صلى الله عليه وآله لم يبلغهم إلا ما أمر به إليهم ، وأنه لم يزد ولم ينقص في شيء تلاه عليهم .

ثم قال :﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾ يقول : لو كان في شيء مما يقولون حتى تقوّل علينا باطلا كما تذكرون في بعض أقاويله ، أوفي شيء من أخباره وأحاديثه .﴿**لأخذنا منه باليمين**﴾ معنى اليمين : فهو الأمر القوي المتين ، وفي ذلك ما يقول شاعر من العرب :

إذا ما راية رفعت لمجد تناولها عرابة باليمين(١)

ومعنى ﴿أخذنا منه﴾ فهو انتقمنا منه انتقاما شديدا ، فهذا معنى ﴿أخذنا منه باليمين﴾ .

﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ يقول : لأنزلنا عليه نقمة تقطع وتينه ، والوتين : فهو نياط القلب وعلائقه ، التي تكون بقطعها مفارقته للحياة ومصيره إلى الوفاة .

﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ يخبر سبحانه أنه لو أراده بسبب ، ما كان له عنه حاجز منهم ، ولاعنه له مدافع فيهم ، فصحح سبحانه لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله أداء الأمانة ، وتبليغ الرسالة بما ذكر من قوله :﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ لأنه لما أن قال :﴿لو تقول علينا﴾ لفعلنا به ما ذكرنا ، ثم لم يكن منه سبحانه فيه شيء مما ذكر أنه يفعله به لو تقول علينا باطلا - صح له صلى الله عليه وآله بأحق حقائق التحقيق أداء الأمانة ، وتبليغ حقيقة الرسالة بصحة نصيحة وصدق ، وتثبت له الحجة بذلك على الخلق ، والحاجز : فهو المانع ، والمانع : فهو القائم دونه والمدافع .

ثم أخبر جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله أن هذا القول الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وآله من الإعذار والإنذار ، والتحذير والأخبار بذكره للمتقين فقال :﴿وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ فمعنى ﴿إنه﴾ يقول : إن هذا القرآن ، والقول ﴿لتذكرة للمتقين﴾ والتذكرة : فهي التنبيه والزجر والتحذير للمتقين ، والمتقون : فهم المؤمنون المتقون لربهم ، و المتقي : فهو الخائف لذنبه المشفق من عذاب ربه ، فأخبر سبحانه أن هذا كله لا ينتفع به ، ولا يكون تذكرة إلا لأهل الدين والتبصرة ، الذين يتفكرون فيه ، ويذكرونه .

---

(١) - قال الشاعر : بشاة مذلق بتك الوتين .... .وقال آخر :

ماذاقه المرء على شهوة ألـذ من ود صديق أمين
من فاته حب أخ ناصح فذلك المقطوع منه الوتين

استشهد به الإمام الحسين بن القاسم العياني عليه السلام في تفسيره ، نقلت هذه الحاشية من الأصل النسخة (أ)..

ثم قال :﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ فأخبر سبحانه أنه يعلم ممن نزل عليه هذا القرآن مكذبا به غير مؤمن بغيبه ، معاندا للرسول عليه السلام في قوله مخالفا له سبحانه في حكمه .

﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ يقول سبحانه : حسرة في يوم الدين على الكافرين متحسرون عليه ألا يكونوا قبلوه ، و ألا يكونوا آمنوا به واتبعوه ، والحسرة : فهي الندامة والحرقة ، و التأسف على فوات ما فاتهم إذ كان ممكنا لهم في حياتهم فتركوه في وقت إمكانه ، فتحسروا عليه بعد فواته ، والكافرون : فهم العاصون المكذبون .

ثم قال سبحانه :﴿وإنه لحق اليقين﴾ يريد بقوله : ﴿وإنه﴾ يقول : إن هذا القول الذي قلنا ، والذكر الذي ذكرنا ، والشرح الذي شرحنا لحق يقين ، صادق القول مبين ، وآت كائن قريب من أهله واقع بهم حَالٌّ نازل عن قليل عليهم .

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ معنى ﴿فسبح﴾ أي كبر ، وقدِّر ، وقدِّس ، ونزِّه ربك إذا ذكرته بشيء من أساميه ، ونسبت إليه في شيء مما يرضيه ﴿ربك﴾ معناها خالقك ومالكك ﴿العظيم﴾ فهو : الواحد الجليل ، الفعال لما يريد ، الغالب غير مغلوب ، الذي ما شاء من الأشياء أن يكون كان ، بلا كلفة ولا أعوان ، النافذ المشيئة ، العظيم القدرة ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، الذي لم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً .

تفسير سورة ن

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تبارك وتعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ هذا قسم من الله سبحانه بالنون والقلم وما يسطرون ، على أن رسول الله غير مجنون كما يقول الفاسقون ، ونسب إليه المكذبون ، فأقسم الله بالنون ، والنون : فهو الحوت ، وما أحسب ـ والله أعلم ـ أن الله أقسم في هذا الموضوع بنون غير نون يونس النبي صلى الله عليه الذي التقمه ، ولبث في بطنه حتى أراد الله تخليصه فخلصه فأقسم الله به سبحانه تنبيها على عجيب ما جعل فيه وركبه ، وقدر له وسبب من التقامه ليونس رسول الله صلى الله عليه ، ومكثه في بطنه حيا سويا ، طول ما مكث في جوفه مستجنا ، فنبه سبحانه على عجيب ما كان من قذفه له عند إرادة الله لقذفه فلما أن كان من تدبير الله عز وجل لذلك كله في يونس صلى الله عليه ، وأمره بالحوت وسببه ، أقسم الله سبحانه في هذا الموضع به تنبيها على عجائب ما كان فيه من قدرته .

وكذلك أقسم بالقلم تنبيها منه لجميع الأمم على ما فعل فيه وركب ، وهدى الخلق إليه وسبَّبَ، من قطع القلم وبريه ، وشقه وقطعه ، ومحكم ما هداهم إليه من تدبيره ، وفطنهم سبحانه من تقديره حتى قدروه بقدرة الله تقديرا ، ودبروا أحكامه بهداية الله لهم تدبيرا ، حتى صلح بعد التقدير ، و التأم بعد الإحكام والتدبير ، فصار سببا لما يسطر ويكتب ، ويبين في الصحف من كل ما سبب ، فنبه الله سبحانه جميع العالم على عظيم ما ألهمهم له من تدبير القلم ، وعلى عجيب ما ألهم الخلق من أمره وهداهم اليه من تدبيره ، حتى صلح لما جعل له ، لأن آيات القلم ، وفعل الله فيه وماهدى ودل الخلق عليه ـ فِعْلٌ عَجِيْبٌ أَمْرُه ولطف ظاهرٌ نُورُه ، ألا ترى كيف يسطر به مالايستغنى عنه من العلامات والدلالات ، والأسرار الخفيات ، والأخبار

الكافيات ، حتى يبلغ بها الحاجات ، ويعلم بها الإرادات ، ويثبت بالقلم في الصحف كل حاجة بعدت أوقربت ، تبلغ بعيد البلاد وقريبها ، وقاصيها ودانيها ، مع ماينال بالقلم من غير ذلك من تنفيذ حساب العالمين ، ومايحفظ به من التداين بين المتداينين ومايسطر به من كتاب رب العالمين ، ويثبت به من أحكام أحكم الحاكمين ، ويكون به أثت علم المتعلمين والعالمين ، وبسببه وماذكرنا من ألوانه وأسبابه ، وحكمه وآياته مامثل الله للمعتاد [1]حفظه لأفعال عباده ، صغيرها وكبيرها بما يكتبونه بالقلم في صحفهم ، ويثبتونه بالقلم عندهم في كتبهم ، فيكون عندهم مذكورا لاينسى ، وثابتا صحيحا أبدا أبدا ، فقال سبحانه :﴿**وكل شيء فعلوه في الزبر**﴾ [2] وقال :﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه**﴾[3] وقال فيما حكى من محاورة موسى وفرعون حين قال فرعون :﴿**فما بال القرون الأولى**﴾ [4] فأجابه في ذلك موسى صلى الله عليه عن العلي الأعلى فـ ﴿**قال علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولاينسى**﴾[5] فمثل له حفظ الله سبحانه لأمرها ، وعلمه بصورة شأنها ، وماتقدم من فعالها بما يكون في الكتاب ، الذي لاينسى ، الذي هو غاية الحفظ عندهم ، وأكثر مابه يحفظون أسبابهم فهذا كله من عجائب تدبير الله في القلم ، وماهداهم إليه في ، من جميع الأمم فلذلك أقسم به الرحمن تنبيها منه لجميع الإنسان ، على ماكان منه فيه من المن والإحسان .

قوله :﴿**ومايسطرون**﴾ فأقسم سبحانه بمايسطرون من القرآن العظيم ، الذي يكتبون ويقرأون ، وقد يمكن أن يكون معنى قوله:﴿**ومايسطرون**﴾ تنبيها لهم على النعمة ، وجليل أثر القدرة ، فيما دبره من حروف الهجاء من الألف واللام ، والواو والياء وغير ذلك من الأشياء ، وغير ذلك من التسعة والعشرين حرفا ، التي جعلت للكتاب كله حكما ومعنى ، فنبههم سبحانه على ماهداهم اليه منها ، وعلمهم إياه

---

(١) ـ وفي نسخة (ما مثل الله للعباد ـ حفظه لأفعال عباده

(٢) ـ القمر : ٥٢

(٣) ـ الحاقة : ١٩ ، الإنشقاق : ٧

(٤) ـ طه : ٥١

(٥) ـ طه : ٥٢

من تدبيرها ، وتقطيع ماتقطع منها ، وتوصيلها مايوصل فيها حتى تجتمع الأحرف في الإسم الواحد المسمى ، ويفترق في غيره من الأسماء فيأتي كل شيء على معناه ويستوي كل حرف على أصله ومستواه ، ففي هذا ـ لَعَمْرُ من عقل واهتدى ـ دليل على من إليه هدى ، ومبين لقدرة من قدّره ، وشاهد على حكمة من دبره .

فإن يكن أراد سبحانه بقوله :﴿ومايسطرون﴾ أي مايقولون ويجعلون من تلفيق حروف الكتاب ويؤلفون ففي أقل من هذا ماأقسم الله به ، ودل عليه ، ونبه أهل الجهل به على معانيه ؛ احتجاجا من المقسم به على الشاك في قدرته ، الضال الفهم عن حكمته .

وإن يكن سبحانه أراد بقوله :﴿ومايسطرون﴾ كتابه الذي يقرأون ، الذي ذكره وأقسم به في أول سورة ﴿والطور﴾ حين يقول سبحانه :﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾ فهو : الكتاب الذي يسطرون ، وهو القرآن الحكيم الذي يقرأون وكلا الأمرين يخرج في المعنى ، ويصح في قلب من كان ذا هدى .

وقد أتوهم ـ والله أعلم ـ أن الذي أقسم به في نون ، الذي ذكر أنهم يسطرون : هو القرآن المبين ، الذي جاء به من رب العالمين ، فأقسم به سبحانه لجليل أمره وعظيم خطره ، وماجعل الله من برهانه وأمره وحججه على خلقه ، وحلاله وحرامه وماتعبد به سبحانه جميع خلقه وعباده ، فأقسم سبحانه بالنون والقلم ومايسطرون من كتاب الله العظيم الذي يكتبونه ، ومانبيئه صلى الله عليه وعلى آله بنعمة ربه بمجنون ومعنى قوله :﴿ماأنت﴾ أي : ماأنت يامحمد ﴿بنعمة ربك﴾ يريد : بكرامة ربك ومدافعته لكل سوء عنك ، وربك : فهو خالقك ومالكك ﴿بمجنون﴾ يقول : ماأنت بزائغ العقل ، ولامأفون ولابمخلط مجنون .

﴿وإن لك لأجرا غير ممنون﴾ يقول : لك عند ربك أجرا ، والأجر : فهو الثواب والعطاء على ماصبر عليه من المحن والبلاء ﴿غير ممنون﴾ فالممنون هو يقول : غير مستكثر لك ولاممنون عليك ، يعني بالذكر له في يوم الدين ، والإستكثار له ، بل هو

قليل لك عندنا ، وإن كثر في عينك وعين غيرك ، صغير ماأعطيناك عندنا ، وإن كان عظيما عندك ، هذا معنى ﴿**غير ممنون**﴾ .

﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ فهو : ماجعله الله عليه من الطبع الكريم ، والقلب البر الرحيم ، والأخلاق الحسنة ، والطبائع الكريمة من الصبر والتحمل ، والعفو والتحمل ، وغير ذلك من الأخلاق التي جعلت فيه ، وامتن الله سبحانه بها عليه التي يعجز عن يسيرها غيره ، ولايحمل القليل منها إلا مثله ، والخلق : فهو مايتخلق به العباد بينهم ، وتخلقهم : فهو فعلهم ، وفعل الله في خلق نبيئه صلى الله عليه وعلى آله فهو عونه وتوفيقه وتسديده ، لكل جميل من الأخلاق ، فلما أن كان العون في ذلك من الواحد الخلاق - جاز أن ينسب إليه على طريق مجاز الكلام في قول القائلين لأن شيئا من أفعال رسول الله عليه السلام فعل لرب العالمين ، وقوله :﴿**خلق عظيم**﴾ فهو : خلق جليل ، لايقدر عليه غيرك ، ولايفعله سواك .

﴿**فستبصر ويبصرون**﴾ معنى ﴿**فستبصر**﴾ يقول : سوف ترى ويرون صدق ماتخبر به ويخبرون ، ونذكر لك ونعدك ونعدهم ، ونخوفك ونخوفهم ، ونشرح لك من أمر القيامة ونشرح لهم من العذاب والثواب ، ألا تسمع كيف يقول :﴿**فستبصر ويبصرون**﴾ ﴿**بأيكم المفتون**﴾ يقول : فستعلم ويعلمون بأيكم المفتون : فهو المعذب المغبون ، ومعنى ستبصر ويبصرون : هو تعلم ويعلمون ، والعرب تجعل تبصر في معنى تعلم ، وتعلم في معنى تبصر ، تقول العرب : فلان بصير بالحلال والحرام ، تريد عالم بهما ، فَهِمٌ بأسبابهما ، وتقول : بصير بالشعر ، بصير بالنحو ، تريد بقولها : بصير بها أي عالم بأمرهما ، واقف على حدودهما ، فأخبر الله سبحانه نبيئه صلى الله عليه وعلى آله أنه سيعلم ، وأنهم سيعلمون في يوم الدين من يكون من المعذبين .

ثم قال سبحانه :﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ فأراد سبحانه وجل جلاله أنه أعلم بمن ضل عن سبيله ، ومعنى ﴿**ضل**﴾ فهو : عدل وترك ، و﴿**سبيله**﴾ فهو : طريقه ودينه التي جعلها لخلقه دينا وسبيلا ، ومتعبدا يعبدونه ، ويثبتون عليه لايعدلون عن قصده ، ولايميلون عن محجته .

ثم أخبر أنه أعلم بالمهتدين ، والمهتدون : فهم الثابتون على سبيله الذي ارتضاه لخلقه .

ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عن المخافة في ذاته لوعيد المكذبين فسمى المخافة لهم طاعة لمن خافهم ، فقال سبحانه :﴿**فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾ معنى :﴿**لاتطع**﴾ هاهنا ـ في هذا المكان بأوضح الحق و البيان ـ : فهو لاتخف وعيدهم إياك ، فتترك شيئا مما أمرنا لك به من الجهر بدعوتك ، والإظهار لشرائع دينك ، والإعلان بعبادة ربك ، متاقاة لهم ومخافة من شرهم ، والمكذبون الذي نهى الله عن خوفهم ، فهم أهل التكذيب لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله الذي جاء به عن الله خاصة .

﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ يقول سبحانه :﴿ودوا لو تدهن﴾ لهم في الإتقاء لمخافتهم ، إما برهبة ، وإما بمصانعة فتترك شيئا مما أمرت بإظهاره فتخفيه مخافة لهم ومحاذرة أن تبديه ، فيدهنوا هم بأكثر من ذلك وأوفر ، يقول : ودوا لو تصانعهم في شئ فيصانعونك في أكثر منه ، وتداريهم في يسير فيداورنك بأعظم من مداراتك لهم ليوقفوك بذلك عن مباينتهم ، ويحجروك بالمداراة والمداهنة على مكاشفتهم ، فأخبر الله سبحانه أنهم يودون بأجمعهم لو تركت شيئا من مباينتهم .

ثم أمره ﴿**ولاتطع كل حلاف مهين**﴾ والطاعة هاهنا التي نهى الله عنها لكل حلاف مهين فهو : أيضا ماذكرنا من المخافة من الحلاف المهين ، في شيء من وعيده وإبراقه وإرعاده عليه ، وحلفه وأيمانه فيه ، فنهاه صلى الله عليه وآله من مخافته أوترك شي من اظهار أمر الله لمراقبته ، وسمى تركه لشيء من ذلك لخوف شيء من وعيده طاعة منه له ، والحلاف : فهو الكثير الأيمان بالله ، الذي لايفي بشيء منها ، ولايقوم بحد من حدودها ، والمهين فهو الذليل الحقير .

﴿**هماز مشاء بنميم**﴾ فالهماز : هو الذي يهمز الإنسان من خلقه ، ومعنى يهمزه: أي يؤذيه بلسانه ويتناوله ، ويقع فيه من ورائه وينتقصه ﴿**مشاء بنميم**﴾ معنى ﴿**مشاء**﴾ أي : مشاء بين الناس ﴿**بنميم**﴾ بالنمائم ، والمشي بها : فهو المجيء الى ذا

بالخبر عن ذا ، والمجيء من ذا الى ذا بالخبر ليوقع بينهم الوحشة والبلاء والعداوة والأذى ، ومعنى ﴿بنميم﴾ فهو : ببلاغه وخبره ، والنميمة فلا تكون خاصة إلا في كل خبر قبيح يوحش بعض الناس من بعض ، ويفسد المودة بينهم ، ويوقع الوحشة في قلوبهم ، فما كان من الأخبار المنقولة بفعل هذا فهو نميمة ، وناقلها يدعا نماما ، ومالم يكن من الأخبار يوقع الوحشة ، ويوجب الفرقة ، ويحدث الهجرة والبغضة فلا ينتظمه اسم النميمة ، ولايدعى حامله وناقله نماما .

﴿مناع للخير﴾ يقول : فهو الممتنع من كل خير ، الداخل في كل ضير ﴿معتد أثيم﴾ فالمعتدي : هو الظالم الغوي ﴿أثيم﴾ فهو : الآثم الردي .

﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ العتل : فهو الفدم [1]من الرجال في الخلق والفعال ، الذي لافهم له بما يقول أويفعل ، ولامعرفة له بما يأتي ومايعمل ، الذي لايميز بين الأمور في معانيها ، ولايعرف حسناها من مساويها ، ولايفعل شيئا بتمييز أصلا ، ولايأتي من الخير إلا ماعتل عليه عتلا ، لفدامة خلقه ، وقلة تمييزه لنفسه .﴿بعد ذلك زنيم﴾ يقول : بعد هذه الخصال التي فيه كلها هو زنيم أيضا ، والزنيم : فهو الذي له في خلقه زنمتان يبين بهما من غيره للمبصرين ، يكونان في حلقه متدليتين ، يعرف بهما ويستدل على معرفته بذكرهما ، كزنمتي الشاة التي يكونان في حلقها تذكر وتوصف بهما .

﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ معنى ﴿أن كان﴾ فهو : إذ كان ﴿ذا مال وبنين﴾ فمعنى ﴿ذا﴾ فهو : صاحب مال ﴿وبنين﴾ والبنون : فهم الذكران من الأولاد .

﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ يقول : إذا قرئت عليه آياتنا ، وذكرت عنده ﴿قال أساطير الأولين﴾ وأساطير الأولين : فهي أحاديث الأولين ، وأحاديث الأولين : فهي أقاويل المكذبين ، وأسمار المتحدثين ، فنسب هذا الزنيم آيات الرحمن الرحيم ، ووحي

---

(١) ـ في المعجم الوسيط : الفدم : رجل فدم : ثقيل الفهم عيي ، وجمعه : فِدَام . وفَدُمَ فُدُومَة ، وفَدَامة : ضعف فهمه وعيي عن الحجة ، وحُمق وجفا ، وسمن ، فهو فَدْم .

العلي الحكيم ، وماجاء به من النور على لسان نبيه البشير النذير إلى الأسمار ، والباطل والقول القديم الحائل .

فأخبر الله تبارك وتعالى أن من كان ذا مال وبنين ـ كان الواجب عليه الحمد والشكر لله رب العالمين ، دون مايأتي به الوليد بن المغيرة اللعين ، من الكفر بآيات الرحمن ، والجحدان لمفصل القرآن ، فجعل الشكر على ماأولى ، والمجازاة على ماأعطي ؛ تكذيبا وكفرا وعنودا عن الله وشرا .

﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾ فوسم الله على خرطومه : هو ماوسمه الله به من ذكره في القرآن وذمه بما تسمع في هذه الآيات من ذكره ، فجعل الله سبحانه ماشرح من أخباره ، في هذه الآيات ، وفسره من صفته وحاله في هذه المحكمات وسمّى ودلالات يعرف بها الذكر والوصف في كل الأسباب كما يعرف الوسم كل موسوم من الدواب ، وإنما ذكر الله الخرطوم دون غيره ؛ لأنه شيء لايستتر بثوب ، ولايستتر عن المتوسمين ؛ لأن الوجه بارز أبدا للناظرين ، والخرطوم : فهو الأنف وماوالاه ، وماكان منه وداناه .

[قصة قريش وقتلهم في بدر]

ثم ذكر سبحانه وجل عن كل شأن شأنه ذكر من سار إلى بدر من قريش لقتال النبي صلى الله عليه وآله ، وماطمعوا به من الأمر العظيم فيه ، فصرف الله عنه كيدهم ، وأمكنه منهم وأذلهم ، ثم ذكر مافتنهم به وبلاهم ، من ستر أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عنهم ، وماكان من إيجابه من النصر له عليهم ، فلم يعلموا بشيء من أمره ، ولم يحسبوا مانزل بهم من ربه ، فكانوا مقتدرين في أنفسهم على أخذه ، وأخذ من كان معه لما رأوا قلتهم ، فدخل في قلوبهم الطمع فيه وفي أصحابه اقتدارا وكفرا وطمعا فيما لن ينالوه ، ولن يطيقوه ، ولن يبلغوه ، فقال ابوجهل بن هشام اللعين لمن معه من أوباش الكفرة الملاعين : لاتقتلوهم وخذوهم فأوثقوهم واربطوهم ، فتكون تلك فضيحة على محمد صلى الله عليه وعلى آله وعليهم فيدخلون به مكة أسيرا ، فذلك أفضح لهم وأبلى ، فلم ينالوا ماأرادوا ، ولم يبلغوا

ماأملوا ، وقضى ا لله أمرا كان مفعولا ، فأنفذ وعده لنبيه صلى ا لله عليه وعلى آله انفاذا ، وحباه ونصره عليهم فقتل من خيارهم سبعين ، وأسر من أعداء ا لله سبعين وغنمه ا لله غنائمهم ، وفل حدهم ، فولت فَضْلَتُهُم [1] خائبة حاسرة منهزمة هاربة طائرة .

فمثل ا لله سبحانه ماكان من اقتدارهم وبغيهم على نبيئه صلى ا لله عليه وعلى آله وأصحابه ، باقتدار أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين ، وهذه الجنة فجنة من جنان الدنيا ، كانت باليمن على اثنيْ عشر ميلا من صنعاء ، صارب بواد يقال له : احرثى ، فلما دنا حصادها ، وأينعت ثمارها ، وحسنت حالها أقسم أهلها ليصرمنها في غدهم مصبحين ، إقتدارا على صرمها من الصارمين ، فلم يستثنوا في قسمهم ، فكان ماذكر ا لله من أمرهم من ذهاب جنتهم ، حين طاف عليها طائف من ربهم فهلك مافيها من ثمرها ، فأصبحت خواء من كل ماكان فيها ، فذكر ا لله سبحانه أن أباجهل وأصحابه نزل بهم في اقتدارهم ، على ماكان من جنتهم ومن ثمارهم ، فنزل بكفرة قريش الفسقة المقتدرين مانزل بالإقتدار بأهل الجنة المقسمين .

ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولايستثنون**﴾ معنى ﴿**بلوناهم**﴾ أي : اختبرناهم بابتلائهم لنعلم هل يرجعون عن اقتدارهم ؟ فلم يرجعوا ، فأخذهم بأسنا بما عصوا ، وهؤلاء المبتلون: فهم قريش الكافرون .

قوله :﴿**كما**﴾ فمعناها : مثل ، وقوله :﴿**بلونا**﴾ أي : اختبرنا ﴿**أصحاب الجنة**﴾ فهم : أصحاب صاد ، وهي الجنة التي أقسم أهلها ليصرمنها ﴿**إذ أقسموا**﴾ يقول : إذ حلفوا ﴿**ليصرمنها**﴾ يقول : ليقطعن ثمرها ﴿**مصبحين**﴾ فهو : صباحا منورين ﴿**ولايستثنون**﴾ يقول : لم يقولوا : إن شاء ا لله ، فيثبتوا بذلك القدرة لله ، فلما أن لم يستثنوا في قسمهم ، وبغوا في ذلك وطغوا ، طاف عليها ماذكر ا لله من أمره حين يقول سبحانه : ﴿**فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون**﴾ معنى ﴿**فطاف**

(١) ـ أي الذين فضلوا وبقوا منهم فلم يقتلوا أويؤسروا .

عليها أي : واقعها ونزل بها ﴿**طائف من ربك**﴾ والطائف : فهو الأمر الذي نـزل بها وعمها وطاف فيها حتى أبادها ، وأفناها وتركها ، كأن لم يكن فيها ثمر ولاخـير ﴿**وهم نائمون**﴾ فمعناها : وهم راقدون ، أي في الليل .

﴿**فأصبحت كالصريم**﴾ يقول : أصبحت في ذهاب مافيها ، وبواد ثمرهـا لما نـزل بها من طائف ربها ﴿**كالصريم**﴾ والصريم : فهو كالشيء الذي قد صرم فذهب مـن أرضه ، وخلت الأرض من بعده .

﴿**فتنادوا مصبحين**﴾ معنى تنادوا مصبحين : أي تصايحوا وتداعوا عندما أصبحـوا وجاء وقتهم الذي فيه اتعدوا .﴿**أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين**﴾ فتصايحوا وتداعـوا بهـذا اللفـظ ﴿**اغـدوا**﴾ أي : انهضـوا في غداتكـم ، وا ذهبـوا الى حرثكـم فاصرموا ، والحرث : فهو الموضع الذي يكون فيه الزرع ﴿**إن كنتم صـارمين**﴾ أي : إن كنتم لزرعكم قاطعين .

﴿**فانطلقوا وهم يتخافتون**﴾ يقول : معناها فانطلقوا : أي مضوا وذهبوا وسـاروا ونهضوا ﴿**وهم يتخافتون**﴾ يقول : وهـم يتشـاورون ، ويغبـون كلامهـم ويتنـاجون ويخفون عن غيرهم مايقولون ﴿**ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين**﴾ يقول : ويتنـاهون عن اطعام المسـكين ، لايقربنهـم ظنـا منهـم بمـا في جنتهـم مـن ثمرهـم ، قولـه : ﴿**ألا يدخلنها**﴾ يقول : لايقربنها ولايدخلن عليكم فيها مسكين ، والمسكين : فهو السائل لهم الطالب ماعندهم .

﴿**وغدوا على حرد قادرين**﴾ معنى ﴿**غدوا**﴾ أي خرجوا وبكروا ﴿**على حـرد**﴾ فالحرد : هو القطع ، يقول : على قطع الثمر ﴿**قادرين**﴾ معناها : مقتدرين .

﴿**فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون**﴾ معنى ﴿**رأوها**﴾ أي : عاينوهـا وأبصروها ، وصاروا فيها وأتوها ﴿**قالوا إنـا لضـالون**﴾ أي : لمخطـون ، ليس هـذه ضيعتنا ، ولاهي بجنتنا ، هذه جنة قد هلكت ، وذهب مافيها فصرمـت ، وجنتنـا غـير هذه الجنة ، وليس هذه الجنة بتلك الجنة ، ثم تعرفوا حدودها ، وفهموا معالمها فأيقنوا أنها جنتهم ، و علموا أنها ضيعتهم ، فقالوا من بعد ذلك : ﴿**بـل نحن محرومـون**﴾ :

بل هي ضيعتنا ، ولكنا محرومون لثمرها ممنوعون مما كان فيها قد نزل بها أمر الله فأهلكها ، ولم ينزل ذلك من الله إلا عن جرم كان منا ، وخطأ كان من فعلنا فحرمنا ماكان قد أعطاناه ، وصرف عنا ماكان قد رزقناه ، فصرنا لذلك محرومين ومنه بالخطيئة ممنوعين .

﴿**قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون**﴾ فأخبر أنه قد كان قال لهم عند وقت ماأقسموا : سبحوا ربكم ، واذكروا واثبتوا القدرة له ، واستثنوا فلم يفعلوا في ذلك الوقت ماأمرهم أوسطهم ، ولم يحسبوا أنه ينزل بهم مانزل بهم من عقوبة ربهم ، عند ظلمهم وبغيهم ، فرجعوا باللوم على أنفسهم ، وأبدوا ماكانوا يخفون من تسبيحهم خوفا من أن ينزل بهم في أنفسهم ماهو أشد مما نزل بهم في جنتهم .

﴿**قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين**﴾ معنى ﴿**سبحان ربنا**﴾ أي : تعالى ربنا ،وتنزه خالقنا ، وجل سيدنا عن فعلنا ﴿**إنا كنا ظالمين**﴾ يقولون : نحن كنا ظالمين لأنفسنا فيما فعلنا ، فأقروا بذنبهم ، وشهدوا على أنفسهم بظلمهم ، ثم أقبلوا يتلاومون ويختصمون ويتعاذلون فيما كان من تفريطهم في أمرهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم كما قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :

﴿**فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون**﴾ معنى ﴿**فاقبل بعضهم على بعض**﴾ قصد بعضهم بعضا بالتلاوم ، والعذل فيما كان من خاطئ الفعل ﴿**يتلاومون**﴾ فهم يتعاذلون ، ويقبحون أفعالهم ويعجزون آراءهم .

﴿**قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين**﴾ معنى ﴿**قالوا**﴾ أي : هم تكلموا به وأظهروا معنى ﴿**ياويلنا**﴾ فهو : ياويحنا من هذا الأمر ، الذي أدخل الويل علينا ، والويل : فهو الغم والطويل من الهم ﴿**إنا كنا طاغين**﴾ يقولون : المعنى الذي أدخل الويل علينا هو ماكان من طغياننا ، والطاغون : فهم العتاة الباغون ، الذين لم يستسلموا في يد الله ولم يلقوا بأمرهم كلهم الى الله فأقروا بطغيانهم ، وعلموا أنه كان سبب هلاكهم .

ثم رجعوا الى القصد الواجب ، والحق المصيب الراتب ﴿**فقالوا عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا الى ربنا راغبون**﴾ معنى ﴿**عسى**﴾ أي : لعل ﴿**ربنا أن يبدلنا**﴾

معناها أن يخلف علينا ويبدلنا بدلا من الذي ذهب منا من جنتنا ﴿خيرا منها﴾ معنى ﴿خيرا منها﴾ فهو : أفضل منها ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ معناها : راجعون طالبون قاصدون سائلون ، ومعنى ﴿إلى ربنا﴾ فهو : من ربنا ، أي إنا من ربنا للبدل والعوض سائلون.

ثم أخبر سبحانه أن ذلك منه عذاب لهم ونقمة أنزلها بهم على ماكان من عتوهم فقال :﴿كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ معنى ﴿كذلك العذاب﴾ يقول : كذلك نعذب بالإنتقام من أردنا عذابه من الأنام في الدنيا ، بذهاب ماانذهبه من أموالهم ، وانتقاص ماننقصه من أنفسهم وثمارهم ، فجعل ماينزل بهم من ذلك في الدنيا الفانية عذابا أدنى دون عذاب الآخرة الباقية ، وفي ذلك مايقول الله سبحانه :﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾[1] .

ثم أخبر سبحانه أن عذاب الآخرة لمن عتى عن أمره أشد وأعظم عليه مما ينزل به في حياته ونفسه ، فقال :﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ يقول : أجل وأعظم وأخطر ، والآخرة : فهي الدار التي أول أيامها يوم القيامة ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يقول : لو كانوا يفقهون ويعقلون .

ثم أخبر سبحانه بما أعد للمتقين ، وجعل سبحانه عنده لعباده المؤمنين ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ والمتقون : فهم المتقون لمعاصي الله الخائفون ومعنى متقين لمعاصي الله : فهم التاركون لها ، والخائفون من الله العقوبة في ارتكابها تقول العرب : اتق فلانا ، أي احذر منه وخفه ، وتقول العرب : اتقوا السلطان ، أي خافوه ، ولاتفعلوا شيئا يجب عليكم فيه العقوبة عند ربهم ، فمعناها : عند معادهم الى ربهم ﴿جنات النعيم﴾ فهي : جنات الخير المقيم من الشهوات والمطاعم والمناكح والمشارب[2] والبشارات .

---

(١) - السجدة : ٢١

(٢) - في نسخة : المشارب ، وفي نسخة : البشارات ، فأثبتنا اللفظين معا .

ثم أخبر سبحانه أنه لن يجعل مسلما كمجرم في الحال والحكم ، فقال : ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾ معنى ﴿**أفنجعل**﴾ يقول : أنسوي ونعدل في الحكم والفعل بين من كان مسلما ، ومن كان مجرما ، هذا مالايكون أبدا ، ولايعرف من فعلنا وعدلنا بل لكلٍّ دار وجزاء وقرار ، و المسلمون : فهم المؤمنون بالله ، المُسَلِّمُون لأمر الله والمجرمون : فهم المعتدون الظالمون لأنفسهم ، المجترون على الله ربهم ، الذين أجرموا في فعلهم ، وعصوا في صنعهم .

﴿**مالكم كيف تحكمون**﴾ معنى ﴿**مالكم**﴾ أي : مابالكم ﴿**كيف تحكمون**﴾ يقول : كيف حكمكم بهذا ؟ وكيف القول فيه عندكم ؟ أفمن فعله فعل المحسن كالمسيء ؟! والضال كالمهتدي ؟! إن كان هذا عندكم صوابا ماضيا ، وحكما بالحق عندكم جاريا ، فلن تروا هذا حقا أبدا ، ولن تسموه حكما ولاعدلا إن أتى ، وكان من أحد فكيف تسمونه ؟ أوتتوهمون أنه يكون عند ربكم ! .

﴿**أم لكم كتاب فيه تدرسون**﴾ يقول : كتاب منا إليكم ، وعليكم فيه مازعمتم من أن المجرم كالمسلم عند الله في الحكم فأنتم فيه تدرسون ، ومعنى ﴿**فيه تدرسون**﴾ فهو : فيه تقرأون هذا الحكم ، وهذا الأمر الذي تفكرونه ، وتجعلونه وتشرحونه وتسطرونه .

﴿**إن لكم فيه لما تخيرون**﴾ يقول : إن لكم في هذا الكتاب إن كان عندكم بحق وصدق لما تخيرون ، ومعنى تخيرون : فهو تحبون وتريدون وتبغون وتشآون .

﴿**أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة**﴾ معنى ﴿**أيمان**﴾ فهي : عهود ، يقول: أم لكم علينا ، ومعنى ﴿**بالغة**﴾ فهي : لازمة واجبة الى يوم القيامة ، يقول : ثابتة علينا لكم ، ومعنى ﴿**يوم القيامة**﴾ فهو : في يوم القيامة ، فقامت إلى مقام في ، يريد أم لكم أيمان علينا ثابتة في يوم القيامة بالوفاء لكم بهذا الذي ذكرتم ، من أنكم غير معذبين ، وأن المجرمين منكم في الحكم عندنا كالمسلمين ، وأنهم سواء في الجزاء يوم الدين .

﴿إن لكم لما تحكمون﴾ يقول : إن كان الأمر منا عندكم كذلك ، وكان لكم علينا عهد في ذلك فالحكم حكمكم ، والقول قولكم ، ولكم ذلك علينا ماأردتم مما تشآؤن وبه تحكمون مما تريدون وتحبون .

ثم قال سبحانه لنبيئه صلى الله عليه وعلى آله انكارا عليهم في فعلهم ، وتكذيبا لهم في قولهم .

﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ يريد بقوله :﴿سلهم﴾ أي : ناظرهم ، وأفتش أمرهم وأستخبرهم أيهم بهذا القول ، و الخبر زعيم ، معنى ﴿بذلك زعيم﴾ فهو : بذلك الخبر والقول زعيم ، معنى ﴿زعيم﴾ :كفيل ضامن يضمنه لهم حتى يأتيهم من قبله ماأحبوا ، وتكون كفالته به أتته على ماطمعوا ، فلن يكون ذلك أبدا ، ولن يتزعم به منهم صغير ولاكبير أصلا .

﴿أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ معنى ﴿أم لهم﴾ هو : هل فيهم ؟ وهل : هي معنى أم ، وقامت لهم مقام فيهم ؛ لأنها من حروف الصفات أراد سبحانه هل فيهم لنا شركاء شاركونا في خلقهم ، وأعانونا على رزقهم فنازعونا في أمرهم ، فضمنوا لهم غير ماضمنا ، ووعدوهم غير ماأوعدنا فكان لهم حكم سوى حكمنا ، وأمر فيهم ماض كأمرنا ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ يقول سبحانه : فليأتوا بهؤلاء الشركاء لنا فيهم ، المنازعين لنا في أمرهم ، الحاكمين بغير حكمنا في شأنهم إذ حكمنا بأن المسلم عندنا خلاف المجرم ، وحكم ماأدعوا من الشركاء فيهم ، بأن المجرم كالمسلم ، فليأتوا بهم حتى ينفذوا الحكم ، ويمضوا الذي ادعوا منهم ﴿إن كانوا صادقين﴾ فمعنى كانوا صادقين هو : إن كانوا قائلين حقا ، أومتبعين في ذلك صدقا ، والذي قال الله فيهم :﴿إن كانوا صادقين﴾ فإنما عنى المشركين من قريش وألفافها ، وأهل مقالتها وأديانها ، ممن ادعى هذا الحكم الفاسد الباطل ، وقال بهذا القول الجائر العادل .

ثم أخبر سبحانه بما يكون في يوم الدين من شدة الأمر على المكذبين فقال جل جلاله عن أن يحويه قول أوينا له ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا

يستطيعون﴾ معنى **﴿يكشف عن ساق﴾** فهو : يكشف في ذلك اليوم عن أمر شديد هائل لأهله ، نازل شره بمستأهله ومستحقه ، والعرب تسمي الأمر الشديد ساقا تقول العرب : قامت الحرب على ساقها ، تريد أنها قامت على أمر شديد أمره وصارت الى حال شديد ذكره ، فيقول : يكشف للخق في يوم الدين عن أمر شديد هائل للعالمين . قوله :**﴿ويدعون الى السجود فلا يستطيعون﴾** .

معنى **﴿يدعون إلى السجود﴾** فهو : يدعون الى اثبات حجة ظاهرة نيرة بأنهم كانوا من أهل السجود **والإيمان** ، والطاعة لله والعرفان **﴿فلا يستطيعون﴾** يقول : لايستطيعون أن يثبتوا بباطل حجة ، ولاأن يقيموا بأنهم كانوا من المطيعين لله بينة فهذا أحسن مايقال به في قول الله سبحانه :**﴿يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون﴾** .

وقد قال بعض من يتعاطى تفسير القرآن : معنى هذا الذي ذكر الله من السجود في الفرقان : هو دعاء من الله لهم في يوم الدين الى أن يسجدوا لرب العالمين ، وأنه يمنعهم في ذلك اليوم بقسو ، وييس يجعله في ظهورهم من السجود حتىلايستطيعون سجودا ، وهذا فيفسد عند من عقل ، من معنيين :

أما أحدهما : فإن هذا لعب وعبث وسبب من معنى التفكه و الطرب أن يأمر آمر مأمور بفعل شيء قد منعه من فعله ، أويصنع شيئا قد حال بينه وبين صنعه بمانع لايقدر معه عليه ، ولاينال معه الدخول فيه ، فيقول له : افعله ، وهو يعلم أنه لايقدر على فعله ، فهذا استهزاء وجور ، وتعبث بالمأمور ، والله سبحانه فبريء من ذلك

كله متعال عن كل شيء منه تبارك وتعالى عما يقول الجاهلون ، وينسب إليه الضالون .

والمعنى الثاني الذي يفسد قولهم منه : أن يوم القيامة ليس هو يوم عمل ولا ابتلاء وإنما هو يوم حساب وجزاء ، فافهموا ماقلنا من تفسير هذه الآية المحكمة ، فإنه معنى يضل جميع هذه الأمة عنه إلا من هداه الله اليه ، ودله بلطائف صنعه عليه .

﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ يقول : تعلوهم الذلة ، وتغشاهم ، فالخاشعة من الأبصار : هي المكتئبة المرعوبة الفزعة ، التي قد دخلها من الإيقان بهلاكها ماأذهل نفوسها ، وأبلسها في كل أمورها ، فخشعت للضعف والدمار منها الأجفان والأبصار ﴿ترهقهم ذلة﴾ يقول : تعلوهم الذلة ، وتغشاهم ، فهم أذلاء في يوم الدين أخزياء هالكين أردياء .

﴿وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون﴾ فمعنى ﴿يدعون﴾ هاهنا خلاف ﴿يدعون﴾ ثَمَّ ؛ لأن معنى ﴿يدعون﴾ الأولة : هو يدعون بالحجة ، ويُسْأَلُوْنَ اثباتها ، و﴿يدعون﴾ هاهنا أخرى ، فهو : إخبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يدعوهم إليه من السجود والإيمان به ، والإيقان بأمره ، والتسليم لحكمه في دار دنياهم ، وفي حال صحتهم ورخائهم إذ هم سالمون ، ومعنى ﴿سالمون﴾ فهم: سالمون القوى والأستطاعة ، قادرون بذلك لله على الطاعة ، لم ترهقهم في ذلك الوقت من دنياهم الذلة التي ترهقهم في دار جزائهم ، فكانوا عند دعاء رسول الله عليه السلام لهم الى ذلك مستكبرين ، وعن السجود لله صادين ، ولوعده ووعيده مكذبين ، فهذا معنى ماذكر الله من أنهم كانوا سالمين .

﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ معنى ﴿ذرني﴾ أي : خلني ودعني وأوحدني لعقوبته وأفردني ﴿ومن يكذب بهذا الحديث﴾ فالتكذيب : فهو الإبطال والجحدان ، والمكابرة للحق في كل بيان ﴿بهذا الحديث﴾ فهو : بهذا القول ، الذي أنزلناه عليك من الوعد والوعيد في الفرقان ، وجعلناه إعذارا وإنذارا وحجة لكل إنسان .

﴿سنستدرجهم من حيث لايعلمون﴾ معنى ﴿سنستدرجهم﴾ فهو : سنأتيهم ونأخذهم ﴿من حيث لايعلمون﴾ فهو : من حيث لايظنون أنا نأتيهم منه ، ولايدرون حتى يواقعهم أمرنا ، وتغشاهم نقمتنا ، وهم آمنون ، فيعانون من ذلك ماكانوا به يكذبون .

﴿**وأملي لهم إن كيدي متين**﴾ معنى ﴿**أملي لهم**﴾ فهو : أؤخرهم ، ولاأعاجلهم وأتركهم وقتا ولاأغافصهم ، ثم إلي مرجعهم ﴿**إن كيدي متين**﴾ فالكيد : هو الأخذ لهم ، والبطش بهم ، والإنتقام منهم ﴿**متين**﴾ فهو : قوي رصين .

﴿**أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون**﴾ معنى ﴿**أم**﴾ فهي : هل تسألهم ، وهي أن تطلب منهم ﴿**أجرا**﴾ فهو : جعلا وعطاء ، على ماجئتهم به من الهدى ، وما تدعوهم اليه من التقى ﴿**فهم من مغرم مثقلون**﴾ يقول : فهم من الغرم الذي سألتهم إياه ﴿**مثقلون**﴾ والغرم : فهو العطاء والأجعال التي يسألون اخراجها من الأموال ﴿مثقلون﴾ فمعناها : مكلفون مالايطيقون من الأجعال الذي يسألون ، وأراد سبحانه بقوله :﴿**أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون**﴾ توقيفهم على أنهم لم يسألوا على ماأعطوا ، وأوتوا من الأمر الذي به خلاصهم من العذاب ، وفكاك رقابهم من العقاب جعلا ، ولاعطاء ولامالا ، وأن ذلك من الله نعمة ، وابتداء وعائدة وعطاء .

﴿**أم عندهم الغيب فهم يكتبون**﴾ معنى ﴿**أم**﴾ يقول : هل عندهم الغيب ؟ ! فمعنى ﴿**الغيب**﴾ هو : علم الغيب ﴿**فهم يكتبون**﴾ أي : فهم يحصون ويعرفون مايرجعون إليه ، ويغودون فيعلمون بعلمهم الغيب مايقولون ، فيكونوا [1] على بينة مما يصنعون ، ويكونوا قد أحاطوا بعاقبة أمرهم ، وفهم مايلقونه في يوم حشرهم فإن كان ذلك كذلك فهم على بينة من ذلك ، وإن كانوا لايعلمون الغيب فإنما يتكلمون بالكذب والريب والمحال ، في القول والفعال ، فأخبر بذلك سبحانه أنهم غير عالمين بشيء من غيبه ، ولامطلعين على شيء من أمره ، وأنهم فسقة كاذبون فجرة معذبون

ثم أمر نبيئه عليه السلام بالصبر له وفيه ، فقال سبحانه :﴿**فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت**﴾ معنى ﴿**اصبر**﴾ فهو : احتمل ولاتجزع ، والزم نفسك عند الغضب والغم ، ولاتهلع ﴿**لحكم ربك**﴾ يقول : لأمر ربك ، الذي حكم به عليك ، من الصبر عليهم ، والتبليغ لرسالته اليهم ، واثبات الحجة بذلك عليهم

---

(١) ـ الفعل يكونوا هنا منصوب بعد فاء السببية المسبوقة بالإستفهام .

﴿**ولاتكن**﴾ يقول : ولاتفعل كفعل صاحب الحوت ، وصاحب الحوت : فهو يونس صلى الله عليه ، الذي التقمه الحوت [١] فكان في بطنه الى ماشاء الله أن يكون

﴿**إذ نادى وهو مكظوم**﴾ معنى ﴿**إذ**﴾ فهو : حين ﴿**نادى**﴾ فهو : سأل وناجى ﴿**وهو مكظوم**﴾ يقول : وهو مكروب ، فأخبر سبحانه بمناجاة يونس صلى الله عليه وسؤاله لربه وهو في حال شدته وكربه إذ هو في جوف الحوت مكظوم ، وشدة الحال التي هو فيها مغموم مهموم ، فنادى ربه وذكره وسأله النجاة ، واستغفره فنجاه من كربه ، و استخرجه من موضعه ، فأعاده إلى ماكان فيه من أمره .

﴿**لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم**﴾ يقول سبحانه :﴿**لولا أن تداركه نعمة من ربه**﴾ بالإجابة له في دعائه ، والرحمة له عند تسبيحه ﴿**لنبذ بالعراء وهو مذموم**﴾ يقول : لما خرج من بطن الحوت حتى ينبذ بالعراء يوم القيامة ومعنى ينبذ : فهو يخرج من البحر إلى وجه الأرض ، ويحشر ويرد إلى ماكان عليه في ذلك اليوم من الخلق وينشر ، فأراد الله بما ذكر من العراء ، عراء الأرض في يوم الدين وعند حشر جميع المربوبين ، فلم يزد عراء الأرض في الدنيا ، ألا تسمع كيف يقول : ﴿**فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ [٢] فدل سبحانه بقوله :﴿**للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ على أنه لولا أن تداركه نعمة الله لكان لابثا في بطنه حتى ينبذ بالعراء في يوم الدين ، والعراء في يوم الدين : هو عراء أرض الآخرة ، لاعراء الدنيا ، فقال :﴿**لولا أن تداركه نعمة من ربه**﴾ يقول : تداركته النعمة فخلصته من بطنه ، لكان مقيما في جوفه ، حتى ينبذ بالعراء في يوم حشره ، واحيائه ونشره ﴿**وهو مذموم**﴾ يقول : مأثوم عند الله غير سليم .

﴿**فاجتباه ربه فجعله من الصالحين**﴾ معنى ﴿**اجتباه**﴾ أي : رفعه وأدناه وقربه واصطفاه ﴿**فجعله من الصالحين**﴾ والصالحون : فهم المصلحون ، والمصلحون : فهم

---

(١) - في نسخة : (الذي التقمه النون) .

(٢) - الصافات : ١٤٢ - ١٤٤ .

الذين أصلحوا مابينهم وبين الله ، حتى صلحت لهم عنده أمورهم ، واتصلت بأسبابه أسبابهم ، فعادوا له أولياء مطيعين مختارين محسنين .

﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**﴾ معنى ﴿**وإن**﴾ فهو : قد ، ومعنى ﴿**يكاد**﴾ فهو : يريد ، و﴿**الذين كفروا**﴾ فهم : الذين أشركوا وكذبوا ﴿**ليزلقونك**﴾ فمعناها : لينفدونك ويهلكونك ، ويستفزونك ويقتلونك ﴿**بأبصارهم**﴾ أي : بأعيانهم لشدة النظر اليك للغيظ الذي يداخلهم عليك إذا قرأت الذكر فسمعوه ، يريد سبحانه : قد يريد الذين كفروا أن يهلكوك بأبصارهم ويحبون ذلك لوينالوا أن يفعلوه بأبصارهم دون أيديهم ؛ إذ لم يقدروا أن يبطشوا بأيديهم إاليك فأعينهم لشدة غيظهم ومافي قلوبهم تكاد أن تُزْلِقَكَ ، لو قَدَرَتْ ، وتُهْلِكَكَ لو استطاعت ، إذا سمع اللاحظون لك بها ماتتلوه من الذكر الحكيم ، والذكر : فهو القرآن العظيم .

﴿**ويقولون إنه لمجنون**﴾ فهذا قول من الكافرين ــ عليهم اللعنة الى يوم الدين ــ ﴿يقولون﴾ تقول : إن رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما يأتي به عن الله من الذكر المذكور ، والقرآن المنير المسطور ، مجنون ، ينسبون في ذلك اليه الجنون ، كذبا على الله واجتراء وعداوة للحق وافتراء ، فأخبر سبحانه أنهم كاذبون في قولهم ، مترددون في ريبهم ، وأنه صلى الله عليه وعلى آله خلاف ماقالوا مما نسبوا اليه ، وافتروا فقال عزوجل :

﴿**وماهو إلا ذكر للعالمين**﴾ فأخبر سبحانه أنه ليس بمجنون كما يقولون : وأنه لرسول منه مبين ﴿**ذكر للعالمين**﴾ ومعنى ﴿**ذكر**﴾ : فهو نور وهدى ، وداع الى الله بالحسنى ﴿**للعالمين**﴾ فمعناها : للمخلوقين أجمعين ، من الإنس والجان .

والحمد لله ذي الجلال والإكرام والسلطان والجبروت والبرهان والمن والإحسان على الخلائق بالغفران ، بعد الضلال منهم والعصيان ، حمدا يقرب من الرحمن ، ويبعد من الشيطان ، ويُقْصِيَ من النيران ، ويفتح أبواب الجنان .

تفسير سورة تبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تبارك وتعالى : ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير**﴾ معنى ﴿**تبارك**﴾ هو: تعالى وتقدس وجل وعظم من كل مايقول فيه المشركون وينسب اليه الملحدون ﴿**الذي بيده**﴾ معنى ﴿**الذي**﴾ فهو : من بيده ، معنى ﴿**الملك**﴾ والملك : فهو الخلق كله ، ماخلق ا لله وبرأ وذرأ ، من جميع الأشياء ، من السموات كلهن ، والأرضين بأسرهن ، ومافوقهن وماتحتهن ، وماخلق ا لله فيهن وبينهن ، فكل ذلك فهو الملك ، والملك : فهو عرشه ، وعرشه سبحانه : فملكه وملكه : فهو ماجعل وفطر ، وماخلق سبحانه من الأشياء فصور ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ يقول سبحانه : هو على مايشاء فعله فهو قادر أن يفعله لايمتنع منه شيء فيفوته ، كل شيء في قبضته ، وكل شيء فهو لاحقه ، ماشاء أن يفعل فعل ، ومأراد أن يجعل جعل ، فهو قدير على ذلك مقتدر ، قوي على ماشاء أن يدبر .

﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم**﴾ معنى ﴿**الذي خلق الموت**﴾ يقول : فهو الذي جعل الموت وقدره ، و الموت : فهو الفناء والذهاب من الإنسان ، وخروج النفس كلها من الأبدان ﴿**والحياة**﴾ فهي : حياة البشر ، وحياة البشر : فهي جعل الأرواح في أبدانهم ، وتقريرها من جميع أعضائهم ﴿**ليبلوكم**﴾ يقول : ليختبركم مما جعل في ذلك لتعملوا في حياتكم بما أمركم به ، وتقوموا فيها بما افترض عليكم ، ألا تسمع كيف يقول :

﴿**أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**﴾ يقول سبحانه : ابتلاكم بالموت والحياة فجعل الحياة الأولى وقت اكتساب وبلوى ، والحياة الثانية التي بعد الموت وقت الحساب والجزاء على ماتقدم ، من العمل في الحياة الأولى ، فجعل الحياة الأولى بلوى ابتلى خلقه فيما أمرهم به من طاعته ، ونهاهم عنه من معصيته ، ليعلم سبحانه أيهم

أحسن عملا ، ومعنى ﴿**أيكم أحسن عملا**﴾ أيهم أشد لطاعتنا اتباعا ، ومن معاصينا امتناعا ﴿**وهو العزيز الغفور**﴾ فأخبر سبحانه أنه العزيز الغفور ، فهو القادر والقاهر الذي ما أراد كان بلا كلفة ولا أعوان ، ﴿**الغفور**﴾ فهو : القادر المقيل للعثرة بعد التوبة عند الزلة ، المتجاوز عن خطايا التائبين ، القابل من المحسنين .

﴿**الذي خلق سبع سموات طباقا**﴾ فدل عزوجل على نفسه بما أظهر من فعله وأبان من قدرته لخلقه ، يريد بـ ﴿**الذي**﴾ أي : هو ﴿**خلق سبع سموات**﴾ يريد : خلق أي أوجد ، وفطر وابتدع بعد العدم ، وصور ﴿**سبع سموات**﴾ فهن : السموات السبع المجعولات المقدرات ﴿**طباقا**﴾ أي : المجعولات بعضهن فوق بعض ، ومعنى ﴿**طباقا**﴾ فهو طبقة فوق طبقة ، ومعنى طبقة فوق طبقة : فهو سماء فوق سماء حتى ينتهي إلى السماء السابعة التي ليس فوقها سماء .

﴿**ماترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾ معنى ﴿**ماترى**﴾ هو : نفي من الله تبارك وتعالى من أن يكون في خلقه اختلاف ، ولاردى ﴿**في خلق الرحمن**﴾ فمعناه : فيما جعل الرحمن ﴿**من تفاوت**﴾ والتفاوت : فهو الإختلاف ، والإختلاف الذي ذكر الله أنه لايرى في خلقه : فهو اختلاف الأشياء عما جعلها الله فيه ، وقدرها من التركيب سبحانه عليه ، فأخبر سبحانه أنه لايوجد ولايرى في خلقه اختلاف أبدا ، عما جعله عليه جعلا ، وركبه فيه تركيبا ، فأخبر سبحانه بذلك أن كل شيء من خلقه ثابت على ماجعل فيه من تركيبه ، لايزيد على ماجعله الله عليه ، ولاينقص عنه ، فالكبير كبير على حاله كما جعل ، والصغير صغير كما فعل ، والبعيد بعيد قاص ، والقريب قريب دان ، والجميل جميل لايتغير أبدا ، والسمح فعل ماجعل عليه يكون من الأشياء ليس من خلق الله ، خلق يحول ـ يحور ـ عما خلق عليه ، ولايتفاوت فيما ركب فيه فهذا معنى قوله سبحانه :﴿**ماترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾ .

﴿**فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾ معنى ﴿**فارجع البصر**﴾ يقول : ارجع في النظر ، وأدر وأقلب ماجعل لك من النظر في خلق الله العزيز الأكبر ﴿**هل ترى من فطور**﴾ يقول : هل ترى من اختلاف أوتفاوت ، مما جعل من الإئتلاف ، فلن تجد

أبدا فطورا ولااختلافا ، بل ترى كل ماخلقنا على ماجعلناه من التسوية والإئتلاف والتركيب .

﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أي : مرتين ، يقول : ارجع البصر ، وأجِدَّ استعمال النظر ﴿كرتين﴾ أي : مرتين ؛ ليثبت لك أمرك ، ويتبين لك غير ماقصد بصرك وأنك إن فعلت ذلك ، وأجدت التمييز أستعملت في ذلك العقل والفكر ، لم تر في شيء مما خلقنا تفاوتا ، فيما ركبناه عليه من تقديرنا .

﴿ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير﴾ معنى ﴿ينقلب﴾ يقول : يرجع اليك بعد تثبتك في النظر في مجعولاتنا ، وتقليبك لبصرك في مخلوقاتنا ـ بصرك ﴿خاسئا﴾ والخاسيء : فهو الذليل المتصاغر لنفسه ، الموقن بصحة مانظر اليه ، ووقف من جليل أمر الله عليه ﴿وهو حسير﴾ والحسير : المنقطع الذي قد جهد فلم يفز ، فانحسر عن طرح ماأراد بلوغه ، وشاء تناوله ودركه .

﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ قوله :﴿ولقد﴾ فهو : إيجاب منه لذلك يقول : لقد زينا السماء فهو : جعلنا وحَسَّنَّا ﴿السماء الدنيا﴾ بما جعلنا فيها من المصابيح ، والسماء الدنيا : فهي السماء القريبة منا ، معنى الدنيا : فهي القريبة من الناس ، لأن العرب تقول : ذلك الأدنى ، تريد الأقرب اليها ، وتلك الدار الدنيا تريد الدار التي هي الى المتكلم أقرب وأدنى ، فهذا معنى سماء الدنيا ، ولذلك سميت دار الدنيا ؛ لأنها أدنى الى الخق وأقرب ؛ إذ كانوا فيها سكنوا أولا ، فسميت الأولى لأنها أول الدارين المسكونتين من الآخرة والدنيا ، وسميت دنيا ؛ لأنها أقرب الى أهلها وأدنى ، والمصابيح : فهي النجوم التي تبرق وتلوح ، وتضيء وتنير في مواضعها وتوقد في أفلاكها .

﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ معنى ﴿جعلناها﴾ هو : قدرناها ، وأعددناها ﴿رجوما﴾ فهي : مراجم يرجمون بها ، ومرام يرمون بها ، والشياطين : فهم الأبالسة من مردة الجن المستجنين .

﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ يقول : اعتدنا لمن كان مرجوما منهم عذاب السعير ، فهو عذاب الجحيم ، والجحيم : فهي جهنم ، وبئس المصير .

ثم قال سبحانه :﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير﴾ يقول : ﴿للذين كفروا بربهم﴾ :كل كافر من الجن والإنس ، و﴿عذاب جهنم﴾ فهو : أغلالها وسعيرها ، وسلاسلها وحريقها ، وبلاؤها ، وجهنم : فهي النار ﴿وبئس المصير﴾ معناها : شر موئل يؤول فيه ، ومصير يصار اليه .

﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا﴾ فمعنى ﴿ألقوا فيها﴾ هو : طرحوا فيها وصيروا اليه ﴿سمعوا لها شهيقا﴾ يقول : سمعوا لها زفيرا ، والزفير : فهو الشهيق والشهيق : فهو الزفير ، والزفير : فهو الجنين والتأجج العظيم الكبير ، الذي يهول سامعه مايسمعه من حنينه ، فضلا عن مقاربته ومباشرته ﴿وهي تفور﴾ معنى ﴿تفور﴾ هي : تغلي بأهلها ، وتقلبهم في أعالي لهبها ، ترفعهم تارة ، وتضعهم وتشويهم تارة ، وتفسخهم .

﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ معنى ﴿تميز﴾ : تكاد تتقطع قطعا من الغيظ على من عصى وتولى عن أمر الله وأبى [1] ومعنى ﴿الغيظ﴾ : فإنما هو مثل من الله تبارك وتعالى ضربه فيها ، يريد جل ذكره أن فعلها بأهلها من أكلها لهم ، وإحراقها وعظيم ماجعل الله فيها ، وركبها عليه ، من الفوران والإتقاد ، وسرعة الإحراق ؛ لما يقع فيها بالمتغيظ المحسر الغضبان ، الذي قد داخله من الغيظ أمر ، فشبه الله سبحانه أمر جهنم وتأججها وحركتها وحسها وفعلها بمن طرح فيها بفعل المغتاظ ، الغضبان لأن جهنم تغتاظ ولاترضى ، ولاتميز بين من أطاع ولابين من عصى ، غير أن الله عزوجل قد ركبها وجعلها نقمة محرقة لمن وقع فيها ، فصار بحكم الله سبحانه اليها .

﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ معنى ﴿كلما﴾ هو : إذا ومعنى ﴿ألقي﴾ : فهو طرح فيها ، ورمي اليها ، والفوج : فهو الجماعة الكثيرة ﴿سألهم خزنتها﴾ معناه : استخبروهم عن أمرهم ، وسألوهم عما كانوا فيه في

---

(١) - في نسخة (وأساء) .

حياتهم ، و﴿خزنتها﴾ فهم : ملائكة الله الـذي يخزنونهـا ، ومعنى يخزنونهـا : فهـو يحفظون من فيها ، ويعذبون أهلها ، ويمنعونهم من الخـروج منهـا ﴿ألم يـأتكم نذيـر﴾ فهو سؤال من الملائكة لهم على طريق التقريع والتوبيخ منهم لهم ، لاعلى طريق الشك في أن النذير قد جاءهم ، فقـالت الملائكـة صلـوات الله عليهـا : ﴿ألم يـأتكم نذيـر﴾ ينذركم هذا اليوم ، ويحذركم هذا العذاب .

﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا﴾ فأقر أهـل النـار بـأن النذيـر قـد جـاءهم ، في قولهم :﴿بلى قد جاءنا﴾ ومعنى ﴿بلى﴾ فهو : نعم ، ومعنـى ﴿جاءنـا﴾ فهـو : أتانـا وكلمنا ، وأعذر وأنذر الينا ،﴿فكذبنا﴾ يقول : صددنا عن ربنا ، ولم نصدق رسولنا ﴿وقلنا مانزل الله من شيء﴾ معنى ﴿قلنا﴾ أي : تكلمنا وذكرنا واعتقدنـا وأضمرنـا أنه لم ينزل الله مما جاءت به الرسل شيئا ، وأن ذلك كان منهم كذبا وعتوا .

﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ فأخبروا الملائكة خزنة جهنم صلوات الله عليهم بما كانوا يقولون للرسل المرسلين من قولهم لهم :﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ والضلال الكبير : فهو الكذب والخطأ ، والعدول عن الحق والهدى ، و﴿الكبير﴾ فهـو العظيـم الكبير .

﴿وقـالوا لـو كنـا نسـمع أونعقـل ماكنـا في أصحـاب السـعير﴾ فهـذا قـول مـن الكافرين أهل النار المعذبين ، ومعنى ﴿لوكنا نسمع﴾ فهو : لو كنا في حياتنـا نسـمع قول الأنبياء ، ومعنى نسمع قولهم : فهو نطيع أمرهم ، ونصير إلى أمرهـم ، وقولهـم : ﴿أونعقل﴾ معنى ﴿نعقل﴾ أي : لوكنا نعقل ماجـاؤا بـه ، ومعنـى ﴿نعقـل﴾ : فهـو نفهمه ، ومعنى نفهمه : فهو نصدق به ونقبله ، ألا تسمع كيف يقول قائل العرب لمن يكلمه ويخاطبه : اعلم ماأقول لك ، يريد أفهم ماأكلمك به ، واعقله ، واعرف معانيه وافهمه ﴿ماكنا في أصحاب السعير﴾ يقولون : لو كنا سمعنا قولهم ، وآمنـا بمـا جـاؤا بـه مـن ربهـم لم نكـن في أصحـاب السـعير ، معنـى ﴿ماكنـا﴾ أي : ماصرنـا ﴿في أصحاب السعير﴾ والسعير : فهي جهنم ، وأصحابها : فهم أهلها المعذبون الصائرون إليها .

﴿**فاعترفوا بذنبهم**﴾ معنى ﴿**اعترفوا**﴾ فهو : أقروا بذنوبهم ، أي : لم يجحدوا شيئا من أفعالهم ، ومعنى ذنوبهم : فهو سيئاتهم وماكان من عصيانهم لربهم ﴿**فسحقا لأصحاب السعير**﴾ ﴿**فسحقا**﴾ معناها : فبعدا ، ومعنى بعدا : فهو بعدا لهم ، ومعنى بعدا لهم : فهو بعدوا من الثواب والرحمة في كل الأسباب ﴿**لأصحاب السعير**﴾ يقول : لأهل النار .

ثم رجع سبحانه الى صفة المؤمنين ، وذكر من ذكر من أوليائه الصالحين فقال : ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**﴾ معنى ﴿**يخشون**﴾ فهو: يتقون ، ويخافون ﴿**ربهم**﴾ فهو : خالقهم وسيدهم ، ومالكهم ومقدرهم ، وجاعلهم ﴿**بالغيب**﴾ فمعناها : في الغيب ، ومعنى في الغيب : فهو في سرهم ، وماتغيب من أمرهم ، واستتر عن الناس من أفعالهم ﴿**لهم مغفرة**﴾ يقول : لهم غفران من الله ورحمة وعائدة منه سبحانه وكرامة ﴿**وأجر كبير**﴾ يقول : ثواب عظيم كثير ، كبير خطير .

﴿**وأسروا قولكم أواجهروا به إنه عليم بذات الصدور**﴾ ومعنى ﴿**أسروا**﴾ فهو: اخفوا ﴿**قولكم أواجهروا به**﴾ يقول : أوأظهروه ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ يريد: عالم بضمير الصدور ، ومايستجن فيها ، وفي كل الجوانح من الأمور ، فأخبر سبحانه بما ذكر من ذلك أنه سواء عنده ، وفي علمه ماأسره وأظهره أحد من خلقه ، وأن علمه بالغيب المكتوم كعلمه بالظاهر المعلوم ، وفي ذلك مايقول سبحانه :﴿**سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**﴾[1] يقول سبحانه : إنه عالم بكل مايكون من سر أوعلانية ، وإنه لايخفى عليه من الأمور خافية .

ثم قال سبحانه :﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ يريد بقوله :﴿**ألا يعلم من خلق**﴾ أي : كيف لايعلم سبحانه ماقد خلقه ، ويطلع على سر من فطره ، وهو أعلم به من نفسه ، وأعلم بسره وعلانيته ، ومعنى ﴿**يعلم من خلق**﴾ فهو : سر من خلق ﴿**وهو اللطيف الخبير**﴾ واللطيف : فهو البر بخلقه ، المتفضل عليهم برزقه ، المان

(١) ـ الرعد : ١٠

عليهم بمرافقه ، والخبير : فهو العليم الخابر بكل أمورهم ، العارف بكل أسبابهم الذي لايغيب عنه شيء من افعالهم .

ثم دل سبحانه على نفسه ، ونبه الخلق على معرفته لما فطر من فطره ، وجعل من جعائله وصنعه ، فقال جل ثناؤه :﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾ تفسير ﴿**الذي**﴾ فهو : دلالة عليه سبحانه دون غيره ﴿**جعل لكم الأرض ذلولا**﴾ أي : هو سوى لكم ، وجعل لكم ﴿**الأرض**﴾ أي : قدرها ودحاها وسواها ﴿**ذلولا**﴾ والذلول : فهي المطية السامحة التي لاتمتنع مما يفعل بها ، ولاتدفع شيئا عن نفسها ، فشبه الله عزوجل الأرض في انبساطها ووطائها ، واستوائها بأهلها ـ بالذلول من الإبل التي لاتمانع ربها ، ولاتخالف في شيء مما يراد بها ﴿**فامشوا في مناكبها**﴾ يقول : سيروا في جوانبها ؛ لأن المناكب هي الجوانب والأطراف ﴿**وكلوا من رزقه**﴾ ومعنى ﴿**كلوا**﴾ أي : أطعموا وتنعموا من رزقه ، أي فهو من فضله وعطائه ، وماأخرج من ثمرات أرضه ﴿**وإليه النشور**﴾ يقول : وإليه معادكم ، و إليه نشوركم ، فإذا أراد سبحانه أن ينشركم نشركم ومعنى النشر : فهو البعث والحشر .

﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ معنى ﴿**أمنتم**﴾ هو : إخبار من الله عزوجل عن قدرته ، وإخبار منه أنه لايأمن أعداؤه أخذ نقمته ، ومعنى ﴿**أمنتم**﴾ فهو : أَيِسْتُم أن يخسف بكم الأرض ﴿**أن يخسف بكم**﴾ يقول : أمنتم إلهكم أن يخسف بكم الأرض ، وأَيِسْتُم من أخذه لكم ، معنى ﴿**من في السماء**﴾ فهو : الله الواحد الذي هو في الأرض كما هو في السماء ، لايخلو منه مكان ، وهو الله الواحد ذو العزة والسلطان ،وقوله ﴿**يخسف بكم**﴾ أي : فهو تذهب وتميد بكم الأرض حتى تذهب بكم في بطنها ، وتصيركم في قعرها .

﴿**فإذا هي تمور**﴾ يقول : إذا هي تذهب بكم ذهابا ، وتهبط بكم في بطنها هبوطا ومعنى ﴿**تمور**﴾ فهي : تنخسف وتغور .

﴿**أم أمنتم من في السماء**﴾ يقول: ﴿**أم أمنتم من في السماء**﴾ :من هو في كل مكان من السماء وغيرها ، وهو الله الخالق لها ولغيرها .

﴿**أن يرسل عليكم حاصبا**﴾ فمعنى ﴿**يرسل**﴾ أي : فهو يصيبكم ، ويرمي بالحاصب عليكم ، و الحاصب : فهي الحجارة التي تحصبهم ، كما حصب قوم لوط فرماهم بالحجارة ، فيقول سبحانه : أمنتم أن يرميكم بها ، كما رمى من كان قبلكم بمثلها .

﴿**فستعلمون كيف نذير**﴾ يقول : ستعرفون كيف كان انذاري وإعذاري لكم وتحذيري لما ننزل بكم من بعد نزوله بساحتكم ، وحلوله بأهل المعاصي منكم .

﴿**ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير**﴾ ومعنى ﴿**ولقد**﴾ فهو : إيجاب لما كان منهم بتكذيب من قبلهم ، فمعنى ﴿**كذب**﴾ فهو : جحد واستهزأ ، و لم يوقن فيصدق بما جاء من الهدى ﴿**الذين من قبلهم**﴾ فهم : الأمم الذين كانت قبل هذه الأمة ﴿**فكيف كان نكير**﴾ يقول : قد رأيتم وأبصرتم كيف كان نكيري عليهم ومعنى نكيري : فهو تغييري وعقوبتي ، وماأحدثه ، وماأخذوا به من نقمتي ، على ماجترؤا عليه من مخالفتي .

ثم نبه سبحانه على نفسه بالطير الذي لاتكون إلا منه ، ولايقدر عليها أحد إلا هو احتجاجا بذلك عليهم ، وتأكيدا لحجته فيهم ، ثم قال سبحانه :﴿**أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمن**﴾ فقال سبحانه :﴿**أولم يروا إلى الطير**﴾ معنى ﴿**أولم يروا**﴾ فهو : ألم ينظروا ويبصروا ﴿**إلى الطير**﴾ الطيارة ، ذوات الأجنحة ، التي تطير في الهواء ، وتصف فوقهم ، فهي في الهواء فوق رؤوسهم و﴿**صافات**﴾ فمعناها : صافات أجنحتهن ، وصفها لأجنحتهن : فهو نشرها وتسكينها حتى تهدأ وتسكن ، حتى تكون كالشيء المنشور في الهواء لايتحرك منها أسف ولاأعلى ، فحينئذ يسمى مافعل ذلك من الطير صافا ﴿**ويقبضن**﴾ فهو : يضممن أجنحتهن الى جنوبهن ، ويخفقن بها تحريكا في طيرانهن ﴿**مايمسكهن**﴾ أي مايلزمهن في الهواء ، ويمنعهن إلا الله العلي الأعلى ، ومعنى إمساكه إياهن : فهو بما

جعل وقدر لهن من الريش الذي جعلهن به طائرات ، وفي الهواء واقفات صافات ودبر فيه وبه طيرانهن ، وجعله حاملا لأبدانهن ، وموقفا في الهواء لأعضائهن ، فلما كان ذلك منه وبه فيهن ذكر أنه سبحانه هو الممسك لهن ، و﴿الرحمن﴾ فهو : الرؤوف المتفضل ذو الإحسان .

﴿أنه بكل شيء بصير﴾ معنى ﴿إنه بكل شيء﴾ معناها : لجميع الأشياء من فعل أو جسم ﴿بصير﴾ فهو : عليم .

﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾ معنى ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾ فهذا تقريع من الله لهم وتوبيخ واعلام أنه لاجند مندونه لهم ينصرونهم منه ، والجند : فهم الأعوان من الأنصار والإخوان ﴿ينصركم﴾ يمنعكم ويقوم دونكم ينصركم .

﴿من دون الرحمن﴾ يعني : دون أمر الرحمن ، يريد من هذا الذي ينصركم من دون أمر الرحمن إن نزل بكم ؟.

﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ يقول : ماالكافرون إلا في اغترار وباطل ، وخديعة من الشيطان لهم ، وتماد في باطلهم .

ثم قال سبحانه :﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ يريد أمن هذا الذي يرزقكم ، ومعنى ﴿يرزقكم﴾ فهو : يسبب لكم رزقكم ، ويخرج لكم من الأرض معائشكم ﴿إن أمسك رزقه﴾ يقول : إن منعكم الله رزقه وأمسكه عنكم ، فلم تخرج الأرض نباتها ، ولم تسكب السماء منها ماءها حتى تموتون جوعا ، فمن يأتيكم بالرزق إن أمسكه فلن يأتي به أحد بعده .

ثم قال سبحانه :﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ معنى ﴿بل﴾ فهو : قد ، و العتو : فهو العنود والتكبر والإعراض عن الله ، والتجبر[1] والنفور : فهو الإعراض والصدود وقلة الإقبال على الحق والتمادي في الفسق .

---

(١) - في نسخة (والتحير) .

﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه﴾ يقول : يمضي على جهل ، ومعنى **﴿يمشي مكبا على وجهه﴾** يقول : يمضي على جهل من أمره ، ويعمل في غير صواب من عمله .

﴿أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم﴾ **﴿يمشي سويا﴾** معناها : يمضي معتدلا مستويا **﴿على صراط مستقيم﴾** معناها : على طريق مستقيم ، أراد سبحانه التمييز بين من يمشي مكبا على وجهه ، ماضيا على الخطأ من فعله ، مجنبا عن سبيل رشده ، وبين من كان على هدى من ربه ، وسبيل من رشده ، لايخطيء في أمره ولايعرج عن سبيل حقه ، فأخبر بذلك سبحانه أن من كان من أهل الضلالة والردى هم كمن يمشي مكبا على وجهه ، في غير هدى ، وأن من كان من أهل التقوى كالآخر الذي يمشي على الصراط المستقيم والإستواء ، وهذا مثل ضربه الله العلي الأعلى يفرق به بين أهل الضلالة والهدى .

ثم أخبر سبحانه بالدلائل عليه فقال : **﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾** معنى **﴿قل﴾** : أخبر وأنذر وكلم وبين ، أن الله هو الذي أنشأكم ، ومعنى **﴿أنشأكم﴾** أي : هو خلقكم وأنبتكم ، وفطركم وأوجدكم **﴿وجعل لكم السمع﴾** معنى **﴿جعل﴾** أي : ركب ربكم **﴿لكم﴾** أي : فيكم يقول : خلق لكم السمع ، الذي به تستمعون ، وهي الآذان التي بها تسمعون والأبصار : فهي العيون التي بها تبصرون ، والأفئدة : فهي القلوب التي بها تعقلون .

﴿قليلا ماتشكرون﴾ يقول : قليلا شكركم ، على ماأوليناكم من ذلك وأعطيناكم .

﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض﴾ فأمر سبحانه أن يحتج بذلك عليهم ؛ إذ هو فعل فيهم من ربهم ، ومعنى **﴿ذرأكم﴾** فهو : أنبتكم وأخرجكم وأوجدكم وخلقكم وثبتكم في الأرض **﴿وإليه تحشرون﴾** يقول : إليه ترجعون بعد موتكم ، في يوم حشركم ، وحين وقت بعثكم .

ثم أخبر سبحانه بما يقول الكافرون ، ويتداعى به المكذبون فقال سبحانه : **﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾** معنى **﴿يقولون﴾** هو : يلفظون

ويتكلمون ، ويمترون ويسألون ﴿**متى هذا الوعد**﴾ أي : متى هذا الوعد الذي به توعدوننا ؟ وبأسبابه تخوفوننا ، إنكارا منهم لوعد الله ووعيده ، وقلة إيمان بقوله : ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أي : تقولون أئتوا به إن كنتم من الصادقين ، معنى إن كنتم من الصادقين : أي إن كنتم من الوافين بوعدكم ، المحقين في قولكم .

ثم أمر نبيئه صلى الله عليه وعلى آله أن يرد العلم في ذلك إليه فقال :﴿**قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين**﴾ فمعنى ﴿**إنما العلم عند الله**﴾ أي : علم غيب ماتستعجلون به ، وتكذبوننا في ذكره عند الله إذا شاء أنزله ، وإذا شاء أمسكه ﴿**وإنما أنا نذير مبين**﴾ فمعنى ﴿**نذير**﴾ أي : محذر معذر ﴿**مبين**﴾ معناها : بين القول ظاهر الإعذار ، مبين للحق من الله ، مبلغ لرسالات الله ، لاآتيكم بعذاب ولاأصرف عنكم عقابا ، ولاعن نفسي ، أصرف ماأرادني به ربي ، وإنما أنا رسول من رسله أبلغ ماأمرني به .

﴿**فلما رأوه زلفة**﴾ معنى﴿**فلما**﴾ أي : فهو حين ﴿**رأوه**﴾ فهو : أبصروه وعاينوه ﴿**زلفة**﴾ فهو : معاينة مقاربة ومداناة مواجهة ﴿**سيئت وجوه الذين كفروا**﴾ معنى ﴿**سيئت**﴾ أي : اسودت ، ومعنى اسودت : فهو نزل بها السوء ، وحل بها وعاينت وواجهت ماكانت به مكذبة ، ومعنى ﴿**وجوه الذين كفروا**﴾ هم الكافرون في أنفسهم ، لا أن السوء نزل بالوجوه دون الأبدان ، بل الوجوه والأبدان ، وسائر أعضاء الإنسان ، وفي ذلك ماتقول العرب في أشعارها :

إني بوجه الله من شر البشر   أعوذ من لم يُعِذِ اللهُ دَمَرْ

فقال : بوجه الله ، وإنما أراد الله ، كذلك قوله سبحانه :﴿**سيئت وجوه الذين كفروا**﴾ أي : سيء الذين كفروا ، أي نزل بهم السوء والبلاء عند معاينتهم للعذاب والشقاء ، ومن ذلك مايقول الله تبارك وتعالى :﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [1] أراد بقوله سبحانه :﴿**ويبقى وجه ربك**﴾ أي : يبقى ربك ، فأخبر

---

(١) ـ الرحمن : ٢٧

عزوجل أن كل شيء هالك إلا ربه تبارك وتعالى ، فأراد بقوله :﴿إلا وجهه﴾ إلا هو و﴿الذين كفروا﴾ فهم : الذين كذبوا وأساؤا وظلموا وعتوا ، واعتدوا وعندوا .

﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾ فهذا قول من ملائكة الله لهم ، وتوقيف منهم صلوات الله عليهم للمكذبين على ماكانوا به يكذبون ، من وقوع الوعد والوعيد ، وماكان في ذلك من اخبار الواحد الحميد ، فقالت لهم ملائكة الله المكرمون :﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ (١) ومعنى ﴿توعدون﴾ فهو تخبرون وتعلمون ، وتخوفون به ، وترهبون .

ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم مايقول ، ويحتج عليهم بما ثبت في القول فقال : ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ يريد بقوله :﴿أرأيتم﴾ هو : أي أخبروني وأفهموني ، كيف القول عندكم إن أهلكني الله ومن معي أورحمنا ؟ فله القدرة علينا ، فماذا عليكم في ذلك أولكم ؟ ومايضركم أوينفعكم ؟ بل هذا مالايضركم ولاينفعكم ، أي ذلك كان من عند ربنا فينا ، ولن يكون منه إلينا غير الرحمة والرأفة ، والفضل والإحسان ، والمنة والعاطفة ، ولكن أخبروني ونبؤني من يجيركم أيها الكافرون من عذاب أليم ؟ إذا واقعتموه في يوم حشركم وعاينتموه ، فلن تجدوا لأنفسكم مجيرا من الله ، ولاناصرا من دون الله فهذا معنى قوله سبحانه :﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ ومعنى ﴿يجير الكافرين﴾ فهو : يمنع الكافرين ، ويدفع عنهم العذاب في يوم الدين .

ثم أمره صلّى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم مأأمره به من التسليم والإقرار به والتوكل عليه ، والإخلاص له فقال سبحانه :﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين﴾ معنى ﴿قل﴾ هو : كلمهم ، وانطق لهم ،واحتج عليهم ، وبين لهم أن الذي يجير ولايجار عليه هو الرحمن ، ذو المن والإحسان ، وإنا به

---

(١) ـ الأنبياء : ١٠٣ ، ولفظ الأصل (هذا يومكم الذي كنتم به توعدون) بزيادة به ، وهذه غير موجودة في الآية ولفظ الآية :﴿لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ .

آمنا ، فقال سبحانه :﴿قل هو الرحمن آمنا به﴾ يريد آمنا بأمانه أنفسنا من عقابه باتباع طاعته ، والإعراض عن معصيته ، ﴿وعليه توكلنا﴾ يقول :وعليه اتكلنا ومعنى اتكلنا : فهو عليه اعتمدنا ، وبه اكتفينا ، لانريد غيره ، ولانتوكل على سواه ﴿فستعلمون﴾ أي : ستعرفون وتفهمون ، وترون وتوقنون ﴿من هو في ضلال مبين﴾ يقول : من هو في باطل من أمره ، وحسرة من صنعه ، وفساد من دينه ، أنحن أم أنتم ؟ والمبين : فهو الظاهر المستبين ، الواضح للمتوسمين .

ثم أمره صلى الله عليه وعلى آله بتوقيفهم على ماهو عليهم حجة مما تبين له فيه القدرة فقال :﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾ معنى ﴿قل أرأيتم﴾ هو : قل ماتفعلون إن أصبح ماؤكم غورا ؟ يعني إن غار ماؤكم في الصباح والصباح : فهو أول النهار عند ادبار الليل وخروجه ، فيقول : إن غار ماؤكم في وقت الصبح فأصبحتم لاماء لكم ، ومعنى ﴿غورا﴾ أي : غار ذاهبا مغيبا في الأرض سائحا ﴿فمن يأتيكم بماء﴾ يقول : فمن يجلب لكم ماء ، ويأتيكم به ، ويرده في بياركم وأنهاركم ﴿معين﴾ فالمعين : فهو الظاهر ، فيقول سبحانه : إن غار ماؤكم فذهب ، فمن يأتيكم بماء غيره ، هل تعلمون أحدا يأتيكم به غير الله ؟ وساقيا يسقيكم الماء غيره سبحانه ؟ الذي ينزله من السماء الى الأرض فيسكنه فيها رزقا لكم وحياة لكم ، ولأنعامكم أفلا تعقلون وتفهمون مابه يحتج الله عليكم ، وتسمعون مما ترونه بأعينكم ، وتوقنون به بقلوبكم ، وتفهمونه بعقولكم من الدلائل في كل ماذكر ودل عليه تبارك وتعالى رب العالمين ، وتقدس أحكم الحاكمين .

تفسير ﴿سورة التحريم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تبارك وتعالى : **﴿ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾** **﴿ياأيها﴾** معناها : مناداة من الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وعلى آله ، ومعنى المناداة : فهو الأمر والمناجاة **﴿النبي﴾** فهو : الرسول وإنما سمي نبيئا ؛ لأنه نبأ بما يأتي به من الله تبارك وتعالى من الأخبار والأمور التي جعلها الله سبحانه وحيا وديانة وفرضا ، ومعنى ينبي : فهو يعلم **﴿لم تحرم﴾** معنى **﴿لم﴾** هو: لأي معنى تحرم ، ومعنى **﴿تحرم﴾** فهو : تجعله على نفسك حراما ، وتعتزل ماجعل الله لك منه حلالا ، ألا تسمع كيف يقول : لم تحرم الذي أحل الله لك معنى **﴿أحل﴾** فهو : جعل وأطلق لك **﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾** معنى **﴿تبتغي﴾** : تريد وتطلب وتأتي وتسبب لمرضاة أزواجك ، معنى **﴿مرضات﴾** فهو: محبة أزواجك ومرادهن ، ومسارهن ومبتغاهن ، والأزواج : فهن الزوجات **﴿والله غفور رحيم﴾** فهو : قبول للتوبة ، مقيل للعثرة ، ومعنى **﴿رحيم﴾** فهو : عائد بالفضل ، رحيم بمن أحسن ، متعطف على التائبين .

[سبب النزول]

وسبب ماذكرالله تبارك وتعالى مما ذكر من تحريم نبيئه صلى الله عليه وعلى آله لما أحل له : فهو أنه صلى الله عليه وآله وقع يوما من الأيام على جاريته وسريته مارية القبطية في بيت عائشة بنت أبي بكر ، فاطلعت عليه وصاحت وألاحت ، وقالت : في منزلي وعلى فراشي ، وفي موضعي ، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واحتشم ، وداخله في ذلك من الحياء ماداخله معه من الندم ، فقال صلى الله عليه لها: اسكتي ياعائشة فإني لأعود إليها ، ثم قال عليه السلام :(والله لادنوت منها أبدا) حياء منه صلى الله عليه وتكرما وكراهية للائمتها ، وتسلما ، فعاتبه الله عزوجل فيما

حرم من جاريته ، وأمره بتكفير اليمين التي أقسم بها في غشيان سريته مع ماعاتبه فيه في تحريمها على نفسه ، ومعنى تحريمه لها : فهو قسمه با لله لايغشاها ، فسمى ا لله تبارك وتعالى اعتزاله لها ، وقسمه فيها تحريما من رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله على نفسه ؛ إذ كان بقسمه تحريم ماكان يحب من الدنو منها ، الذي جعله ا لله له حلالا فيها ، فأنزل ا لله سبحانه :

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم﴾ فأمره سبحانه بتحليل يمينه . معنى **﴿قد فرض الله لكم﴾** فهو : جعل ا لله لكم ، وحكم بتحلة أيمانكم ، معنى **﴿تحلة﴾** فهو : كفارة أيمانكم ، التي تحل لكم بالكفارة ماكنتم حرمتموه بالقسم على أنفسكم ، فمعناها حلفكم با لله وقسمكم **﴿والله مولاكم﴾** يقول : وا لله وليكم والفاعل لما يشاء بكم وفيكم **﴿وهو العليم الحكيم﴾** فهو : العالم بسرائر القلوب ، المطلع على كل مستترات الغيوب **﴿الحكيم﴾** فهو : المتقن لكل مادبر ، المحكم لكل ماقدر ، فأخبر تبارك وتعالى أنه جعل لنبيه صلى ا لله عليه وعلى آله كفارة يمينه ، وكفارة اليمين با لله تبارك وتعالى فهو ماذكر ا لله سبحانه من اطعام عشرة مساكين أوكسوتهم ، أوتحرير رقبة ، أوصيام ثلاثة أيام لمن لم يجد ، وذلك قوله: **﴿لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أوكسوتهم أوتحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾** (١) فكفر ـ صلى ا لله عليه وعلى أهل بيته ـ عن يمينه ورجع إلى جاريته ، ولم يلتفت إلى ماكان من أمر زوجته .

ثم أخبر سبحانه بما كان أسر إلى بعض أزواجه ، فهي عائشة ، وذلك أنه كان صلى ا لله عليه وآله قال لها حين صاحت وألاحت ، وشنعت وأشاحت : اسكني حتى أسرك بشيء ، وأخبرك بأمر ، فكان الذي أخبرها به أن قال لها : إن أباك يلي هذا الأمر من بعدي ، ثم يليه عمر من بعده ، ثم أمرها بكتمان ذلك عليه ، وألا تخبر

---

(١) ـ المائدة : ٨٩

به أحدا ، فيقال : إنها أخبرت به من ساعتها حفصة ابنة عمر ، ثم إنهما دعتا أبويهما فأخبرتاهما بما أخبرهما به رسول الله صلى الله عليه وآله [1] يقال : إنه عند ذلك كان سبب اعراض رسول الله عن ذكره ، فلم يبكتها بشيء من أمره ، فهو الذي قال الله تبارك وتعالى :﴿**وأعرض عن بعض**﴾ معنى ﴿**وإذ أسر النبيء**﴾ فهو : أخفى سرا ، وألقاه اليها ﴿**إلى بعض أزواجه**﴾ فهي : عائشة ﴿**حديثا**﴾ فهو : خبرا وسرا ﴿**فلما نبأت به**﴾ معنى ﴿**فلما** [**نبأت به**]﴾: أظهرته وأخبرت به ، ولم تحفظ فيه سره ﴿**وأظهره الله عليه**﴾ معنى ﴿**أظهره الله عليه**﴾ فهو : أطلعه عليه ، وأعلمه بما كان من افشائها له ﴿**عرف بعضه**﴾ فهو : عرفها بعض ماأفشت عليه ، وبعض ماكان منها فيه ﴿**وأعرض عن بعض**﴾ ومعنى ﴿**أعرض**﴾ هو : ترك ، ولم يخبر ، ولم يبكت ببعض ماكان منهم في ذلك ، فكان الذي **عرفها** من فعلها أنه قال لها : لم أخبرت أباك بما استكتمت ؟ وأخبرت حفصة وعمر ؟ وقد جعلت ذلك لي عندك سرا وأعرض صلى الله عليه وعلى آله عما قيل : إنه كان منهم في ذلك ، فلم يذكر منه شيئا .

﴿**فلما نبأها به**﴾ يقول : أعلمها بأنه قد علم بأمرها ، واطلع على ماكان من افشائها سره الذي كان عندها ﴿**قالت من أنبأك هذا**﴾ معنى ﴿**من أنبأك**﴾ : من

---

(١) ـ قال في حاشية في الأصل المنقول عليه هذا التفسير مالفظه :﴿نعم والذي رواه الشيخ ابوجعفر الهوسمي الناصري في زوائد الإبانة عن الإمام ترجمان العترة الكرام ، ونجم آل الرسول الفخام القسم بن ابراهيم عليه السلام (أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة : إن أباك وعمر سيليان الأمر بعدي عاديين ظالمين ....) فلما سمعت منه هذه الثلاثة الألفاظ أخبرت حفصة ، هكذا ذكره ابوجعفر

وهذا مثل اخباره صلى الله عليه وعلى آله بخروج عائشة على أمير المؤمنين عليه السلام حين قال لنسائه :(أيتكن الخارجة على أخي علي عليه السلام يحملها الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب يقتل حولها قتلى كثيرون كلهم في النار) ثم التفت الى عائشة فقال : إياك أن تكونيها ياحميراء ، وقوله صلى الله عليه وعلى آله للزبير وقد تبسم يوما إلى وجه علي عليه السلام فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلم :(أتحبه)؟ فقال : وكيف لاأحبه يارسول الله وهو ابن خالي ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلم :﴿أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم﴾ ولما ذكره علي عليه السم هذا الخبر يوم الجمل اعتزل القتال كما هو مذكور في السير .[قال في آخر الحاشية] انتهى باللفظ من لفظ القاضي العلامة الحبر الفهامة شمس الدين ، والصفوة في الشيعة الأكرمين أحمد بن محمد بن ناصر بن عبدالحق ، وبخطه بعد لفظه قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وحشره في زمرة من أحبه وإيانا ، وكافة المؤمنين والمؤمنات .

أعلمك وأخبرك بهذا الذي كان مني ، من إفشاء سرك ، وإظهار أمرك ﴿**قال نبأني العليم الخبير**﴾ معنى ﴿**قال**﴾ فهو : تكلم وذكر وقال وأخبر ﴿**نبأني**﴾ يقول : أعلمني وأخبرني ﴿**العليم الخبير**﴾ فهو رب العالمين ، الذي أعلمه بذلك منها وأعلمه بما أفشت من سره عنها ﴿**العليم**﴾ فهو : الذي لايخفى عليه شيء ، العالم بالأشياء الذي لايسقط عنه منها شيء ﴿**الخبير**﴾ فهو : المحيط بسرائر خلقه ، الذي يعلم مايصلحهم ويفسدهم ، فليس يسقط عنه من أسبابهم ولاأمورهم قليل ولا كثير ، كبير ولاصغير .

ثم قال سبحانه :﴿**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**﴾ معنى ﴿**إن تتوبا**﴾ فهو : إن ترجعا وتنيبا الى الله سبحانه ، من فعلكما وتتوبا ﴿**فقد صغت قلوبكما**﴾ يقول : فقد مالت عن الحق قلوبكما ، وركنت قلوبكما الى الباطل ﴿**وإن تظاهرا عليه**﴾ فهو : إن تعاونا وتكاتفا على رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته وتماليا ﴿**فإن الله هو مولاه**﴾ يقول : هو وليه ، والدافع عنه ، والمعين له ﴿**وجبريل**﴾ فجبريل صلى الله عليه فهو الملك الأمين ، الرسول بين الله عزوجل وبين نبيئه ، المبين ﴿**وصالح المؤمنين**﴾ فهم : أهل الطهارة ، والفضائل من المسلمين ، ذو الورع والتقوى والتجريد في أمر الله والهدى ﴿**والملائكة**﴾ فهم : ملائكة الله المقربون، الذين يسبحون الليل والنهار لايفترون ، معرفة منهم بحق ربهم ، واجلالا بذلك لخالقهم ﴿بعد ذلك ظهير﴾ ﴿**بعد ذلك**﴾ فهو : بعد تولي ماذكرنا من الله سبحانه وجبريل وصالح المؤمنين ﴿**ظهير**﴾ فهو : معين لصالح المؤمنين على مناصرة رسول رب العالمين

﴿**عسى ربه إن طلقكن**﴾ معنى ﴿**عسى**﴾ هي : كلمة إيجاب من الله للمؤمنين يريد سبحانه بها الإخبار عن فعله بنبيئه صلى الله عليه وعلى آله إن طلق من قد آذاه وأظهر سره ، ولم يستر عليه أمره ، فقال سبحانه :﴿**عسى ربه إن طلقكن**﴾ ومعنى ﴿**طلقكن**﴾ فهو : فارقكن ، ومعنى فارقكن : فهو أخرجكن من حباله وتركَكن .

﴿**أن يبدله أزواجا**﴾ يريد : أن يجعل بدلكن له أزواجا ، ومعنى ﴿**أزواجا**﴾ فهو: زوجات ونساء ﴿**خيرا منكن**﴾ ومعنى ﴿**خيرا منكن**﴾ فهو : أفضل منكن ، يأمن إِفْشَاءَ[هُنَّ] عليه سره من أزواجه ، وأظهر عليه أمره من نسائه .

﴿**مسلمات**﴾ فمعناها : مستسلمات الى الله ، ومعنى مستسلمات : فهو مُسَلِّمَات أنفسهن إلى الله ، ومعنى مسلمات أنفسهن الى الله : فهو مفرغات أنفسهن في طاعة الله ، غير مشتغلات بشيء سوى مرضاة الله .

﴿**مؤمنات**﴾ فمعناها : مؤمنات لأنفسهم بصالح أعمالهن من عذاب ربهم .

﴿**قانتات**﴾ فالقانتات : فهن الداعيات المستغفرات الذاكرات لله ، المنيبات لله وأفضل قنوتهن ودعائهن : فهو مايكون منهن في ادبار صلاة الصبح المفروضة عليهن من القنوت بما فيه من الدعاء من القرآن ، الذي نزل من عند الواحد الرحمن .

﴿**تائبات**﴾ معناها : راجعات الى الله ، خارجات مما كن عليه من الدين مصدقات للرسول المبين ، مقرات بالحق للمحقين .

﴿**عابدات**﴾ فهن : المطيعات لله ، المتقيات المواضبات على طاعة الله المؤمنات .

﴿**سائحات**﴾ فالسائحات : فهن المهاجرات الى الله ورسوله ، التاركات لأهل الكفر والجحدان ، المهاجرات الى دار السلام والإيمان .

﴿**ثيبات**﴾ فهن : اللواتي قد تزوجن وعقلن ، وفهمن وكمل أدبهن ، وباشرن الأشياء ، حتى عرفن مايصلح للأزواج من الخدمة والقيام ، والمعاشرة لهم والإكرام فذكر الله سبحانه تبديل نبيه عليه السلام من الأزواج الثيبات ؛ لما ذكرنا من فضلهن على الأبكار بالخدمة للأزواج ، والإصطبار والمعرفة بحسن العشرة ، فأراد بذكرهن في هذه الحالة ماذكرنا من منافعهن ، واجلالهن لأزواجهن ، لما هن عليه من التجريد والمعرفة بما لاتعرفه البكر ، بحسن القيام للبعل في كل أمر .

وأراد بذكر الأبكار فقال :﴿**وأبكارا**﴾ ماالأبكار عليه ، وتشتمله من لذاذة القرب والحلاوة على القلب ، لما هي عليه من الغرة والصبا والإستطراف من الزوج لها في كل معنى .

ثم قال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه :﴿**ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون**﴾ معنى ﴿**ياأيها الذين آمنوا**﴾ فهو : مناداة من الله عزوجل للمؤمنين ، وأمر منه لعباده الصالحين ﴿**قوا أنفسكم**﴾ فمعنى ﴿**قوا أنفسكم**﴾ أي :كفوا عن أنفسكم ، فادفعوا عنها ، وعن أهليكم ﴿**نارا**﴾ ومعنى دفعهم للنار عن أنفسهم ، وعن أهليهم : فهو تعليمهم لأهليهم مافيه نجاتهم وتوقيفهم على ماأمرهم به ربهم ، و تحذيرهم عما نهاهم عنه سيدهم ، فإذا فعلوا ذلك بأنفسهم وبأهليهم كانوا .بما أخرجوا به أنفسهم وأهليهم من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى التقوى ـ واقين للكل من النار والعذاب ، مستوجبين بذلك لما وعد المؤمنون من الثواب ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾ فمعنى ﴿**وقودها**﴾ فهو : حطبها ومابه تأجج في استيقادها ﴿**الناس**﴾ فهم : الإنس ﴿**والحجارة**﴾ فهي : الحجارة المعروفة من الصخور والجبال ، وقد قيل: حجارة الكبريت ، وأي ذلك كان فهي حجارة كما ذكر الرحمن وقودا لما جعل الله من النيران ﴿**عليها ملائكة**﴾ فمعنى ﴿**عليها**﴾ أي : خزنة جعلت عليها ، وَقَوَمَةٌ فيها ، تصب الحميم على رؤوس أهلها وتعذب من صار فيها ، كما قال سبحانه :﴿**ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**﴾ [1] فهم عليها موكلون ، وبتعذيب من فيها من الثقلين مأمورون ، وهم صلوات الله عليهم بها قائمون ، ومن ألمها وحرها وعذابها سالمون ، لاينالهم فيها حر ولاتعب ، ولايصيبهم فيها غم ولانصب ﴿**غلاظ شداد**﴾ ومعنى ﴿**غلاظ**﴾ فهم : فظاظ ، والفظاظ : فهم الذين لارحمة في قلوبهم لمن يعذبونه ، ولارقة عندهم على من يصلونه ﴿**شداد**﴾ فهم: الأقوياء في أبدانهم ، الأشداء في استطاعتهم ، المقتدرون على كل أمرهم ﴿**لايعصون الله ماأمرهم**﴾ معناها : لايخالفون الله ﴿**ماأمرهم**﴾ معناها :

---

(١) ـ الدخان : ٤٨

فيما أمرهم ، ومعنى أمرهم : فهو مايأمرهم به من تعذيب المعذبين ، وايصال الوعيد الى الفاسقين ﴿**ويفعلون مايؤمرون**﴾ معناها : يصيرون الى ماجعلوا له ، ويمضون ما أقيموا فيه ، ولايعصون آمرهم ، ولايخالفون جاعلهم ، ولايتكلفون أمرا يأتون به من أنفسهم ، فهم لأمر الله مسلمون ، وبه في كل الأسباب مؤتمرون .

ثم ذكر سبحانه اعتذار الكافرين في يوم الدين ، عند وقوع الحسرة والندامة بالفاسقين فقال تبارك وتعالى :﴿**ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم**﴾ معنى ﴿**ياأيها الذين كفروا**﴾ فهو : نداء من الله ، وتوقيف لأهل الكفر من الناس ، وتعريف والذين كفروا : فهم الذين أساؤا وظلموا ﴿**لاتعتذروا**﴾ ولاتحدثوا توبة ، فلن تقبل لكم ، ولاتبدوا من القول مالاينفعكم ﴿**اليوم**﴾ فهو : يوم القيامة .

﴿**إنما تجزون ماكنتم تعملون**﴾ معنى ﴿**تجزون**﴾ : تعطون وتدانون ، فأخبر سبحانه أنهم لن يجازوا إلا بفعلهم ، ولن ينالهم عذاب إلا بعملهم ، وذلك قوله :﴿**ماكنتم تعملون**﴾ يقول : جزاكم ماكنتم تعملون .

ثم ذكر سبحانه حال المؤمنين ، وأمرهم بما أمر به من كان قبلهم من المتقين فقال :﴿**ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾ معنى ﴿**ياأيها**﴾ فهو : أمر من الله للمؤمنين ، يريد ياأيها الذين ، ومعنى ﴿**الذين آمنوا**﴾ : فهم الذين اتقوا وأحسنوا إلى أنفسهم ، حتى أمنوا عقاب ربهم ﴿**توبوا الى الله**﴾ معنى ﴿**توبوا**﴾ أي : أخلصوا التوبة إلى الله ، والعمل الصالح لله ﴿**توبة نصوحا**﴾ يقول : أخصلوا لها اخلاصا ﴿**نصوحا**﴾ ومعنى ﴿**نصوحا**﴾ فهو : خالصا ثابتا ، يقول : أخلصوا له .

﴿**عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم**﴾ معنى ﴿**عسى**﴾ فهو : إيجاب من الله لمن تاب توبة نصوحا أن يقبل منه توبته ، ويكفر عنه سيئآته ، وهي كلمة تشبه الشك وهي كلمة تستعملها العرب في ايجابها للشيء ، وتصحيحها له ﴿**أن يكفر**﴾ معنى ﴿**يكفر**﴾ فهو : يغفر ويهب ، ويصفح عن سيئاتكم ، والسيئات : فهي الخطايا الموبقات .

﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ يقول : إذا كفر عنكم سيئاتكم أدخلكم جنات ، والجنات : فهي دار النعيم والكرامات ، والحالات القيمات ، ذوات الثمار والأنهار **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** يقول : تجري من تحت [1] أشجارها وثمارها ، ودورها وقصوها ـ الأنهار ، فهي فوق الأرض سائلة ، ومن تحت ماذكرنا جارية ، والأنهار : فهي الغدر والمياه المتفجرة ، بعضها من بعض .

﴿يوم لايخزي الله النبي﴾ واليوم الذي لايخزي الله فيه النبيء فهو يوم القيامة ويوم الحشر للمؤمنين والسلامة , والشقاء للكافرين والندامة **﴿لايخزي﴾** فهو : لايفضح ولايسوء ، بل تفلح حجته ، وتظهر فيه كرامته .

﴿والذين آمنوا معه﴾ يقول : والذين آمنوا أيضا مع رسولهم ، لايخزون ولايرون مايسوؤهم ، ولايَرْدَوْنَ ، بل يرون السرور في ذلك اليوم من ربهم ، ويتنجزون مواعيدهم من خالقهم **﴿معه﴾** فهو مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله .

﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ معنى **﴿نورهم﴾** فهو : برهانهم ،وماجعله الله سبحانه من حجة الإيمان لهم ومعهم ، ومعنى **﴿يسعى﴾** فهو : يظهر بين أيديهم **﴿وبأيمانهم﴾** فهو : تبينِ براهين الدلالات ، وكرامات البشارات ، فهو ظاهر لايخفى على الناظرين ، ولايغيب [2]عن المبصرين .

﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ معنى **﴿يقولون﴾** فهو : يسألون ويطلبون **﴿ربنا﴾** يعني يقولون : ياإلهنا ، وخالقنا ومالكنا **﴿أتمم لنا نورنا﴾** يريدون بذلك أتمم لنا ماقد أعطيتنا من هذه النور ، وظهور الحجة وكرامات البشارة بإيصالنا إلى ماوعدتنا من دار كرامتك ، والخلاص من موقف حسابك **﴿واغفر لنا﴾** هو : ارحمنا ، وتجاوز عما كان منا **﴿إنك على كل شيء قدير﴾** معناها : إنك على كل ماتريد مقتدر ، ومعنى مقتدر : فهو قادر فاعل ، فكان

---

(١) ـ لفظ الأصل :(تجري من تحت الأشجار أشجارها) بزيادة أشجار ، وقد حذفنا اللفظ المكرر .

(٢) ـ في نسخة (ولا يتغيب)

ذلك من قولهم اقرارا لربهم بالقدرة ، وتقديسا منهم واجلالا وتبجيلا وتعظيما وهيبة في كل حال .

ثم أمر نبيه صلى الله عليه وعلى آله بجهاد من عَنَدَ عن الله من الكفار والمنافقين وبأن يبتديء الغلظة على جميع الفاسقين ، فقال :﴿**ياأيها النبيء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**﴾ معنى ﴿**ياأيها**﴾ فهو : أمر من الله لنبيئه صلى الله عليه وآله بما أمره به من جهاد عدوه ، معنى ﴿**النبيء**﴾ فهو: المنبي عن الله سبحانه بوحيه الرضي ﴿**جاهد الكفار**﴾ فهو : نابذ الكفار ، وقاتلهم وابسط يدك بالسيف عليهم ، والكفار : فهم الذين كفروا بالله وأشركوا وكذبوا بآياته وأنكروا ، والمنافقون : فهم المدغلون في الدين ، الذين يفسدون عليه صلى الله عليه وآله ، ويعطونه من ألسنتهم ماليس في قلوبهم ، ويبدون له الإسلام ، ويفسدون عليه ضعفة الأنام ، فأمره سبحانه بالجهاد لمن نابذه من أولئك ، وأظهر له ما يخفيه من المعصية والعداوة في ضميره ﴿**واغلظ عليهم**﴾ يقول : اشتد عليهم ، وكن بهم فظا غير رحيم ﴿**ومأواهم**﴾ يريد مصيرهم ومعادهم ﴿**جهنم**﴾ وجهنم : فهي النار ﴿**وبئس المصير**﴾ يقول : بئس المرجع والقرار ، والمصير والدار ، ومعنى ﴿**بئس**﴾ فهو شر مصير ، ومصير فمعناها : الموضع والمنزل والمرجع الذي يرجع اليه ويصار فيه

ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكافرين ، فأخبر بأمرهم وحالهم ، وأنه لايغني عنهم الأولياء الصالحون من الأزواج والأولاد ، والآباء والأبناء في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما لم يغن ذلك عمن كان كذلك في عصر نوح ولوط صلى الله عليهما ، فضرب في ذلك مثلا لأزواج الرسول صلى الله عليه ، الذين ذكر عنهم في أول السورة ماذكر يخبرهن أن نكاح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لهن لايغني عنهن من الله شيئا ، إن عدلوا عن الحق ، ولم يتبين عما كان من تظاهرهما على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وأنه لامنجاة من ذلك إلا بالتوبة عن تلك المهالك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لايغني بنكاحه لهن ، ولامقاربته إياهن ، وأنه لانجاة لهما مما فعلتا إلا بالتوبة عما كانتا صنعتا ، وإلا كانت حالهما كحال غيرهما من امرأة نوح وامرأة لوط صلى الله عليهما فقال سبحانه في ذلك :

﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ فضرب الله هذا المثل لجميع الكافرين، الذين لهم أولياء صالحون، من قريش وغيرهم من الناس أجمعين، فأخبر بما ضرب من ذلك أن الولي الصالح لاينفع عند الله غدا وليه الطالح، وأن ليس من الله نجاة إلا بالعمل الصالح، وبالتوبة النصوح وبالرجوع إلى الله في كل فعل أوقول، سرا وعلانية، وأن حال من كان كذلك كحال امرأتي نوح ولوط صلى الله عليهما لما خانتا نوحا ولوطا صلى الله عليهما فصارتا بخيانتهما إلى النار، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، معنى **﴿تحت عبدين﴾** فهو: عند عبدين **﴿من عبادنا﴾** يقول: من عبيدنا **﴿صالحين﴾**: فهما مؤمنين تقيين **﴿فخانتاهما﴾** فهو عَصَتَاهُمَا وصارتا إلى مضادتهما، ومعاندتهما في ماحرمه الله عليهما، من مخالفتهما فيما عصتا ربهما، بخيانة وليبه، استحقتا النار بعصيانهما الجبار ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾ **﴿فلم يغنيا﴾** معناه: فلم ينفعاهما، ولم يدفعا منهما شيئا مما نزل بهما من عذاب ربهما **﴿وقيل ادخلا النار﴾** معنى **﴿قيل﴾**: فهو حكم عليهما، فأوجب العذاب **﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾** يقول: صيرا إليها وحلا فيها، وادخلا مع الداخلين، وكونا من سكانها يوم الدين.

ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمنين الذين يكونون مع الأولياء الفاسقين فقال: **﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذا قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين﴾** معنى **﴿ضرب الله مثلا﴾** فهو: جعل الله مثلا، ضربه للمؤمنين، الذين هم مع الأولياء الطالحين الفاسقين، ليخبرهم أن ضلال أوليائهم ليس بضار لهم، إذا أخلصوا لله نياتهم، وقدموا التوبة إلى ربهم، كما لم يضر امرأة فرعون ضلال فرعون، فقال: **﴿ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله﴾** فمعنى **﴿قالت رب ابن لي﴾** فهو: دعت وسألت ربها بأن يجعل لها في دار الآخرة عنده منزلا أفضل من منزل فرعون

وأكرم ﴿**بيتا في الجنة**﴾ فهو منزلا في الجنة ، والجنة : فهي جنة المأوى التي جعلها الله تبارك وتعالى للمؤمنين ثوابا ﴿**ونجني من فرعون**﴾ تقول : خلصني من فرعون ومعنى خلصني : فهو أرحني منه ، وانقلني منه إليك ﴿**وعمله**﴾ تقول : أرحني مما أرى من عمله ، الذي لاأقدر أن أغيره عليه ﴿**ونجني من القوم الظالمين**﴾ معنى ﴿**نجني**﴾ فهو: تخلصني وتنجيني ، وتنقذني من قرب القوم الظالمين ، والقوم الظالمون : فهم الظالمون لأنفسهم بعصيانهم لربهم ، وهم قوم فرعون ، وأهل ملته الساعون في طاعته .

﴿**ومريم ابنت عمران**﴾ فأخبر أيضا أنها ضربت مثلا للمؤمنين ، كما ضرب امرأة فرعون ﴿**ومريم ابنت عمران**﴾ : فهي أم المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه ﴿**التي أحصنت فرجها**﴾ معنى ﴿**التي**﴾ فهو : هي ، ومعنى ﴿**أحصنت**﴾ فهو حفظت وصانت عن معاصي الله فرجها ، ولم تصرفه إلى شيء مما يسخط ربها وفرجها : فهو قبلها ﴿**فنفخنا فيه**﴾ يقول : جعلنا فيه ، وجعلنا في رحمها ، وصورنا ﴿**من روحنا**﴾ فمعنى ﴿**من روحنا**﴾ فهو الروح الذي خلقنا فيه ، هو عيسى بن مريم صلى الله عليه ، وإنما نسبه إليه فقال :﴿**روحنا**﴾ لأنه خلقه وفعله ، مثل قوله :﴿**واذكر عبدنا أيوب**﴾[1] فقال : عبدنا ؛ لأنه من فعله ، كما قال : ﴿**من روحنا**﴾ لأنه روح خلقه وصوره ، فنسبه إليه ؛ إذ هو فعله ، كما نسب العبد اليه ؛ إذ كان خلقه وفعله [2] فقال :﴿**فنفخنا فيه من روحنا**﴾ يقول : جعلنا في عبدنا المسيح وخلقناه وفطرناه وصورناه ، من غير ذكر ، كما خلقنا غيره في غير مريم عليها السلام من الذكر ، فكان ايجادنا في رحم مريم من غير ذكر كإيجادنا غيره من عبادنا من الذكران ، وكان ذلك شيئا سهلا هينا حقيرا ﴿**وصدقت**﴾ فهو : آمنت وأيقنت وقبلت وأقرت ﴿**بكلمات ربها**﴾ فكلمات ربها : هي وحيه الذي أوحى اليها حين تمثل لها جبريل عليه السلام بشرا سويا ، فقالت : ﴿**إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس**

(١) ـ ص : ٤١

(٢) ـ في نسخة (إذ كان من خلقه وفعله) .

ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾[1] فلما أن قال لها جبريل صلى الله عليه ماقال من قوله ، وجاءها بما جاءها من أمر الله به فصدقته في ذلك وأيقنت به ، وعلمت أنه من عند الله ، ولم تنكر قدرة الله فسلمت لأمر الله ، فهذا الذي كان من كلام جبريل عليه السلام وقوله لها ، وما أداه عن الله إليها مما يريد أن يجعله الله في رحمها ، ويهب لها من ابنها عيسى عليه السلام ، فهو الكلمات الذي صدقت بهن ، وقبلتهن ، ولم تكذب جبريل في شيء منهن ، ولم يدخلها شك في أنه رسول من الله ولاارتياب وأن الأمر الذي جاء به إليها هو من عند الله ، فذكر تصديقها بالكلمات التي وجه جبريل بها إليها ، فألقاها إليها ، واحتج بهن عليها ، فصدقته فيهن ، وقبلت ماجاءها به منهن ﴿وكتبه﴾ فالكتب التي صدقت بها ، فهي كتب موسى وصحف ابراهيم صلى الله عليهما ، فكانت بذلك مصدقة ، وبأنبيائه مقرة عارفة ، وبشرائعهم متعلقة ﴿وكانت من القانتين﴾ والقانتون : فهم الداعون إلى الله ، المسلمون لأمره القائمون بحكم الله ، فكانت كما ذكر الله سبحانه قانتة ، وله عزوجل بالنجاة سائلة، فأجاب الله قنوتها ، وشكر عملها ، وتقبل سعيها ، وجعلها مثلا للمؤمنين ، خصهم بالإقتداء بها ، وأخبرهم أنه لم يرزأها كفر أهل زمانها ، وإن كلا مأخوذ بعمله وقوله، ومجازى بسعيه ، وأنه لاتزر وازرة وزر أخرى ، وأن الله يجزي كلا بالجزاء الأوفى .

تفسير سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله عزوجل ﴿ياأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ معنى ﴿ياأيها﴾ فهو : نداء من الله سبحانه لنبيه عليه السلام ، وأمر ودلالة منه على مافيه الرشد له وللمؤمنين ، ولجميع من معه من أوليائه الصالحين ، ومعنى ﴿ياأيها﴾ فهو : أيها ، ﴿النبي﴾ فهو : الرسول المنبي بماياتيه من وحي الله العلي ﴿إذاطلقتم﴾ يقول : إذا فارقتم ﴿النساء﴾ وهن الأزواج ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾

---

[1] - مريم ١٨ - ٢١

معناه : فارقوهن لعدتهن ، والعدة : فمعناها الطهر من غير جماع ، والعدة المذكورة المجعولة من القروء الثلاثة ، أوالثلاثة الأشهر هي التي جعلت عدة للمطلقات ﴿وأحصوا العدة﴾ فيقول : عُدُّوا الأيام واحفظوها ، والأقراء والعدة : فهي ثلاث حيض ، للتي تحيض من النساء ، وثلاثة أشهر مع التي لاتحيض من صغر أوكبر .

﴿واتقوا الله ربكم﴾ يقول : اتقوه في إحصاء ذلك كله ، والإحاطة به ، لاتعجلوا عن إتمامه ، ولاتحبسوهن بعد وفائه ، يقول : لاتعجلوا من أجل النفقة ؛ فتخرجوهن من قبل أن يستتمن العدة ،ولاتحبسوهن بعد انقضاء عدتهن ؛ لتضاروهن بالحبس لهن.

ثم قال سبحانه :﴿لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ معنى ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن﴾ يقول : لاتخرجوهن من البيوت اللواتي طلقن فيها ، وكن مع الأزواج حالاَّت بها ﴿ولايخرجن﴾ معناها : لايسدى إليهن قبيح يخرجن به من ضيق ولاعسر ولاقبيح من الأمر ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ معنى ﴿إلا أن يأتين﴾ فهو : إلا أن يفعلن فاحشة ، والفاحشة : فهي المعصية لله في كل شيء من كبائر معاصيه ، اللواتي حرم فعلها ، وقد قيل : إن الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة ، وليس ذلك بشيء بل هو أمر مما حرم الله عليهم من ذلك ومن غيره ، معنى ﴿مبينة﴾ فهو : مبينة لنفسها ، مظهرة لما جاء من صاحبها ﴿وتلك حدود الله﴾ ومعنى ﴿تلك﴾ فهو : هاتيك ، ومعنى هاتيك : فهي هذه الشروط والمعاني والأمر ، والنهي الذي حد لكم من أمر الله ، وأوقفكم عليه من فرض الله من شروط الطلاق وحدوده ، ومعاني العدة وأسبابها ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ فمعنى ﴿يتعد﴾ هو : يتجاوزها ، ويتخلى عنها ، ويتركها ، ويفعل غير مايأمر به منها ﴿حدود الله﴾ فهي : فروض الله ، التي جعلها ، وحدوده التي أوقف سبحانه عباده عليها ﴿فقد ظلم نفسه﴾ يقول : ظلمها بما أدخلها فيه مما أوجب عليها من عذاب ربها .

﴿لاتدري﴾ يقول : لاتعلم مايكون ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ يقول : لعل الله يأتي بعد الفراق بأمر من المراجعة والإتفاق ، ومعنى ﴿بعد ذلك﴾ فهو : بعد ماكان من الفراق ، وماجاء بينهما من الطلاق ﴿أمرا﴾ يريد : مراجعة وصلحا .

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ يقول : إذا بلغن آخر عدتهن ، وقضين ماأوجبنا عليهن من مدتهن ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ يقول : راجعوهن بالأمر المعروف عند الله ، وعند المسلمين ، الذي تجوز به مراجعتهن ، ويحل بكينونته الإفضاء إليهن .

﴿أوفارقوهن بمعروف﴾ فمعنى ﴿فارقوهن﴾ يقول : أتموا لهن ماقد أوقعتم عليهن من طلاقهن ، وعزمتم عليه من فراقهن ، بالتخلية لهن ، والإشهاد بذلك من أمرهن ومعنى قوله :﴿بمعروف﴾ فهو : بأمر حسن مفهوم ، وأمر من المفارقة معلوم ، ومعنى معلوم : فهوَ مشهود عليه ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :

﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ فمعنى ﴿ذوي عدل منكم﴾ فهما : صاحبا العدل في فعلهما وقولهما ، ومايكون من حكمهما ، والعدل : فهو الحق والقسط ، يقول : أشهدوا على مايكون من الفراق ، وانقضاء العدة والطلاق عدلين من عدولكم ليكون ذلك أنفع في العاقبة لهن ولكم ، وأنجز مما يخاف في ذلك منهن ومنكم ، من التعنت والأذى ، والإدعاء لغير ماكان من الأشياء .

﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ معنى ﴿أقيموا الشهادة﴾ : أدوا مااستشهدتم عليه على وجهه ، وأتوا به على صدقه ، والشهادة : فهي مااستودع الخلق من شهاداتهم على ماعلموه ، مما استرعوه من الأمر ، واستودعوه ﴿لله﴾ يقول : أصدقوا بإقامتكم للشهادة ، وتأديتكم لما عندكم من الأمانة لله رب العالمين ، الذي افترض ذلك عليكم وجعل اقامة الشهادة بالحق ديانة فيكم .

﴿ذلكم يوعظ به﴾ معنى ﴿ذلكم﴾ فهو : الأمر الذي جعل فيكم ، وافترض بحكم الله عليكم من اقامة الشهادة ﴿يوعظ به﴾ الموعوظون من ذلك ، ويخوف به ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فاخبر أنما يوعظ به الموعظون من ذلك ، ويخوف به المخوفون ، ويؤمر به المأمورون ، لاينفع إلا من كان بالله مؤمنا ، وباليوم الآخر مصدقا موقنا ، ومعنى ﴿يؤمن بالله﴾ فهو : يصدق بالله ويتقيه في كل مايفعله ويأتيه ﴿واليوم الآخر﴾ فمعناه : يوقن باليوم الآخر ، ويصدق بما فيه من العقاب والثواب .

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ ﴿يتق الله﴾ فهو : يؤمن بالله ويخافه ، ويتقيه

﴿**يجعل له مخرجا**﴾ معناها : يجعل له بقبول التوبة من ذنوبه مخرجا ، مع مايجعل له من المخارج والتوفيق ، والتسديد والمعونة والتأييد ، الذي من ناله ورزقه اتسع عليه أمره وتفسح عليه شأنه .

﴿**ويرزقه من حيث لايحتسب**﴾ يقول : يسبب له رزقه من حيث شاء سبحانه من الوجوه التي لم يحتسب العبد التقي ، ولم يرجها فيما كان يرجو .

﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره**﴾ معنى ﴿**يتوكل**﴾ فهو : يعتمد ، ويتوكل على الله في أمره ، ويسند إليه بالثقة به مهمات أمره ﴿**فهو حسبه**﴾ يقول : هو غايته وكفايته ، ومنتهى بغيته ، ورأس حاجته ، وأقصى إرادته ، معنى ﴿**بالغ**﴾ فهو: قادر ، ومعنى ﴿**أمره**﴾ فهو : إرادته ، فأخبر سبحانه أنه يبلغ ماأراد وشاء ، ولاراد لحكمه ، ولاصارف لأمره .

﴿**قد جعل الله لكل شيء قدرا**﴾ معنى ﴿**قد جعل الله**﴾ فهو : قد فعل الله وركب وميز ، وعين ﴿**لكل شيء قدرا**﴾ يقول : لكل شيء مقدارا ركبه ، وأوقعه سبحانه بقدرته فيه .

﴿**واللاء يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاء لم يحضن**﴾ معنى ﴿**واللاء**﴾ فهن : اللواتي ﴿**يئسن**﴾ فمعناها : أيسن من المحيض ومعنى يئسن فهو أيقن أنهن لايحضن لكبر السن ، وارتفاع الحيض منهن ، فقد أيست كل واحدة منهن أن ترى حيضا من نفسها بعد مبلغها مابلغت من سنها ، و ﴿**المحيض**﴾ فهو: الدم والطمث ﴿**من نسائكم**﴾ معناها : من أزواجكم ﴿**إن ارتبتم**﴾ يقول : إن شككتم هل في ارحامهن ولد أم لا ﴿**فعدتهن ثلاثة أشهر**﴾ يقول : يعتددن عند الطلاق ، ويستبرين أرحامهن بوقوف ثلاثة أشهر ﴿**واللاء لم يحضن**﴾ يقول : اللواتي لم يحضن ، واللواتي لم يحضن : فهن الصبايا الصغار اللواتي لم يرين حيضا ، ولم يعرفن بَعْدُ دما ، فجعل سبحانه عدة الكبيرة التي قد أيست من الحيض ثلاثة أشهر وكذلك جعل عدة الصغيرة ، التي لم تحض أيضا ثلاثة أشهر ، إذا مضت هذه الثلاثة الأشهر عن الآيسة الكبيرة ، والصبية الصغيرة فقد انقضت عدتهما ، وحل للرجال

تزويجهما .

ثم أخبر سبحانه بعدة الحامل ، وأمرها وماجعل سبحانه من الأجل لها فقال جل جلاله عن أن يحويه قول أوينااله :﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ معنى ﴿**وأولات الأحمال**﴾ فهن : صواحبات الأحمال ، والأحمال : فهو مايحملن في بطونهن من أولادهن ، الذي جعل الله في أرحامهن ، ومعنى ﴿**أجلهن**﴾ فهو : مداهن الذي يصرن اليه ، ويقفن عن التزويج حتى يبلغنه ، وبلوغهن له : فهو ماذكر الله سبحانه من وضعهن لحملهن ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ يقول : أن يضعن مافي بطونهن إلى الأرض ، ويستبرين منه ، ويفصل عنهن ، ويتبرأ هو أيضا منهن بخروجه إلى الأرض ، التي جعلت له مهادا ومسكنا حيا وميتا .

ثم رجع سبحانه الى ذكر المطلقات ومأأمر به فيهن من البينات فقال سبحانه : ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**﴾ يقول : من يتق الله فيما شرط وذكر وجعل من هذه الآجال وأمر : فيكون له فيها متقيا ، ولأمره بالإتقاء والإستيفاء لها مؤتمرا ﴿**يجعل له من أمره يسرا**﴾ يقول : يصنع له ويفعل ويهيء ، ويجعل له ﴿**من أمره يسرا**﴾ يقول : من شأنه كله خيرا وفرجا ، وأمر مستويا حسنا ، ويعطيه ثوابا له على اتقائه لربه ؛ تيسيرا من كل أمر عسير ، وتوفيقا وتهوينا لما عسر عليه من أمره ،واشتد عليه من أسبابه .

﴿**ذلك أمر الله أنزله إليكم**﴾ معنى ﴿**ذلك أمر الله**﴾ أي : ذلك حكم الله ﴿**أنزله إليكم**﴾ أي : أنزله عليكم ، وأمره الذي جعله فرضا مؤكدا فيكم ، من امساكهن بالمعروف ، أومفارقتهن بالمعروف ، وإشهادكم على ذلك ، وماجعل من العدة لهن آيسات كبارا كن أوصبايا صغارا ، وحوامل لحملهن ، وماجعل في ذلك من الشروط عليكم فيهن ، فكل ذلك أمر الله الذي أنزله ، وحكمه الذي حكم به في ذلك عليكم وفيكم .

﴿**ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا**﴾ يقول : من يكن لله متقيا خائفا

منتهيا إليه ، راجعا **﴿يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾** ومعنى **﴿يكفر﴾** فهو: يصفح ويغفر ، ويذهب بالقبول والرحمة منه ما تقدم منه من السيئة ، والسيئات : فهي الذنوب الموبقات ، والمعاصي الفاحشات **﴿ويعظم له أجرا﴾** يقول : ثوابا وأجرا

ثم رجع فقال سبحانه :**﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾** يقول : أسكنوهن في وقت اعتدادهن **﴿من حيث سكنتم﴾** معنى **﴿من حيث﴾** فهو : حيث **﴿سكنتم﴾** يريد : حيث كنتم ، وحللتم وأمسيتم وأصبحتم **﴿من وجدكم﴾** فهو: طاقتكم وجدتكم من المنازل التي تكون كفاتا لكم ، فأمرهم سبحانه أن يسكنوهن من حيث سكنوا من جيد المنازل أورديها ، وأن لايعزلوهن عن مواضعهن ، وأن يكن في البيوت التي يكونون فيها ، ولاتجعلوهن في موضع سواها ، ولاتنقلوهن عنها إلى ماأضيق منها وأردي ، وأقل في السعة ، وأبلى ، ألا تسمع كيف يقول :

﴿ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ يقول : لاتضاروهن بإخراجهن من منازلهن التي كن فيها ، إلى غيرها فتضيقوا بذلك عليهن ، متعمدين للتضييق عليهن ، مخطين بذلك في أمرهن .

ثم ذكر سبحانه ماجعل لأولات الحمل من النفقة فقال سبحانه :**﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾** معنى **﴿وإن كن﴾** فهو : إن كن الزوجات المطلقات أولات حمل . ومعنى **﴿أولات حمل﴾** فهن : صواحب حمل ، أي في بطونهن حمل ، والحمل : فهو الأولاد **﴿فأنفقوا عليهن﴾** يقول : مونوهن بالنفقة والكسوة والخدمة ، والقيام عليهن بجميع مصالحهن **﴿حتى يضعن حملهن﴾** يريد : يلدن ويضعن مافي بطونهن ، فإذا وضعن مافي بطونهن ، وخرجن من عدتهن ، فقد انقطعت النفقة عنكم لهن .

ثم ذكر سبحانه مايكون من أمر ارضاع الأولاد بعد مفارقتهم فقال :**﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾** **﴿فإن أرضعن لكم﴾** يقول : إن أرضعن الزوجات المفارقات لكم أولادكم ، الذين ولدتهم بعد مفارقتكم لهن **﴿فآتوهن أجورهن﴾** ومعنى **﴿آتوهن﴾** فهو : أعطوهن ، وأوفوهن ، وأدوا اليهن

﴿**أجورهن**﴾ فمعنى أجورهن : فهو الإجارات ، والإجارات : فهي الأجرة والكراء التي يستأجربها ، ويكترى المرضع لصبيه ابوالصبي ، فيقول : ادفعوا ذلك إلى أمهات أولادكم إن ارضعن لكم فهن أحق بذلك من غيرهن ، وأولى برضاع أولادهن ، إن أردن ذلك وشئنه وطلبنه وبغينه ، ومعنى ﴿**ائتمروا بينكم بمعروف**﴾ تشاوروا بينكم ياهذا الرجل ، وياهذه المرأة في أمر رضاع هذا الصبي ، والمعروف : فهو الأمر الحسن يريد تواصوا بينكم في رضاعه بأمر جميل ، لاتشط المرأة على الرجل في ارضاع ولده فتزداد عليه فوق مايجب وتعنته ، فيما تطلب ، ولايعنتها بالإقلال لها ويشط عليها في رضاع ولدها بالوكس لها بما يجب لمثلها ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه في تصحيح ماذكرنا .

وتفسير ماشرحنا من قوله :﴿**وأتمروا بينكم بمعروف**﴾ حيث يقول :﴿**وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى**﴾ يقول : إن تعاسرتم في أمر الشرط الذي يكون لها على ارضاعها لولدها ، فلا بد أن ترضع له أخرى ، يقول سبحانه : إن طلبت المرأة شططا فسيرضع الرجل ولده غيرها من النساء ، بدون ماطلبت من الأجرة والعطاء ، وإن طلب أبو الصبي من أمه رضاعا بوكس من الأجرة ، وعسر عليها في الإنفاق فلا أن يسترضع غيرها إن تركت الولد أمه ، فينفق ويخرج ، وينفق للمرضع الأخرى فوق ماأراد أن يعطي أم الصبي ، فأخبر سبحانه أنه لابد من الحق ، وأن من عند منهما عن الحق ، فسيوجد للصبي مرضعا بالحق ، الذي عند منهما من عند عنه .

﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾ يقول : ذو الجدة من جدته ، وذو القدرة من مقدرته على النفقة من نفقته .

﴿**ومن قدر عليه رزقه**﴾ يقول : من قتر عليه ، ولم يوسع مافي يديه ، فكان بذلك معسرا ، فلينفق مما آتاه الله ، يقول : مما رزقه الله على قدره وطاقته ، فأراد سبحانه بذلك الإخبار عن ذي السعة ، وذي الفاقة والحاجة ، والأمر لهما بأن ينفقا على قدر مافي أيديهما ، ويخرجا من رضاع ولدهما على قدر انقطاعها ورزقهما ، فأمر بما ذكر من ذلك للأب إذا كان ذا سعة ، أن يوسع على أم ابنه إذا أرضعت له ، وأمر أم الولد أن تقصد وتقبل ميسور أب ابنها إذا قدر عليه رزقه ، كما قال سبحانه :﴿**ومن قدر**

عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ يريد : فلينفق عليها ، على قدر ماآتاه الله ، ومعنى آتاه الله ، فهو رزقه ، وأعطاه ، ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى :

﴿لايكلف الله نفسا إلا ماآتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ معنى **﴿لايكلف الله﴾** أي : لايجعل الله على نفس حكما فوق مايطيق من النفقة ، ولايحكم عليها من النفقة ، إلا على قدر مارزقها وآتاها **﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾** سيؤتي الله ذا العسرة بعد عسره تيسيرا ، حتى يكون بعد اليوم موسرا ، كما كان اليوم معسرا فهذه عدة من الله تبارك وتعالى للمتقين باليسر والتيسير بالرزق الكثير ، ورفع المعسور

ثم رجع سبحانه وذكر من كان فيمن عَنَد من خلقه عن أمره ، وتخويفا لعباده وإنذارا وإعذارا إلى خلقه ، فقال جل جلاله ، وتعالى عن كل شأن شأن :**﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا﴾** معنى **﴿وكأين من قرية﴾** يقول : وكم من قرية **﴿عتت عن أمر ربها﴾** ومعنى **﴿من قرية﴾** فهو من أهل قرية ، ومعنى **﴿عتت﴾** فهو قست ، وتجبرت وظلمت وتكبرت ، ومعنى **﴿عن أمر ربها﴾** فهو :تكبرت عن الطاعة لأمر ربها **﴿ورسله﴾** أي : بالمخالفة لأمر الله والمشاقة لرسل الله **﴿فحاسبناها حسابا شديدا﴾** يقول : جازيناها جزاء على فعلها **﴿حسابا﴾** أي : مثلا بمثل من صنعها ، ومعنى جازيناها : فهو عاقبناها عقابا شديدا .

﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾ يقول : عذبناها بما أنزلنا عليها من العذاب الأليم والنكال العظيم و﴿عذابا نكرا﴾ والنكر من العذاب : فهو المنكر ، ومعنى المنكر : فهو الأمر الذي لم ير مثله في العذاب ، ولم يكن في أحد من الأمم ، فأنكر شديد ماروئي منه وعوين عند وقوعه بأهله ، فكان بذلك نكرا ، أي اشتد أمره ، وعظم شأنه ، واشتد سبيله ، حتى كان نكرا عند أهله ، ومن سمع به .

﴿فذاقت وبال أمرها﴾ معنى **﴿فذاقت﴾** هو : وجدت . ومعنى **﴿وبال امرها﴾** فهو : عاقبة أمرها ، ومعنى **﴿أمرها﴾** فهو فعلها وماتقدم من فسقها .

﴿وكان عاقبة أمرها خسرا﴾ معنى **﴿عاقبة أمرها﴾** فهو : آخر أمرها ، وأمرها هاهنا : فهو حالها **﴿خسرا﴾** فهو : خسرانا وبلاء وعذابا وشقاء .

ثم أخبر سبحانه بما أعد لهم في الآخرة التي تبقى من بعد مـاأنزل بهـم في دار الدنيـا فقال سبحانه :﴿**أعد الله لهم عذابـا شـديدا**﴾ يريـد : عـذاب النـار في الآخـرة ، الـتي لاتفنى ولاتبيد ، ولاتنقضي أبدا .

ثم قال سبحانه :﴿**فاتقوا الله ياأولي الألباب**﴾ فمعنى ﴿**فاتقوا الله**﴾ يقول : خـافوا الله ، وراقبـوه واحـذروا معاصيـه ﴿**يـاأولي الألبـاب**﴾ فهـو : ياأصحـاب الألبـاب والألباب : فهي العقول .

﴿**الذين آمنوا**﴾ يقول : ﴿**[أولي] الألباب**﴾ من المؤمنين ، الذين جعلت لهـم ألبابـا فانتفعوا بها ، فأصابوا بها الرشد عندمـا استعملوها ، دلتهـم علـى الإيمـان واستدلوا ووقفتهم على طريق الهدى ، فاهتدوا و لم يكابروا ألبابهم ، فيضلوا و لم يعندوا عن الله فيهلكوا ، بل ركبوا سبيل الحق فاهتدوا وقصدوا ماأمروا فنجوا .

﴿**قد أنزل الله إليكم ذكرا**﴾ معنى ﴿**أنزل**﴾ فهو : أظهر وأرسـل إليكـم بـه ذكـرا ﴿**رسولا**﴾ فهو : مذكر يتذكر به من تذكر ، ويؤمن به من اعتبر ، ويقبل تذكرتـه في أمره من أبصر ﴿**رسولا**﴾ يقول : مبعوثا مرسـلا مبينـا ، أي مؤديـا ، يقـول : ارسـله بالرسالة النيرة ، والحجة البالغة التي يتلوها عليكم ، ويقيمها بينكم وفيكم ، ألا تسـمع كيف يقول سبحانه :

﴿**يتلو عليكم آيات الله مبينات**﴾ يعني ﴿يتلو عليكم﴾ فهو : يقرأ عليكـم ويظهـر بينكم ﴿**آيات الله**﴾ ومعنى ﴿**آيات الله**﴾ فهـو : رسـالات الله وفرائضـه ، ومـاجعل عليكم ، وافترض من دينه ، وأقام فيكم من حقه ويقينه ﴿**مبينات**﴾ فهـي : ظـاهرات واضحات مكشوفات نيرات ، قد ثبت براهينها أنها من عند ربها ، وصح بـالمعجزات أنها من الله سبحانه ثبتت ذلك البراهين النيرات ، والآيات المعجزات اللواتي لاتكـون إلا من الله سبحانه ، لاتأتي إلا عن الله .

﴿**ليخـرج الذيـن آمنـوا وعملـوا الصالحـات مـن الظلمـات الى النـور**﴾ معنـى ﴿**ليخرج**﴾ فهو : ليخلص أهل الإيمان والتقوى ، بما يأتي بـه مـن الـدلالات والهـدى التي يستدل بها المستدلون ، ويعلم بها العالمون صدق ماجاء به الرسـول الأمـين صلـى

الله عليه وعلى آله الطيبين من الهلكة والظلمات ، إلى النور والبينات ، معنى الظلمات: فهي ظلمات الكفر وشركه ، ومافيه لأهله من الويل والبلاء ، قوله :﴿إلى النور﴾ فهو إلى نور الحق وضيائه وراحته ورخائه .

ثم قال سبحانه :﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا**﴾ معنى ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ فهو : يصدق بالله ، ويوقن بآيات الله ، ويوقن بالرسالات التي جاءت من الله على ألسنة أنبيائه ﴿**ويعمل صالحا**﴾ يقول : يكون مع إيمانه وتصديقه عاملا بما أمر الله به من فرائضه ﴿**ندخله جنات**﴾ يقول : على ذلك من العمل أدخلناه جنات ، والجنات : فهي دار الكرامات ، التي جعلها الله للمتقين ، وكرم بها عباده المؤمنين ، دار السرور في المآكل والمشارب والمناكح والملابس ، التي لايفتقر من نال ملكها ، ولايسقم من حلها ، ولايشقى من نالها ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ يقول : تجري من تحت أشجارها وبين دورها وقصورها الأنهار ، والأنهار : فهي التي ذكر الله تبارك وتعالى حين يقول :﴿**فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم**﴾[1] ﴿**خالدين فيها**﴾ معنى ﴿**خالدين فيها**﴾ فهم مخلدون ، ومعنى مخلدين : فهو مقيمون لايبرحون ولايخرجون ، ولايفقدون كرامة الله التي يعطون ، فهم مقيمون أحياء لايموتون ، مسرورون لايحزنون ، أغنياء لايفتقرون ، قد صدقوا قول الله فصدقهم ، وأرضوه فأرضاهم ، فصاروا عنده مقربين ، وفي ثوابه خالدين أبد الأبد .

﴿**فيها أبدا**﴾ فمعنى ﴿**أبدا**﴾ هو أبد الأبد ، والغلية التي لاانقطاع لها ولامدى .

﴿**قد أحسن الله له رزقا**﴾ يقول سبحانه لمن كان كذلك ، وصار إلى ماذكرنا من ذلك قوله :﴿**رزقا**﴾ فهو ثوابا ، وثوابا : فهو عطاء ونائلا وفضلا .

ثم ذكر سبحانه ماجعل من سمواته وأرضه ليكون ذلك حجة له على جميع خلقه

---

(١) ـ محمد : ١٥

فقال سبحانه :﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**﴾ معنى قول الله: ﴿**الذي خلق سبع سموات**﴾ فهو : دلالات منه على نفسه ، بما فطر من فعله ، وأظهر من صنعه في سمواته وأرضه ، فدل سبحانه بصنعه على نفسه ، وأخبر أنه هو الذي خلق ماذكر ، ومعنى ﴿**خلق**﴾ فهو : أوجد وفطر ، وابتدع وصور ، وأوجد وقدر هذه السبع السموات ، وأوجد مثلهن أيضا من الأرضين المدحوات ، ومعنى ﴿**مثلهن**﴾ فهو : في العدد سبعا ، كالسموات ، لأنها مثلها في الخلق والتصوير والتجسيم والتقدير .

﴿**يتنزل الأمر بينهن**﴾ فمعنى ﴿**يتنزل**﴾ فهو : ينزل ويتردد ويهبط ويتبدد ويتردد والأمر : فهو ماجعل الله سبحانه من الأسباب والمقادير والأرزاق والتقادير التي قدرها من هبوط ملائكته إلى أنبيائه بأمره ، ونهيه وفرضه وجعله ، ومابنزل من السماء من الماء الذي به حياة الأشياء ، ومابنزل من السماء إلى الأرض من رحمة واسعة ، وكرامة شاملة للمؤمنين ، ومن عذاب نازل بالفاسقين ، واقع بالكافرين فهذا تنزيل مايتنزل بين السموات والأرضين .

﴿**لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**﴾ معنى ﴿**لتعلموا**﴾ هو: لتوقنوا إذا رأيتم وأبصرتم تنزيل هذا الأمر الذي به خبرتم ﴿**أن الله على كل شيء قدير**﴾ ومعنى ﴿**على كل شيء قدير**﴾ فهو : على كل شيء من الأشياء مقتدر ، وله منفذ قاهر لايمتنع عليه منها شيء ، ولايفوته شيء ، وهو القادر على كل شيء ، يفعل مايشاء فينفذ في الأشياء فعله ، ويظهر عليها في تدبيرها قدرته .

﴿**وأن الله قد أحاط بكل شيء علما**﴾ فهذا اخبار من الله سبحانه أنه قد أحاط علمه بكل شيء ، فهو عالم بالأشياء علما واحدا ، علمه بها قبل كينونتها كعلمه بها بعد تكوينها ، أحاط معناها حفظ كل شيء ، فلم يضل عنه شيء من قعور البحور الزاخرات ، ولاأكنان الجبال الشامخات ، وهو السميع البصير ، وبالله نستعين .

تفسير {سورة التغابن}

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله سبحانه ﴿**يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**﴾ معنى ﴿**يسبح**﴾ فهو : يقدس ويعظم ، ويجل ويكرم ﴿**مافي السموات ومافي الأرض**﴾ فهو : كل ماأنشأ وبرأ من الخلق .

[كيفية التسبيح من المكلفين وغيرهم]

فمن الخلق مايسبحه ويقدسه بلسان ناطق ويذكره ، وهم أهل الأمر والنهي من الخلق المأمورين بالطاعة ، المنهيين عن المعصية ، من الملائكة والثقلين من الجن والإنس المذكورين ، فهؤلاء يسبحون له ويذكرونه بالتقديس والتكبير ، والإجلال والتعظيم وماكان مما في السموات والأرض من غير المأمورين من الأشياء المخلوقات ، والأمور المدبرات من سائر ماخلق الله وذرا ، من جميع ماأوجد من الأشياء ، من النجوم والشجر وغيرهما من كل مافطر ، فإنما تسبيحه وتقديسه تسبيح من يسبح من أجله ولعظم مافيه من صنعة ربه ، فإذا رأى المؤمنون أثر صنع الله في هذه الأشياء ، سبحوه بما رأوا فيها ، وقدسوه لعظم مارأوا من صنعه في ايجادها ، فكان تسبيحهم لما رأوا من أثر الصنع فيها سببا لقول القائل : إنها سبحت ، لما كان التسبيح من أجلها وبها ولما رأوا فيها من أسبابها ، كما كان من السجود من الملائكة لآدم عليه السلام هو سجودهم لله الذي أوجد آدم ، فكان سجودهم لله من أجل مارأوا من أثر صنعه في عبده ، وعظم تقديره في خلقه ، فجاز أن يقال : سجدوا لآدم ، إذ كان السجود من أجل آدم وسببه ، ولما أظهر الله سبحانه فيه من قدرته ، فعلى ذلك ومثله جاز أن يقول القائل في قوله : سبح كل شيء لربه من حجر أومدر ، أونجم أوشجر ، وفي هذا المعنى يدخل ماقال الله تبارك وتعالى :﴿**يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**﴾ ﴿**الملك**﴾ : ماجعل الله وماخلق من

السموات والأرضين ، والآخرة والدنيا ومافيهما ﴿وله الحمد﴾ معنى قوله :﴿له الحمد﴾ فهو : له الشكر لالغيره ، لأن الشكر الذي هو الحمد لايجب إلا للمستحمد إلى خلقه بنعمه وآلائه ، وفضله ونعمائه ، وذلك الله رب العالمين

قوله :﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يخبر سبحانه أنه على مأأراد مقتدر وله فاعل .

﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ فأخبر سبحانه بأنه الذي خلق الخلق كافرهم ومؤمنهم ، وبرهم وفاجرهم ، فكان سبحانه المتولي لجميع الخلق [يخلق] جميع الخلق من أهل الباطل والحق ، خلق أبدانهم وصورها ، وركب خلقهم وقدرها كيف شاء ، وعلى ماشاء ، ولم يخلق سبحانه أفعالهم وكفرهم ، ولاإيمانهم ولاصلاحهم ولاضلالتهم ، بل كان من ذلك بريا ، وعن ايجاد شيء من أفعالهم متعاليا عليا ، فأفعاله باينة عن أفعالهم ، كما ذاته غير مشابهة لذاتهم ، فأخبر سبحانه بقوله :﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ بأن من خلقه المؤثر لمعاصي ربه ، المختار للكفر به ، ومنهم مؤثر للإيمان مطيع للرحمن ، فوصفهم بأفعالهم من كفرهم وإيمانهم ولم يصف نفسه بخلق شيء من أفعالهم ، وكيف يخلق أفعالهم أويوجد أعمالهم وأعمالهم المنكرات من الأمور من المظالم والشرور ، فتعالى عن ذلك الواحد الرحمن وتقدس أن يكون كذلك ، ذو المن والإحسان .

﴿والله بما تعملون بصير ﴾ فأخبر سبحانه أنه بكل مايعمل العاملون بصير ، ومعنى ﴿بصير﴾ فهو : عالم خبير .

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ معنى ﴿خلق﴾ فهو : أوجد وفتق وابتدع وخلق ﴿السموات﴾ فهن السموات المبنيات المرفوعات المقدرات ﴿والأرض﴾ فهي الأرض المدحوة ، الذي جعلها سبحانه لخلقه فراشا ، وقدرها سبحانه لهم مهادا بالحق ، فهو بالعدل والصدق ، ومعنى بالعدل والصدق ، فهو جعلها وجعل مافيها على الحق والصدق ، ومعنى على الحق والصدق : فهو أمر من فيهما به وافترض عليهم اتباعه.

﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ يقول : خلقكم وقدركم ، فأتقن ماخلق من

صوركم ، ومعنى فأحسن : هو فأجاد وأتقن مـابرأ مـن بريتكـم ، ودبـر مـن أمركـم وقدر من نباتكم .

﴿**وإليه المصير**﴾ يقول : إليه المرجع والمعاد ، وإليه مصير كل العباد .

﴿**يعلم مافي السـموات والأرض ويعلـم ماتسرون ومـاتعلنون والله عليـم بـذات الصدور**﴾ ومعنى قوله :﴿**يعلم**﴾ فهـو : يحفـظ ويخبر ، ولايسـقط عنـه شـيء صغـر ولاكبر ﴿**مافي السموات**﴾ يخبرهم أنه عالم بكل مافي السـموات والأرض ، مـن كـل شيء من الأشياء من جسم أوعرض ، من فكر أوخاطر في قلوب المخلوقين ، وأنفـس المربوبين ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**ويعلم مايسرون**﴾ في أنفسـهم فيخفونـه أويظهرونه من أمرهم فيعلنونه ﴿**والله عليم بذات الصدور**﴾ فأخبر سـبحانه أنـه عـالم بكل ماتكنه صدور العالمين ، وتخفيه سرائر المخلوقين ومعنى قوله :﴿**بذات الصدور**﴾ فهو : بما في الصدور من جميع الأمور .

ثم قال سبحانه احتجاجا عليهم ، وتنبيها لهم بما كان من أمر القرون ، الـتي كـانت من قبلهم :﴿**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبـل فذاقـوا وبـال أمرهـم ولهـم عـذاب أليم**﴾ معنى ﴿**ألم**﴾ فهو : أليس و﴿**يأتكم**﴾ فمعناها : يجيئكم ويصـل بكـم ويبلغكـم فأراد بقوله :﴿**ألم يأتكم**﴾ أليس قد جاءكم ، فطرح قد لأن ألم تقوم مقام أليس ، وقد جمعتا في لغة العرب ، وكذلك ﴿**يأتكم**﴾ تقوم مقام جاءكم في اللغـة العربيـة ﴿**نبـأ**﴾ فمعناه : خبر ﴿**الذين كفروا**﴾ ومعنى كفروا : فهو كذبوا وصدوا وأنكروا وجحدوا ﴿**من قبل**﴾ فهو: من أول الأمر ﴿**فذاقوا**﴾ فمعناها : فوجدوا وعاينوا عقوبة صنعهـم ، **وواقعوا** جزاء فعلهم ، ومعنى ﴿**وبال**﴾ فهو : نكال وعقوبة أمرهم ، و﴿**أمرهـم**﴾ فمعناه : فعلهم ، ومعنى فعلهم : فهو ماكان من اجترائهم ، وكفرهم .

﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ يقول : في الآخـرة عـذاب أليـم ، والعـذاب : فهـو التعذيـب بالنار والنكال من الله لهم والتنكيل ، فأخبر سبحانه بقوله :﴿**ولهم عـذاب أليـم**﴾ أن الذي ذاقوا ، أي : بما عملوا من وبال كان في الدنيا ، وأن في الآخرة لهم من العـذاب ماهو أنكى ، وأشد وأبلى .

ثم أخبر سبحانه بما ذاقوا ذلك كله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة التي تبقى فقال سبحانه :﴿**ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد**﴾ معنى ﴿**ذلك**﴾ : نزل ذلك العذاب بهم في الدنيا والآخرة ؛ لأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، ومعنى ﴿**بأنه**﴾ فهو : لأنه ومعنى ﴿**كانت**﴾ فهو : إخبار عن فعل الرسل صلوات الله عليهم ، وإتيانها بالنذر اليهم ، واشهادها الله سبحانه عليهم ﴿**تأتيهم**﴾ فمعناها : تجيئهم وتصير إليهم ﴿**رسلهم**﴾ معناها : الرسل المرسلة إليهم ، فلما أن كانت مرسلة إليهم ، شاهدة عليهم جاز أن يقال : رسلهم ، وإنما هي رسل الله لارسلهم ، فنسبها سبحانه إليهم إذ كانوا مرسلين إليهم ، شاهدين عليهم ﴿**بالبينات**﴾ ومعنى ﴿**بالبينات**﴾ فهي : بالآيات القاهرات [1] والعلامات الظاهرات النيرات ، التي كانت الرسل صلوات الله عليهم تأتيهم بها من عند ربهم ﴿**فقالوا أبشر يهدوننا**﴾ ومعنى ﴿**فقالوا**﴾ أي : فنطقوا وتكلموا بالمحال والإستكبار ، والجرأة على الله الواحد الجبار ﴿**أبشر يهدوننا**﴾ يريدون : أي بشر مثلنا يدعوننا إلى الله ، ويأمروننا فلم يطيعوا الله فيما أمرهم ، واستكبروا عن طاعة بشر مثلهم ، إذ كانوا رسلا لربهم ، ومعنى ﴿**يهدوننا**﴾ فهو : يعلموننا ، ويأمروننا ، ويوقفوننا على سبيل الله ، ويهدوننا ﴿**فكفروا**﴾ معناها : كذبوا وعصوا وجحدوا ، فلم يطيعوا ، ومعنى ﴿**تولوا**﴾ فهو : أعرضوا عن الحق ، وأبوا وتركوه وعتوا ﴿**واستغنى الله**﴾ فمعنى استغنى : فهو اخبار من الله سبحانه باستغنائه عن الخلق ، وقلة حاجته إلى من أعرض عن الحق ؛ لأنه إنما دعاهم لحاجتهم ومنفعتهم ، لالمنفعة له في شئ ، من إجابتهم ﴿**والله غني حميد**﴾ فالغني : هو المستغني المكتفي بنفسه في جميع أموره ، النافذة إرادته في كل خلقه والحميد : فهو المحمود على نعمه المشكور على آلائه .

ثم أخبر سبحانه بقول الكافرين وجحدانهم لوعيد رب العالمين ، الذي جاءت به إليهم رسلهم ، وأدته إليهم أنبياؤهم ، من بعثهم وحشرهم ومجازاتهم على ماكان من فعلهم ، فقال سبحانه :﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم**

---

(١) - في نسخة (فهي بالآيات الظاهرات) .

لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ معنى **﴿زعم﴾** فهو : قال وذكر وتكلم وأخبر **﴿الذين كفروا﴾** فهم : الذين كذبوا بما به أخبروا ، وعليه من الله أطلعوا من البعث والحساب والثواب والعقاب **﴿أن لن يبعثوا﴾** معناه : أنهم لن يبعثوا ، ومعنى **﴿لن﴾** فهو : لا ، فأراد سبحانه زعم الذين كفروا أنهم لايبعثون ، فلما أن طرح لا وأثبت مكانها لن ، ولن حرف ينصب مابعده ذهبت النون من يبعثون علامة للنصب فبقي يبعثوا ، ومعنى **﴿يبعثوا﴾** فهو : يحيوا ويحشروا ويردوا بعد الموت أحياء وينشروا [1] .

ثم أمر سبحانه نبيئه صلى الله عليه وعلى آله بإكذاب قولهم ، والرد في زورهم عليهم ، فقال :**﴿قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾** معنى **﴿قل﴾** هو : أمر من الله بقول ذلك لهم ، وايقاعه في أسماعهم **﴿بلى وربي﴾** فهو : قسم أمره أن يقسم بربه على بعثهم إنه لكائن ، ومعنى **﴿بلى﴾** فهو : إيجاب لقوله ، وإكذاب لقولهم ، وهي كلمة تستعملها العرب يوجب بها المتكلم إذا قالها قوله ، ويكذب بها قول محاجة ، ويدفع بها قول مناظره **﴿وربي﴾** فهو : خالقي ومعنى وربي : فهو وحق ربي **﴿لتبعثن﴾** معناها : لتخرجن من قبوركم ، ولتحشرن إلى ربكم ، ولتبعثن أحياء بعد موتكم **﴿ثم لتنبؤن﴾** معنى **﴿ثم﴾** فهو : معنى الواو وينسق بها كما نسق بالواو ، يريد لتبعثن ولتنبؤن ، ومعنى **﴿لتنبؤن﴾** فهو : لتخبرن ولتحاسبن ، ولتجدن جزاء فعلكم ، ولتجازون بما عملتم ، ومعنى الباء ، التي في بما هو : على ؛ لأن الباء من حروف الصفات ، وعلى من حروف الصفات ، فقامت الباء مقام على ؛ لأن حروف الصفات يعقب بعضها بعضا ، وأراد لتجازن على ماعملتم ، ومعنى قوله : لتخبرن بما عملتم فهو في هذا الموضع : لتعرفن جزاء ماعملتم من كذبكم ، وكفرانكم ، وظلمكم ، وجحدانكم ، فأراد الله تبارك وتعالى بقوله :**﴿لتنبؤن﴾** في هذا الموضع : لتجازن ، ولتعاقبن على فعلكم ، ولم يرد لتخبرن عن فعلكم الذي تقدم منكم ؛ لأنهم عالمون بما تقدم من فعلهم ، وليس التذكرة لهم بأفعالهم هو المعنى الذي قصده الله في هذا الموضع ، وإنما قصد الجزاء ، يقول سبحانه

---

(١) ـ حذفت النون من الأفعال الخمسة باعتبار أن مفسرها منصوب بلن ..

:﴿**لتنبؤن**﴾ أي : لتعلمن ولتجدن عقوبة كفركم ، عندما يكون من بعثكم في يوم حشركم ﴿**وذلك على الله يسير**﴾ معنى ﴿**ذلك**﴾ يعني: البعث والحساب والجزاء وقوله :﴿**على الله يسير**﴾ يقول : على الله سهل هين حقير .

ثم أمرهم سبحانه بالإيمان به وبرسوله والنور الذي أنزل احتجاجا منه عليهم وتثبيتا لحجته فيهم ، فقال جل جلاله عن أن يحويه قول أويناله :﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير**﴾ معنى ﴿**فآمنوا**﴾ فهو : أمر من الله لهم بالإيمان ، والإيمان : فهو التصديق ، يقول: صدقوا بأمر الله وبرسوله ، يقول: وصدقوا بالنور الذي أنزلنا ، والنور : فهو الحق الذي جاء به رسوله إليهم من أمره ونهيه وإعذاره وإنذاره ، وكلما ذكر لهم من خبره من بعث أوحساب ، أونشر أوثواب ﴿**الذي أنزلناه**﴾ يقول : أوحينا وجعلنا لكم ، وأمرنا الرسل بتبليغه إليكم ﴿**والله بما تعملون خبير**﴾ يخبر سبحانه [أنه] بكل مايفعلون عليم ، فخبير معناها : عليم ، أي لايسقط عنه من ذلك صغير ولاكبير ، يسير كان ولاكثير .

﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾ معنى ﴿**يوم**﴾ فهو : يوم القيامة ، ومعنى ﴿**يجمعكم**﴾ فهو : يحشركم ويبعثكم ، ويأتي بكم من آفاق الأرض إلى هذا المقام الذي جعله لكم محشرا ، ولجميعكم موقفا ﴿**ليوم الجمع**﴾ فمعنى ﴿**ليوم**﴾ فهو : إلى يوم ﴿**الجمع**﴾ فهو الحشر للخلق ، والجمع لهم إلى موقف الحق .

﴿**ذلك يوم التغابن**﴾ معنى ﴿**ذلك**﴾ فهو : دلالة على ذلك اليوم ، ألا تسمع كيف يقول :﴿**ذلك يوم التغابن**﴾ يخبر سبحانه أن ذلك اليوم هو يوم التغابن . والتغابن : فهو التفاضل ، معنى التفاضل : فهو حين يفضل بعض الناس بعضا ، ويغبن بعضهم في ذلك اليوم بعضا ، بما يستأهله من ثواب ربه ، جزاء على ما فعله بعض الناس دون بعض ، من الثواب العظيم ، و العطاء الجسيم ، جزاء على ماكان من فعلهم في دار دنياهم وعملهم ، يغبن بعضهم في عطاء الله بعضا بما يستأهله ، من ثواب ربه جزاء على فعله ، فشبه الله سبحانه تفاضلهم في الآخرة ، في ثواب الله بتفاضهلم فيما يتفاضلون ، ويتغابنون به في دنياهم ، ألا ترى أن من نال حظا في الدنيا ولم ينله صاحبه ، قال : غبنتني ، أي فضلتني واستأثرت به وفيه علي ، فكل من كان

له فضل في شيء فهو غابن للمفضول ، والمفضول مغبون ، والفاضل غابن فضرب الله مثلا لهم تفاضل الآخرة وتغابنها بتفاضل الدنيا ومغابنة من فيها ، حضا لهم على العمل بطاعته ، و تحذيرا للتغابن في عظيم عطائه في دار آخرته ، في يوم الحسرة والندامة ، وطلب الإقالة حين لاإقالة .

ثم قال سبحانه :﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**﴾ معنى ﴿**من يؤمن بالله**﴾ فهو : الذي يؤمن با لله ، ومعنى ﴿**يؤمن**﴾ فهو : يصدق ، ويقر با لله سبحانه وبرسله ، وبكل أمره ﴿**ويعمل صالحا**﴾ معنى ﴿**يعمل**﴾ فهو : يفعل ويصنع ومعنى ﴿**صالحا**﴾ فهو : حقا مرضيا ﴿**نكفر عنه سيآته**﴾ معنى ﴿**نكفر**﴾ هو : نعفو ﴿**عنه**﴾ معناها : له ﴿**سيئاته**﴾ ومعناها : ذنوبه ، وخطاياه ، و﴿**ندخله**﴾ معناها :

نصيره إلى جنات ، والجنات : فهي دار الرضى والخيرات ، ودار الثواب والعطيات الجزيلات ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ فهي تسيل من تحتها ، و تحتها : فهو أسفلها ﴿**الأنهار**﴾ فهي : أنهار الجنة الجارية ، ومياهها العذبة الطيبة الهنية المرية ﴿**خالدين فيها**﴾ معناها : مقيمين فيها ﴿**أبدا**﴾ أي فهو دائم سرمد لاانقطاع له ولافناء ولاغاية لمدته ولاانقضاء ﴿**ذلك الفوز العظيم**﴾ معنى ﴿**ذلك**﴾ هو : ذلك الفعل ، الذي فعلناه لمن أدخلناه جنتنا ، وأعطيناه ثوابنا وأنلناه ﴿**الفوز العظيم**﴾ يقول : ذلك العطاء هو الفوز العظيم ، والخير الكثير الجسيم .

ثم أخبر سبحانه بمحل الكافرين ومصير المكذبين فقال :﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**﴾ معنى ﴿**كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ فهو : خالفوا وعصوا ، ولم يشكروا ما أُوْلُوا وأُعْطُوا من إرسال المرسلين إليهم ، وإثبات حجج الله سبحانه بالتبليغ فيهم ﴿**وكذبوا بآياتنا**﴾ معناها : كذبوا بأمرنا ، وجحدوا رسلنا ، ولم يقروا بشيء من آياتنا التي بعثنا بها رسلنا ، والآيات : فهي المعجزات ، وماجاء به الرسول ، وأراه الخلق من آيات الله التي لاتكون إلا منه ولاتأتي إلا عن الله من نوره ﴿**أولئك**﴾ معنى ﴿**أولئك**﴾ فهم : الذين فعلوا ذلك هم ﴿**أصحاب النار**﴾ ومعنى ﴿**أصحاب النار**﴾ فهم : سكانها وأهلها ﴿**خالدين فيها**﴾

معناها : مقيمين فيها أبدا ، لايخرجون منها إلى غيرها ، ولايزالون حالين طول الدهور فيها ﴿وبئس المصير﴾ معنى ﴿بئس﴾ فهو : شر موئل ومصير ، ومكان وقرار والمصير : فهو المكان الذي يصار اليه ويقام فيه ، ومعنى يصار إليه : فهو يحل فيه ويرجع إليه .

[معاني المصائب النازلة بالخلق]

﴿**ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**﴾ معنى ﴿**ماأصاب من مصيبة**﴾ فهو : كل ماأصاب من مصيبة ، ومعنى ﴿أصاب﴾ فهو: وقع ونزل ، ومعنى ﴿**مصيبة**﴾ فهو: نازلة من محنة اونقمة ، أوفعل غير ذلك ، من فعل الله سبحانه ، أوفعل غيره ، من مصائب الدنيا ﴿**إلا بإذن الله**﴾ وهذا القول فيخرج على معنيين ، ثم يتفرع كل معنى منهما على *معنيين*:

فأما أحدهما : فهو مما كان من فعل الله ، مما يكون الله المتولي له من المصائب النازلة بالخلق ، ويكون ذلك على *معنيين* :

إما مصيبة أصابت من الله على طريق الجزاء والإنتقام من أحد من أعدائه ، ذوي المعصية والإجترام .

وإما مصيبة نزلت من الله على طريق المحنة بمن يمتحن من عباده الصالحين ، وأوليائه الصائرين ، فهذا معنى ماكان من الله ، وهو يتفرع على هذين المعنيين .

ومعنى قوله في هذا المعنى :﴿إلا بإذن الله﴾ فهو : بحكم الله وارادته ومشيئته .

والمعنى الآخر من المصائب : فهو ماينزل بالخلق بعضهم من بعض ، ثم هذا المعنى يتفرع على *معنيين* .

فأحدهما : ماينزل من المصائب بالمؤمنين من الفاسقين ، فهذا لم ينزل إلا بعلم الله أنه سيكون ، وبتخليته . ومعنى قول الله فيه :﴿**إلا بإذن الله**﴾ فهو بتخلية الله وعلمه

والمعنى الثاني : فهو ماينزل من المصائب بالفاسقين من المؤمنين ، وعلى أيدي عباد

الله الصالحين من إقامة الحدود عليهم ، وإظهار الحكم من القتل ومادونه ، ومعنى قول الله في هذا المعنى :﴿**إلا بإذن الله**﴾ فهو : بأمر الله وحكمه وإذنه لأوليائه في أعدائه . ***فافهم مافسرنا*** من معاني المصائب وماشرحنا في معانيها كلها ، ومخارجها من تفسير قول الله سبحانه :﴿**ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله**﴾ فقد ميزنا لك ذلك كله ، وشرحناه وفسرناه وأثبتناه ، وبينا معانيه ، وشرحنا تأويله على أصله وفرعه بما فيه كفاية ونور لمن كان ذا معرفة باللغة والعلم .

ثم قال سبحانه :﴿**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾ ومعنى ﴿**يؤمن بالله**﴾ يقول : يصدق بأمر الله ، ويقر برسله وحكمه ، وما ياتي في كتابه من خبره ﴿**يهد قلبه**﴾ فهو : يثبت قلبه على الحق ويؤيده ، ويزيده عند اهتدائه هدى ، وعند التماسه للحق نورا وتقوى، كما قال الله :﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم**﴾ .

﴿**والله بكل شئ عليم**﴾ معناها : أن الله بكل أمر من الأمور ، أوشئ من الأشياء - عالم خبير ، لايفوته من استدراك علم الأشياء شئ ، وهو عالم بكل شئ .

ثم أمر سبحانه بما فيه النجاة لمن قبله فقال :﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين**﴾ معنى ﴿**أطيعوا الله**﴾ فهو : اتبعوا أمر الله في كل مايأمركم به فافعلوه ، ومانيهاكم عنه فاتركوه ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ فيما يأمركم به من أمرنا ، ويبلغكم من رسائلنا ، ويفترض عليكم من فرضنا ﴿**فإن توليتم**﴾ يقول: فإن أعرضتم وكذبتم ، ولم تقبلوا على الرسول ، ولم تأتمروا بما أمركم به من أمرنا ﴿**فإنما على رسولنا البلاغ المبين**﴾ يقول : فإنما عليه أن يبين البلاغ لكم ، ويبلغكم مابه أمركم ربكم ، وليس عليه أن يجبر قلوبكم ، ويصلح سريرتكم ، كما عليه أن يصلح علانيتكم ، إنما عليه صلى الله عليه وعلى آله أن يضربكم بالسيف حتى تسلموا لما بلغكم عن الله ، وأمركم به من دين الله ، وليس عليه صلاح قلوبكم ؛ إذ كان غير قادر على ذلك منكم ؛ لأنه لايعلم الغيب إلا الله ، ولايطلع على السرائر إلا الله ، و﴿**البلاغ المبين**﴾ فيقول : البلاغ الظاهر النير ، الذي لايخفى منه شيء ولايستتر .

﴿الله لاإله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فأخبر سبحانه أن المرسل بالبلاغ المبين هو الله ، الذي لاإله إلا هو ، ومعنى ﴿لاإله إلا هو﴾ فهو : لاإله غيره ولاخالق سواه ، وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ومعنى قوله :﴿على الله فليتوكل المؤمنون﴾ فهو : أمر منه سبحانه للمؤمنين أن يكونوا عليه متوكلين ، وبه في كل أمرهم واثقين ، ومعنى ﴿فليتوكل﴾ هو : فليعتمد وليتكل ، ومعنى يتكل : فهو يثق به في كل أمره ، ويتكل على كفايته له في كل شأنه قوله :﴿المؤمنون﴾ فهم عباده المنقطعون إليه ، والمتوكلون عليه .

﴿ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ فأخبر سبحانه عباده المؤمنين ، بعداوة أهل المخالفة في الدين ، من الأزواج والأولاد ، والبنات والبنين ، وذلك قوله :﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ فأخبر سبحانه أن من خالف الدين ، وتادب بأدب غير رب العالمين ، وكان عند الله من الفاسقين كان عدوا بذلك الفعل لآبائه المؤمنين وكذلك من كان من زوجات المؤمنين على غير طريق الحق ، ولامتعلقات بعروة الصدق كن أعداء لأزواجهن المؤمنين .

وكذلك فقد يخرج المعنى في العداوة من الرجال الفاسقين للأزواج المؤمنات فتكون عداوة الفاسق من الأزواج للزوجة المؤمنة على إيمانها وتقواها ، كما تكون العداوة من الزوجة المخالفة في الدين لزوجها ، فالآية قد تحتمل المعنيين ، وتنتظم جميع الحالين ؛ إذ كان لايمتنع أن تكون الزوجة تقية مؤمنة ، ويكون الزوج فاسقا فاجرا فتكون العداوة منه لها على الدين ، كما تكون العداوة من المخالفة من الزوجات للزوج المؤمن في الدين ، كما تكون العداوة من الأولاد للوالدين كليهما ، وللوالد والوالدة ، فكلا الزوجين قد تكون منه العداوة ، وحيث كان الإيمان والهدى من الزوج والزوجة ، فالمخالف لمذهب الحق هو المذموم بالعداوة ، المخصوص في كتاب الله باللائمة ، والمؤمن فهو المحذر لعداوة الكافر ، وليس الكافر بمحذر لعداوة المؤمن لأن المؤمن لايعادي مؤمنا ، ولايستجيز فيه إثما ، فافهم ماقلنا به في قوله الله :﴿إن

من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ ألا ترى كيف يقول :﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ ولم يقل : إن أزواجكم وأولادكم عدو لكم ؛ فدل بذكره بعضا دون بعض على أهل الخلاف والمعصية لله ، كائنا من كان من بعض الأزواج أوبعض الأولاد ، ألا تسمع كيف يقول :﴿فاحذروهم﴾ فحذرهم أمرهم ، وخوفهم كيدهم ، ونبههم على اتقاء شرهم ، ولن يحذر ولن ينبه إلا مؤمنا ، ولن يُحَذِّر المؤمنين إلا من الفاسقين المخالفين ، الذين لايُؤمَن مكرهم ولابوائقهم ، فافهم رحمك الله ماقلنا ، وميز بقلبك تفهم ماشرحنا ، وتقف على جميع ماذكرنا .

ثم قال :﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا﴾ فحض سبحانه على العفو ، والصفح والغفران لهم ، لما بينهم من وشائج الخلطة ، من الولادة والنكاح ، وأراد بذلك [أن] يأمر المؤمنين بالتعطف على من ذكر من الأولاد والأزواج ، مالم يخرجوا إلى المباينة بالمشاقة لله في العداوة لأوليائه المؤمنين من أبنائهم وأزواجهم ، ثم قال :﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فأخبر أنه غفور لمن استغفره بعد التوبة النصوح البينة ، واسترحمه بعد الرجعة عن المعصية .

ثم قال سبحانه :﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ يقول : إنها تفتن كثيرا من الجهال عن طاعة الله ، وتدخله في المعصية لله ، ومعنى ﴿فتنة﴾ فهي : محنة امتحنتم بها ، ليعلم الله أيكم يثبت معها على أصل دينه ، وأيكم تفتنه وترده عن حقه .

ثم قال :﴿والله عنده أجر عظيم﴾ يريد : أن عنده سبحانه لمن لم تفتنه الأموال والأولاد ، فيخرجه الإعجاب بهما عن الهدى ، ويدخله في بحر الهوى ﴿أجر عظيم﴾ والأجر العظيم : فهو الثواب الكريم ، والعطاء الجسيم .

ثم قال سبحانه :﴿فاتقوا الله مااستطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾ فأمر باتقاء الله ومعنى﴿فاتقوا الله﴾ هو : خافوا الله وراقبوه ، في سركم وعلانيتكم ، وكونوا له خائفين ، ولثوابه متنجزين ، قوله :﴿مااستطعتم﴾ يقول : ماأطقتم ، وعليه قويتم لأنه سبحانه لايكلف نفسا إلا وسعها ، كما قال جل جلاله عن أن يحويه قول أوينالـه ﴿واسمعوا وأطيعوا﴾ معنى ﴿اسمعوا﴾ فهو : ائتمروا إذا أمرتم ، وانتهوا إذا نهيتم

﴿**وأطيعوا**﴾ معناها : أطيعوا الله في اقامة فرضه ، وأطيعوا الرسول فيما أمركم من ذلك به .

﴿**وأنفقوا خير لأنفسكم**﴾ يقول : أنفقوا من أموالكم ماتكسبون به الخير لأنفسكم والخير : فهو الأجر .

﴿**ومن يوق شح نفسه**﴾ فمعنى ﴿**يوق**﴾ فهو يوقى ، ومعنى يوقى : فهو يصرف عنه ويكفى شح نفسه . ومعنى ﴿**شح نفسه**﴾ فهو : شر الشح وبلاؤه ، ونازلته وشقاؤه ، واثمه ولؤمه وأذاه ؛ لأن من كان ذا شح ولؤم كان عند الله مدحورا مأثوما وعند الناس مقبحا ملوما ، فأخبر الله سبحانه أن من يوق شح نفسه وشره ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ فطرح بلاء وشر شح نفسه ، وهو يريده ، والمعنى على ذلك كما قال سبحانه :﴿**وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**﴾ [1] وإنما المعنى : وأشربوا في قلوبهم حب العجل ، فطرح حب ، وهو يريده ، والعرب تفعل هذا تطرح ماكان مثل هذا في المعنى وهي تريده ، وكذلك قال الله سبحانه :﴿**واسأل القرية التي كنا فيها والعيرالتي أقبنا منها**﴾[2] أراد أهل القرية ، وأهل العير ، وفي ذلك مايقول شاعر من العرب :

ألا إنني أسقيت أسود حالكا ألا بجلي من ذا الشراب ألا بجل

وإنما أراد أني سقيت سم أسود حالك ، يعني سم الحية السوداء ، فطرح السم وهو يريده ، فعلى ذلك يخرج قول الله سبحانه :﴿**ومن يوق شح نفسه**﴾ يريد ومن يوق شر شح نفسه ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ يقول سبحانه : من وقي شر شحه ، وسوء عاقبته ، بالتوقيق للسخاء ، والتسديد ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ معنى المفلحين : هم الفايزون الناجون من عواقب أفعالهم ، والسالمون من توابع أعمالهم .

ثم قال سبحانه :﴿**إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم**﴾ معنى ﴿**إن تقرضوا الله**﴾ فهو : إن تخرجوا لله ، وتنفقوا في سبيل الله شيئا تقصدون به وجه الله ،

(١) - البقرة : ٩٣

(٢) - يوسف : ٨٢

ولاتريدون به شيئا غير الله ، ويكون ذلك قرضا حسنا ، ومعنى ﴿**قرضا حسنا**﴾ أي : فعلا جميلا ، لايتبعه من ولاأذى ﴿**يضاعفه لكم**﴾ معنى ﴿**يضاعفه لكم**﴾ أي : يضاعف لكم أجره ، ويبسط لكم عليه رزقه في الدنيا والآخرة بالعطاء الجزيل ، والثواب الجليل .

﴿**ويغفر لكم والله شكور حليم**﴾ معنى ﴿**يغفر لكم**﴾ يقول :يقبل منكم نفقاتكم فيغفر لكم ذنوبكم ، ويقبل توبتكم ، ومعنى ﴿**شكور**﴾ فهو : شاكر الحسنات ومعنى الشكر من الله : فهو الإيجاب منه للقبول ممن فعل فعلا يريده سبحانه مخلصا ﴿**حليم**﴾ فمعناها : المتأني بخلقه ، الذي لايعاجلهم عند زلتهم ، ولايؤاخذهم عند عثرتهم ، ليعودوا ويرجعوا ، ويتوبوا ويهتدوا ، ذو الصفح والأناءة العظيمة ، والرحمة والمغفرة الجزيلة الكثيرة .

﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ فمعنى ﴿**عالم**﴾ فهو : خبير بما يكون ﴿**الغيب**﴾ فهو : ماغاب من الأشياء فلم يظهر ، وأسر مما قد أسره مسر ، ومما سيكون ولم يكن فالله عالم بذلك كله ، كعلمه بالظاهر المشاهد ، ألا تسمع كيف يقول :﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ فالغيب : هو ماغاب مما ذكرنا ، والشهادة : فهو ماأعلن وشهد وعلم فلم يستتر ، فأخبر سبحانه أن علمه بالغيوب المستجنة كعلمه بالشهادة الظاهرة .

﴿**العزيز الحكيم**﴾ فالعزيز فهو : القوي القاهر الغالب الظاهر ﴿**الحكيم**﴾ فهو : ذو الحكمة المتقنة ، والأفعال المحكمة التي لاتفاوت في تدبيرها ، ولاتفاوت في تقديرها فتبارك الله ذو الحكمة و القدرة ، والعزة الظاهرة ، الذي لاإله غيره ، ولارب سواه خالق كل شيء وفاطره ، ومدبره ومقدره ، رب العرش الكريم ، الواحد الفرد العليم.

[تفسير] سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله عزوجل :﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ هذا خبر من الله تبارك وتعالى أنزله إلى رسوله صلى الله عليه وآله يخبره بضمير المنافقين ، عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه ، وهو رأس المنافقين ، فكان هو وأصحابه ـ عليهم لعنة الله ـ يأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، فيقولون إذا حضروا المجلس وسمعوا مايتلو من آيات الله وبراهين نبوته :﴿**نشهد إنك لرسول الله**﴾ رياء منهم ونفاقا ، ومراياة للناس وشقاقا ، فأخبره الله أنهم كاذبون في قولهم ، ومايعلنون من تصديقهم بنبي الله والإقرار به ، وأعلمه أنهم يضمرون مالايبدون ، ويقولون غير مايعتقدون ، فقال سبحانه :﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾ يريد بقوله :﴿**جاءك**﴾ أتاك ﴿**المنافقون**﴾ فهم : الذين يقولون غير مايضمرون ، وينافقون رسول الله فيما به يتكلمون ، فـ ﴿**قالوا**﴾ معناها : تكلموا ، وذكروا ﴿**نشهد**﴾ معناها : نقر ونعلم ، ونعتقد ونفهم ﴿**إنك لرسول الله**﴾ معناها : أنك أنت رسول الله ﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾ يقول : الله أعلم ماأرسلك به ، وحقيقة بعثه لك إلى خلقه ، واحتجاجه برسالتك على بريته ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ معنى قوله :﴿**والله يشهد**﴾ فهو : الله يعلم ان المنافقين الذين زعموا أنهم يشهدون إنك رسول الله كاذبون في قولهم ، وماذكروا من اقرارهم بك ، وتصديقهم ، فأخبره أن ضميرهم واعتقادهم خلاف مايبدونه بألسنتهم ، وأنهم في قولهم ينافقون ، وفيما زعموا أنهم يشهدون به كاذبون .

ثم قال سبحانه :﴿**اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ماكانوا يعملون**﴾

هذه الأية وماذكر قبلها من نفاق المؤمنين ، فيما شهدوا به من الشهادة التي كانوا في ادعائها مبطلين ـ نزلت وماذكر في السورة كلها ، من ذكرهم فنزلت على النبي صلى الله عليه وعلى آله في غزوة عسفان ، وفيما كان من كلام الكافر عبدالله بن أبي وأصحابه ، وكان أصل ذلك أن خدم العسكر كانوا يتقدمون إذا بلغوا المناهل فيستقون الماء لأصحابهم ، فتقدموا عند رجوع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من غزوته كما كانوا يفعلون إلى الماء ، فاجتمع على الماء خدم المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه ، وخدم المؤمنين من المهاجرين والأنصار ، فازدحموا عليه ، وتطارحوا الكلام ، حتى تضاربوا فطرد خدم المؤمنين خدم المنافقين ، فلما نزل العسكر وجد عبدالله بن ابي ابن سلول خدمه لم يستقوا بعد ، فسألهم فأخبروه بما كان من خدم المهاجرين ، فقال : آويناهم وقويناهم حتى قووا علينا ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم قال لأصحابه : لاتشاوروا أصحاب محمد ولاتبايعوهم ، ولاترشدوهم ولاتعينوهم ، ولاتنفقوا عليهم حتى ينفضوا ، فلما أن بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الخبر هم بقتله ، فأتاه ابن لعبدالله ابن أبي ابن سلول ، وكان مؤمنا مخلصا ، فقال : يارسول الله إن كنت عزمت على قتله فمرني أنا فآتيك برأسه ، فوالذي بعثك بالحق نبيئا ماقولي هذا لشك فيك ، ولامعارضة لك في شيء تراه ، غير أني أخاف أن تأمر به غيري فيقتله ، فيقع في قلبي خشونة على قاتله ، فينقص ذلك علي من اسلامي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : (بل نهبه لك ، بل نهبه لك) ثم وهبه له ، فيروى أن العسكر لما وردوا المدينة أخذ ابن عبدالله السيف ثم أتى إلى أبيه به مسلولا ، ثم قال : والذي بعث محمدا بالحق نبيئا لتقولن : إن رسول الله الأعز وأنت الأذل ، أولأضربن رأسك بالسيف ، فلما رآه مزمعا على قتله إن لم يقل مأأمره به قالها صاغرا داخرا مكرها ، فلما أن بلغ عبدالله ابن أبي أن رسول الله قد علم بقوله أتى إليه في جماعة من المنافقين فحلف له بالله مجتهدا جاهدا إن كنت قلت مابلغك عني ، ولاتكلمت بهذا الكلام ، وحلف اخوانه المنافقون ماقاله ، ولاتكلم به ، ولقد كنا حاضرين للفظه ولجميع قوله، فأنزل الله فيهم على نبيئه صلى الله عليه وعلى آله:**﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله﴾**

معنى ﴿**اتخذوا**﴾ فهو : جعلوا ﴿**أيمانهم**﴾ معناها : قسمهم وحلفهم با لله ﴿**جنة**﴾ فمعنى ﴿**جنة**﴾ أي تقية يتقون بها ، وسترا يستترون به من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويدفعون بها مايجب عليهم في فعلهم من العقوبة ، التي تجب عليهم في قولهم ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿**فصدوا عن سبيل الله**﴾ يقول : إنهم صدوا عن الحق وعن طاعة رسول الله صلى الله عليه وعلى أهله حين زالت عنهم العقوبة ، لعفو رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم ، عندما كان من أيمانهم وحلفهم له ، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق ، وصدوا غيرهم ، ومعنى صدوا : فهو أعرضوا وتركوا سبيل الله التي أمرهم بسلوكها ، من أبواب طاعته ، وأنواع فرائضه .

﴿**إنهم ساء ماكانوا يعملون**﴾ يقول : إنهم بئس ماكانوا يعملون ، فمعنى ساء : أي قبح ماكانوا يعملون ، ومعنى ﴿**يعملون**﴾ فهو : يفعلون ويصنعون ، من صدهم عن سبيل الله ، ودعائهم إلى غير الله ، وتكذيبهم لرسول الله .

ثم أخبر سبحانه من أين نزل بهم خذلان الله حتى فضحهم الله في كتابه ، وأطلع المؤمنين على عوراتهم في فرقانه ، فقال :﴿**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون**﴾ فأخبر سبحانه أنهم آمنوا في أول أمرهم ، ثم حملتهم الحمية الجاهلية ، والعصبية والأنفة والباطل عن أن يكونوا هم وغيرهم في الحق سواء ، وأن يناصفوا أحدا في الحق ، فكفروا من بعد إيمانهم ، وأبدوا العداوة للرسول صلى الله عليه وآله حين ناصف بينهم ، وبين من هو دونهم في الحق ، وساوى بينهم في النصفة ومنعهم من تجبر الجاهلية وتكبرها ، وتعفرتها وظلمها ، فرجعوا بعد أن آمنوا برسول الله كافرين به جاحدين لنبوته ، طاعنين عليه ، مغتمين من جواره ، كارهين لقربه فسقا وظلما وتجبرا وكفرا ، فأخبر الله سبحانه أن الذي أنزل بهم في كتابه من اللعن والتنقص ، وما افترض على المسلمين من البراءة منهم ، ومنعه لنبيئه من الوقوف على قبر من مات منهم ، وماأمر به نبيئه من مجاهدتهم ، والغلظة عليهم ، وغير ذلك مما أمر به فيهم هو لكفرهم بعد إيمانهم ، ولنقضهم العهود بعد توكيدها ، ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه :﴿**فطبع على قلوبهم**﴾ يقول سبحانه : شهد على نفوسهم

بالطبع ، والإنقفال عن الهدى ، والإعراض عن التقوى ، وأخبر أن ذلك كله لخذلان الله لهم ، يقول : أنزل الخذلان على قلوبهم ، فتحيروا وحل بهم خذلان الله فهلكوا ورانت المعاصي على قلوبهم ، فعموا ﴿**فهم لا يفقهون**﴾ يقول : فهم لايهتدون للرشد فيتبعوه ، ولايجدون من الله توفيقا ، فيستعينوا به على أمرهم ، فهم منغمسون في الضلال والعمى ، زائغون عن الحق والهدى ، متمادون في الحمية والردى ، ثم أخبر سبحانه نبيئه صلى الله عليه وآله بصفاتهم فقال :﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ فدل رسوله عليهم بصفاتهم ، بعد أن دلهم عليهم بأسمائهم فقال :﴿**وإذا رأيتهم**﴾ يقول : إذا أبصرتهم وعاينتهم ، يمشون مقبلين أعجبتك أجسامهم ، يقول : أعجبك خلق الله لأبدانهم ، وعجب ماقدر فصور من أعضائهم ، وحسن من تصويرهم ، وأتقن من تقديرهم ، الذي لم يشكروا الله عليه ، و لم يحمدوه فيه ﴿**وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ يريد تبارك وتعالى بقوله : ﴿**يقولوا**﴾ أي : يتكلموا . يقول : وإن يتكلموا تسمع لقولهم ، ومعنى ﴿**تسمع**﴾ فهو : تستمع ، ومعنى ﴿**لقولهم**﴾ فهو : لكلامهم ، يريد سبحانه بقوله :﴿**تسمع**﴾ أي تستمع لحلاوة ألسنتهم ، وتعجبك فصاحة ألسنتهم وحلاوة لفظهم ، حتى تصغي إلى استماع كلامهم ، تعجبا منك لجودة لغاتهم ، وبيان أقوالهم ، فهذا معنى تسمع لاعلى أنه يستمع كلامهم استماع تصديق ، ولاقبول تحقيق ، بل هو عالم بكذبهم وإنما استماعه وإصغاؤه إلى قولهم تعجب منه لحسن كلامهم ، وفصاحة ألسنتهم الذي لم يشكروا الله عليه ، كما تعجب من خلق أجسامهم ، فهذا معنى ﴿**تسمع لقولهم**﴾

ثم شبههم سبحانه بالخشب المسندة فقال تبارك وتعالى :﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ يريد سبحانه الذم لهم بذلك ، يخبر سبحانه عن عظم أجسامهم ، وتمام خلقهم وعظيم ماهم فيه مع ذلك من جهلهم ، وقلة استعمالهم لما ركب فيهم من عقولهم فلما أن لم يستعملوا عقولهم ، و لم يتدبروا أمورهم مع عظيم ماأنعم الله عليهم به من الخلق الكامل السوي الحسن ، النير البهي ، شبههم بما لاعقل فيه ، إذ لم تنفعهم عقولهم ، فضرب لهم بالخشب مثلا ، فشبه عظم أجسامهم في الطول والغلظ والجِسَمِ

ـ بالخشب المسندة ، خشب النخل الكبار ، فأخبر نبيئه صلى الله عليه وآله أن من عظم جسمه وحسن خلقه ، وقل عمله ، وعدم استعمال عقله ، وعزب فهمه كان في المعنى كالخشبة العظيمة ، التي تعجب من نظر اليها ، طولها وعرضها ، فهي لاتنفع نفسها في شيء من حالها ، فكذلك هؤلاء المنافقون إذ عظمت أجسامهم ، وحسنت صورهم ، وعدموا استعمال عقولهم ، بالإعراض عن أمر ربهم ، حتى نزل بهم خذلانه ، وأحاط بهم انتقامه ، ورانت المعاصي على قلوبهم ، فصاروا في قلة النظر لأنفسهم ، والإعتبار بآيات خالقهم كالخشب المسندة ، التي لاتنفع أنفسها ، ولاتعتبر بشيء من أمر خالقها ، واستوى عندهم الحق والباطل ، كما استوى عند الخشب المسندة ، فكل لايفهم رشده ، ولايميز أمره ، فبعدا لأصحاب السعير .

ثم أخبر سبحانه نبيئه صلى الله عليه وأهله بما يلقون من الفزع من الحق وأهله ومايخشون من سطواته على عدوه فقال سبحانه :﴿**يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾ معنى﴿**يحسبون كل صيحة عليهم**﴾ هو: يظنون أن كل دعوة دعوتها ، أو وثبة وثبتها ، ونهضة نهضتها أنها عليهم وإليهم وأنك تريدهم بها وتقصدهم ، وأنك لاتريد غيرهم ، ولاتفعل ذلك إلا للبطش بهم . والصيحة فمعناها : الوثبة والنهضة ، ودعاء الرعية ، وجمع الرجال ، فكانوا كلما تحرك رسول الله صلى الله عليه وآله لمواثبة عدو توهموا أنه يقصدهم ، وأنه بذلك يريدهم دون عدو من غيرهم ، وذلك لما في قلوبهم من الريبة والبلاء ، والكفر بالله العلي الأعلى ، والمعاداة لرسوله المصطفى ، فأعلمه الله بذلك من أمرهم ، وأطلعه بما أخبره به سبحانه عن سوء ضميرهم .

ثم قال سبحانه :﴿**هم العدو فاحذرهم**﴾ ومعنى ﴿**هم العدو**﴾ أي أولئك الذين يفعلون هذا هم أعداؤك حقا ، وحربك دون غيرهم صدقا ، والعدو : فهو المحارب والمبغض والمناصب ، والمدغل : المداخل لرسول الله صلى الله عليه وآله بنوع من أنواع الفساد كائن من كان . معنى ﴿**فاحذرهم**﴾ أي : اتق شرهم ومكرهم ، وكن على حذر ، ولاتأمنهم في شيء من أمرك ، ولاتثق بهم في سبب من أسبابك ﴿**قاتلهم الله**﴾ معناها: لعنهم الله ﴿**أنى يؤفكون**﴾ معنى ﴿**أنى**﴾ هو : كيف يؤفكون ومعنى

﴿**يؤفكون**﴾ فهو : يعرضون ، ويتركون سبيل رشدهم ، وقد يرون الحق في ذلك باديا لهم ، ويؤفكون هاهنا فليست في معنى يكذبون ، وإنما هي في معنى يعرضون ويفرطون ، ويتركون ، ويقصرون ، وليست من جنس قوله سبحانه :﴿**ويل لكل أفاك أثيم**﴾ (١) لأن الأفاك هاهنا : هو الكذاب ، وإنما ﴿**يؤفكون**﴾ في هذه السورة في معنى قوله سبحانه :﴿**يؤفك عنه من أفك**﴾ (٢) معناها : يُسْأَلُ عنه من فرط وقصر في يوم الجزاء بمن قصر ' **ويعرض** في ذلك اليوم عمن أعرض في الدنيا كما دعي إليه من الهدى فأفك في قبول الهدى ، وفي تعلقه بضده من الردى ، وسلوكه في طريق الحيرة والعمى .

ثم أخبر سبحانه بعتوهم واستكبارهم وإعراضهم عن الله سبحانه ، وإدبارهم فقال سبحانه :﴿**وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**﴾ معنى قوله :﴿**وإذا قيل لهم**﴾ هو : متى قيل لهم :﴿**تعالوا يستغفر لكم**﴾ معنى ﴿**تعالوا**﴾ هو : ائتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واسألوه يستغفر لكم ربكم ، ومعنى ﴿**يستغفر لكم**﴾ فهو : يسأل الله المغفرة لكم ، والتوبة عليكم ﴿**لووا رؤوسهم**﴾ هو : أعرضوا عن الحق ، وهو شيء يفعله الكاره للشيء إذا دعي إليه لوى رأسه في شق ، وأعرض اعراضا عن المكلم له ، بما لايهوى ﴿**ورأيتهم يصدون**﴾ يقول : أبصرتهم يعرضون عن الحق اعراضا ، ويعندون عن الله عنودا ، ويصدون وهم مستكبرون ، ومعنى ﴿**مستكبرون**﴾ أي : متجبرون لايعرفون الله ، ولايهتدون ، ولا له سبحانه يتذللون .

ثم أخبر سبحانه نبيئه بأنه لن يغفر لمثلهم ، ممن كان مصرا على مثل ماهم عليه مصرون ، من الكفر والفجور والفسق ، وارتكاب الشرور ، فقال سبحانه :﴿**سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لايهدي القوم الفاسقين**﴾ معنى ﴿**سواء عليهم**﴾ فهو : سواء عندهم لفسقهم ﴿**استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم**﴾ إذ هم بك مكذبون ، وعلى الله مجترون ، فهم لايوقنون بك ، فيطلبوا

---

(١) ـ الجاثية : ٧

(٢) ـ الذاريات : ٩

استغفارك ولايصدقونك فيتبعوا دينك ، وقد يكون معنى ﴿**سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم**﴾ : أن يكون الله تبارك وتعالى أخبر نبيئه صلى الله عليه وآله أنه لن يقبل استغفاره لهم لو استغفر ، إذ هم مصرون على كبائر عصيانه ، والتكذيب بآياته وقرآنه ، فأخبر أن استغفاره لمن كان ضميره كذلك ، وإمساكه عن الإستغفار لهم سواء ؛ لأن الله سبحانه لايغفر إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، فأما من لم يتب ، وكان ضميره فاسدا فلن يغفر له سبحانه أبدا .

ومعنى ﴿**استغفرت لهم**﴾ فهو: سألت الله المغفرة لهم ﴿**أم لم تستغفر لهم**﴾ يقول : أم لم تسأل المغفرة لهم ﴿**لن يغفر الله لهم**﴾ يقول : لن يتوب الله عليهم ، ولن يعفو عنهم ، ولن يغفر أبدا لهم ، ألا تسمع كيف يقول :﴿**إن الله لايهدي القوم الفاسقين**﴾ يقول : لايسدد ولايوفق ولايغفر ولايرشد القوم الفاسقين ، والفاسقون : فهم الفسقة في الدين ، والفسق في الدين : فهو التكذيب بالحق المبين ، والعنود عن شرائع الدين ، وفيما قلنا به من ذلك مايقول الله :﴿**استغفر لهم أولاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدي القوم الفاسقين**﴾ (١).

ثم أخبر سبحانه بما يقولون ، ويلفظون ، وبه في أنديتهم يأتمرون فقال :﴿**هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون**﴾ فهذا قول عبدالله بن أبي وأصحابه المنافقين فأخبر أن هؤلاء الذين لايقبل استغفار الرسول لهم ؛ لما قد علم الله من سوء ضميرهم ﴿**الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله**﴾ ومعنى ﴿**لاتنفقوا**﴾ يقول : لاتعينوا ولاتواسوا من عند رسول الله من المهاجرين الواردين من آفاق الأرض عليه ﴿**حتى ينفضوا**﴾ يقول : حتى يذهبوا ويفترقوا إذا مسهم الضر ، ونالهم البلاء ، فأخبر سبحانه أن له خزائن السموات والأرض ، وخزائنها فمعناها : ملكها ، وملك جميع مافيها من الأرزاق في جميع الآفاق ، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ، وأن لن يضيع

---

(١) ـ التوبة : ٨٠

المؤمنين إذا أخلصوا نياتهم ، وصبروا على أمره في جميع أسبابهم ، وأنه سيأتيهم برزقهم من حيث لايحتسبون ، ويأتيهم بمحبوبهم من حيث لايرجون ﴿**ولكن المنافقين لايفقهون**﴾ يخبر أن المنافقين لايعلمون ذلك ، ولايوقنون به ، ولايتوهمون أن رزق أصحاب محمد عليه السلام إلا منهم لامن عند ربهم ، بل الله سبحانه هو الرزاق للصنفين المؤمنين والمنافقين ، نعمة منه على من آمن به ، وإكمالا للحجة على من كفر به .

ألا تسمع كيف يحكي قولهم حين يقول : ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون**﴾ فهذا قول من عبدالله بن أبي وأصحابه ـ لعنهم الله ـ معنى ﴿**لئن رجعنا إلى المدينة**﴾ يقولون : لئن قدمناها ، وصرنا إليها ﴿**ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ كأنهم لعنهم الله يعرضون بأنهم هم الأعزون ، وأن أصحاب رسول الله هم الأذلون ، وقد كذبوا ـ عليهم لعنة الله ـ بل هم الأذلون ، وأصحاب رسول الله هم الأعزون ، ومعنى قولهم: ﴿**ليخرجن**﴾ فهو: ليطردن ، ولينحين منها ، وليخرجن عنها ، ألا تسمع كيف قال الله في اكذابهم ، ودفع قولهم ، وإبطال لفظهم ، وإثبات العزة له ولرسوله وللمؤمنين فقال سبحانه :﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ والعزة : فهي القوة والقدرة والبطش ، ونفاذ الأمر والنهي ﴿**ولكن المنافقين لايعلمون**﴾ معنى ﴿**ولكن**﴾ هو : معنى التكذيب لقولهم ، وإثبات الكذب علهيم ، وهي كلمة تستعملها العرب في مثل هذا تَرُدُّ بها كذب الكاذب ، وباطل المبطل ، وتوجب الجهل عليه في قوله ﴿**المنافقين**﴾ فهم : أهل الكذب والنفاق ، وقول المحال والشقاق ﴿**لايعلمون**﴾ يقول: لايفقهون ، ولايدرون مايأتون ويذرون .

ثم أمر سبحانه المؤمنين بما فيه نجاتهم ، والبعد لهم من شبه غيرهم ممن ينسب إلى النفاق والكفر فقال :﴿**ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾ فمعنى ﴿**ياأيها**﴾ فهو : ياهؤلاء الذين آمنوا ، فمعنى ﴿**آمنوا**﴾ فهو : صدقوا وأيقنوا ﴿**لاتلهكم أموالكم**﴾ يقول : لاتشغلكم أموالكم ﴿**وأولادكم عن ذكر الله**﴾ والأموال : فهي الأموال **المعروفة** التي

يستغنى بمعرفتها عن شرحها من الذهب والفضة ، والحرث والأنهار والأشجار والثمار والأنعام ، التي تشغل الفاسقين عن الله ، وتلهي المنافقين عن ذكر الله وتمنعهم محبتها والإشتغال بها عن طاعة الله ، والأولاد : فهم البنون المحبوبون المتزين بهم ، المفتخر بكثرتهم ، الذين يلهون أباهم بالمحبة لهم مع الجدة في أموالهم عن ذكر الله سبحانه إذا لم يكونوا مؤمنين ، فأمر سبحانه المؤمنين بالحذر عن الإشتغال عن الله بالأموال والأولاد كما يفعل من لادين له من العباد .

ومعنى ﴿**عن ذكر الله**﴾ فهو : عن طاعة الله ، والعمل بمرضاة الله ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه :﴿**ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾ ومعنى ﴿**أولئك**﴾ فهم : الذين يفعلون ذلك فهم الخاسرون .

ثم أمرهم سبحانه بالإنفاق في سبيله فقال :﴿**وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين**﴾ ومعنى ﴿**وأنفقوا**﴾ يريد : أخرجوا واعطوا في سبيل الله مما رزقناكم معنى ﴿**رزقناكم**﴾: أعطيناكم ووهبناكم ، وفتحنا من أرزاقنا عليكم ﴿**من قبل أن يأتي**﴾ معناها : من قبل أن يرد على أحدكم الموت ، وينزل به ، ويأخذه ، والموت : فهو الفناء والزوال ، و ﴿**أحدكم**﴾ فهو : واحد منكم بعد واحد ، وواحد بعد واحد ﴿**فيقول رب لولا أخرتني**﴾ معناه : فهو يتكلم ويتمنى ويطلب ويشاء ، ومعنى ﴿**رب لولا أخرتني**﴾ فهو : يارب لو أخرتني إلى أجل قريب ، فأدخل لا استحسانا لها في الكلام وهو لايريدها ، وليس لها هنا أصل ، وقد تقدم شرح مثل هذا في كتابنا ﴿**أخرتني**﴾ يقول : أبقيتني ودفعت الموت عني ﴿**إلى أجل قريب**﴾ يريد : إلى أمد قريب ، ووقت دان ، تزيدنيه من هذا الوقت الذي نزل بي الموت فيه ، فأكون من بعده مؤخرا ، ويكون الموت عني مردودا أياما يسيرة ﴿**فأصدق وأكن من الصالحين**﴾ يقول : أخرج الآن عند تصديقي لما عاينت من صدق وعدك ووعيدك ماكنت ضانا به من مالي ، وبخيلا به من موجودي ، وأصدق به ، وأخرج مفروض زكاته ، وأنفقه في سبيلك ، وأتقرب به إليك ، حتى أكون بذلك عندك من الصالحين ، وبما فعلت من ذلك من المؤمنين .

ثم أخبر سبحانه :﴿**ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون**﴾ ومعنى قوله :﴿**ولن**﴾ هو : إخبار بأنه لايفعل ، وهي في معنى لا ، فأراد لايؤخر الله نفسا ، ومعنى ﴿**يؤخر**﴾ فهو : يملي بعد الفناء ، ويعمر ﴿**نفسا**﴾ فهو : إنسانا وروحا وشخصا ، حتى ﴿**إذا جاء**﴾ ومعنى﴿**إذا جاء**﴾ فهو : حل ودنا ، وأجلها : فهو موتها ، وفناء مدتها التي أجلت لها ، وجعلت حية إلى بلوغها ، وهو المدة التي جعلها الله لها عمرا من الأيام والليالي الخاليات ، والأوقات والساعات الفانيات ، التي بانقضائها ينقضي الأجل ، وبكمالها ينقطع الأمل ﴿**والله خبير بما تعملون**﴾ فمعنى ﴿**خبير**﴾ فهو : عليم محيط حافظ غير ناس ، لايعزب عنه شيء من الأشياء ، قاصيا كان في الأرض أودانيا ، فعلمه بكل شيء محيط ﴿**بما تعملون**﴾ يقول : بما يفعلون ويصنعون .

قال يحي بن الحسين رحمة الله عليه ورضوانه وضاعف له أجره وإحسانه : تا لله مارأيت أشبه بالذين ذكرهم الله وقص خبرهم في هذه السورة من المنافقين ، من أهل دهرنا ، وسكان دارنا ، هؤلاء الذين نحن معهم في نفاقهم وقبيح أفعالهم ، وسوء صنيعهم ، وقلة شكرهم ، وكثرة كفرهم ، وميلهم إلى الدنيا الغارة لمن كان قبلهم المهلكة إلى من ركن إليها من نظرائهم ، فنحن من نفاقهم في أمور كقطع الليل المظلم الهائل الحندس المدلهم ، لاهمة له في الحق ولايقين ، ولارغبة لهم في معرفة شرائع الدين همج أتباع كل ناعق ، أعوان وعضد كل منافق ، إن قالوا كذبوا ، وإن أوعدوا أخلفوا ، وإن عاهدوا نقضوا ، يبغون المسلمين الغوائل ، ويؤلبون على الحق القبائل لافي ثواب الله يرغبون ، ولامن عقابه يخافون ، ولامنه سبحانه يستحيون .

انتهى تفسير الهادي إلى الحق يحي بن الحسين عليه السلام إلى آخر هذه السورة كما ترى .

قال أحمد بن موسى الطبري : كنت أعلم له إلى سورة الصف بطبرستان ، فلم أجد هاهنا غير الذي نسخته إلى سورة المنافقين ، فافهمه إن شاء الله .

[قال جامع هذا التفسير]

وبعد هذا إن شاء الله تعالى فلنبدأ فيما وعدنا بجمعه مما وجدنا متفرقا من تفسير أئمتنا عليهم السلام وغيرهم ، حسبما قدمنا ذكره ، ونبدأ بعون الله عزوجل من أول سورة الجمعة ، من حيث انتهى إليه تفسير الهادي إلى الحق عليه السلام اقتفاء على آثارهم ، وسلوكا إن شاء الله في سبيلهم ، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وهي حسبي ونعم الوكيل ، فنقول وبالله نستعين :

يتلوه إنشاء الله الجزء الثاني
وأوله تفسير سورة الجمعة

الفهرس